

تاريخ الكتاب المقدس

منذ التكوين وحتى اليوم

ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر

دار الثقافة



تاريخ الكتاب المقدس

منذ عهد التكوين وحتى اليوم

تأليف

ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر

ترجمة

وليم وهبه

بمشاركة

وجدي وهبه



Book Name : **Bible: A History**
Author : **Stephen Miller and Robert Huber**
Publishing House : Lion Hudson

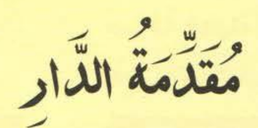
الطبعة الأولى

الكتـاب: تاريخ الكتاب المقدس منذ عهد التكوين وحتى اليوم
المؤلف : ستيفن م. ميلر
المترجم : وليم وهبه، وجدي وهبه
صدر عن : دار الثقافة - ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقـم الإيـداع : ٢٠٠٨ /٢٢٣٧٢
الترقيم الدولـي: 3- 826 - 213 - 977
المطبعـة : مطبعة سيوبرس ت: ٢٦٢٢١٤٢٥/٦
الإخراج الفني والجمع: دار الثقافة
تصميم الغلاف : آن مجـدي
تصميم داخلي : مريم حنـا

١٠ / ١٠٥٦ ط١ / ١-١ / ٢٠٠٨

ميلر، ستيفن م.
تاريخ الكتاب المقدس منذ عهد التكوين وحتى اليوم/ تأليف ستيفن م. ميلر، روبرت ف. هوبر؛ ترجمة وليم وهبه، وجدي وهبه.- القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٨
٢٥٢ ص؛ ٣٠ سم.
تدمك ٣ ٨٢٦ ٢١٣ ٩٧٧
١ الكتاب المقدس.
أ- هوبر، روبرت ف (مؤلف مشارك)
ب- وهبة، وليم (مترجم)
جـ- وهبة، وجدي
(مترجم مشارك)
د- العنـوان

٢٧٢



مُقَدِّمَةُ الدَّارِ

هذا ليس كتاباً عادياً!

هل لكَونِه يتحدَّثُ عن أعظم وأهم كتاب رأى فيه البشرُ اللّهَ يتكلم إلينا في كل مكان وزمان؟

أم لكَونِهِ يُقَدِّمُ بمهارةٍ فائقة صورةً بانوراميَّةً غاية في البراعة والإتقان لكلِّ مراحل تكوين الكتاب المقدس وترجمته وتأثيره؟

وربَّما أيضاً لكونه كتاباً عميقاً في محتواه، رائعاً في أسلوب عرضه وممتعاً في صياغته.

ولعل ما به من صُورٍ ورُسُومٍ مُلوَّنَةٍ يُضْفِي عليه رَونقاً خاصاً ويمنحه قُدْرَةً غير عادية على توصيل الأفكار، وإمتاع الأنظار.

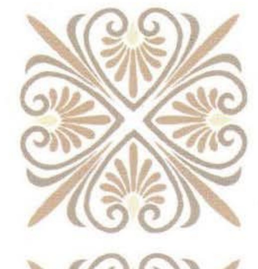
ومما يُسعِدُ دار الثقافة، أن تُزيحَ الستار عن هذا العمل الفريد، إذ لم يسبق وأن نشر باللغة العربية عملاً كهذا، لا في الشكل، ولا في المضمون والمحتوى، لذا فهذا العمل الكبير يُعَدُّ كَنزاً يُثري فكر القارىء العربي، ومرجعاً في غاية الأهمية يثري المكتبة العربية.

هذا الكتاب... تجربة متميزة وإضافة جديدة مبتكرة نهديه إلى كل قارىء يسعى إلى مزيدٍ من العمق في معرفته بالكتاب المقدس، كتاب الكتب، وأساس إيماننا المسيحي.

دار الثقافة



المُحْتَوَيَات











صياغة العهد القديم





صياغة العهد الجديد

الكتاب المقدس في كنيسة تنمو بسرعة



كتاب حركة الإصلاح



الكتاب المقدس في العصر الحديث



المقدمة

كتب الرسول بولس وهو على وشك الاستشهاد، ما يعتقد الكثيرون أنه آخر رسائله التي وصلت إلينا، وجهها إلى أقرب أصدقائه، تيموثاوس، قائد إحدى الكنائس الموجودة فيما يسمى الآن تركيا: «كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر» (٢ تي ٣: ١٦).

وكان الرسول السجين يتكلم عن الكتاب المقدس اليهودي، الذي يسميه المسيحيون الآن: «العهد القديم»، ولعله لم يكن معروفاً تماماً أنه يوماً ما سيعتبر المسيحيون رسالته الخاصة جزءاً من الأسفار المقدسة. والأرجح أن الرسول بولس لم يكن استثناء في هذا الأمر، فعلى قدر ما يعرف العلماء، لم يكن أحد من كتبة الأسفار المقدسة، يعرف أن كلماتهم ستصبح جزءاً من الكتاب المقدس.

ولكن في الوقت المعين، أدرك رجال الإيمان أن كلمة الله موجودة في هذه الشرائع والتواريخ والأشعار والأقوال الحكيمة والنبوات والأناجيل والرسائل. ولكن كيف وصل الناس إلى هذا الوعي والإدراك، مازال سرّاً، فنحن نعلم أن ليس كل اليهود اتفقوا على الكتابات التي يتكون منها كتابهم المقدس، وأن المسيحيين أيضاً تجادلوا حول الأسفار التي يتكون منها العهد الجديد، وظل الأمر كذلك حتى عام ٣٠٠م. حين اتفق غالبية قادة الكنيسة على مجموعة الأسفار التي يتكون منها الكتاب المقدس الآن، بل وحتى الآن ما زال هناك اختلاف في الآراء، فالرومان الكاثوليك عندهم عهد قديم ضخم يشمل عدة أسفار وأجزاء من أسفار موجودة في النسخة السبعينية، وهي الترجمة اليونانية القديمة للأسفار العبرية، والكنائس الأرثوذكسية الشرقية تضيف أسفاراً قليلة أخرى.

ومهما كانت مجموعة الأسفار موضوع الدراسة، فالأمر المدهش في هذه الأسفار، هو اتساقها التام رغم أنه قد كتبها العديدون من الكتّاب على مدى أكثر من ألف عام.. والعامل الذي يجعلها وحدة واحدة هو الله، شخصيته وخطته المستمرة للخلاص، وخطته للوصول إلى الناس وخلاصهم من الخطية وعواقبها الخطيرة. فأسفار العهد القديم والجديد التي جمعها علماء لاهوت مختلفون من يهود ومسيحيين، تتحد في قصة واحدة مترابطة لا شبهة فيها، تخبرنا عن من هو الله وماذا يفعل لمساعدة البشر.

فلماذا هذا الاتساق الكامل في الكتاب المقدس في حديثه عن الله؟ وكيف ظل راسخاً طوال هذه القرون العديدة؟ يقول أهل الإيمان إن الجواب يكمن في الله نفسه، فالكتاب المقدس هو قصته، ظل في لفائف جلدية في كهوف على مدى ألفي عام. لقد تغلب على النيران التي أوقدت للقضاء عليه، وهو يُلهب عواطف المؤمنين الذين يصدرون منه العديد من النسخ، ويعمد في وجه الدراسات النقدية التي يهاجمه بها العلماء المتشككون، ويدفع بالمرسلين لنشره في كل بقاع الأرض، وبالمترجمين لنقله إلى كل اللغات لإتاحة الفرصة للجميع لقراءة كلمة الله.

وهذا الكتاب الذي بين يديك، ليس قصة عن الكتاب المقدس، فأنت تستطيع أن تقرأ ذلك في الأسفار الإلهية نفسها، ولكنه قصة كيف أصبح كتاباً مقدساً، وكيف ثبت راسخاً لم تنل منه الأيام، وكيف أحدث تغييراً في العالم على مدى القرون. إنها بلا شك قصة رائعة.



٢٥٠٠ ٢٤٠٠ ٢٣٠٠ ٢٢٠٠ ٢١٠٠ ٢٠٠٠ ١٩٠٠ ١٨٠٠ ١٧٠٠ ١٦٠٠ ١٥٠٠ ١٤٠٠ ١٣٠٠ ١٢٠٠ ١١٠٠ ١٠٠٠ ٩٠٠ ٨٠٠ ٧٠٠ ٦٠٠ ٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠

أحداث العالم

- نحو ٢٣٥٠: سرجون الكبير الأكادي يؤسس أول إمبراطورية في بين النهرين
- نحو ٢٥٠٠: المصريون يبنون أبا الهول وهرم الجيزة الأكبر
- نحو ٢٠٠٠: ابتداء الحضارة المنوانية
- نحو ١٧٥٠: حمورابي يؤسس الإمبراطورية البابلية ويضع قانوناً جديداً
- نحو ١١٩٣: انتهاء حرب طروادة والاستيلاء عليها
- ٧٥٣: التاريخ التقليدي لتأسيس روما
- ٦١٢: سقوط نينوى، انهيار القوة الأشورية
- ٣٤٣: الإسكندر الأكبر يزحف إلى أسيا الصغرى ويواجه الفرس
- ٣٣١: الإسكندر يهزم الملك داريوس الثالث ويدمر الإمبراطورية الفارسية
- ٣٢٣: بطليموس الأول يسيطر على فلسطين عقب موت الإسكندر الأكبر.
- ٢٠٤: اكتمال سور الصين العظيم.

الحضارة والتكنولوجيا

- نحو ٢٤٠٠: ملحمة جلجامش البابلية، كتابة أول عمل شعري عظيم في العالم.
- نحو ١٤٠٠: الحيثون يصهرون الحديد ويصنّعونه
- نحو ١٤٥٠: بدء الآداب الهندية (الڤيدا)
- نحو ١٠٥٠ – ٨٥٠: الفينيقيون في كنعان يطورون حروف الهجاء التي قامت عليها سريعاً الأبجدية العبرية.
- ٧٧٦ : انطلاق أول ألعاب أوليمبية في اليونان
- نحو ٨٠٠ – ٧٠٠: بداية تطور الأبجدية اليونانية.
- نحو ٦٥٠: إصدار أول عملات نقدية في أسيا الصغرى.
- ٤٨٦: موت سيدهارتا جاوتاما (بوذا)
- ٢٩٤: تأسيس مكتبة الإسكندرية
- ٢٥٠: ترجمة العهد القديم إلى اليونانية

عالم الكتاب المقدس

- نحو ٢٠٠٠: مولد إبراهيم أبي اليهود
- نحو ١٢٧٥: موسى يُخرج الإسرائيليين من مصر (الخروج) ويعطي شريعة الله لإسرائيل
- ١٠٠٠: داود يملك على إسرائيل وإسرائيل تبدأ في تسجيل تاريخها
- ٧٢٢: سقوط عاصمة مملكة إسرائيل الشمالية في يد الأشوريين وتشتت إسرائيل.
- ٦٢١: اكتشاف كتاب الناموس في هيكل أورشليم.
- ٥٨٦: تدمير هيكل أورشليم وسبي إسرائيل إلى بابل حيث يرجعون إلى كتاباتهم المقدسة.
- ٥٣٩: كورش ملك فارس يهزم البابليين ثم يسمح لليهود بالعودة إلى أورشليم.

٢٠٠٠ ١٩٠٠ ١٨٠٠ ١٧٠٠ ١٦٠٠ ١٥٠٠ ١٤٠٠ ١٣٠٠ ١٢٠٠ ١١٠٠ ١٠٠٠ ٩٠٠ ٨٠٠ ٧٠٠ ٦٠٠ ٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ -

- روما تكتسح كورنثوس وتصبح اليونان تحت السيطرة الرومانية
- ٦٣: الرومان بقيادة بومباي يغزون أورشليم
- ٤١٠: القوطيون الغربيون بيادة ألرك يكتسحون روما.
- ١١٧: الإمبراطورية الرومانية تبلغ أقصى مداها
- ٣١٢: اهتداء الإمبراطورية وقسطنطين إلى المسيحية
- ٢٢٠: انتهاء أسرة هان، الصين تنقسم إلى ثلاث دول
- ٨٠٠: تتويج شرلمان، بداية الإمبراطورية الرومانية الغربية الجديدة
- ٧٣٢: معركة تورز، وإيقاف الزحف الإسلامي على أوربا
- ٨٨٢: نقل عاصمة روسيا إلى كييف
- ٩٧٩: أسرة سانج تعيد توحيد الصين
- ٥٠٠: ازدهار الحضارة المايانية في جواتيمالا
- ٦٤١: العرب يغزون مصر وبداية غزوهم لشمال أفريقيا
- ١٣٤٨: انتشار الطاعون الدملي (الموت الأسود) في أوربا ويقتل ثلث السكان
- ١٠٦٦: معركة هاستنجز، غزو النورمان لانجلترا
- ١٢٣٩: المغول يغزون روسيا
- ١٢٤١: المغول يغزون أوروبا الشرقية
- ١٠٩٥: إعلان الحرب الصليبية الأولى من البابا أوربان الثاني
- ١٢٤٤: سقوط أورشليم في يد المسلمين
- ١٢٠٦: المغول تحت قيادة جنكيز خان يبدأون في غزو آسيا
- ١٣٦٨: تأسيس أسرة منج في الصين
- ١٤٩٢: كولمبس يبحر إلى العالم الجديد.
- ١٤٨٠: ايفان الثالث يحرر روسيا من سلطة المغول
- ١٤٥٣: سقوط القسطنطينية على يد الأتراك العثمانيين ونهاية الإمبراطورية البيزنطية
- ١٦٠٧: الإنجليز يقيمون مقراً دائماً لهم في أمريكا في جيمس تاون.
- ١٥١٩: بدء الغزو الأسباني لإمبراطورية الأزتك
- ١٧٧٥: بدء الثورة الأمريكية
- ١٥٠٥: البرتغال تقيم مراكز تجارية في شرق أفريقيا
- ١٧٨٩: الثورة الفرنسية
- ١٨٠٤: نابليون يصبح إمبراطور فرنسا
- ١٩٥٧: معاهدة روما
- ١٩٨٩: سقوط سور برلين
- ١٩١٧: الثورة الروسية
- ١٩١٤: بداية الحرب العالمية الأولى
- ١٩٣٩: بداية الحرب العالمية الثانية
- ١٩٤٨: قيام دولة إسرائيل
- ١٩٤٩: انتصار الشيوعية في الصين

- ٧٩: ثورة بركان فيزوف وخراب مدينة بومباي في إيطاليا
- ١٠٥: الصينيون يخترعون الورق
- ٦٢٥: بداية الدعوة الإسلامية
- ٨٦٣: اختراع الأبجدية السيريانية
- ٧٥١: صناعة الورق تنتشر من الصين إلى العالم الإسلامي
- ٨٥٣: الصينيون ينتجون أول كتاب مطبوع
- نحو ١١٠٠: تأسيس الجامعات الأولى في أوروبا في بولوجنا وساليرنو
- ١٣٥٠: الأوروبيون يستخدمون الأسلحة النارية لأول مرة
- ١١٥٠: صناعة الورق تدخل أوربا
- ١٢٧٥: ماركو بولو يصل الصين
- ١٥٠٠: بدء النهضة الإيطالية
- ١٥٩٥: وليم شكسبير يكتب روميو وجولييت
- ١٧٨١: نشر نقد العقل بقلم كانط
- ١٨٤٨: نشر البيان التأسيسي الشيوعي بقلم ماركس وإنجلز
- ١٨٥٩: نشر أصل الأنواع لتشارلس داروين
- ١٩٠٠: نشر تفسير الأحلام بقلم فرويد وبدء التحليل النفسي
- ١٩٤٥: تفجير أول قنبلة ذرية
- ١٩٤٦: أول كمبيوتر الكتروني
- ١٩٦١: أول رجل في الفضاء

- ٢٠٠: استيلاء السلوقيين على فلسطين
- ١٦٧: يهوذا المكابي يقود الثورة ضد السلوقيين
- ١٦٤: إعادة تدشين الهيكل
- ١٤٠: الأسينيون يؤسسون مجتمع قمران
- ٤٠: تتويج هيرودس الكبير ملكاً على اليهودية
- ٣٠: خدمة الرب يسوع
- نحو ٥٠: بولس يكتب رسالته الأولى إلى تسالونيكي
- نحو ٦٩: مرقس يكتب إنجيله.
- ٧٠: الرومان يدمرون هيكل أورشليم
- ١٠٠: العهد القديم يأخذ شكله النهائي واستكمال غالبية أسفار العهد الجديد
- ١٣٢ - ١٣٥: سمعان باركوكبا يقود تمردا ضد روما.
- نحو ٢٠٠: كتابة الشريعة اليهودية الشفوية (المشنا)
- ٢٤٥: أوريجانوس يكتب الهكسابلا
- ٣٥٠: يولفلاس يخترع الأبجدية القوطية ويبدأ ترجمة الكتاب المقدس
- ٣٦٧: أول قائمة معروفة لأسفار العهد الجديد الـ ٢٧ سفرا
- ٣٨٦: تجديد أوغسطينوس
- ٤٠٥: جيروم يترجم الكتاب للاتينية
- ٧٧٥: استكمال كتاب الكلت في آيرلنده
- ٧٩٦: ألكوين يستكمل الحروف الصغيرة الكارولينية
- ٨٦٥: كيرلس وميثوديوس يترجمان الكتاب المقدس للسلافية
- ٩٠٠: استخدام القصص الكتابية في المسرحيات الكنسية
- ١٣٨٢: أتباع جون ويكليف يصدرون أول كتاب مقدس باللغة الإنجليزية
- ١٢٠٩: فرنسيس الأسيسي يحصل على موافقة البابا على نظامه الجديد
- ١٤٥٥: جوتنبرج يخترع الطباعة وطباعة أول كتاب مقدس
- ١٢٢٩: مجمع الأساقفة يقرر أنه يمكن لأعضاء الكهنة وحدهم أن يمتلكوا كتاباً مقدسا
- ١٦١١: نشر نسخة الملك جيمس
- ١٥١٦: ارازمس ينشر العهد الجديد في اليونانية.
- ١٥١٧: مارتن لوثر يبدأ الحركة البروتستانتية
- ١٥٥٥: روبرت أشتاين ينشر الكتاب المقدس مقسماً إلى إصحاحات وأعداد.
- ٢٠٠٠: مترجمو ويكلف يعلنون أنهم يهدفون إلى ترجمة الكتاب إلى جميع اللغات الباقية قبل ٢٠٢٥
- ١٦٦٣: جون إليوت ينشر أول كتاب مقدس كامل مطبوع في أمريكا الشمالية
- ١٨٧٧: أول كتاب مقدس كامل في الروسية
- ١٨٣٨: أول مسح للمواقع الكتابية، بدء علم الآثار
- ١٩٤٦: اكتشاف مخطوطات البحر الميت

١- صِيَاغَةُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ

تَمَّ استكمال العهد القديم ببطء على مدى ما يزيد على ألف عام، واشترك في كتابته كثيرون من الكُتَّاب الموحى لهم والمحررين والكُتَّاب وغيرهم. وفي البداية كانت قصص الخليقة وعصور اليهودية المبكرة كانت تَنْتَقِلُ شفاهاً. وأخيراً بعد أن تطورت الأبجدية العبرية، بدأ تسجيل هذه القصص كِتَابةً وغيرها من القصص. وهذه الكتابات التي تَصِفُ تَدَخُّلَ الله في التاريخ البشري، روجعت وجُمِعت وشيئاً فشيئاً أخذت شكلها الموجود بين أيدينا الآن.



صورة لاستلام موسى لوحي الشريعة، بريشة لورنزو جبرتي من القرن الخامس عشر

بِكَلِمَةِ الفَمِ

«ا اَللهُمَّ بِآذَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا. آبَاؤُنَا أَخْبَرُونَا بِعَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي أَيَّامِهِمْ فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ.»
(مز ٤٤: ١)

قبل أن يعرف الرجال والنساء أن يقرأوا أو يَكتُبوا، كانوا يَتناقلون القصص عن الأجيال السالفة بكلمة الفم. وكان الرعاة المتجولون يروون مثل هذه القصص في مجالسهم، كما في الصورة، جماعة من الرعاة العرب يستمعون لرواة القصص (بريشة إميل چان هوراس ڤرنيه ٧٨٩ – ١٨٦٣م)

في البداية لم تكن هناك كلمة مُسَجَّلة، لم تكن سوى الكلمات المَنْطُوقة – وكما سُجِّلَ بعد ذلك في سفر التكوين – خلق الله الكون حينما كان ينطق كلمات إلى الخلاء، ولم يكن عباد الله الأولون يستطيعون أن يكتبوا أفكارهم عن الله، أو خبراتهم مع الله، ولكنهم كانوا يستطيعون أن يرووها بأفواههم، وهو ما فعلوه. وقبل أن يخترعوا طريقة الكتابة، بل وحتى بعد ذلك، روى العبرانيون قصصاً وكرروا روايتها، والكثير منها سُجل بعد ذلك في الكتاب المقدس.

التمسك بالعقائد

في البداية، الأرجح أن الآباء والأمهات قَصُّوا على أبنائهم أخبار آبائهم وأجدادهم. فلابد أن إبراهيم نفسه قام برواية هذه القصص. فعندما دعاه الرب أن يترك أور، وينتقل إلى كنعان، لابد أنه أراد أن يحتفظ بذكريات حياته القديمة وأن يقنع أسرته وجيرانه الجدد بأن الرب هو الإله الحقيقي الوحيد، وأن الآلهة الكثيرين التي يتعبد لها الناس الكثيرون من حولهم هي أصنام لا حياة لها. والأرجح أن إبراهيم كرر رواية القصص عن كيف خلق الرب الكون وكيف خَلَّص نوح وعائلته من الطوفان. ولابد أنه روى قصة دعوته هو، ووعد الله بأن يجعله أباً لأمة عظيمة. وبعد ذلك لابد أن ابنه إسحق وحفيده يعقوب واصلا هذا التقليد، واضافوا إليه ما حدث لهم. وعندما اضطر نسلهم للارتحال إلى مصر هرباً من الجوع،



وبعد ذلك أصبحوا عبيداً في مصر، لابد أن أصبح لديهم أسباب أكثر للاحتفاظ بتراثهم، وتمسكوا بمعتقداتهم لكي تظل باقية.

ولم يكن العبرانيون هم الشعب الوحيد الذي يحرص على رواية القصص شفاهاً، فهناك عدد من قصص البابليين القدماء تماثل القصص المسجلة في الكتاب المقدس. فواحد من هذه القصص، التي سجلت بعد ذلك شعراً، وهي «إنوماإليش» تتحدث عن خلق السماء والأرض، ولكنها أيضاً تتحدث عن تقاتل العديد من الآلهة الذين استطاع أخيراً مردوخ إله بابل الرئيسي، أن يُخضعهم ويحكمهم. ومن الناحية الأخرى، قصة الخلق العبرانية تؤكد أن الإله الواحد الحقيقي خلق كل شيء، ويمسك في قبضته كل الخليقة. وهذه الرؤية له تجعل العبرانيين فريدين بين شعوب العالم القديم.

الإضافة إلى القصة

وهناك قول إن رواة القصص يلحقون بقصصهم قصصاً أخرى مستمدة من شعوب أخرى. وقد ظلت بعض هذه القصص حية، بشكل مستقل خارج الكتاب المقدس. وقد تكون إحداها القصة المصرية القديمة عن «الأخوين». وفي هذه القصة تحاول إمرأة أن تغوي أخا زوجها. وعندما يرفض محاولاتها، تخشى من أن يتسرب خبر ذلك إلى زوجها، ولذلك فحالما عاد زوجها إلى بيته، اتهمت أخاه باغتصابها، فاضطر الأخ أن يهرب للنجاة بحياته.

يرى بعض العلماء أن الراوي العبري ربما يكون قد استعار هذه القصة وأجرى فيها بعض التعديلات لكي تتناسب مع قصة يوسف، الذي باعه إخوته إلى العبودية، وتعرض لاتهام بمحاولة اغتصاب زوجة سيده وسُجِنَ بعد أن رفض إغراءها الجنسي. فإذا كان الراوي العبري قد ادخل عن عمد القصة المصرية في داخل رواية يوسف، فهو بذلك لم يكن راغباً في تشويه أو تحريف التاريخ، كما قد نظن نحن الآن. لكنه على الأرجح كان يحاول إبراز أن يوسف كان رجلاً طاهراً وذا أخلاق عالية وأن الله كان يعتني به مهما كان ما تعرض له من معاملة قاسية من العالم الخارجي، لأن سفر التكوين يستمر في سرد القصة لكي يخبرنا كيف أن يوسف في النهاية صعد إلى قمة السلطة وصار قادراً على مساعدة إخوته وشعبه في وقت المجاعة.

فرواية القصص لم تكن فقط لمجرد التسلية، بل بالحري كانت طريقة لحفظ ثقافة الشعب، وإتاحة الفرصة لهم لمعرفة من هم وكيف اختلفوا عن جيرانهم. كانت هذه القصص تذكّر العبرانيين بما جعلهم شعباً خاصاً، وبمرور الزمن، انتقل رواة القصص من دائرة الأسرة إلى جماعة أوسع، وأصبح رواة القصص المحترفون أمراً مألوفاً. وكثيراً ما كان رواة القصص يَرْوُون أقوالهم في اجتماعات عامة أو في الاحتفال بالأعياد. وعندما كانوا يروون قصصهم لعلهم كانوا يزخرفونها لزيادة انتباه السامعين، ولكنهم لم يجرؤا على الابتعاد عن الأصل أو تغيير أي حقائق جوهرية، فلو أنهم حاولوا لكان السامعون يعترضون لأنهم قد سمعوا هذه القصص من قبل مراراً عديدة حتى أصبحوا ملمين بتفاصيلها ولا يمكن أن يحتملوا أي انحرافات هامة، لأن الأمر كان يتعلق بعقيدتهم وثقافتهم التي ترويها هذه القصص.

على مدى القرون

هذا التقليد الشفهي - كما يسمى هذا الأسلوب من رواية القصص الآن - استمر بعد نجاة العبرانيين من العبودية في مصر، وانتقالهم بعد ذلك إلى الأرض التي وعدهم الله بها. قصص موسى والخروج، والاستيلاء على أرض كنعان والأفعال البطولية في أيام القضاة، أضيفت إلى هذا التراث المحفوظ، وحتى بعد انتشار الكتابة، فإن أجزاء صغيرة من النصوص الكتابية سجلت في البداية، بل في الواقع يقول العلماء إنه لم يكتب أي سفر من أسفار الكتاب المقدس في صورته النهائية حتى زمن الملك داود. بل وحتى بعد ذلك على مدى قرون بعد أن كتبت الأسفار الأخيرة من الكتاب المقدس، ظل الناس يستخدمون الأقوال الشفاهية لنقل القصص والقوانين والمبادىء والتعاليم من كل نوع.

أكثر من قصص

لم تكن القصص هي الأسلوب الوحيد الذي من خلاله انتقلت الأخبار عن طريق الرواة، بل كانت هناك الأمثال والصلوات والقصائد الغنائية والأغاني والقوانين بل والألغاز (مثل لغز شمشون في قض ١٤: ١٤) والقصص التي تشرح أسباب تسمية بعض الأشخاص أو الأمكنة، أو لماذا ظهرت كل هذه اللغات.

الكِتَابَاتُ الأُولَى

صورة لقطعة من ملحمة جلجامش بالخط المسماري ويرجع تاريخها إلى القرن الـ ١٥ ق.م وقد عُثِرَ عليها في مجدو.

بينما كان العبرانيون ينقلون ثقافتهم عن طريق الكلام مشافهة كان أول أساليب للكتابة قد استخدمت في بلاد ما بين النهرين (العراق حالياً) حيث تلقى إبراهيم دعوة الله، حيث شاع استخدام ما يسمى بالخط المسماري، كما استخدمت في مصر – حيث كان أبناء يعقوب مستعبدين – الكتابة الهيروغليفية.

الكتابة المسمارية

الأرجح أن أولى هذه الكتابات كانت نوعاً من الكتابة المسمارية التي ظهرت في بلاد ما بين النهرين نحو ٣٢٠٠ ق.م. وكانت الكتابة المسمارية تتكون من رموز أو علامات تنقش على الطين اللين ثم تترك لتجف وكانت هذه العلامات تنقش في الطين باستخدام قصبة على شكل الوتد. وكانت العلامات في أول استخدامها صوراً ساذجة تكاد تشبه الأشياء التي تمثلها، ولكن بمرور الزمن أصبحت العلامات شيئاً فشيئاً أكثر تحديداً، وفي القرن الثامن قبل الميلاد أصبحت تتكون من الألواح الطينية نفسها في الشكل والسُمك وتراوحت في الطول والعرض من ثلاث سنتميترات (٣/٤ البوصة) إلى ثلاثين سنتميتراً (نحو قدم). كما كانت الكتابة المسمارية تنقش أحياناً على ألواح مُغطاة بالشمع أو تُنْقَش على التماثيل الحجرية.

ولكثرة عدد العلامات المستخدمة كان من الصعب اتقانها، فاقتصرت على الكتبة المحترفين في القصور والمعابد. فالكتابة المسمارية كانت تتكون في البداية من نحو ٨٠٠ علامة ولكنها بعد ذلك استخدمت الآلاف من العلامات. وكانت العلامات الأولى تمثل أشخاصاً أو حيوانات أو أشياء أخرى. وكانت الأفعال تمثلها أحياناً مجموعات من الرموز فمثلاً لتمثيل فعل الأكل، كانوا يجمعون بين رمز الفم مع الرمز الذي يمثل الطعام. وكان تستخدم علامتان قصيرتان من القصب تتجه نهاياتهما إلى لوح على شكل مستطيل للدلالة على الفعل «يكتب». وبمرور الزمن أصبحت بعض العلامات تمثل أصوات الكلمات المكونة من مقطع واحد وليس على معانيها، وبذك أمكن أن تمثل الكلمات المكونة من أكثر من مقطع بالجمع بين هذه العلامات.

أقدم الكتابات المسمارية التي وصلتنا لا تحتفظ لنا بتاريخ أو أدب، ولكنها سجلات إدارية خاصة بتربية الحيوانات أو توزيع الحبوب وإدارة المزارع والعمليات المتعلقة بالثمار والحبوب. ونصوص أخرى قليلة يبدو أنها كانت كتباً لتعليم فن الكتابة. وبمرور الزمن أصبحت الكتابة المسماوية تنقش على الآثار لتحفظ التاريخ والشعر.

وقد كشف الأثريون عن العديد من المكتبات المكتوبة بالخط المسماري مما ساعدنا على معرفة أسلوب الحياة في أزمنة الكتاب المقدس. وأهم هذه المكتبات وجدت في أطلال نينوى عاصمة أشور القديمة فهي تحتوي على أكثر من ١٥٠٠ نص بعضها من أقدم الكتابات المسمارية التي وصلت إلينا، وقد جمعها الملك أشر بانيبال الذي حكم من (٦٦٨ – ٦٢٧) ق.م. وأهم ما في هذه المكتبة الملحمة الشعرية «جلجامش» المحفوظة على ١٢ لوحاً. وهذه الملحمة الشعرية التي تعد أقدم ملحمة شعرية في التاريخ. فهي مكتوبة في نحو ٢٠٠٠ ق.م. وتجمع قصصاً أقدم من ذلك بكثير وهي تتكلم عن شجرة الحياة وحية شريرة، وتروي الكثير من المغامرات تتكلم إحداها عن رجل نجا من طوفان عظيم ببناء سفينة

		Archaic Uruk c. 3000	Presargonic Lagash c. 2400	Neo-Assyian c. 700
KA	فم			
GU	أكل			
GI	يقرأ			
SAR	كتابة			

صياغة وتطور الكتابة المسمارية

قمة البحث العلمي

يرجع الفضل إلى الجهود البطولية لضابط إنجليزي شاب هو سير هنري رولنسون، أنه أصبح في الإمكان قراءة الكتابة المسمارية. فبينما كان في فارس فيما بين (١٨٣٠ - ١٨٤٠م.) فتن رولنسون بأثر ضخم محفور في الوجه الحجري لقمة في جبال زاجروس وعليها مناظر من الحياة البطولية من أيام داريوس الأول ملك فارس (نحو ٥٠٠ ق.م.) ومعها نقوش مسمارية بثلاث لغات: الفارسية القديمة، والعيلامية والأكادية. ولكي ينقل النص، اضطر رولنسون أن يقف على قمة سلم مسند بصورة غير ثابتة على إفريز ضيق يعلو فوق الوادي. وكان يلزمه أحياناً أن يثبت نفسه بذراعه اليسرى بينما يمسك بالكراسة بيده اليسرى ويكتب بيده اليمنى، ثم صرف رولنسون عشرات السنين في حل شفرات الكتابة التي سجلها في كراسته وهكذا فتح الطريق لدراسة الكتابة المسمارية واللغات التي احتفظت لنا بها.

وإدخاله العديد من الحيوانات إليها مثل نوح، كما أن هذا الرجل يرسل طيوراً ليعرف هل مياه الفيضان تتناقص. ولعلها صورة من قصة نوح أو أنها قصة مستقلة لطوفان يعتقد العلماء أنه اجتاح منطقة أور حوالي ٣٤٠٠ ق.م.

الكتابة الهيروغليفية

بعد وقت قصير من الزمن الذي كان فيه أهل بلاد النهرين يطورون الكتابة المسمارية - أو ربما قبل ذلك بقليل - كان المصريون يطورون أسلوب كتابتهم. ومع أنه من الجائز أن المصريين أخذوا فكرة الكتابة عن أهل بين النهرين، لكن أسلوبهم الذي يتكون من رسومات ويسمى هيروغليفية لا يمت بأي صلة بالكتابة المسمارية. فبعض الحروف الهيروغليفية تنقل معنى معيناً، فدائرة في داخلها دائرة صغيرة في مركزها كانت علامة «للشمس» ولكن كان يمكن أن تستخدم للدلالة على «يوم». وعلامات أخرى كانت تمثل أصواتاً فمثلاً الكلمتان الدالتان على «رجل» أو «يلمع» تحتويان على نفس الأصوات الساكنة «هج» وكان يمثلها نفس الحرف الهيروغليفي كما كانت هناك علامات تدل على مجموعة من الحروف الساكنة. فكان هناك نحو ٧٠٠ حرف هيروغليفي تستخدم في مصر في معظم عصر العهد القديم. وكانت الكتابة الهيروغليفية تتم عادة بقلم وحبر على ورق البردي، ولكنها كانت تكتب أيضاً على حوائط القصور والقبور والآثار.

ولابد أن العبرانيين رأوا الكتابتين المسمارية والهيروغليفية لأنها كانت ظاهرة في الأماكن العامة. على أية حال من المحتمل أن عدداً قليلاً جداً من العبرانيين كانوا يستطيعون أن يقرأوا أو أن يكتبوا، غير أن معرفتهم الحقيقية بالقراءة والكتابة سوف تأتي مع اختراع الأبجدية.



كتابة هيروغليفية تحتوي على رسم لرجل وإمرأة مصريين من أحد النقوش من داخل مقبرة مصرية.

اَلْكِتَابَاتُ الْعِبْرِيَّةُ

بسبب العدد الضخم من الرموز المستخدمة في الكتابات المبكرة، كان الكتبة فقط هم الذين يستطيعون القراءة والكتابة قبل اختراع الأبجدية في العصر البرونزي المتأخر (١٥٢٥ - ١٢٠٠ ق.م.) وكان أهم الأبجديات هي التي ظهرت في كنعان.

الأبجدية العبرية

مع أن أقدم أبجدية وصلتنا، ظهرت قبل وصول الفينيقيين إلى كنعان (حوالي ١٢٠٠ ق.م.) فإن الفينيقيين قد أنتجوا أعظم كمية من النصوص التي استخدموا فيها الأبجدية، وترجع هذه النصوص من نحو ١٠٥٠ إلى ٨٥٠ ق.م. وعليه فإن نظام الكتابة الذي ظهر قديماً في كنعان يرجع بصورة عامة إلى الأبجدية الفينيقية. والأبجدية العبرية هي الابنة المباشرة لها. فعندما استقر العبرانيون في الأرض الجديدة بعد تجوالهم أربعين سنة في البرية، طوروا طريقتهم الخاصة في الكتابة بتحوير الأبجدية الفينيقية واستخدامها في لغتهم. والأرجح أن هذا لم يكن أمراً عسيراً، لأن العبرية مثلها مثل الفينيقية والأوغاريتية (لغة كنعانية)، وتسمى هي والآرامية باللغات السامية الغربية.

صفحة مكتوبة بالعبرية من سفر الخروج ترجع للقرن الثالث عشر

الأبجدية العبرية

Hebrew Letter	name	Transliteration	
א	'aleph	(none)	أ
ב	beth	b,b	ب
ג	gimel	g,gh	ج
ד	daleth	d,dh	د
ה	he	h (or none)	هـ
ו	waw	w(or none)	و
ז	zayin	z	ز
ח	heth	h	ح
ט	teth	t	ط
י	yodh	y (or none)	ي
כ ך	kaph	k,kh	ك
ל	lamedh	l	ل
מ ם	mem	m	م
נ ן	nun	n	ن
ס	samekh	s	س
ע	'ayin	'	ع
פ ף	pe	p,ph	ف
צ ץ	sadhe	s	ص
ק	goph	q	ق
ר	resh	r	ر
שׂ שׁ	'sin,shin	s,sh	ش
ת	taw	t,th	ت

مع ملاحظة أن الحروف يختلف شكلها إذا جاءت في آخر الكلمة (كما في العربية)

أقدم الكلمات في الكتاب المقدس

مع أن الأسفار المقدسة التي بين أيدينا الآن، كتبت على الأرجح في زمن متأخر من تاريخ إسرائيل، فإن أجزاء صغيرة من عصر مبكر قد أدمجت في النص النهائي. ومن أقدم هذه الأجزاء كما يعتقد العلماء أغنية مريم بعد عبور بني إسرائيل البحر الأحمر، فقد أخذت مريم أخت هارون الدف ورقصت وغنت وجميع النساء وراءها: «رنموا للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (خر ١٥: ٢١). وقطعة أخرى قديمة موجودة في الكتاب المقدس هي ترنمية دبورة (قض ٥)، وهي قطعة رائع من الشعر تعطي صورة مختلفة قليلاً عن المعركة الموصوفة في قض ٤.

وتتكون الأبجدية العبرية من ٢٢ حرفاً كلها حروف ساكنة لأن الحروف الساكنة هي فقط التي تكتب في العبرية. وأغلب الكلمات في العبرية القديمة تتكون أصولها من ثلاثة حروف ساكنة، وكان على القارىء أن يضيف الحركات لصياغة الكلمة المقصودة التي يفترضها السياق. فقد تقرأ الكلمة بأشكال مختلفة، ولكن السياق كان ينبه القارىء إلى القراءة المقصودة، كما أن اللغة العبرية كانت تكتب من اليمين إلى اليسار (مثل العربية، وعلى عكس اللغات الأوربية)

ثبات اللغة

كل أسفار العهد القديم كتبت بالعبرية ما عدا أصحاحات قليلة وآيات قليلة موزعة. ولكن مع أن هذه الأسفار كُتِبَت على مدى نحو ١٠٠٠ عام، وقد اشتملت على أقوال أقدم عهداً، فمن المدهش أنه لا يوجد سوى فرق ضئيل بين أقدم النصوص وأحدثها وهذا أمر غريب لأن غالبية اللغات تتغير باستمرار، فمثلاً الآداب الانجليزية التي ترجع إلى ألف سنة سابقة، لا يستطيع أن يقرأها إلا من حصل على تعليم من نوع خاص لذلك، فللعين غير المدربة تبدو قصيدة إنجليزية قديمة وكأنها مكتوب بالألمانية القديمة التي أصبحت مهجورة تتخللها بعض الرموز الغريبة. ولكن العهد القديم ليس كذلك. ولعل ثبات الكتابة العبرية يرجع إلى أن نصوص الكتاب المقدس كانت موضع الاحترام والتقديس مما كان له أثره في ثبات اللغة ذاتها.

وقد تكون هناك أسباب أخرى لهذا الثبات. ولعل بعض النصوص الأقدم قد قام المحررون بإعادة كتابتها وتحديثها بلغة العصر في أثناء الفترة من القرن العاشر إلى القرن السادس قبل الميلاد، كما كتبوا القصص التي ظلوا يتداولونها شفاهاً. فمثلاً نعلم أن بعض الأماكن القديمة، التي لابد أنها لم تكن معروفة لغالبية القراء في الوقت الذي كتبت فيه، قد استبدلت بأسماء أحدث. ففي تكوين (تك ١٤: ١٤) نقرأ أن إبراهيم سار حتى دان، ولكن لم يكن لدان وجود في زمن إبراهيم، ولابد أن تلك النقطة سميت دان على اسم أحد أحفاد إبراهيم بعد ذلك بقرون، فلابد أن محرر هذا الفصل في سفر التكوين كتب اسم دان عوضاً عن اسم المنطقة القديم «ليشيم» وهذا الاسم الذي كان لابد معروفاً لإبراهيم، ولكنه لم يكن معروفاً لغالبية القراء في عصر متأخر. وفي فصول أخرى تستخدم الأسماء القديمة والجديدة، فمثلاً «وماتت سارة في قرية أربع (أي حبرون) في أرض كنعان» (تك ٢٣: ٢)

وسبب آخر محتمل لهذا الثبات في اللغة العبرية – الذي لا مثيل له – هو أنها بعد مضي زمن، لم تعد العبرية لغة حية بالمعنى الدقيق. فمنذ القرن الخامس ق.م. بدأ الإسرائيليون يتكلمون الآرامية، لغة الفاتحين من الفرس، وبمضي الزمن أصبحت العبرية تستخدم فقط للعبادة والكتاب المقدس، ونتيجة لذلك، أصبحت أقل عرضة للتغيير، من اللغات المستخدمة كل يوم في الأعمال والأحاديث.

وحتى بعد أن توقفت العبرية عن أن تكون اللغة المستخدمة في الحياة اليومية، فإنها ظلت موضع الاحترام الشديد باعتبارها لغة النصوص المقدسة، وظلت الأسفار المقدسة مصونة في اللغة قديمة العهد. ومع أن نصوصاً غير كتابية كثيرة كتبت بالعبرية في العصور القديمة، فإنه لم يبق من هذه الكتابات شيء الآن، ففيما عدا بعض النقوش على الآثار والحوائط والعملات القديمة، لم يبق من الكتابات العبرية القديمة إلا العهد القديم.

الأبجدية الأولى

إن أقدم كتابات استخدمت ما يبدو أنه أبجدية، هي التي تركها جماعة من شمالي غربي آسيا من أسرى الحروب، ممن كانوا يعملون في مناجم الفيروز في شبه جزيرة سيناء في حوالي ١٦٠٠ ق.م. ولم تفك شفرة هذه الكتابات تماماً حتى الآن، ولكن يبدو أنها كتابات دينية. وإلى الآن لم يكشف وجود ارتباطات بين هذه الكتابات الأبجدية من أقدم العصور، والأبجديات المتأخرة عنها.

كشف أسرار اللغة

مع أنه لا توجد في الغالب الآن أي كتابات عبرية قديمة خارج الكتاب المقدس، فإن رجال الآثار اكتشفوا كنزاً كبيراً من الكتابات على ألواح خزفية في أوغاريت على الساحل السوري، ومع أن هذه الكتابات تستخدم أبجدية من النوع المسماري بدلاً من الأبجدية المكونة من أسطر، فإن اللغة الأوغاريتية قريبة جداً من العبرية حتى أنه أمكن للعلماء أن يستخدموا هذه النصوص للمعاونة في حل الصعوبات التي تكتنف بعض الكلمات العبرية غير الواضحة في العهد القديم.

ليست أبجدية بالمعنى الكامل

إن مجموعة الرموز أو الحروف المستخدمة في كتابة اللغة العبرية ليست أبجدية، ولكنها أشبه بذلك إذ تنقصها الحروف المتحركة.

مُوسَى يُسَلِّمُ الشَّرِيعَةَ

قوانين أخرى على حجر

وظهر قول إنه لم تكن الوصايا العشر هي أول القوانين التي نقشت على الحجر.
فقبل موسى بمئات السنين وضع ملك بابلي اسمه حمورابي ٢٨٢ قانوناً نقشها على عمود حجري أسود ارتفاعه أكثر من مترين (سبعة أقدام) وبعض هذه القوانين أشبه بتلك التي في الكتاب المقدس، «عين بعين وسن بسن» (خر ٢١: ٢٤ هـو صدى للقانـون ١٩٦ في مجموعة قوانين حمورابي: «إذا قلع رجل عين رجل أخر، فلتقلع عينه».

صورة لعمود قوانين حمورابي والنقش في أعلى العمود يصور الملك حمورابي يستلم القوانين من شماش الإلـه الشمس.

سَلَّمَ موسى شعبه مئات القوانين المحفوظة في الأسفار الخمسة الأولى في الكتاب المقدس. وقال إن هذه القوانين جاءت من الله مباشرة. وكان لدى الإسرائيليين سبب قوي للإيمان بذلك.

قبل أن يعطي موسى شعبه أول وأهم هذه القوانين - الوصايا العشر منقوشة على الحجر - كان الله شخصياً قد سلَّم هذه القوانين عينها في حديث مسموع لكل الأمة، كان ذلك في الفجر، وكما قال لهم موسى. اجتمع كل الشعب عند قاعدة جبل سيناء لمقابلة الله. وقد ملأ الرعد والبرق الجو كما هبطت سحابة كثيفة على الجبل، وظهر الله في هيئة نار محاطة بموجة عظيمة من الدخان المتلاطم كالموج. والصوت الممتد الصادر عن قرن كبش أعلن وصوله واهتز الجبل بزلزلة عنيفة، فارتعب الشعب خوفاً.

عندئذ تكلم الله بصوت ملأ البرية، وأعطى الوصايا العشر في مسمع الجمع. وكان المنظر هذا مخيفاً حتى توسل الشعب لموسى أن يكون وسيطاً بينهم وبين الله، وقالوا له: «تكلم أنت معنا فنسمع، ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت» (خر ٢٠: ١٩)، فوافق موسى وأعطاهم القوانين الباقية التي أعطاها له الله.

القوانين التي تميز الأمة

هذه القوانين العشرة التي نزل بها موسى بعد ذلك من الجبل منقوشة على ألواح حجرية أصبحت هي القوانين الأساسية لليهودية، والتي عليها تنبنى سائر القوانين اليهودية. والأرجح أن الكثير من القوانين التي جاءت لموسى في أثناء الشهور التي أقام فيها بنو إسرائيل في جبل سيناء وهي أكثر من ستمائة قانون - وبعض هذه القوانين مميزة بصورة تجعلها تميز الأمة، فكان الناس يستطيعون أن يعرفوا أن الشخص يهودي بالهيئة التي يبدو عليها والطريقة اتي يتصرف بها. فكما كان القانون يتطلب، كان الذكور من اليهود يجب أن يختتنوا، وكان على الإسرائيليين ألا يأكلوا بعض أنواع الطعام الشائعة، مثل لحم الخنزير والأرانب كما كان عليهم ألا يعملوا عملاً ما من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت.

قوانين أخرى في الشرق الأوسط القديم لم تتناول إلا الأمور الدنيوية، مثل عقوبات السرقة والإجراءات اللازمة للطلاق، ولكن الشريعة اليهودية غطت الشئون الدنيوية والشئون الدينية، للدلالة على أن الله يسيطر على الناحيتين. وبعض القوانين الأخرى كانت مبنية على أساس التمييز الطبقي فكانت تفرض على الطبقات العليا عقوبات أخف مما تفرضه على عامة الشعب. أما في الشريعة اليهودية، فكانت الطبقة الارستقراطية وعامة الشعب يخضعون لنفس القوانين، بل كان العبيد لهم بعض الحقوق. وكانت الشريعة اليهودية فريدة في أمرها للناس بأن يحموا الضعفاء وبخاصة الأرامل والأيتام.

وهناك نوعان من القوانين في الشريعة اليهودية. أولهما وأكثرها شيوعاً هي القوانين التي تطبق في حالات معينة: إذا سرق إنسان ثوراً، فإنه يعوض عن الثور بخمسة ثيران (خر ٢٢: ١). والنوع الثاني قواعد عريضة القصد منها هو معاونة الناس على أن يعشوا في وفاق بعضهم مع بعض، وأن يظلوا أمناء لله، وهذه القوانين لا تتعلق بحالات خاصة، وليست لها عقوبات محددة. وأفضل مثال معروف لذلك هي الوصايا العشر التي تعمل كمركز التعليم الأدبي لليهود وللمسيحيين أيضاً، وتظهر الآن في قوانين أمم كثيرة.

ووراء الشريعة اليهودية، كان اقتناع الشعب بأنهم يخدمون إلهاً قدوساً يعيش في وسطهم، أولاً في خيمة الشهادة، وبعد ذلك في الهيكل. وقد قال الله لهم: «إني أنا الرب إلهكم فتتقدسون وتكونون قديسين لأني أنا قدوس» (لا ١١: ٤٤). وقد حافظ بنو إسرائيل على قداستهم بحفظ وصايا الله وفرائضه بكل دقة، وحظوا بغفرانه في حالة فشلهم. والمستوى الرفيع لقوانين موسى الفريدة جعلت إسرائيل أمة مميزة كمملكة كهنة، هدفهم هو خدمة الله، وفي المقابل وعد الله أن يباركهم.

الناموس الشفهي

يقول التقليد اليهودي إن الكثير من القوانين

وتفسيرها، التي أعطاها الله لموسى، لم تكن مكتوبة ولكنها كانوا يتداولونها شفاهاً. وقد اشتمل الناموس الشفهي - كما أصبح معروفاً بهذا الاسم - على قوانين إضافية وإرشادات عززت الناموس المكتوب. فمثلاً قال الناموس المكتوب أن يكرموا يوم السبت بعدم العمل فيه. والناموس الشفهي حدد ما يعتبر عملاً وما لا يعتبر عملاً. وأحياناً تعرض للتغيير، فالقادة الدنيون عدلوا ووسعوا هذه القوانين الشفوية، فمثلاً عندما دمر الرومان الهيكل في ٧٠ م لم يعد في استطاعة اليهود تنفيذ القوانين الخاصة بتقديم الذبائح في الهيكل، ولذلك قرر الناموس الشفهي تقديم ذبائح الصلاة بناء على توجيه أحد الأنبياء: «نقدم ثمر شفاهنا» (هو ١٤: ٢).

وحوالي سنة ٢٠٠ م أصبحت مجموعة القوانين الشفوية كبيرة جداً حتى تأكد العلماء اليهود أنهم في حاجة إلى كتابتها، وكانت النتيجة هي كتابة «المشنا» وهي أول مجموعة رسمية للقوانين اليهودية وأقدس الوثائق اليهودي بعد الكتاب المقدس.

وصايا عشر مكتوبة على الحجر

لا يذكر سفر الخروج سوى القليل عن شكل الوصايا العشر، سوى أنها كانت على لوحين حجريين مكتوبين على جانبيهما من هنا ومن هنا (خر ٣٢: ١٥) والأرجح أنهما لم يكونا من الضخامة كما يظهران في الرسومات والأفلام، وإلا كان أمراً عسيراً على موسى أن يحملهما وينزل بهما من فوق جبل سيناء.

ويرى بعض علماء الكتاب أن اللوحين كانا شريحتين من الحجر الجيري، وهو حجر أخف نوعاً ويوجد بكثرة في سيناء، وهو أشبه بالحجر الطفيلي، ويمكن تقطيعه إلى شرائح رقيقة مسطحة، وكثيراً ما استخدم الناس في الشرق الأوسط قديماً قطعاً صغيرة من الحجر الجيري كما نستخدم نحن الورق، لتسجيل كلمات أو صور بالحبر أو بالنقش.

وهذان اللوحان الحجريان المحتويان على أهم القوانين الإسرائيلية كان يجب حفظهما في صندوق مطلي بالذهب يسمى تابوت العهد. وكان هذا الصندوق الذي أصبح أهم ذخائر اليهود المقدسة كان طوله نحو متر وثلث المتر طولاً (أربعة أقدام)، وثلثي متر (نحو قدمين) عرضاً وارتفاعاً.

وقد وضع هذا التابوت وبداخله الوصايا العشر، في قدس الأقداس - أقدس حجرة في خيمة الاجتماع - وبعد ذلك في الهيكل. ومن الواضح أن الغزاة البابليين سرقوا التابوت عندما استولوا على أورشليم في ٥٨٦ ق.م. ولكن أحد الأسفار اليهودية الذي ربما كتبت في القرن الأول قبل الميلاد ذكر أن النبي إرميا خبأ التابوت في كهف على الجبل الذي مات عليه موسى الذي يقع الآن في ما يسمى مملكة الأردن (٢مكابين ٢: ٤- ٨).

موجز الوصايا العشر

١- اعبدوا الله، والله وحـده.
٢- لا تصنعوا أوثاناً أو تعبدوها.
٣- لا تنطق باسم الله باطلاً.
٤- استرح في اليوم السابع من كل أسبوع.
٥- احترم والديك.
٦- لا تقتل
٧- لا تزن
٨- لا تسرق
٩- لا تكذب على قريبك.
١٠- لا تشته ما يخص شخصاً آخر.

صورة لموسى يسلم الوصايا العشر لبني إسرائيل بريشة رافايل (١٤٨٣ - ١٥٢٠م)

"وَأَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ عَادِلَةٌ مِثْلُ كُلِّ هذِهِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ؟"

(موسى في سفر التثنية ٤: ٨)

اَلْبَرْدِي: وَرَقٌ مِنْ نَهْرِ النِّيْلِ

"الحضارة أو على الأقل التاريخ البشري يتوقف على استخدام البردي"
المؤرخ الروماني بلليني الكبير من القرن الأول الميلادي

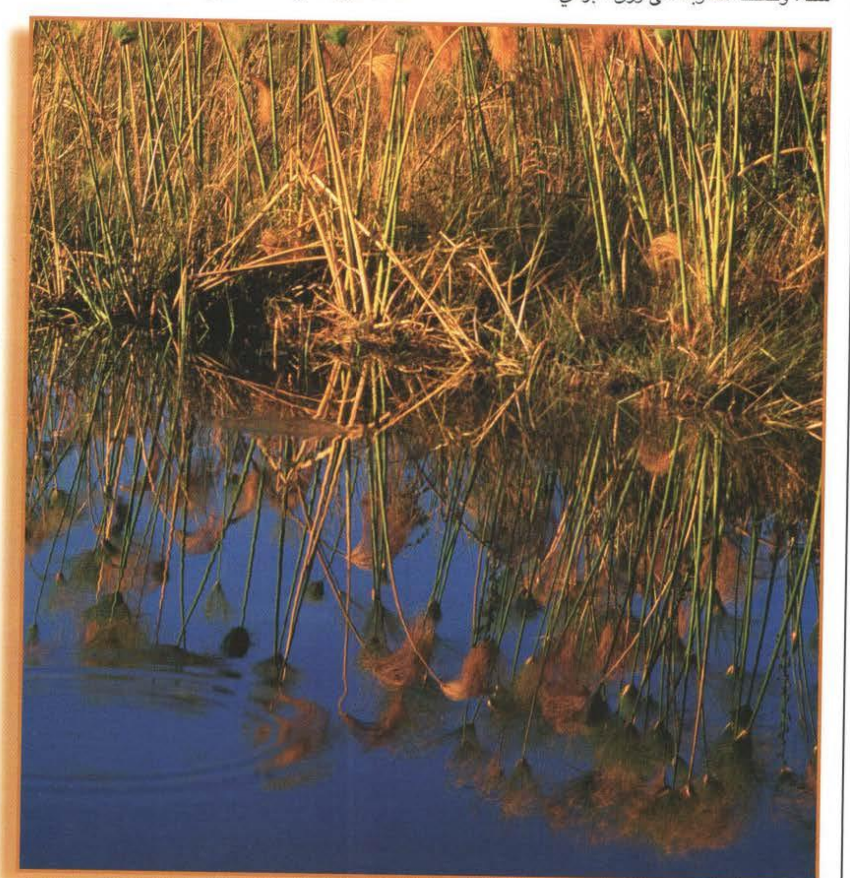
في عصور الكتاب المقدس، كانت تنمو في نهر النيل أعواد طويلة رفيعة، ولكنك لن تجدها الآن لأن الحضارة قد دمرت مواطنها الطبيعية. ومن سخرية الأقدار أن يحدث هذا للبردي الذي غذَّى الحضارة البشرية بتزويد البشر بوسيلة عظيمة للتواصل والحفاظ على تاريخهم.

كان البردي هو أول مادة خفيفة ورخيصة ومتينة للكتابة عليها، مما ضمن لها أن تلعب دوراً بالغ الأهمية في قصة الكتاب المقدس. ففي الحقيقة الكثير من أقدم نسخ أسفار الكتاب المقدس، بما في ذلك بعض مخطوطات البحر الميت التي مضى عليها أكثر من ألفي سنة، وصلتنا مكتوبة على ورق البردي.

ففي نحو ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، اكتشف المصريون أنهم يستطيعون صنع الورق من عيدان النخاع الطري الموجود في سيقان نبات البردي، وهذا النبات ينمو في كل بلاد البحر المتوسط ولكن كان أفضلها ما ينمو في مصر لصنع الورق، لسببين، أولهما أن كمياته تبدو لا نهاية لها وبخاصة في دلتا النيل. وثانيهما أن سيقان النباتات المصرية كان أكبرها، فكانت تبلغ نحو خمسة أمتار ارتفاعاً من (١٠- ١٥) قدماً، وسمكها نحو خمسة سنتيمترات (نحو بوصيتين) وكان معنى هذا أن مصر كانت لديها الفرصة لاحتكار هذه الصناعة.

مصدر كلمة ورق:

كلمة ورق بالإنجليزية هي «بيبر» (Paper) مشتقة من كلمة بردي «بابيروس» في الإنجليزية (Papyrus).



صورة لنبات البردي في المياه

كيفية صناعة ورق البردي

في نقش مصري قديم على أحد الحوائط، يبين أن الرجال كانوا يحصدون عيدان البردي بخلعها من قاع النهر ويحملونها في حزم على ظهورهم. ثم يقطع الصناع السيقان إلى قطع قصيرة يبلغ طولها نحو ثلث المتر (نحو قدم واحدة) أو أطول قليلاً ثم يزيلون الطبقة الخارجية من الساق كاشفين عن الإسطوانة الداخلية الطرية من النخاع الأبيض.

ثم يشق النخاع طولاً وهو ما زال طرياً إلى خيوط رفيعة، عادة ما بين سنتيمتر إلى ثلاثة (من ١/٤ بوصة إلى بوصة) سمكاً وهذه الخيوط كان يمكن أن تجفف وتخزن لاستخدامها فيما بعد، أو تحول فوراً إلى أوراق من البردي.

ولعمل الورقة، كانت هذه الخيوط ترص جنباً إلى جنب على سطح صلب مثل لوح من الخشب. وكانت هذه الخيوط المتوازية يلمس أحدها الآخر أو يعلوه جزئياً. ثم يوضع طبقة أخرى فوق الأولى على أن تكون خيوطها متعامدة على خيوط الطبقة السفلى. ثم يقوم الصناع بالطرق عليها والضغط على الخيوط المبللة حتى تتداخل الخيوط النخاعية فتلتحم الطبقتان. ثم تجفف الأوراق في الشمس مكونة سطحاً مرناً قوياً قشدي اللون.

وكان الكتبة يستطيعون الكتابة على ورقة بردية واحدة، ولكن كثيراً ما كانت تلحم أطرا الأوراق بعجينة من الدقيق لتكن درجاً أو لفة من نحو عشرين ورقة عادة. وكان الكتبة يفضلون استخدام الجانب الذي به الخيوط الأفقية حتى يمكنهم أن يحركوا أقلامهم مع الألياف. ولكن الكثير من لفائف البردي القديمة مكتوبة على كلا الجانبين.

المداد طويل الأمد

كان المداد يُعمَل من مواد طبيعية لا تبهت بسهولة. والكتابة الواضحة للقراءة في مخطوطات البحر الميت التي كتبت قبل عصر المسيح لقرون هي خير دليل على جودة المداد الذي كتبت به.

وكان المداد الأسود يصنع من رواسب الكربون مثل السناج الذي يكشط من ذبالة المصباح أو من أسفل القدور. كما أن الكربون يؤخذ من الفحم النباتي أو العظام المحترقة التي تطحن ناعماً. ومهما كان مصدر الكربون، فإنه كان يخلط بمادة لاصقة مثل الصمغ العربي، أو عصارة أشجار السنط القابلة للذوبان، وكان هذا الخليط يجفف على شكل كعكات صغيرة. وعندما يستعد الكاتب للكتابة، كان يدلك قلماً مبتلاً أو فرشاة متبلة عى كعكة المداد.

وكان الكتبة عادة يستخدمون أيضاً مداداً أحمر، كان يصنع من أكسيد الحديد، أو المغرة الحمراء أو غيرها من المواد الموجودة في التربة.

وعندما كان الكتبة يخطئون في كتابة كلمة، كان يمكنهم محو المداد وهو طازج بمسحه بالماء. فإذا كان المداد قد جف فعلاً، فكان يمكنهم قشطه بقطعة من الصخر، وكانت هذه الطرق لمحو الكتابة الخطأ مجدية لأن عصائر نبات البردي الجافة كانت تعمل كحاجز يحمي سطح الورقة من أن يتغلغل الحبر في الألياف.



قلم يُمضّغ

كانت الأقلام المستخدمة للكتابة على ورق البردي تشبه فرشاة التلوين فكانت تقطع من نبات السمار، وهي نباتات دقيقة تنمو في المستنقعات. وكانت الأقلام تقطع بأطوال مختلفة، كثيراً ما تكون من ١٥ – ٤٠ سم (٦– ١٥ بوصة). وكان الكتبة يمضعون طرف القلم ليصبح فرشاة صغيرة.

وعندما كان الكتبة يكتبون، كانوا يبدون مثل الفنانين في أثناء العمل لأنهم غالباً لم يكونوا يسندون أيديهم على الورقة، ولكنهم كانوا يمسكون بالقلم مثل فرشاة على لوحة الرسم، وفي عصور العهد الجديد، استخدم الكتبة عيداناً يبردونها لتصبح لها سن محددة ومشقوقة مثل قلم الملوك وكانت الأقلام وكعكة الحبر المجففة تحفظ غالباً معاً في محافظ ضيقة مصنوعة من الخشب. كما كانت تحفظ كعكات الحبر في محابر حجرية عميقة.

صورة لقلمة كاتب مصري بها أقلام وثقوب لوضع الحبر الأحمر والأسود



صورة لشخصين ونقش هيروغليفي. وإذا تم رفع الصورة أمام ضوء قوي فإنه يكشف عن وضع شظايا البردي متعامدة.

دَاوُدُ وَكَتَبَتُهُ المَلَكِيُّون

"فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِلْمَلِكِ دَاوُدَ."

(١ أخ ٢٧: ٢٤)

قد يكون أهم ما أسهم به الملك داود في الكتاب المقدس، ليس المزامير المنسوبة إليه، أو دوره البارز في القصص المثيرة مثل صراعه الخطير مع جليات الجبار، بل أهم ما أسهم به قد يكون أنه بدأ في عملية كتابة الكتاب المقدس التي استغرقت نحو ألف عام، بأمره بكتابة تاريخ الأمة الصاعدة التي تولى قيادتها.

لسنا متأكدين متى وَضَعَ أول إسرائيلي قلمه على ورق البردي وبدأ في كتابة القصص والأناشيد والأنواع الأخرى من التقليد اليهودي الذي أصبح الكتاب المقدس. كان موسى هو أول شخص يذكره الكتاب المقدس ككاتب للتوراة، فبعد أن صد الإسرائيليون هجوماً، قال الرب لموسى: «اكتب هذا تذكاراً في الكتاب، وضعه في مسامع يشوع» (خر ١٧: ١٤). فلعل يشوع كان في حاجة إلى سمع هذه الكلمات، لأنه كغالبية بني إسرائيل في ذلك الوقت، ربما لم يكن يعرف القراءة والكتابة.

وموسى الذي تعلّم في قصر فرعون مصر، ربما كتب قصصاً أخرى كثيرة عن خروج بني إسرائيل العظيم ولو أن الكتاب المقدس لا يذكر ذلك. ومع ذلك فأي كتابة كتبت، الأرجح أنها لم تحفظ في أرشيف قومي، بل عوضاً عن ذلك كانت القصص والتقاليد تحفظ حية في أذهان بني إسرائيل من خلال رواة القصص: وكان هذا إطاعة لأمر الله: «لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم

أمر الملك داود بكتابة تاريخ بني إسرائيل. والأرجح أن هذا العمل كان أهم من انتصاره على الجبار الفلسطيني جليات، الذي يظهر في الصورة



على قلبك. وقصها على أولادك وتكلم بهـا...» (تث ٦: ٦، ٧).

الكتبة في بلاط الملك داود

في حوالي ١٠٠٠ ق.م حافظ الملك داود على حدود إسرائيل، وإذ تم له هذا، فالأرجح أنه شرع في حفظ مكان الأمة في التاريخ. ولابد أنه توقع مستقبلاً طويلاً لإسرائيل حيث أن الله قد قال عن داود: «وأنا أُثَبِّت كرسي مملكته إلى الأبد» (٢صم ٧: ١٣) وبين رجال بلاطه الذين عينهم الملك داود كان كاتبان: «يهوشافاط بن أخيلود مسجلاً، وشيوا كاتباً» (٢صم ٢٠: ٢٤، ٢٥).

ولا يصف الكتاب المقدس عمل كل من هذين الرجلين، ولكن علماء الكتاب يرون أن هذين الموظفين كانا يديران قسمين من الكتبة. فكان الكاتب على الأرجح مسئولاً عن تسجيل ونشر مراسيم الملك، فكان يعمل متكلماً بلسان الملك يبلغ أوامر الملك للشعب. ولعل الكاتب كان مسئولاً عن مراسلات الملك مع الأفراد من بني إسرائيل، ومع حكام الأمم الأخرى.

والأرجح أن داود ثم ابنه الذي خلفه، سليمان، قد جمعا فريقاً من الكتبة لتسجيل وحفظ قصص الأمة المعروفة جيداً وشرائعها. ومن الممكن أن الكتبة الذين عملوا مع المسجل الملكي والكاتب الملكي، كانوا جزءاً من هذا الفريق المثقف. ولا يذكر الكتاب المقدس أبداً أن داود وسليمان قد شكلا مثل هذا الفريق من الكتبة لحفظ التاريخ، ولكنه يلمح إلى ذلك كما سبقت الإشارة.

مفاتيح لتأثير داود

يبدو أن سفر القضاة مُفصَّل للكشف عن ما هو أكثر من تاريخ إسرائيل الذي سادته الفوضى في الأيام الأولى لهم في كنعان قبل أن يصبح لهم ملك. كان التاريخ مضطرباً تعمه الأزمات، أزمة وراء أزمة، وكل أزمة تُؤَدِّي إلى توبة الشعب عن خطاياهم فيرسل الله لهم قائداً بطلاً مثل جدعون وشمشون. ولكن الكلمات الختامية من السفر تتكلم عن فوضى سياسية ويبدو أنها تلمح إلى أن ما تحتاجه الأمة حقيقة للاستقرار طويل الأمد هو ملك: «في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل. كل واحد عمل ما حسن في عينيه» (قض ٢١: ٢٥).

وفي سفري صموئيل وسفري الملوك سجل الكتبة بكل عناية قصصاً عن ملوك إسرائيل الأوائل، مبينين بوضوح أن الله اختار داود لحكم الأمة لأنه كان من المعتاد أن أكبر الأبناء الأحياء هو الذي يرث عرش أبيه، وبالتالي فكان من الأرجح أن كثير من الشعب فكروا في أن عرش إسرائيل كان يجب أن ينتقل من شاول – أول ملك للأمة – إلى ابن شاول، ولكن الأحداث المذكورة عن تاريخ إسرائيل المبكر تبين أن النبي صموئيل قال لشاول: «لأنك رفضت كلام الرب، رفضك من المُلْك» (١صم ١٥: ٢٣).

في القصص الدرامية التي لعلها مروية مباشرة من صاحبها، من صموئيل وداود، يذكر الكتبة أن صموئيل ذهب سرّاً إلى بيت الشاب داود في بيت لحم ومسحه ليكون الملك التالي لإسرائيل، وقد حدث هذا المسح بأمر من الله. وفي أثناء هذا المسح، حل روح الرب بقوة على داود منذ ذلك اليوم فصاعداً (١صم ١٦: ١٣).

والقصص التي تلي ذلك تُقدِّم دليلاً قاطعاً على أن داود كان حقيقة مباركاً من الله منذ أن تولى السلطة ووسع حدود الأمة. وهذا السجل المحفوظ بدقة هو أحد أدق الكتابات في الكتاب المقدس تؤيده الأحداث والدراما والأحاديث الثابتة.

ومع أن القصص بالتأكيد قد ساعدت على إخماد المعارضة لحكم داود، فإن القصص التالية تواصل هذه القصص البطولية ولكنها تشتمل أيضاً على سقطات شنيعة لداود، وأهمها زناه مع بثشبع، وما أعقبه من قتل زوجها.

هذا التاريخ القديم، الذي حُفظ أولاً عن طريق روايته بالفم، حفز إسرائيل على خلق آدابها القومية، وبعد ذلك عندما بدأت الملفات تتمزق وتبهت بمضي الزمن وكثرة الاستعمال، كتب الكتبة نسخاً طبق الأصل على ملفات جديدة، حتى لا يندثر أبداً تاريخ أمتهم والدروس المستقاة منه.



صورة لوحة بالآرامية وجدت في دان يرجع تاريخها إلى القرن التاسع قبل الميلاد. والسطر الثقيل مكتوب فيه «بيت داود»

لم يكن داود أسطورة

ظن بعض علماء الكتاب في وقت من الأوقات أن داود كان بطلاً أسطورياً، مثل هرقل، حيث لم يكن ثمة دليل على أنه عاش فعلاً، ولكن في ١٩٩٣م. وجدت قطعة حجرية منقوش عليها «بيت داود»، في شمالي إسرائيل ويبدو أن الحجر كان تخليداً لذكرى انتصار الآراميين (وكانوا فيما يسمى الآن سوريا) على بني إسرائيل، يرجع تاريخها إلى ٢٠٠ سنة بعد زمن داود. وأصبح هذا الحجر المنقوش عليه أول دليل خارج الكتاب المقدس، أن بني إسرائيل كان لهم ملك اسمه داود – ومنذ ذلك الوقت تم اكتشاف أدلة أخرى تشير إلى داود، منها كتابة على أحد حوائط المباني الأثرية المصرية ترجع إلى نحو ٥٠ سنة بعد موت داود، وهذه الكتابة الهيروغليفية، تذكر اسم مكان يقول علماء المصريات بأنه «مرتفعات داود» أي أورشليم، عاصمة داود التي تقع في جبال اليهودية.

«وبَقِيَّةُ أُمُورِ رَحُبْعَامَ وَكُلُّ مَا فَعَلَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا.»

(١مل ١٤: ٢٩).

اَلْمَزَامِيرُ: كِتَابُ تَرَانِيمِ إِسْرَائِيلَ

"تشتمل المزامير على أعمق وأقوى المشاعر البشرية والتأملات والصلوات والحمد والتسبيح والحكمة والمراثي".
بيتر كريجي، جامعة كالاري

ليست المزامير كتاباً القصد منه أن يقرأه الناس مثل سائر أسفار الكتاب المقدس، ولكن لكي يترنموا به، فسفر المزامير مجموعة من ١٥٠ أنشودة للعبادة، وهي قصائد شعرية وُضِعَت لها بمهارة ألحان موسيقية، وهي أناشيد كان يترنم بها قدماء العبرانيين في مناسبات مختلفة.

فهناك أناشيد للسير نحو أورشليم لحضور الأعياد الدينية. والعناوين القديمة (وهي كلمات أعلى الأبيات الشعرية) تشير إلى هذه الأناشيد بأن هناك «ترانيم المصاعد»، للمزامير لأنه مهما كان الاتجاه الذي كان يجيء منه الناس إلى المدينة الجبلية، مدينة أورشيم، كان عليهم أن يتسلقوا الجبل إليها. وهناك أناشيد لتتويج الملك، وأناشيد لحفلات الزواج، وأناشيد لطقوس الهيكل.

أناشيد لكل المناسبات

كثير من المزامير قصائد حمد لله، وشكره لأجل الخليقة والحماية والشفاء. والأرجح أنه لهذا السبب، كان الاسم العبري القديم للسفر هو «تلهيم» الذي يعني «قصائد حمد». ومن العجب أنك عندما تقسم الأناشيد إلى أقسام، فستجد نفسك مضطراً أن تضع أكبر عدد منها تحت اسم «الشكوى». وهذه المراثي هي تعبيرات لاذعة عن الحزن أو الخوف من غدر الأصدقاء، وتهديدات الأعداء، والمرض والوحدة والإحساس بالترك من الله.

مزمور لعشتار

منذ مائة عام، كان بعض علماء الكتاب المقدس، يَشُكُّون في أن داود له أي صلة بالمزامير، فكانوا يقولون إنها لا يمكن أن تكون قديمة بهذه الصورة، ولعلها كتبت بعد داود بأربعمائة سنة أو أكثر. ولكن الاكتشافات الأثرية الحديثة تقترح أمراً آخر.

كما أن هناك بعض التشابهات بين بعض المزامير العبرية وأناشيد وجدت في بعض الكتابات الأدبية لثقافات أخرى قديمة: مثل المصرية والكنعانية والبابلية والأشورية. وإليك بعض المقتطفات من مزمور ١٣ ومقارنتها بمقتطفات من صلاة رثاء «لعشتار» إلهة الحرب وكان يعبدها البابليون. وهذه الصلاة لعشتار وجدت في «درج» يرجع إلى العديد من مئات السنين بعد داود، ولكن توجد على الدرج ملحوظة تقول إنه خاص بهيكل بابلي، وقد نقلت عن نسخة قديمة. ويقول بعض العلماء إن هذه الصلاة ترجع إلى مئات السنين، ربما إلى زمن داود أو ما قبله، فقد بدأت الحضارة البابلية قبل داود بنحو ٧٠٠ سنة.

مزمور ١٣:

إلى متى يارب تنساني كل النسيان. إلى متى تحجب وجهك عني. إلى متى أجعل هموماً في نفسي وحزناً في قلبي كل يوم. إلى متى يرتفع عدوي عليَّ؟

صلاة رثاء لعشتار:

إلى متى يا سيدتي ستظلين غاضبة، حتى يتحول وجهك بعيداً؟ إلى متى يا سيدتي سيظل أعدائي يتفرسون فيَّ؟
بالحق وبغير حق، يخططون الشر ضدي.
هل مطاردي وأولئك الذين يرتفعون علي، يثورون عليَّ؟

نقابات المغنين:

تُنسب بعض المزامير إلى نقابات مغنين، إمَّا لأولاد قورح أو أبناء آساف. وأحياناً يُنسب مزمور إلى عضو واحد من هذه النقابات. فمزمور ٨٨ مثلاً ينسب إلى هيمان من بني قورح. وكما تدل الأسماء كانت كل نقابة تتكون من أعضاء عائلة، كان عملها الغناء في أثناء خدمات العبادة.

وليس من الواضح ما إذا كان أعضاء النقابة هم الذين كتبوا هذه المزامير، أم أنهم حفظوها فقط ورنموها. على أية حال يبدو من المحتمل أنهم ألَّفوا بعض المزامير، وحفظوا البعض القليل، ونقحوا البعض الآخر ليلائم المناسبات. القول بالتنقيح تسنده تلك الحقيقة أن بعض المزامير تتكرر مع تغييرات بسيطة فقط، فمثلاً مزمور ٤٠: ١٣- ١٧ تكرار لمزمور ٧٠.

ناي مصنوع من العظام، وقد عُثِر عليه في أورشليم القدس، مدينة داود.

ولأن السفر يغطي هذا العدد الكبير من الموضوعات، أصبح فيما بعد يعرف باسم «المزامير» وهي مشتقة من الكلمة اليونانية «سالموس» التي تعني أنشودة أو «رنين الأوتار». وفي الواقع يتضمن السفر تعليمات للموسيقيين تشير أحياناً إلى استخدام «الآلات الوترية» أو «آلات النفخ» في مصاحبة المزمور.

داود الملك المُرَنِّم

يكاد ينسب للملك داود الموسيقار الشهير نصف عدد المزامير، ففي صباه كثيراً ما كان يُدعى إلى قصر الملك شاول ليعزف على القيثارة لتهدئة نوبات الاكتئاب التي كانت تباغت شاول. ويحتفظ سفر صموئيل الثاني بنشيدين من أناشيد داود وهما مرثاته لشاول ويوناثان اللذين قتلا في المعركة مع الفلسطينيين (٢صم ١: ١٧- ٢٧) وأنشودة شكر لله (٢صم ٢٢: ١- ٥١)

ويذكر سفر الأخبار الأول أن داود بعد ذلك نظم الخدمة الموسيقية في الهيكل واختار لها الموسيقيين.

وقد لا يكون داود قد كتب فعلاً الـ ٧٣ مزمور المنسوبة له، فالأداة العبرية التي تنسب هذه المزامير له هي حرف الجر «اللام» وهي قد تعني بواسطته، أو «عنه» أو «لأجله». ومع ذلك إذا كان داود لم يكتب هذه المزامير، فعلى الأقل فإن حياته هي التي أوحت بها. ويقول كثيرون من العلماء إن هذه الإشارات لداود قد أضافها على الأرجح محررون بعد وقت طويل من كتابة المزامير.

ألف سنة من الموسيقى

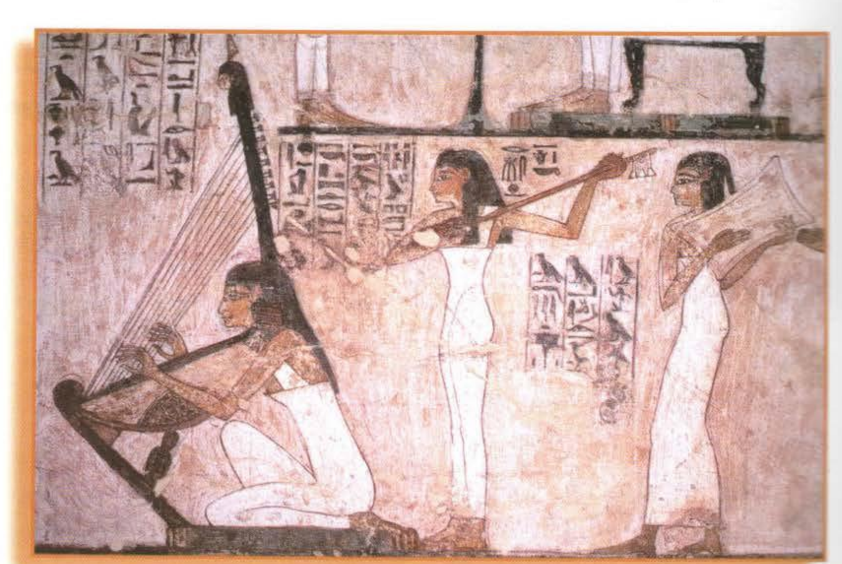
لا أحد يعلم متى كتبت هذه المزامير، ولكن يبدو أن كتابتها استغرقت نحو ألف سنة من الخروج إلى السبي عندما انهزم اليهود ونُفوا إلى بابل في ٥٨٦ ق.م. ومزمور ٩٠ هو المزمور الوحيد المنسوب لموسى، وقد يكون هو الذي كتبه، وإن كان من الممكن أن يكون قد كتب بعد ذلك باعتباره صلاة في روح موسى. ومزمور آخر يتكلم عن السبي في بابل «على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون..» (مز ١٣٧: ١). وبكل تأكيد قد كتب هذا المزمور بعد السبي.

والأرجح أن أناشيد سفر المزامير كانت تستخدم في العبادة الجماعية والفردية قبل أن تجمع في مجلد واحد بزمن طويل. أما متى جمعت هذه الأناشيد فمازال سراً، ولعل ذلك استغرق عدة قرون، كانت تضاف إليها أناشيد جديدة بعد أن أصبحت بالتدريج جزءاً تقليداً في العباد اليهودية. وتمت عملية الجمع بعد العودة من السبي البابلي. ويوجد بين مخطوطات البحر الميت، درج للمزامير سُجِّل فيما بين (٣٠ - ٥٠ م.) أي حوالي العصر الذي عاش فيه الرب يسوع. وتحتوي هذه النسخة من المزامير على ثلاثة مزامير لم تُعرف من قبل، ومزامير أخرى ليست على نفس الترتيب المعروف لنا الآن، كما توجد اختلافات بسيطة في الكلمات.

ظلت المزامير تنسخ على مدى أكثر من ألفي عام، وتحفظ بعناية بالغة من اليهود ومن المسيحيين على حد سواء، وبهذه الطريقة، فإن أناشيد الشعراء القدامى تصبح أناشيد اليوم طالما أن الناس يستخدمونها للتعبير عن أعمق مشاعرهم من تجاه الله.



لوحة جدارية من القرن السابع قبل الميلاد من قصر آشور بانيبال في نينوى، تبين موسيقيين آشوريين بآلاتهم الموسيقية.



صورة مرسومة على حائط مقبرة لشخص يدعى رخمير (أحد رجال القصر) تبين ثلاث فتيات يعزفن على قيثارة وآلات وترية.

قَصائِدُ الْكِتابِ الْمُقَدَّسِ

"يتيح الشعر مجالاً للخيال والتنغيم للكتّاب الموحى لهم، لتوصيل كلمة الله لشعبه."

دونالد بيري

أستاذ علوم الدين جامعة موبيل

لم يكن هناك شعراً في اللغة العبرية القديمة، فلا توجد كلمة للدلالة عليه، ولكن الشعر يملأ الأدب العبري. فأكثر من ثلث العهد القديم عبارة عن قصائد كتبت للتغنى بها أو قيلت تعبيراً عن العواطف.

وحتى قبل أن تصبح الكتابة شائعة في إسرائيل، برع الشعب في كتابة شعر رائع، كانوا يحفظونه عن ظهر قلب ويتناقلونه من جيل إلى جيل. ويقول العلماء إن أقدم الكلمات في الكتاب المقدس، كلمات شعرية:

- أغنية مريم حمداً لله بعد أن شق لهم البحر الأحمر (خر ١٥: ٢١)
- أغنية دبورة بعد هزيمة جيوش كنعان (قض ٥: ١- ٣١)
- مرثاة داود للملك شاول ويوناثان (٢صم ١: ١٩- ٢٧).

ويعتقد الجميع أن هذه الأناشيد لها أكثر من ثلاثة آلاف عام، وتشبه إلى حد كبير شعر شعوب الشرق الأوسط في ذلك العصر.

ومن سفر التكوين إلى سفر ملاخي، كل سفر من أسفار العهد القديم تقريباً به على الأقل بعض الشعر، بل هناك بعض الأسفار ليس بها سوى الشعر مثل المزامير والأمثال ونشيد الأنشاد ومراثي إرميا.

ويكاد سفر أيوب أن يكون كله شعراً، ونحو نصف الجامعة شعر. ومعظم رسائل الله في أسفار الأنبياء، عبارة عن شعر.

أفكار مكررة ولكن ليست الأصوات

الشعر الذي يكتب الآن مقفى ويلتزم بالإيقاع، فنحن نستطيع أن نسمع التناغم بين الأصوات ونشعر بإيقاع كل بيت من الشعر، ولكن الشعر العبري ليس كذلك، فهو عادة لا يلتزم بالقافية أو الإيقاع (والعلماء غير متأكدين كيف كانت تنطق الكلمات وأين كانت تقع الحركات.

وما كان يحدث عادة في الشعر العبري - على أية حال - هو تكرار الأفكار المتوازنة. ففي لغة رمزية، يذكر الشاعر فكرة في الشطر الأول، ثم يكررها بصيغة أخرى في الشطر التالي، وربما في الأبيات التالية أيضاً.

ويسمي علماء الكتاب هذه الظاهرة الفريدة «التوازي» والكتّاب العبرانيون استخدموا هذا الأسلوب بطرق عديدة.

أفكار متطابقة

وأوضح نوع من التكرار الشعري هو ما يسميه علماء الكتاب المقدس، «التوازي» نفس المعنى الذي يكون فيه الشطر الثاني بنفس معنى الشطر الأول.

وأحد الأمثلة المشهورة هو التماس النبي عاموس من الأمة الإسرائيلية المصابة بالفساد أن تعمل الصواب:

«وَلْيَجْرِ الْحَقُّ كَالْمِيَاهِ وَالْبِرُّ كَنَهْرٍ دَائِمٍ.» (عا ٥: ٢٤)

ومعرفة هذا الأسلوب الشعري يمكن أن يساعد القراء على تفسير الأقوال الصعبة في شعر الكتاب المقدس. ولكن القراء الذين لا يعرفونه يمكن أن يرتبكوا

أوقات الحياة

أهم أحد مقاطع الشعر العبري قالها رجل حكيم يبحث عن معنى الحياة.

وهذه الكلمات رغم أنها جاءت مقفاة في العربية إلا أنها لم تكن هكذا في العبرية، ولم ين لها أيضاً وزن منتظم، وفي هذه الكلمات يسهل علينا أن نرى أحد أهم ملمح الشعر العبري، وهو تكرار الفكرة، إذ يقول الفكرة في الشطر الأول من كل بيت، ويعود يكررها في الشطر الثاني.

لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ.
لِلْوِلاَدَةِ وَقْتٌ وَلِلْمَوْتِ وَقْتٌ.
لِلْغَرْسِ وَقْتٌ وَلِقَلْعِ الْمَغْرُوسِ وَقْتٌ.
لِلْقَتْلِ وَقْتٌ وَلِلشِّفَاءِ وَقْتٌ.
لِلْهَدْمِ وَقْتٌ وَلِلْبِنَاءِ وَقْتٌ.
لِلْبُكَاءِ وَقْتٌ وَلِلضَّحْكِ وَقْتٌ.
لِلنَّوْحِ وَقْتٌ وَلِلرَّقْصِ وَقْتٌ.
لِتَفْرِيقِ الْحِجَارَةِ وَقْتٌ وَلِجَمْعِ الْحِجَارَةِ وَقْتٌ.
لِلْمُعَانَقَةِ وَقْتٌ وَلِلانْفِصَالِ عَنِ الْمُعَانَقَةِ وَقْتٌ. (جامعة ٣: ١- ٨)



مَصَادِرُ أَسْفَارِ التَّوْرَاةِ الْخَمْسَةِ

حينئذ والآن

علاوة على تكرار الروايات في الأسفار الخمسة، توجد دلائل أخرى على أن هذه الأسفار ربما يكتبها موسى. وإحدى هذه العلامات هو الاستخدام المتكرر كثيراً لعبارة «إلى هذا اليوم» في الإشارة إلى استخام أسماء البلاد أو العادات. «وهذا اليوم» يشير من الواضح إلى زمن متأخر جداً عن زمن موسى

مع أن الكثير من الكتابات قد تم تدوينها في عهد الملك داود وابنه سليمان، فإن قصص أصول الإسرائيليين ومعتقداتهم كانت على الأرجح ما زالت متداولة شفاها في تلك الفترة التي تعد أعظم أيام مملكة إسرائيل. وهذه القصص ستحفظ أخيراً في صورة مكتوبة في الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس، المعروفة بالأسفار الخمسة. وظل الاعتقاد على مدى قرون أن موسى هو الذي كتب الأسفار الخمسة وكثيراً ما كان يشار إليها باسم «أسفار موسى الخمسة».

غير أن العلماء يعتقدون الآن أن الأسفار الخمسة لم يتم كتابتها إلا بعد زمن موسى بفترة طويلة، وأنها عمل العديد من الكتبة. وهذه الفكرة ليست جديدة تماماً، فمنذ عصور مبكرة كان الظن أنه وإن كان موسى هو بالتأكيد الروح الملهم وراء هذه النصوص، إلا أنه لم يكتبها هو شخصياً.

الشك في كتابة موسى لها

بدأت المشكلات بالنسبة لكتابة موسى لهذه الأسفار، مبكراً. فمع أن العهد الجديد يتحدث عن ناموس موسى فإنه لا يذكر صراحة أن موسى كتب الأسفار الخمسة ويبدو أنه سرعان ما انتشرت هذه الفكرة، ورغم أن بعض الأجزاء يبدو أنها كتبت بعد زمن موسى. ففي نحو سنة ٤٠٠ بعد الميلاد نجد چيروم الذي ظلت ترجمته اللاتينية للكتاب المقدس تستخدم على مدى ١٥٠٠ سنة، كان يعتقد أن موسى هو الكاتب الأصلي للأسفار الخمسة، ولكن الأسفار لم تأخذ شكلها النهائي حتى ٤٠٠ ق.م. زمن عزرا الكاهن الذي قام بحركة إصلاح ديني بين اليهود الراجعين إلى أورشليم من السبي البابلي.

وفي القرن السابع الميلادي، ثارت شكوك أخطر بالنسبة لكتابة موسى لهذه الأسفار. وأحد هذه الشكوك المبكرة كانت أن سفر التثنية يشتمل على قصة موت موسى ولا يمكن أن يكون موسى قد كتبها بنفسه.. واقترح المفسرون المتأخرون بما فيهم فيلسوف القرن السابع عشر الميلادي توماس هوبس، أن الأسفار الخمسة الأولى في الكتاب المقدس قد كتبها حقيقة موسى، ولكن قد أضاف إليها كتبة جاءوا بعده، مثل قصة موت موسى. واعتقد باروخ سبينوزا المعاصر لهوبس بأن الأسفار الخمس جمعها عزرا باستخدام مواد أقدم، لعل موسى كان قد كتب البعض منها.

فقد لاحظ سبينوزا في دراسته للأسفار الخمسة وجود ازدواجية (روايتان عن حدث واحد) وأوضح هذه موجودة في سفر التكوين، ففيه قصتان عن الخليقة، فمثلاً في (تك ١: ١١- ٢٧) خلق الله النباتات ثم الحيوانات، ثم خلق الرجل والمرأة معاً وفي (تك ٢: ٧- ٢٢)، خلق الله الرجل، ثم النباتات ثم الحيوانات، وبعد ذلك خلق المرأة من أحد أضلاع الرجل. كما أن قصة الطوفان تُقدِّم مثالاً واضحاً آخر ففي (تك ٧: ٢- ٣) يأخذ نوح معه إلى الفلك سبعة أزواج من كل نوع من الحيوانات الطاهرة وزوجاً واحداً من الحيوانات غير الطاهرة. أما في (تك ٦: ١٩- ٢٠) يأخذ إلى الفلك زوجاً واحداً من الحيوانات والطيور سواء الطاهرة أو غير الطاهرة.

وهذه قصة أخرى:

دَحْضُ كتابة موسى للتوراة بدأ مبكراً منذ القرن الأول الميلادي، ففي الأصحاح الرابع عشر من سفر إسدراس الثاني (أحد أسفار الأبوكريفا وهي الأسفار التي لا ترد في العهد القديم العبري) يتكلم الله إلى عزرا من شجيرة ويقول له أن يجمع خمسة كتبة ويُملي عليهم ما سيوحي به الله له. ويظل عزرا أربعين يوماً يملي على الكتبة، فكتبوا الأربعة والعشرين سفراً من العهد القديم، وسبعين سفراً أخرى من الأسفار المقدسة. وقد فسر الكتبة المسيحيون الأوائل (آباء الكنيسة) هذا القول على أن عزرا وليس موسى، هو الذي كتب الأسفار الخمسة وأنه فعل هذا بوحي مباشر من الله. على أية حال لقد كتب سفر إسدراس الثاني بعد مئات السنين منذ زمن عزرا، والمعروف عن الآباء أنهم لم يولوا التفاصيل التاريخية والعلمية اهتماماً كبيراً. والآن تعتبر هذه الفقرة في إسدراس أسطورة.

وهذا التكرار وغيره من العناصر مثل الاختلاف في بعض التواريخ وأسماء البلدان وبعض التفاصيل الأخرى. أدت إلى أن يظن البعض بأن الأسفار الخمسة لم يكتبها شخص واحد سواء كان موسى أو غيره. فعلى مدى القرنين التاليين فحص العلماء النصوص الكتابية، مع دراسة دقيق لهذه الظواهر، وخرجوا بنظريات عديدة عن أصل النصوص القديمة.

أربعة مصادر

عندما فصل العلماء خيوط القصة التي تدل عليها الازدواجية بدأوا يتحققون من أن بعض القصص استخدمت اسم «يهوه» للدلالة على الله، بينما البعض الآخر استخدم «إلوهيم». وهذا أدى بهم إلى الاعتقاد بأنه على الأقل تم المزج بين تقليدين في الأسفار الخمسة. ووجد علماء آخرون ما هو أكثر من هذا، ففي ١٨٧٨م. درس العالم الألماني فلهاوزن كل النظريات المعقولة واقترح خطة تُدعى «الفرضية الوثائقية» التي ما زالت شائعة الاستخدام الآن.

رأى فلهاوزن أربعة مصادر أساسية سمَّاها «ي» «إ». «ك». «ت». «فالياء» من «يهوه»، و «الألف من «إلوهيم»، «والكاف» من «كهنوتي»، لأن هدف الكتابات الأخيرة تركز على الكهنة والعبادة. و«التاء» للدلال على سفر التثنية الذي يشكل المصدر الرابع.

وهذه المصادر «ي - إ - ك - ت» كُتبت قصصها منفصلة في أمكنة مختلفة ومن أناس مختلفين، كما سنشرح ذلك في الصفحة التالية. وقد ضمت هذه المصادر نفسها مصادر أقدم منها سواء مكتوبة أو منقولة شفاها. والأرجح أن بعض هذه المصادر يرجع إلى عهد موسى، بينما البعض الآخر أقدم منه عهداً. ولم تُجمع هذه المصادر «ي»، «إ» ، «ك» ، «ت»، لتكوِّن الأسفار التي بين أيدنا الآن، إلا في عصر السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد على الأقل.

بناء على ما جاء في سفر التكوين، أخذ نوح معه في الفلك إمَّا سبعة أزواج من كل نوع من الحيوانات والطيور الطاهرة، وزوجاً واحداً من كل نوع من الحيوانات والطيور غير الطاهرة. أو أنه أخذ زوجاً واحداً من كل نوع من الحيوانات والطيور سواء الطاهرة أو غير الطاهرة.
صورة كبيرة لفلك نوح (بريشة كاتالان - رسمها في نحو ٩٧٠ - ٩٧٥م.)



صِيَاغَةُ أَسْفَارِ التَّورَاةِ

التوراة الأسفار الخمسة الأولى لم يكتبها كما كان يظن الناس لزمن مديد، موسى أو أي فرد آخر، بل بالحري إنها مزيج من أربعة مصادر على الأرجح، تسمى بالحروف «ي»، «إ»، «ك»، «ت» كما جاء في الصفحات السابقة وزمن ومكان كتابة هذه المصادر غير معروفين على وجه اليقين، ولكن هناك اتفاق عام على بعض النقاط:

كيف تختلف المصادر؟

«ي» **(المصدر اليهودي)** أقدم المصادر، فالأرجح أنه يعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد، بعد أن انقسم بنو إسرائيل إلى مملكتين: يهوذا المملكة الجنوبية التي ظلت يحكمها نسل داود، والمملكة الشمالية التي كان لها ملوكها من غير نسل داود.. ويؤكد المصدر «ي» على الحكم الملكي بالتركيز على وعد الله بأن يجمع أسباط إسرائيل تحت ملك واحد مما يتضمن النقد للمملكة الشمالية. ولاهوتياً «ي» هو أبسط المصادر حيث ينظر إلى الله على أنه إله ممتلىء بالمشاعر، يتصل بالإنسان وجهاً لوجه، وأسلوبه الأدبي رشيق نابض بالحياة. ويؤكد قصص وتقاليد الأسباط الجنوبية بما فيها قصص إبراهيم الذي عاش في حبرون المدينة الجنوبية.

«إ» **(المصدر الإلوهيمي)** الذي يعود على الأرجح إلى القرن الثامن قبل الميلاد فيركز على قيادة موسى والأنبياء أكثر من تركيزه على الملوك. وأسلوبه أكثر تعقيداً عن أسلوب «ي» ، والله فيه يخاطب الناس عن طريق الملائكة أو الأحلام.

و «إ» يركز على تقاليد وشخصيات المملكة الشمالية. ولعله بعد سقوط المملكة الشمالية في يد الأشوريين أخذت نسخ من «إ» إلى الجنوب، إلى أورشليم، وجمعت مع «ي» في نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد.

«ت». **(المصدر التثنوي)** أو على الأقل جزء كبير منها، كان يكوِّن سفر الشريعة الذي وجد في الهيكل في ٦٢١ ق.م. والذي قرىء أمام الملك يوشيا (٢مل ٢٢: ٨). وباقي «ت» لعله كُتب بعد ذلك. ويؤكد «ت» على الحاجة

صورة لبيع يوسف عبداً باعه إخوته إما لتجار إسماعيليين أو مديانيين. والحادث مصورة على الخشب بيد يوليوس سكنور ڤون كارلوسفيلد (نحو ١٧٩٤ - ١٩٨٤م.)

الشمال في مواجهة الجنوب

ثمة أسباب كثيرة للاعتقاد بأن المصدر «ي» كُتِبَت في المملكة الجنوبية بعد أن انقسم بنو إسرائيل إلى مملكتين شمالية وجنوبية. على أية حال فإن قصة كيف استولى بنو إسرائيل على مدنية شكيم التي أصبحت بعد ذلك عاصمة للمملكة الشمالية، تجعل الأمر واضحاً جداً. فبناء على «ي»، استولوا على الأرض بالخداع، وهذه القصة (المذكورة في تك ٣٤) تروي كيف أن شكيم بنت الأمير الذي سميت المدينة على اسمه، اغتصب دينة بنت يعقوب. ثم تاب وعرض أن يتزوجها ويصنع سلاماً. وتظاهر إخوة دينة الثائرون لاغتصاب أختهم، بالموافقة على هذه الخطة على شرط أن يختتن جميع أهل المدينة، وبينما كان الرجال ما زالوا متوجعين من ختانهم، قتلهم أولاد يعقوب ونهبوا مدينتهم. وبناء على المصدر الشمالي، يعقوب اشترى أرضاً في شكيم التي أصبحت فيما بعد عاصمة للمملكة الشمالية (تك ٣٣: ١٨، ١٩) كذا فإن هذا المصدر يحذف هذه القصة القبيحة الواردة في «ي».

للعبادة المركزية كما دافع عنها يوشيا. والعديد من الإشارات يبدو أنها ترجع لعهد الملك يوشيا.

ويقول العلماء إن «ت» قد أُضيف إلى «ى» و «إ» في منتصف القرن السادس.

«ك» (المصدر الكهنوتي) قد أُضيف إلى المصادر الأسبق في أثناء السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد بمعرفة كهنة كانوا يحاولون الحفاظ على فرائض الهيكل الأصلية. ففي نصوص «ك» نجد الكاهن هو السلطة العليا، وأن الأنبياء لا يقومون بأي دور. وبناء على «ك» نسل هارون فقط هم الكهنة، بينما في المصادر الأخرى كل اللاويين، سواء كانوا من نسل هارون أو لم يكونوا، هم كهنة. وعلاوة على أقوال كثيرة عن دور الكهنة هناك أكثر من مائتي إشارة إلى خيمة الشهادة (مركز العبادة، السابق للهيكل في أورشليم) بينما لا تذكر الخيمة سوى ثلاث مرات في «إ»، ولا تذكر مطلقاً في «ت» و «ي»، كما أن «ك» أكثر تماسكاً في نغمته من «ي» و «إ»، فليس هناك ملائكة، ولا حيوانات تتكلم ولا أحلام في «ك»، ولا ذكر لله يختلط بالبشر أو يصارع معهم. وعوضاً عن ذلك هناك اهتمام بالأعمار والتواريخ والمقاييس التي لا توجد في المصادر الأخرى. ويعتقد بعض العلماء أن «ك» لم يُضف للمصادر الأخرى إلا بعد عودة بني إسرائيل من بابل إلى أورشليم. فلعله في ذلك الوقت كتبه أحد الكهنة الذي كان يحاول إعادة إقامة الفرائض والعادات، بينما كان الهيكل يعاد بناؤه. ويمكن أن يكون هذا الكاهن هو عزرا، مما يضع أساساً متواضعاً للقصة الخيالية الواردة في سفر إسدراس الثاني، بأنه قد أملى كل العهد القديم على بعض الكتبة.

النصوص المرتبطة ارتباطاً وثيقاً

لقد قام محررو الأسفار الخمسة - بغض النظر عن من كانوا هم - بعمل بالغ الأهمية، حينما ربطوا النصوص معاً، ففي بعض الحالات وضعت القصص من المصادر المختلفة بسلاسة، إحداها بعد الأخرى كما في الروايتين عن الخليقة في سفر التكوين ١ و ٢. وفي أمكنة أخرى، ولكن على أية حال لقد رُبطت المصادر ارتباطاً محكماً فأصبح من العسير فصلها.

فمثلاً في قصة يوسف، حدث تضافر بين الروايتين بحسب «إ» و «ي»، فنجد رأوبين (تك ٣٧: ٢١- ٢٤) يمنع إخوته من قتل أخيهم الصغير يوسف بإقناعهم بطرحه في البئر، ناوياً أن ينقذه من أيديهم ليردَّه إلى أبيه. ولكن خطط رأوبين ستُحبط عندما يبيع الإخوة الآخرون يوسف عبداً لجماعة من المديانيين، ولكن في (تك ٣٧: ٢٥- ٢٧) نقرأ أن يهوذا هو الذي أنقذ حياة يوسف مقترحاً أن يُباع لجماعة من الإسماعيليين. ثم يجمع بين الروايتين في آية واحدة يبدو أنها تذكر المديانيين والإسماعيليين على أنهم التجار الذين اشتروا يوسف. «وعندما اجتاز رجال مديانيين تجار، سحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه للإسماعيليين بعشرين من الفضة» (تك ٣٧: ٢٨) ويبين هذا المقطع أيضاً انحياز كل مصدر من المصدرين إلى المملكة التي جاء منها سواء المصدر «إ» للمملكة الشمالية أو المصدر «ي» للمملكة الجنوبية. لأنه في «إ» رأوبين الذي سكن نسله في الشمال هو الذي ينقذ يوسف، بينما في «ي» يهوذا الذي سكن في الجنوب هو الذي ينقذه.

وفي بعض الأمكنة جمع محررو الأسفار الخمسة خيوطاً من المصادر المتنوعة بربطها بعبارة معينة أو بكلمة واحدة مثل استخدام كلمة «ثم» أو «مرة أخرى» لتبرير التكرار، وفي أمكنة أخرى، كرروا جملة من أحد المصادر بعد إدخال شيء من مصدر آخر، وبذلك يعودون بالقاريء إلى النقطة السابقة. وفي حالات أخرى فصلوا بين الروايات بإضافة سلسلة أنساب أو ما يشبه ذلك.

وفي كل ذلك رَاعَى المحررون عدم تغيير أو حذف أي شيء من مصادرهم. وفي الحقيقة لقد نظر المحررون إلى النصوص التي بين أيديهم نظرة احترام بالغ، حتى أنهم جمعوا بين متناقضات ظاهرة وأمور عسرة في النص حتى لا يغيروا أموراً جوهرية ليجعلوا القراءة أوضح.

حينما كَتَبَت

يرى هارولد بلوم أحد الكتاب البارزين أن كاتب المصدر «ي» من التوراة، كان إمرأة، إذ يبدو أن «ي» كان أكثر تعاطفاً مع النساء من «إ»، «ك»، «ت». ولكن غالبية علماء الكتاب يرفضون رأي بلوم ويقولون إن «ي» مكتوب بقلم رجل.

أَنبِيَاءُ وكَتَبَةٌ

«فَدَعَا إِرْمِيَا بَارُوخَ بْنَ نِيرِيَّا فَكَتَبَ بَارُوخُ عَنْ فَمِ إِرْمِيَا كُلَّ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي كَلَّمَهُ بِهِ فِي دَرْجِ السِّفْرِ.»
(إر ٣٦: ٤)

لم يكن لبني إسرائيل في أيامهم الأولى ملك، أو بتعبير أدق كان الرب هو ملكهم، وظل على اتصال بشعبه عن طريق الأنبياء، من الرجال والنساء الذين كانوا يتكلمون بكلامه. والأرجح أنه كان هناك الآلاف من الأنبياء الإسرائيليين، ولكننا لا نعرف منهم إلا عدداً قليلاً.

وفي خلال مائتي سنة أو نحو ذلك، بعد استقرارهم في أرض الموعد، نصح الأنبياء القضاة الذين حكموا البلاد، مثل دبورة التي حكمت كواحدة من القضاة، وكان آخر القضاة الحكام هو صموئيل الذي بإرشاد الله اختار ومسح أول ملكين لإسرائيل وهما شاول وداود. ولكن حتى في أيام الملوك كان للأنبياء نفوذهم، إذا كانوا ينصحون الشعب وقادتهم. بل كانوا أحياناً يواجهون بشجاعة الملوك الذين يهملون إرادة الله. وتوجد قصص لهؤلاء الأنبياء في أسفار صموئيل والملوك، حيث تسجل أجزاء من نبواتهم. وكلمات الأنبياء المتأخرين، الذين يطلق عليهم الأنبياء الكتبة، مسجلة في الأسفار التي تحمل أسماءهم.

الأنبياء الكتبة

كان أول الأنبياء الكتبة هما هوشع وعاموس اللذين ناديا بإصلاحات دينية واجتماعية في مملكة إسرائيل الشمالية (فقد كانت أرض إسرائيل قد انقسمت إلى مملكتين بعد موت سليمان، الملك الثالث لإسرائيل) وقد أكد هوشع وعاموس للشعب بأن الرب سيحميهم إذا رجعوا إليه، وكفوا عن عبادة الأوثان، وبدأوا يهتمون بالمحتاجين. وعلاوة على ذلك، أدان النبيان ميخا وإشعياء الظلم وعبادة الأوثان اللتين وجداهما في مملكة إسرائيل، والمملكة الجنوبية أي مملكة يهوذا. كما حذرهم النبي العظيم إشعياء بأن الله سيرسل الأشوريين لغزو إسرائيل عقاباً لخطايا الشعب. ولكن كل هؤلاء الأنبياء مضوا دون أن يعيرهم الشعب انتباها. وكما سبق إشعياء أن رأى، اكتسح الأشوريين مملكة إسرائيل الشمالية، فلم يعد لها وجود بعد ٧٢١ ق.م.

ووجه الأنبياء الذين جاءوا بعد ذلك، انتباههم إلى مملكة يهوذا الباقية، وكانوا بشكل عام يلتمسون من الشعب أن يتذكروا الرب وأن يتبعوا كلمته، وكان منهم صفنيا وناحوم وحبقوق، والنبي الجريء إرميا الذي نصح خمسة الملوك الأواخر.

باروخ الكاتب

وُلِدَ باروخ في أورشليم لعائلة بارزة من الكتبة. ومع أن أخاه سيراخ، كان وزيراً في مجلس الملك، إلا أن ذلك لم يحقق له مكانة مهمة، فتخلى باروخ عن حياة مجلس الملك وكرس نفسه للعمل المكلف والمتعب الذي فيه كان تابعاً للنبي إرميا المكروه من الناس. وقد عمل باروخ بأمانة وإخلاص مع إرميا خلال فترة عمله الأخيرة ورفض أن يتخلى عنه حينما كان إرميا في السجن، وساعده على الهرب من المكيدة الإجرامية التي كانت مخططة له، بل أنه حتى أثار غضب الملك حينما قرأ نبوات إرميا غير المبشرة أمام الناس. وبعد سقوط أورشليم في سنة ٥٨٦ ق.م. ذهب باروخ مع إرميا شمالاً لبضع أميال حيث مدينة صغيرة في الشمال. وعندما اشتعلت المشكلات هناك، طلب مؤيدو إرميا منه أن يهرب معهم إلى مصر. وعندما رفض إرميا، اتهم الناس باروخ بأنه يحرض النبي إرميا ضدهم في محاولة لجعلهم كلهم يسبون إلى بابل، فأجبروا إرميا وباروخ على الذهاب معهم إلى مصر، وبينما كانوا في مصر، ربما صاغ باروخ الجزء الأكبر من سفر إرميا.

كان الكتبة عادة يغلقون ملفاتهم بقطعة من الطين تسمى الختم يضغطون عليها أختامهم. والقطعة المصورة هنا يعتقد أن عليها بصمة ختم باروخ حيث أنها تذكر باروخ باسمه واسم أبيه ووظيفته.

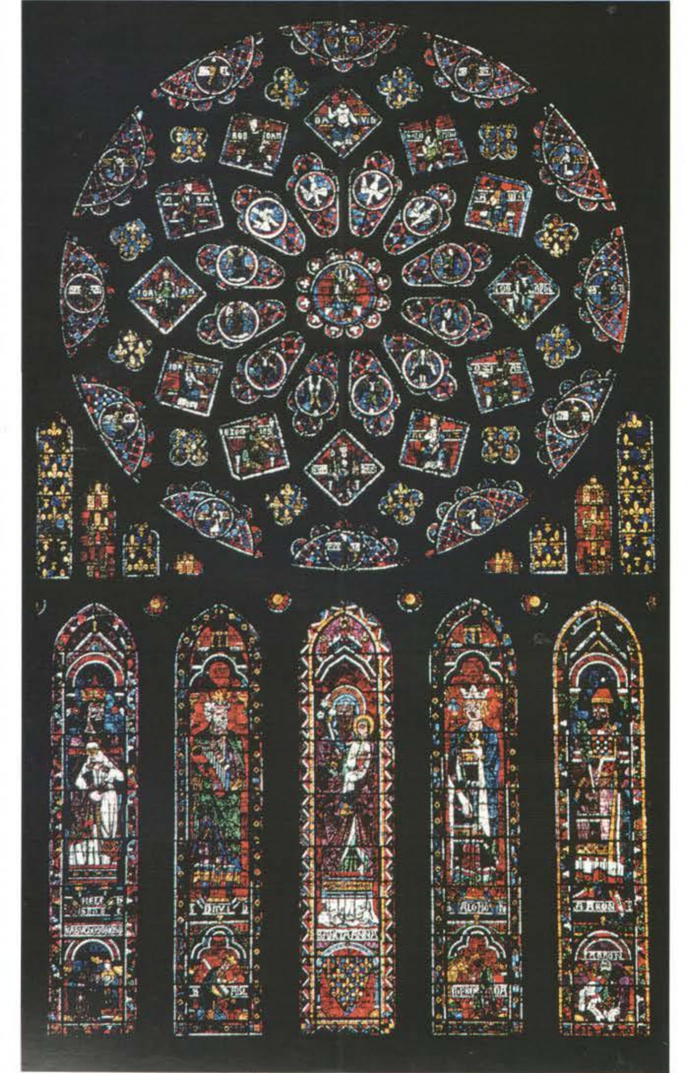
وفي ٥٩٧ ق.م. بعد أول غزوتين لأورشليم. رجع البابليون بثمانية آلاف أسير بما فيهم حزقيال إلى بابل. وفي السبي تنبأ حزقيال بخراب هيكل أورشليم، ولكن الشعب تجاهله إلى أن سقط الهيكل في الغزوة البابلية الثانية لأورشليم في ٥٨٦ ق.م. ومنذ ذلك التاريخ إلى وفاته، ظل يكرز بالأمل، مؤكداً للشعب أن الله سيقيم إسرائيل مرة أخرى مثل كومة من العظام اليابسة تعود للحياة. وفي ٥٣٩ ق.م. غزا كورش ملك فارس العظيم بابل، وسمح للإسرائيليين بالعودة إلى أورشليم وإعادة بنائها.

تسجيلها

كان الأنبياء عادة يلقون نبواتهم عفوياً ربما مصحوبة بالموسيقى والرقص، ولكن كلماتهم كتبت فيما بعد في صورة شعرية بليغة ولا أحد يعلم من كتبها هكذا. قد يكون الأنبياء أنفسهم قد سجلوها وصقلوا أقوالهم، ولكن في حالات كثيرة، يعتقد أن تلاميذ الأنبياء هم الذين سجلوا كلمات معلميهم لتكون موضوعاً للدراسة والتعليم. وكثيراً ما كان أولئك التلاميذ يحررون النصوص لتلائم الظروف الجديدة، وفي بعض الحالات الأرجح أنهم أضافوا للنبوات. وسفر أشعياء يوعز بهذه العملية حيث أن ما به من كتابات يغطي نحو مائتي سنة، وليس لأن هذه مدة أطول من أن يتنبأ فيها رجل واحد، ولكن هناك اختلافات واضحة في الأسلوب مما يدل بقوة أنها عمل كاتبين بل وثلاثة كتبة. فالنبوات الموجودة في الأصاحات من ١- ٣٩ من سفر إشعياء في الكتاب المقدس هي التي يعتقد أنها من إنتاج إشعياء التاريخي.

كما أن الأقوال النبوية حفظت بمعرفة الكتبة. وطريقة الحفظ موصوفة بوضوح في الأصحاح ٣٦ من سفر إرميا. فنقرأ هناك أن الملك يهوياقيم ملك يهوذا منع إرميا من الدخول إلى الهيكل لإذاعة نبواته، وأمر الله النبي أن يسجل كل أقواله، وأن تقرأ أمام الملك. فأملى إرميا نبواته الماضية لكاتبه باروخ الذي سجلها في درج. وبعد ذلك ذهب باروخ إلى الهيكل، حيث قرأ علانية أقوال إرميا. وعندما سمع رجال الملك بذلك، أرسلوا واستدعوا باروخ وجعلوه يقرأ النبوات لهم، ثم أخذوا الدرج من باروخ وقالوا له أن يذهب ليختبىء مع إرميا. ثم ذهب رجال الملك إلى القصر الملكي وقرأوا وهم مرتعبون النبوات للملك الغاضب، وأحرقوا الدرج فوراً. ولكن النبوات لم تُفقَد لأن الله أمر إرميا أن يعيد كتابة الدرج، فسجل باروخ مرة أخرى أقوال إرميا. والأرجح أن الدرج الجديد هو أساس الخمسة والعشرين أصحاحاً الأولى من سفر إرميا.

وفي ٥٨٢ ق.م. أضطر إرميا وباروخ للالتجاء إلى مصر، وهناك ظل باروخ يعمل كاتباً لإرميا حيث سجل توسلات النبي لكي يكون بنو إسرائيل أمناء للرب. بينما على الأرجح كتب باروخ في السبي غالبية الأصحاحات من ٢٦ إلى ٤٥ من سفر إرميا. وبناء على تقليد متأخر، كتب باروخ أيضاً سفر باروخ، الموجود في كتابات الأبوكريفا. ولكن، يعتقد العلماء الآن أن سفر باروخ كتب بعد قرون من وفاة الكاتب.



صورة للنافذة الوردية في كاتدرائية كارتر. وهي تصور أنبياء العهد القديم (في دوائر) والملوك (في مربعات)

تَارِيخٌ لَا تَمَلُّقَ فِيهِ

"وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ فَاضْطَجَعَ مَعَهَا". (٢صم ١١: ٢- ٤).



صورة للملك داود يراقب بتشبع وهي تستحم. مما أدى إلى الزنا ثم القتل. لقد سجل بنو إسرائيل تاريخهم بخيره وشره على أمل أن تتعلم الأجيال القادمة من أخطاء أسلافهم (صورة من القرن الخامس عشر من كتاب الساعات).

كهنة مأجورون

ابتعد بنو إسرائيل بعيداً جداً عن الله في عصر القضاة، وحتى أصبح الكهنة للمبيع. بل إن رجلا استأجر كاهنا من بيت لحم لكي يتولى أمر صنمه الخاص. (قض ١٧)

اختفت إسرائيل من خريطة العالم بعد نحو ١٥٠٠ سنة من قول الله لإبراهيم في كنعان: «جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد» (تك ١٣: ١٥) ولكن في ٥٨٦ ق.م. غزا جيش بابل البلاد ومحا كل أثر للأمة اليهودية. ودمر الجنود المدن وسووها بالأرض بما فيها مدينة أورشليم والهيكل. وجروا من بقي حياً منهم إلى السبي في بابل.

وهناك على بعد أكثر من ١٠٠٠ كيلو متر من موطنهم، فقد اليهود هويتهم كأمة، ولم يعد لهم ملك، ولا مدينة يدعون أنها لهم، ولا هيكل يقدمون فيه ذبائحهم للتوبة. أصبحوا مجرد شعب مقهور سبوا وأصبحوا أحد الشعوب العديدة التي كانت تتكون منها الإمبراطورية البابلية.

وفي السبي، بعد تدمير كل ما كان يميز اليهود كشعب فريد اختاره الله، بدأوا في إعادة تقييم إيمانهم. أرادوا أن يعرفوا كيف أمكن لهذه الكارثة أن تحدث. وما إذا كانت دائمة. فدرسوا تقاليدهم وشرائعهم وتاريخهم بحثا عن إجابات.

ومن الواضح أنهم كانوا يعاملون معاملة حسنة وكانوا يستطيعون أن يعملوا كما يريدون في المجتمعات التي استقروا فيها. ويرى العلماء أن اليهود بدأوا في إقامة مجامعهم في أثناء هذا الوقت، عوضاً عن الهيكل. ومع أن الشريعة اليهودية لم تكن تسمح بتقديم الذبائح إلا على مذبح الهيكل في أورشليم، فإن الناس كان يمكنهم أن يجتمعوا في المجامع، وكثيراً ما كانوا يجتمعون في بيوت الشعب، للشركة والدراسة والعبادة.

صقل نصوص العهد القديم

في أثناء فترة السبي البابلي، جمع اليهود الكثير من قصص العهد القديم وتعاليمه وسجلوها كتابة في أسفار العهد القديم الموجودة لدينا الآن. ومن الأسفار التي صقلوها وسجلوها في صورتها النهائية، أسفار الأنبياء القدماء الذين قد حذروا الأمة من أنها مندفعة في طريقها إلى الدمار إن لم يرجع الشعب عن عبادتهم للأصنام والسلوك الشرير ويرجعوا لله. كما أتموا خلال هذه السنوات أسفار تاريخ إسرائيل من يشوع إلى الملوك الثاني، بل الأرجح أن أسفار موسى الخمسة من التكوين إلى التثنية وضعت في صورتها النهائية في أثناء السبي أو بعده بقليل. كما أن مجموعات من المزامير جمعت على الأرجح خلال هذا الوقت أيضاً وكونت أساس ما أصبح سفر المزامير. وكُتِبَ سفر المراثي خلال ذلك الوقت مقدماً وصفاً يكسر القلب لسقوط أورشليم ودمار الهيكل.

وفهم الأوضاع وراء هذه الأسفار يوضح لماذا احتفظ اليهود بكل هذا القدر من تاريخهم الذي لا تملق فيه، لأنه في هذه القصص والتعاليم، وجدوا الإجابات التي كانوا يبحثون عنها لسبيهم الأليم، لذلك احتفظوا بما كان يرتبط بوضعهم.

العلة وراء الرعب

أراد اليهود المسبيون أن يعرفوا ما قد فعلوه ليستحقوا هذا المصير الرهيب. فالقصص التي درسوها بينت بوضوح أنهم نقضوا العهد. ففي أثناء الخروج تعهد بنو إسرائيل بأن ينفصلوا عن سائر الأمم كشعب خاص مكرس لله وشرائعه. وفي مقابل ذلك وعد الله أن يباركهم كأمة ويبارك محاصيلهم وأسرهم ويعطيهم النصر على أعدائهم. أما العصيان فلابد أن يؤدي إلى عكس ذلك تماماً. فمن بين النتائج المحزنة للعصيان: «تُستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها. ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها» (تث ٢٨: ٦٣، ٦٤).

وهذا هو ما حدث بالضبط، فبعد قرون من العصيان وعبادة الأوثان والظلم والفجور. نال الشعب اليهودي العقاب الذي سبق تحذيرهم منه. وقصص تاريخهم تبين صبر الله عليهم الواضح في محاولاته الكثيرة لإرجاعهم عن طريق الخطية بتأديبهم، وهو الأمر الواضح بصورة خاصة في سفر القضاة، فهو سفر يوضح دوائر متكررة من الخطية التي يعقبها معاناة الضيق من يد الأعداء، فيصرخون إلى الرب طلباً لمعونته، فيأتي الإنقاذ. لقد

تكررت هذه الدورة مراراً كثيرة.

حتى قصص إرتكاب داود للزنا، وعبادة سليمان للأوثان في أواخر حياته، محفوظة، لتبين أن الله يعاقب الخطية حتى في الأبطال العظام. إذ أن ابن داود الذي ولد نتيجة الزنا مات، ومملكة سليمان انقسمت بعده إلى مملكتين، إسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب.

وإذ واصل الملوك الذين جاءوا بعد ذلك تجاهل عهدهم - وبخاصة بعبادة الأوثان - أرسل الله أنبياء لتحذيرهم مما سيحدث. وفي ٧٢٢ ق.م، غزا الأشوريون المملكة الشمالية وقتلوا عشر السكان وبددوا الشعب في البلاد المجاورة. واليهود في المملكة الجنوبية (يهوذا) فشلوا في رؤية الارتباط بين الخطية والدينونة هناك، وفي ٥٨٦ ق.م. عانوا نفس المصير على أيدي البابليين.

هل اليهود ما زالوا مختارين؟

القصص التي جُمِعَت في أثناء السبي بَيَّنَت بوضوح أن اليهود فقدوا أمتهم بسبب تاريخهم الطويل في الخطية، وكان السؤال هو هل ما زالوا شعب الله المختار أم لم يعودوا كذلك؟ هل سيردهم الله بعد كل ما فعلوه؟

ومضمون ما جاء في تقليدهم هو أنه سواء كان اليهود مكرسين لله أو لم يكونوا، فإنه هو مكرس لهم. لابد أن يعاقبهم على خطيتهم، ولكنه سيغفر لهم ويستردهم.

«وَمَتَى أَتَتْ عَلَيْكَ كُلُّ هَذِهِ الأُمُورِ البَرَكَةُ وَاللعْنَةُ اللتَانِ جَعَلْتُهُمَا قُدَّامَكَ فَإِنْ رَدَدْتَ فِي قَلبِكَ بَيْنَ جَمِيعِ الأُمَمِ الذِينَ طَرَدَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِليْهِمْ وَرَجَعْتَ إِلى الرَّبِّ إِلهِكَ وَسَمِعْتَ لِصَوْتِهِ حَسَبَ كُلِّ مَا أَنَا أُوصِيكَ بِهِ اليَوْمَ أَنْتَ وَبَنُوكَ بِكُلِّ قَلبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ يَرُدُّ الرَّبُّ إِلهُكَ سَبْيَكَ وَيَرْحَمُكَ وَيَعُودُ فَيَجْمَعُكَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الذِينَ بَدَّدَكَ إِليْهِم الرَّبُّ إِلهُكَ.» (تث ٣٠: ١- ٣)

وهذا بالضبط ما كان اليهود في السبي في حاجة إلى أن يسمعوه. لذلك صمموا على حفظ تعاليمهم وقصصهم، مع بعض تاريخهم المربك، كمصدر للرجاء لأنفسهم، وكتحذير مقدس للأجيال التالية، وقد ساعدت هذه الكتابات اليهود على الاحتفاظ بإيمانهم، وتجديد عهدهم باتباع شرائع الله، واستعادة هويتهم القومية.

عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا. بَكَيْنَا أَيْضاً عِنْدَ مَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ.

(مز ١٣٧: ١)

تبين الصورة هنا الهجوم الأشوري على مدينة لخيش اليهودية في ٧٠١ ق.م. وهي من قصر الملك سنحاريب في نينوى. «في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا صعد سنحاريب ملك أشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها» (٢مل ١٨: ١٣). يقول الكتاب المقدس أن الله عاقب خطية بني إسرائيل بإرسال مثل أولئك الغزاة.



تَارِيخُ لَهُ وَجْهَةُ نَظَرٍ

"بَعْدَ هَذَا الأَمْرِ لَمْ يَرْجِعْ يَرُبْعَامُ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ، بَلْ عَادَ فَعَمِلَ مِنْ أَطْرَافِ الشَّعْبِ كَهَنَةَ مُرْتَفَعَاتٍ. مَنْ شَاءَ مَلأَ يَدَهُ فَصَارَ مِنْ كَهَنَةِ الْمُرْتَفَعَاتِ. وَكَانَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ خَطِيَّةٌ لِبَيْتِ يَرُبْعَامَ، وَكَانَ لإِبَادَتِهِ وَخَرَابِهِ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ."

(١مل ١٣: ٣٣، ٣٤).

تَروي الأسفار الكتابية: يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثاني، والملوك الأول والثاني تاريخ بني إسرائيل من وقت دخولهم واستيلائهم على أرض كنعان الأرض التي وعدهم بها الله، إلى أن فقدوا الأرض وسُبوا إلى بابل. وعلى مدى نحو ألفي سنة زعم تلاميذ الكتاب المقدس أن هذه الأسفار كتبها كتاب عديدون في أزمنة مختلفة. وفي ١٩٤٣م. تغير كل ذلك. لأن أحد علماء الكتاب الألمان هو «مارتن نوث» بيَّن أن هذه الأسفار لها أسلوب واحد ونظرة واحدة، واستنتج أنها تكوِّن تاريخاً قديماً واحداً، وادَّعى «نوث» أن سفر التثنية الذي يشاركها في نفس الأسلوب والنظرة قد كتب كمقدمة للتاريخ ليربط بينه وبين التوراة (الأسفار الخمسة) فهو لم يكتب كجزء من الأسفار الخمسة كما كان يعتقد من قبل. واليوم يتفق معه كثيرون من العلماء، مع أن الغالبية يعتقدون أن التاريخ المعروف الآن بالتاريخ التثنوي، قد نما تدريجياً.



صورة لتمثال إرميا النبي على العمود الأوسط في مدخل كنيسة الدير في فرنسا

تاريخ واحد طويل

التاريخ التثنوي كما يظهر في الكتاب المقدس الآن الأرجح أنه كُتب في أثناء السبي البابلي عندما كان بنو إسرائيل كان يجاهدون لفهم لماذا يبدو أن الله قد تخلى عنهم وهم شعبه المختار. ولعل النسخة الأولى ربما تكون قد بدأت قبل ذلك بقرون عديدة، إذ بعد انقسام إسرائيل إلى مملكتين، بني يربعام أول ملوك المملكة الشمالية لإسرائيل، هياكل للأوثان وضع بها عجلي ذهب مما أزعج المؤمنين الحقيقيين من الشعب الذين رأوا في ذلك مخالفة لشريعة موسى. ومما زاد الأمر سوءاً أن يربعام بدلاً من استخدام كهنة من سبط لاوي حسب الشريعة، أقام كهنة من أطراف الشعب. وبناء على نظرية حديثة، اتحد الكهنة اللاويون الذين حل محلهم أولئك الكهنة الذين عينهم يربعام، لكي يحفظوا تقاليدهم الموروثة، وقام نسلهم الذين واصلوا هذا العمل بالانتقال إلى أورشليم قبل أن يستولى الأشوريون على المملكة الشمالية في ٧٢١ ق.م. وهؤلاء الكهنة الذين يطلق عليهم التثنويين ربما بدأوا في كتابة تاريخهم عقب سقوط المملكة الشمالية، لتفسير سبب سقوط المملكة الشمالية.

وفي كتابتهم لتاريخهم، استخدم التثنويون المصادر القديمة المتنوعة بما فيها أخبار الأيام وتواريخ البلاد والسجلات العسكرية وقوائم البلاد وأخبار النبيين إيليا وإليشع والأغاني القديمة (بما فيها أغنية دبورة). والأرجح أن النسخة الأولى من التاريخ قد اكتملت في أيام حكم الملك يوشيا ملك يهوذا، وقد صورت يوشيا ملكاً نموذجياً يمكن أن يستخدمه الله لاستعادة علاقته بالإسرائيليين. وقد أكدت هذه النسخة القديمة لزوم حفظ ناموس موسى وتخليص العبادة من كل التأثيرات الوثنية. ولم تكن النصوص في صورة تواريخ فعلية بل مجرد تعليقات لاهوتية على التاريخ، وكان الحكم على كل ملك بناء على علاقته بالله، أما انجازاته السياسية المحضة فقد قال التثنويون إنه يمكن قراءتها في أسفار أخرى لا وجود لها الآن. فكان الأمر عند التثنويين أنه إذا سمح الملك بعبادة وثنية، فهو ملك شرير، أما إذا أيد شريعة الله ولم يعبد سوى الله وحده فهو ملك صالح. وغالبية ملوك إسرائيل كانوا أشراراً، ولذلك سقطت إسرائيل. أما في أيام يوشيا فإن مملكة يهوذا نجحت بتأييد كامل من الله.

الآمال تتضاءل

وقد انهار فجأة تفاؤل التثنويين عندما قُتل يوشيا في الحرب. ولم يكن الملوك الأربعة الذين خلفوه ملوكاً صالحين، وأخيراً وقعت أورشليم في يد البابليين في ٥٨٦ ق.م. وأخذ غالبية بني إسرائيل للسبي في بابل. ولكي يصبح التاريخ مفهوماً في سياق هذه الظروف المأساوية احتاجت النصوص التثنوية إلى تنقيح،



صورة لعبادة يربعام للأوثان بريشة چان هونوريه فراجونارد (١٧٣٢ - ١٨٠٥م.).

فالنسخة المبكرة من التاريخ قد لامت الملوك الأشرار على ما عاناه الشعب، ولكن لم يعد الآن ملوك، وعليه أعاد أحد المحررين أو جماعة من المحررين كتابة التاريخ واستكملوه إلى زمانهم. وتبين التغييرات أنه لم يكن الملوك وحدهم هم الذين أخطأوا بل والشعب ككل. فتوسعوا في بيان دور الشعب في النصوص المُنَقَّحَة، وبينوا بوضوح أن الله قطع عهده مع الشعب نفسه وليس مع حكامهم فقط. وقد ظل الله أميناً للعهد رغم أن الشعب نقضوا باستمرار هذا العهد برفضهم الإصغاء إلى كلمة الله، وعصيانهم لشرائعه.

وعندما حل الضيق بالشعب وتاب الشعب، كان الله دائماً يغفر لهم. ويبدو أن التاريخ يختم بنغمة رجاء بأنه إذا رجع الشعب إلى الله في ذلك الوقت من السبي، فإنه سيغفر لهم مرة أخرى، ويغمرهم بفضله.

ولا أحد يعرف حقيقة من الذي كتب التاريخ التثنوي. أو من الذي حرره في أثناء السبي. يعتقد بعض العلماء أن النبي إرميا قد يكون هو الذي قام بالتنقيحات في أثناء نفيه في مصر، ويقولون إن الأسفار تحرص على عدم ذكر شيء عن كاتبها وأن إرميا لا يدخل التاريخ رغم أنه كان شخصية كبرى قام بنصح ملوك يهوذا الأربعة الأخيرين. وقد يكون هذا الاختفاء مقصوداً لأن إرميا لم يشأ أن يدخل نفسه في التاريخ الذي كان يكتبه فإن خدمة إرميا يغطيها سفر منفصل هو النبوة التي تحمل اسمه.

وبعد انتهاء السبي الأرجح أن الصورة المُنَقَّحَة أعيدت إلى أورشليم حيث ضمت للأسفار الخمسة بتغييرات أكثر واضافات أكثر لجعله سلساً. والصورة النهائية التي بين أيدينا الآن، تبين لنا الله المحب يواصل على الدوام رعاية شعبه، حتى وإن كانوا باستمرار يبتعدون عنه. فيظهر الله مُحباً وأميناً على الدوام في التاريخ التثنوي.

يوشيا ملك مثالي

عندما أُغتيل أبوه آمون في ٦٤٠ ق.م. أصبح يوشيا وهو في الثامنة من عمره ملكاً على يهوذا، وقد أكرم يوشيا الله رغم أن أباه لم يفعل ذلك فقد قام بترميم الهيكل بأموال جمعها من الشعب، وفي ٦٢٢ ق.م.، وفي أثناء العمل في ترميم الهيكل وجد سفر الشريعة، والأرجح أنه كان نسخة قديمة من سفر التثنية، وقد تأثر يوشيا بذلك بشدة فبدأ بإصلاحات دينية واسعة النطاق، بتأييد من النبي إرميا. ولأن الشريعة كانت تقضي بأن تقدم كل الذبائح في أورشليم، قام يوشيا بهدم كل المذابح خارج الهيكل بما فيها المذبح الذي أقامه يربعام في بيت إيل. وفي ٦٠٩ ق.م. ذهب يوشيا لمحاربة مصر، فقُتل في المعركة. ويذكر الكتاب المقدس عن يوشيا: «ولم يكن قبله ملك مثله رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قوته حسب كل شريعة موسى، وبعده لم يقم مثله» (٢مل ٢٣: ٢٥).

لا كهنة بعد

يقول لنا الكتاب كيف أن يربعام أقام كهنة من أطراف الشعب للهياكل التي بناها، فكل من أراد أن يكون كاهناً، أصبح كاهناً (١مل ١٣: ٣٣).

ومن الملفت للنظر، أنه من تلك النقطة لا يذكر التاريخ سوى إشارتين إلى كهنة في المملكة الشمالية.. إحداهما تقول إن كل كهنة الملك أخاب قد قُتلوا، (٢مل ١٠: ١١). والأخرى تقول إن الأشوريين قد سبوا كل الكهنة من البلاد (٢مل ١٧: ٢٧). فإذا كان التاريخ التثنوي قد كتبه أحفاد الكهنة المطرودين من إسرائيل، فإن هؤلاء الكتاب التثنويين أظهروا احتقارهم لهؤلاء الكهنة المقامين خطأ، وذلك بتجاهلهم.

النُّبُوَّاتُ التَّالِيَةُ والتَّارِيخُ المُتأَخِّرُ

"لأَنَّ عَزرَا هَيَّأَ قَلبَهُ لِطَلَبِ شَرِيعَةِ الرَّبِّ وَالعَمَلِ بِهَا وَلِيُعَلِّمَ إِسرَائِيلَ فَرِيضَةً وَقَضَاءً."

(عز ٧: ١٠)

تعرضت أولاً مملكة إسرائيل الشمالية للغزو من أشور وبعدها مملكة يهوذا الجنوبية من بابل. وسبي البابليون بني إسرائيل بعيداً عن بلادهم، ولكن الغزاة يمكن أن يتعرضوا بدورهم للغزو، ففي ٥٣٩ ق.م. هزم كورش الكبير ملك فارس البابليين والكثير من بلاد الشرق الأدنى، وسمح كورش للبعض من بني إسرائيل بالعودة إلى أورشليم وأن يُعيدوا بناء مدينتهم وهيكلهم.

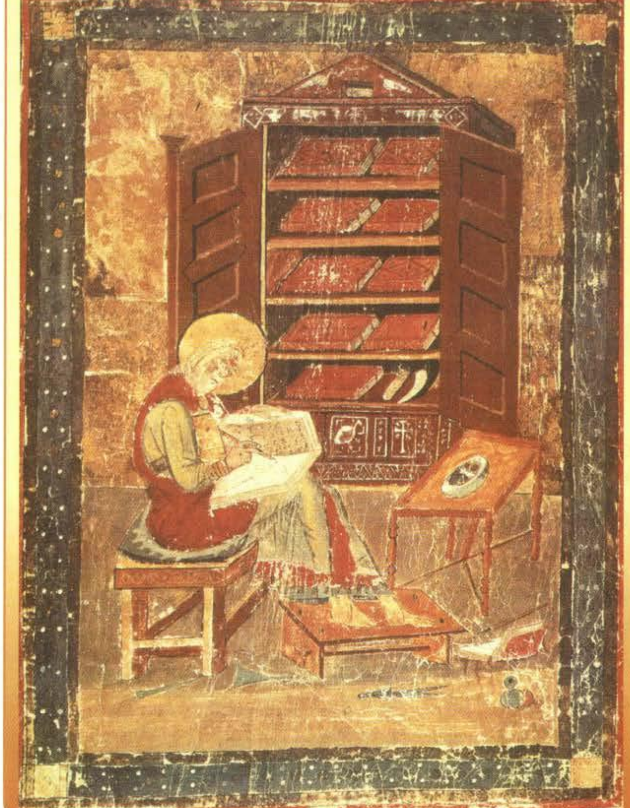
الكتابات النبوية الأخيرة

يحتوي سفر إشعياء نبوات عن عمل كورش في إنقاذ بني إسرائيل. هذه النبوات وبقية الأصحاحات من ٤٠ – ٥٥ من سفر إشعياء كتبت على الأرجح بمعرفة نبي مجهول استخدم اسم نبي سابق هو إشعياء قبيل انتصار كورش. وبعد ذلك، وفي أورشليم أما نفس النبي الذي يطلق عليه أحياناً اسم إشعياء الثاني أو التثنوي، أو أن نبياً آخر كتب الأجزاء الموجودة في الأصحاحات ٥٦ – ٦٦ من سفر إشعياء. وهذا إشعياء الثالث الذي شجع بني إسرائيل على إعادة بناء أورشليم قائلاً لهم إن خلاص الله سيأتي ليس لهم فقط بل لكل العالم.

وعلاوة على ذلك أَسْمَعَ خمسة أنبياء آخرون أصواتهم عقب فترة العودة من السبي، هم: عوبديا الذي أدان الأدوميين المجاورين لبني إسرائيل لعدم مساعدتهم بني

عزرا المُشرِّع الثاني

كان عزرا من نسل هارون أخي موسى، وقد حصل على تصريح من الملك الفارسي أرتحشتا بأن يعود إلى أورشليم ويعلم الشعب شريعة موسى. وقد سافر إلى أورشليم مع جمع كبير من بني إسرائيل الذين كانوا في السبي. وعندما وصل بدأ فوراً عمله في إعادة تأسيس الديانة اليهودية هناك. وعندما اكتشف أن الكثير من بني إسرائيل قد تزوجوا من نساء وثنيات، شعر بالغضب الشديد وأقنع الكثير منهم بطلاق زوجاتهم الوثنيات، ثم قرأ من كتاب موسى (التوراة أو الأسفار الخمسة الأولى) باللغة العبرية، بينما كان يوجد مفسر يترجم إلى اللغة الأكادية، وهي لغة السبي التي كانوا يتحدثون بها في بابل، ورغم أن الشعب ربما لم يستمع لما تم قرأته أو سمعه وننساه إلا أنه سرعان ما تبناه الشعب. ومنذ تلك اللحظة صارت شريعة موسى هي مركز العبادة اليهودية، لقد كان موسى هو المشرع الأول للشعب اليهودي. وعزرا، من خلال استرجاعه لشريعة موسى، صار بمثابة المشرع الثاني.



صورة لعزرا الكاتب من نحو القرن السابع أو الثامن في مخطوطة من إيطاليا



صورة لإسطوانة كورش ترجع إلى ٥٣٦ ق.م. وتذكر المرسوم المسجل في سفر عزرا عن السماح لليهود الذين نُقلوا إلى بابل، بالعودة إلى يهوذا وإعادة بناء الهيكل.

إسرائيل عندما غزاهم البابليون وأخذوهم إلى السبي. وحجي وزكريا اللذان حرضا الراجعين من بني إسرائيل على إعادة بناء الهيكل. وبعد ذلك بقليل وصف يوئيل غزوة الجراد عقاباً من الله وحثهم على التوبة. ثم ملاخي الذي قال للشعب إن الله أحبهم وأشار إلى مجيء المسيا. وقد حفظت نبوات كل واحد منهم في أسفار منفصلة لكل منهم في الكتاب المقدس.

إعادة كتابة التاريخ واستكماله

لم يعد كل بني إسرائيل من السبي البابلي في عهد كورش، بل هناك البعض الآخر لم يعودوا أبداً فكان دانيال واستير التي تزوجت أحد ملوك فارس فيما بعد، بين الذين مكثوا هناك. والكثيرون الذين عادوا فعلوا ذلك ببطء على مدى نحو قرن من الزمان. وكان بين أهم من رجعوا أخيراً عزرا الكاهن الكاتب، ونحميا الذي تولى حكم يهوذا. وقد أشرف نحميا على إعادة بناء أسوار أورشليم التي كان قد هدمها البابليون في ٥٨٦ ق.م. وقد قام عزرا بإصلاحات دينية وأعلى من شأن سفر الشريعة، الذي يعتقد كثيرون من العلماء أنه التوراة (الأسفار الخمسة في صورتها الحالية. وأخبار عزرا ونحميا موجودة في الأسفار الكتابية التي تحمل اسميهما، وهما سفر واحد في الكتاب المقدس العبري باسم «عزرا ونحميا».

وفي أيام عزرا ونحميا، ظهر تاريخ جديد للشعب اليهودي وهو المعروف باسم «أخبار الأيام». وفي الكتاب المقدس العبري هما سفر واحد ولكنه في الكتب المقدسة المسيحية انقسم إلى سفرين. فأخبار الأيام الأول يروي تاريخ بني إسرائيل من خليقة العالم إلى موت الملك داود. وغالبية هذا التاريخ مكتوب بإيجاز في شكل سلاسل أنساب وقوائم بأسماء كهنة وقادة عسكريين وحكام. وقد سجل عصر داود بأكثر تفصيل مع تجاهل زلات داود. فمثلاً مع أن أجزاء كثيرة من أسفار صموئيل والملوك تتكرر في أخبار الأيام، والكثير منها بالحرف، فإن القصة الموجود في (٢صم ١١، ١٢) عن زنى داود مع بثشبع وما أعقبه، لا توجد في أخبار الأيام الأول. بل في الواقع، لا نجد الصورة الحقيقية لداود بل كمجرد نموذج يمكن أن يقاس عليه كل الملوك الذين جاءوا بعده.

ويبدأ سفر أخبار الأيام الثاني بتاريخ حكم سليمان في صورة مثالية، وقصة المملكة المنقسمة بعد ذلك، لا تعطى سوى اهتماماً قليلاً جداً لمملكة إسرائيل الشمالية التي تبدو في صورة خائنة تماماً لله، أما ملوك المملكة الجنوبية، مملكة يهوذا، فيحكم عليهم بناء على اتِّبَاعِهِم شريعة الله أو عدم اتباعهم لها. وأخيراً تقع مملكة يهوذا في يد البابليين لأن الكثيرين من ملوكها فشلوا في القيام بواجبهم.

ويختم السفر بقصة تدمير أورشليم وسبي الشعب، ولكنه يعطي بعض الأمل من عند الله، بذكر مراسيم كورش بالسماح لليهود بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء هيكلهم.

ويعتقد كثيرون من العلماء أن أسفار الأخبار وعزرا ونحميا كتبت أساساً بمعرفة كاتب واحد يشار إليه عادة باسم «كاتب الأخبار». فبكل تأكيد النصوص في عزرا ونحميا تكمل أخبار الأيام بإضافة تاريخ مملكة يهوذا بعد العودة من السبي. وعزرا يبدأ من حيث ينتهي سفر أخبار الأيام الثاني، بمرسوم الملك كورش. ولا أحد يعرف من هو كاتب سفر الأخبار، ولكن يعتقد الكثيرون أنه كان عزرا نفسه، فإذا لم يكن هناك هو، فالأرجح أنه كان أحد الرجال المسئولين عن الهيكل وأنه كتب في حوالي ٤٠٠ ق.م.

سطر رابط

يبدأ سفر عزرا بنفس الكلمات التي يَختِم بها سفر أخبار الأيام الثاني، وقد يكون هذا نموذجاً للسطر الرابط، أي سطر مكرر يستخدم عادة في بداية درج ليدل على أنه استكمال لدرج سابق له. ولعل هذا يَدُل على أن أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا كانت سفراً واحداً.

بَراهِينُ تُؤَيِّدُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّس

غالبية الأثريين الذين ينقبون في خرائب المدن الكتابية القديمة في الشرق الأوسط لا يقومون بذلك لإثبات أقوال الكتاب المقدس، بالحري إنهم يقولون إن السجلات التاريخية لا يمكن أن تثبت أهم تعاليم الكتاب المقدس، مثل وجود الله. فما يبحث عنه الأثريون هي المفاتيح لمعرفة ماذا كان شكل الحياة في العصور الكتابية. ولكن في بحثهم عن المعرفة، يعثرون أحياناً على براهين تؤيد تاريخ العهد القديم كما هي في الكتاب المقدس.

وهنا القليل من أهم الاكتشافات مرتبة حسب ورودها في الكتاب المقدس.

أول ذكر لإسرائيل خارج الكتاب المقدس

ما أعجب أن تكون أول إشارة تاريخية معروفة، إلى إسرائيل هي افتخار ملك مصري افتخاراً مبالغاً فيه بأنه قد محا الأمة، فقد «أصبحت إسرائيل خراباً».

وهذا الفرعون المتفاخر هو مرنبتاح. وهذه العبارة منقوشة على لوح من الجرانيت الأسمر طوله أكثر من مترين (سبعة أقدام) نقش بأمر من الملك لتخليد انتصاره المزعوم على أعداء عديدين في كنعان بما فيهم الإسرائيليين. وهذه القطعة من الاثار معروضة الآن في المتحف المصري، وكان قد أقيم في طيبة في نحو ١٢١٠ ق.م. أي بعد الخروج عند وصول بني إسرائيل إلى أرض كنعان، ربما في زمن القضاة.

وهذا الدليل يؤيد القصة الكتابية عن الخروج التي تقول إن بني إسرائيل قد هربوا من مصر واستقروا في المنطقة التي تشمل الآن إسرائيل وأجزاء من الأمم المجاورة.

ملك آخر يتباهى بهزيمة إسرائيل

في ١٨٦٨م. وجد جماعة من الرعاة البدو حجراً أثرياً يبدو قريباً من شكله وكأنه شاهد قبر، ارتفاعه أكثر من متر



أول ذكر لاسم إسرائيل موجود على هذا اللوح الحجري الذي وجد في طيبة ويسجل انتصار مرنبتاح فرعون مصر.

(ثلاثة أقدام) ومحفور على هذا الحجر الأسود الذي يشتهر الآن باسم «الحجر المؤابي»، غزوات الملك ميشع الذي يدعي أنه قد استأصل نهائياً سلالة «عمري ملك إسرائيل»، وكان عمري هو أبو الملك أخاب وأول ملوك أسرة حكمت إسرائيل على مدى ثلاثة أجيال.

ويثبت الكتاب المقدس أن ميشع قاد شعبه المؤابيين (وكانوا فيما يعرف الآن بشرقي الأردن) في تمرد على يهورام حفيد عمري وآخر ملوك أسرة عمري. كان يهورام قد غزا مؤاب لإخماد تمرد هذه الدولة المجاورة التي كانت تدفع جزية لإسرائيل، ولكن الجيش الإسرائيلي انهزم وارتد على أعقابه (٢مل ٣: ٢٧)، وعلى عكس افتخار ميشع، لم يُقتل يهورام في الحرب ولكنه مات بعد ذلك في انقلاب عليه.

وهذا الحجر المؤابي الذي يرجع إلى نحو ٨٠٠ ق.م. يثبت ما جاء في الكتاب المقدس عن أسرة عمري وانتصار ميشع على قوات إسرائيل بقيادة حفيد لعمري.

ملك إسرائيل يجثو

وجد في خرائب مدينة نمرود عاصمة أشور (في شمالي العراق) أثر آخر لأحد ملوك إسرائيل. وعلى هذا الحجر صورة لملك إسرائيل يجثو أمام ملك أشوري هو شلمنأسر الثالث. ومع الصورة كتابة محفورة على عمود رخامي أسود ذي أربعة جوانب ارتفاعه نحو متر ونصف (خمسة أقدام) ومعروض في المتحف البريطاني.

والكتابة تحت الصورة تصف الهدايا التي جاء بها ملك إسرائيل: جزية ياهو بن عمري فضة وذهب ، طاس من الذهب، وكأس من الذهب ، وأقدام ذهبية، وأباريق ذهبية، وعصي ليد الملك ورماح.

ولم يكن ياهو من نسل عمري حقيقة، ولكنه كان الملك الذي خلف حفيد عمري يهورام. وتؤكد مسلة شلمنأسر- كما يسمى هذا الأثر- وجود ملكين من ملوك إسرائيل عاشا في القرن التاسع قبل الميلاد، عندما كان الأشوريون يسودن الشرق الأوسط.

محاصرة حزقيا

يقول الكتاب المقدس إن سنحاريب ملك أشور غزا مملكة يهوذا واكتسح كل المدن الحصينة ثم حاصر أورشليم العاصمة حيث كان يقيم الملك حزقيا. ويذكر الكتاب المقدس أن الجيش الأشوري هرب في إحدى الليالي بعد أن جاء ملاك الرب إلى معسكر الأشوريين وقتل الآلاف من جنودهم (٢مل ١٩).

وتقرير سنحاريب نفسه عن هذه الغزوة مسجل في سجل من أفضل السجلات المحفوظة عن الشرق الأوسط القديم وهي إسطوانة سداسية من اللبن تغطيها كتابة مسمارية. ويتحدث فيها سنحاريب عن ثمانية من غزواته الجريئة التي حاصر فيها أورشليم. وإليك مقتطفات من غزوته لليهودية في ٧٠١ ق.م.

«أما عن حزقيا اليهودي الذي لم يخضع لنيري فإن ٤٦ من مدنه المحصنة بأسوار منيعة، وكذلك المدن الصغيرة الواقعة في المنطقة والتي لا عدد لها، فقد سويتها بالأرض بقذفها بالمنجنيقات وبآلات الحصار وبالانقضاض عليها من المشاة. حاصرتها واستوليت عليها وقد حبست حزقيا نفسه مثل عصفور في قفص، في عاصمته أورشليم».

وهكذا يؤيد سنحاريب قصة الكتاب المقدس بأنه استولى على مدن يهوذا الحصينة وحاصر أورشليم.

ولكنه إلى هنا توقف ولم يذكر أنه استولى على أورشليم.

كورش يحرر السجناء السياسيين

وعندما تغلّب كورش ملك فارس على بابل في ٥٣٩ ق.م. وأسس الإمبراطورية الفارسية، أصدر مرسوماً بتحرير كل سجناء الإمبراطورية البابلية. ويقول لنا سفر أخبار الأيام الثاني وسفر عزرا إنه بين هؤلاء السجناء كان اليهود الذين ظلوا أحياء بعد انهيار بلادهم عندما دمر البابليون المدن اليهودية بما فيها أورشليم، وأخذوا الأحياء منهم أسرى إلى بابل كغنائم حرب. تم اكتشاف اسطوانة خزفية منقوش عليها بالكتابة المسمارية وتعود إلى عصر الملك كورش تؤكد غزوه لبابل وأنه أطلق سراح أسرى بابل، فأصبح في إمكانهم العودة إلى أوطانهم وإعادة بناء معابدهم وعبادة آلهتهم:

«لقد عدت لتلك المقادس على الجانب الآخر من نهر الدجلة، المقادس التي كانت قد دُمرت منذ زمن بعيد، والتماثيل التي كانت فيها، وأقمت لها مقادس دائمة. كما جمعت كل سكانها السابقين، وأعدتهم إلى أوطانهم».

وعلاوة على ذلك طلب كورش من هؤلاء الشعوب وآلهتهم أن يصلوا لأجله: «ليت كل الآلهة الذين أعدتهم إلى مدنهم المقدسة يطلبون يومياً (من آلهتي) بيل وبنو، لي حياة طويلة».

ونتيجة لسياسة كورش، عاد كثيرون من اليهود إلى وطنهم وبدأوا في إعادة بناء أورشليم وهيكلها كما ذكر الكتاب المقدس.



منشور طيني لسنحاريب يؤكد أن الأشوريين قد غزوا أورشليم في عصر الملك حزقيا مثلما يذكر الكتاب المقدس تماماً

الأَسْفَارُ المَفْقُودَةُ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

"بمعنى من المعاني، لم تفقد هذه الأسفار إطلاقاً، فقد بقيت القصص في التقليد اليهودي منذ العصور القديمة حتى الآن، كأساطير اليهود".
دوين كريستنين أستاذ الدراسات الكتابية، باسادنيا كاليفورنيا

يوجد ٣٩ سفراً في العهد القديم، كما يوجد ٢٣ سفراً آخرين، كلها وردت أسماؤها في العهد القديم، ولكنها غير موجودة. نستطيع أن نقرأ مقتطفات من سفرين من هذه الأسفار، لأن الكتاب المقدس يقتبسها منها، ولكننا لا نستطيع أن نقرأ هذه الأسفار نفسها لأنها لم تبق.

وكل الأسفار المفقودة، يُعتقد أنها تغطي بعض فصول في التاريخ القديم لإسرائيل، وحروبهم وحكم بعض الملوك، وقصص أفراد من الأنبياء، كما أن الأسفار المفقودة كانت قديمة جداً، فمن الواضح أنها كتبت قبل الأسفار التي ذكرتها، أي أنها تسبق بعض أقدم القصص في تاريخ إسرائيل بما في ذلك إحدى معارك يشوع الأولى لدخول أرض الموعد، التي اقتبس فيها يشوع هتافاً جريئاً من سفر مفقود.

ويرى علماء الكتاب أنه لا يوجد في الواقع ٢٣ سفراً مفقوداً، بل نحو ستة أسفار لأن بعض الأسفار كان يطلق عليها عدة أسماء، وكثير من العناوين لم تكن في الواقع عناوين أسفار بل - كما يقول العلماء - الأرجح وصفاً للمحتويات، فإذا كان الأمر كذلك، فإن الثمانية عشر سفراً المذكورة في سفري أخبار الأيام الأول والثاني، مثل سفر ملوك إسرائيل، وأخبار ناثان النبي - قد تنطبق على بعض أجزاء من سفر واحد يغطي قروناً من تاريخ إسرائيل. وغالبية أوصاف هذه الأسفار أو أسمائها تشير إلى قادة قوميين وملوك وأنبياء ومشيرين ملكيين، ولذلك فإن الكتَّاب الذين جمعوا السفر أو سلسلة الأسفار لعلهم استقوا ذلك من سجلات القصر.

سفر ياشر

هناك اقتباسان أو ربما ثلاثة من سفر ياشر وجميعها تعتبر قديمة جداً، وهي شعر بليغ، وإذا كانت هذه المقتطفات عينة من سفر ياشر، فالعالم قد فقد تحفة رائعة.

ففي أول مرة يشار فيها هذا السفر، يقتبس يشوع قائد إسرائيل صلاة من السفر طالباً من الله أن يطيل النهار أو الظلام ليعطي لبني إسرائيل الوقت اللازم لهزيمة عدوهم، أو لعل صلاة يشوع سجلت في سفر ياشر قبل أن تكتب في سفر يشوع.

«يَا شَمْسُ دُومِي عَلَى جِبْعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلَى وَادِي أَيَّلُونَ. فَدَامَتِ الشَّمْسُ وَوَقَفَ الْقَمَرُ حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ. أَلَيْسَ هَذَا مَكْتُوباً فِي سِفْرِ يَاشَرَ؟» (يش ١٠: ١٢، ١٣).

وهذه الصلاة تشبه كثيراً صلاة وردت في ألياذة هوميروس، وهي قصة حرب حدثت في نحو الزمن الذي غزا فيه بنو إسرائيل أرض كنعان واستقروا فيها. ففي الألياذة، صلى الملك اجامنون قائد الجيش الإغريقي في حرب طروادة **«لا تدع الشمس تغيب، ولا الليل يحل إلى أن يسقط قصر فريام»**.



صورة لمعركة جبعون مأخوذة عن كتاب مقدس أسباني يرجع إلى نحو ١٤٠٠- ١٤٢٥.

صلاة يشوع أثناء معركة جبعون من أجل أن تقف الشمس حتى يتوافر الوقت لبني إسرائيل لكي يهزموا أعداءهم، وربما تكون قد كُتبت في كتاب ياشر قبل حتى أن يكتب سفر يشوع.

وقصيدة أخرى من سفر ياشر هي مرثاة داود المؤثرة عند مقتل الملك شاول وابنه يوناثان (٢صم ١: ١٧)

وقصيدة ثالثة، يحتمل أنها من سفر ياشر، هي جزء من قصيدة تدشين الملك سليمان للهيكل (١مل ٨: ١٢، ١٣). وفي ترجمة يونانية قديمة للكتاب المقدس، تذكر أن هذه القصيدة من كتاب أغنية، هو عنوان يقول عنه العلماء أنه قد يكون خطأ. فحروف العبرية لكلمة أغنية هي «س ي ر»، ولكلمة ياشر «ي س ر» فلعل الحرفان الأولان قد تبادلا وضعيهما. وسواء كان عنوان السفر المفقود «سفر ياشر» أو «سفر أغنية»، فمن المحتمل أن لا شيء من ذلك كان مسجلاً حقيقة، ولكن القصص كانت محفوظة في أغان محفوظة في الذاكرة وانتقلت من جيل إلى جيل كأغنية شعبية على فم المغنين أو رواة القصص.

وبناء على هذه المقتطفات الثلاث من السفر المفقود، يظن العلماء أن السفر كان يحتوي على ملحمة شعبية إسرائيلية قديمة لتخليد ذكر أبطال الأمة.

«سفر حروب الرب»

قبل أن يكتب أحد سفر العدد، وهو السفر الذي يروي رحلة بني إسرائيل إلى أرض كنعان، كان هناك «سفر حروب الرب». ووصف هذا السفر المفقود وكذلك الاقتباس الوحيد منه في سفر العدد يدل على أنه كان مجموعة من القصائد عن حروب إسرائيل في هجرتها نحو كنعان ثم غزوها لها. ويعتقد بعض العلماء أن هذا الكتاب هو نفسه كتاب ياشر.

والقصيدة المقتبسة في سفر العدد قديمة جداً حتى ليكاد يكون من المستحيل ترجمة كلماتها بصورة تجعلها مفهومة تماماً ولكن يبدو أنها تحدد المسار في موآب (شرق الأردن الآن) الذي سار فيه بنو إسرائيل (عدد ٢١: ١٤- ١٥) ويقول بعض العلماء إن القصيدتين التاليتين كانتا أيضاً في هذا السفر المفقود على الأرجح: أغنية البئر (٢١: ١٧- ١٨) وأغنية حشبون (٢١: ٢٧- ٣٠).

كتاب مزيف لسفر ياشر

هناك قصة يقولون إنها سفر ياشر تقول إن ياشر كان ابناً لكالب بن يفنة وهو أحد الجواسيس الإسرائيليين، وكان مُؤتَمَناً على عصا موسى. فهناك جمعية سرية تسمى الروزيكروشن تقول إن لديها النسخة الأصلية مترجمة للانجليزية بمعرفة ألكويني وهو أحد رجال الكنيسة ومستشار للإمبراطور شارلمان في القرن السابع. وهو كتاب مطبوع، ومن الواضح أنه مزيف حيث أن ألكويني عاش قبل اختراع المطبعة بأكثر من ستة قرون.

الثلاثة والعشرون سفراً المفقودة

١- سفر حروب الرب - عد ٢١: ١٤
٢- سفر ياشر - يش ١٠: ١٣، ٢صم ١: ١٨
٣- سفر أمور سليمان - ١مل ١١: ٤١
٤- سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل - ١مل ١٤: ١٩ (١٤ إشارة أخرى)
٥- سفر أخبار أيام لملوك يهوذا - ١مل ١٤: ٢٩ (١٧٢ إشارة أخرى)
٦- سفر ملوك إسرائيل - ١أخ ٩: ١، ٢أخ ٢٠: ٣٤.
٧- سفر أخبار صموئيل الرائي - ١أخ ٢٩: ٢٩
٨- سفر أخبار ناثان النبي - ١أخ ٢٩: ٢٩
٩- سفر أخبار جاد الرائي - ١أخ ٢٩: ٢٩
١٠- أخبار ناثان النبي - ٢أخ ٩: ٢٩
١١- نبوة أخيا الشيلوني - ٢أخ ٩: ٢٩
١٢- رؤى يعدو الرائي -٢ أخ ٩: ٢٩
١٣- أخبار شمعيا النبي وعدو الرائي - ٢أخ ١٢: ١٥
١٤- مِدرَس النبي عدو - ٢أخ ١٣: ٢٢
١٥- سفر الملوك ليهوذا وإسرائيل - ٢أخ ١٦: ١١
١٦- أخبار ياهو بن حناني المذكور في سفر ملوك إسرائيل -٢ أخ ٢٠: ٣٤
١٧- مدرس سفر الملوك - ٢أخ ٢٤: ٢٧
١٨- أمور عزيا (كتبها إشعياء النبي بن أموص النبي) - ٢أخ ٢٦: ٢٢.
١٩- سفر ملوك إسرائيل ويهوذا - ٢أخ ٣٣: ١٨
٢٠- رؤيا بن أموص النبي في سفر ملوك إسرائيل ويهوذا - ٢أخ ٣٢: ٣٢.
٢١- أخبار ملوك إسرائيل - ٢أخ ٣٣: ١٨
٢٢- أخبار الرائين - ٢أخ ٣٣: ١٩
٢٣- سفر أخبار الأيام- نح ١٢: ٢٣

"وَبَقِيَّةُ أُمُورِ أَخْآبَ وَكُلُّ مَا فَعَلَ، وَبَيْتُ الْعَاجِ الَّذِي بَنَاهُ وَكُلُّ الْمُدُنِ الَّتِي بَنَاهَا مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ." (١مل ٢٢: ٣٩)

الْكِتَابَاتُ: أَخِيرَةٌ وَلَكِنْ لَيْسَتِ الأَقَلَّ

اسفار كتابية لا يذكر فيها اسم الله

هناك سفران في الكتاب المقدس لا يذكر فيهما اسم الله وهما استير، وسفر نشيد الأنشاد. وسفر استير هو الوحيد من بين أسفار العهد القديم الذي لم يتضمن في مخطوطات البر الميت.

أدراج أستير والآلات الموسيقية الصاخبة التي كانت تستخدم في عيد الفوريم وفي ذلك العيد كان يُقرأ سفر أستير احتفالاً بالنجاة من المذبحة الفارسية.

ينقسم الكتاب المقدس اليهودي - الذي يسميه المسيحيون العهد القديم - إلى ثلاثة أقسام: الناموس، الأنبياء، والكتابات. ولا أحد يعلم متى أو كيف ظهرت هذه الأقسام، ولكن علماء الكتاب المقدس يرون أنها تعكس الترتيب الذي قبل به الشعب اليهودي هذه الأسفار على أنها موحى بها من الله وأنها أسفار مقدسة.

أحد عشر سفراً

وتتكون الكتابات من أحد عشر سفراً. والمعلمون اليهود القدامى كثيراً ما قسموا هذه الكتابات إلى ثلاث فئات تحدد ترتيب الأسفار في الكتاب المقدس اليهودي.

- ثلاثة أسفار كبيرة : المزامير، الأمثال، وأيوب.
- أسفار الأعياد: مرتبة بحسب الأعياد الدينية التي كانت تُقرأ فيها في المجمع: نشيد الأنشاد الذي لسليمان، راعوث، المراثي، الجامعة وأستير.
- الأسفار التاريخية: دانيآل، عزرا ونحميا (وكانا كتاب واحداً) وأخبار الأيام الأول والثاني (كتاب واحد)

كتابات قديمة، تأتي متأخرة

مع أن هذه الأسفار الأحد عشر، كانت على الأرجح آخر ما قُبِلَ كأسفار مقدسة ضُمت إلى الكتاب المقدس اليهودي، فلم تكن جميعها آخر ما كتب. فأجزاء من السفرين الكبيرين: المزامير والأمثال قديمة مثل بعض كتب الأنبياء القدماء، بل قد تكون قديمة مثل الناموس.

فمثلاً، يرى البعض أن قدَم الثلاثين قولاً للحكماء (أم ٢٢: ١٧- ٢٤: ٢٢) يظهر في مشابهتها لثلاثين قسماً من كتابة مصرية قديمة تسمى «حكمة أمينموب» وهو حكيم عاش فيما بين ١٢٠٠ ، ١٠٠٠ ق.م. وإليك المثل الأول من أقوال الحكماء:

لاَ تَسْلِبِ الْفَقِيرَ لِكَوْنِهِ فَقِيراً وَلاَ تَسْحَقِ الْمِسْكِينَ فِي الْبَابِ (أم ٢٢: ٢٢).



قصص لرجال مثل أيوب

قصة أيوب من فقدانه لصحته وأسرته وممتلكاته قد تكون من أقدم قصص الكتاب المقدس.. ويعتقد البعض أن هناك قصصاً مشابهة لما عاناه أيوب ترجع إلى عصور قديمة من تاريخ مصر وبلاد بين النهرين. وترجع إحدى هذه القصص إلى ما قبل ٢٠٠٠ ق.م. وتسمى: «إنسان وإله» ولكنها تشتهر باسم «أيوب السومري» (وكانت سومر إحدى الممالك المحيطة بالخليج العربي، وهي الآن في جنوب شرقي العراق).



ومثل أيوب، قال هذا الرجل المجهول في قصته القصيرة «إنه لم يفعل شيئاً خاطئاً، ولكنه عانى آلاماً مبرحة وصلى: لقد صاحبتني الدموع والأنين والكرب واليأس فالمعاناة تغمرني مثل طفل يبكي، وبين يدي شيطان القدر تغير مظهري».

وكما لعن أيوب يوم مولده (أي ٣: ١) نطق أيوب السومري من أعماق اليأس «دع أمي التي ولدتني لا تكف عن النوح عليَّ أمامك. لتقص عليك أختي التي لها صوت مغنية رخيم. وهي تذرف الدموع، الأفعال التي طمت فوقي. لتصف لك زوجتي آلامي، ليُغنِّ لك المطرب عن قسمتي المُرة التي لا انقطاع لها».

وفي النهاية - مثل أيوب - يأتيه الفرج ويحمد إلهه ويُصلِّي: «لقد ثبتُ عليك كما على الشمس المشرقة لقد نظرتَ إليَّ من على بُعد بعينيك واهبتي الحياة».

لا عهد قديم

يستخدم المسيحيون تعبير «العهد القديم». لكن اليهود يستخدمون تعبيرات أخرى ومن ضمنها «تاناكاه» وهو اختصار للأجزاء الثلاثة التي يتكون منها الكتاب المقدس العبري: التوراة (الناموس)، والناڤييم (الأنبياء) والكاتوڤيم (الكتابات).

وإليك مثلاً مشابهاً من بداية الكتاب المصري: «لاتسرق من الفقير، ولا تغش المُقعَد».

ومع أن بعض الأجزاء من الكتابات قد تكون من بداية تاريخ إسرائيل، فالمعتقد هو أن غالبيتها قد كتبت بعد قرن أو أكثر من تدمير البابليين لأورشليم في ٥٨٦ ق.م. وسبي الباقين إلى بابل، فالعديد من الأسفار من الواضح أنها قد كتبت في خلال هذه الأوقات.

وكانت أستير ملكة في إمبراطورية فارس، وهي الإمبراطورية التي هزمت البابليين. وقصة بطولتها في إنقاذ يهود فارس من المذبحة، هي أساس عيد الفوريم وهو أكثر الأعياد اليهودية صخباً ومرحاً. ويقرأ اليهود سفر أستير بصوت عالي في المجامع ويحتفلون احتفالاً بهيجاً بنجاتهم. ويوزعون الهدايا.

أما سفرا عزرا ونحميا، والتي يرى العلماء أن الكاهن عزرا قد كتبهما، فقد تم كتابتهما بعد حوالي ١٥٠ إلى ٢٠٠ سنة من السبي البابلي في ٥٨٦ ق.م. وهذان السفران يسردان قصة عودة اليهود إلى وطنهم لإعادة بناء هيكل أورشليم وفيما بعد أسوار المدينة.

كذلك فإن قصص الاضطهاد الديني الذي تعرض له دانيال وأصدقاؤه اليهود تقع أحداثها في نهاية الحقبة البابلية وبداية الإمبراطورية الفارسية. ولكن من غير المحتمل أن تكون هذه القصص قد تم صياغتها بشكل نهائي حتى زمن الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أثناء الثورة المكابية في سنة ١٦٧ ق.م.، حينما حاول الملك السلوقي (السوري) أن يقضي على الديانة اليهودية ويستبدلها بعبادة الآلهة الأغريق مثل زيوس.

إن قصة راعوث الجميلة، وهي الجدة الكبرى للملك داود، والتي لم تكن يهودية، ربما تم كتابتها في زمن داود، لتقديم بعض العرض التاريخي لعائلة الملك. غير أن الكثير من العلماء يرون أنها كُتِبَت بعد ذلك بقرون طويلة جداً، في زمن عزرا. فإذا كان هذا هو ما حدث فإنه سيكون بمثابة حجة معارضة لوصية عزرا التي وجهها للرجال اليهود في شعب إسرائيل العائد من السبي والتي أمرهم فيها بأن يطلقوا زوجاتهم من غير اليهوديات. لأنه من الواضح جداً أن الله بارك راعوث واختار هذه المرأة غير اليهودية لتأسيس أعظم سلالة ملكية حكمت إسرائيل.

اَلْعِبَادَةُ الْيَهُودِيَّةُ وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ

"اجْتَمَعَ رُؤُوسُ آبَاءِ جَمِيعِ الشَّعْبِ وَالْكَهَنَةِ وَاللاَّوِيُّونَ إِلَى عَزْرَا الْكَاتِبِ لِيُفْهِمَهُمْ كَلاَمَ الشَّرِيعَةِ."
(نح ٨: ١٣)

عندما بدأ بنو إسرائيل عبادة الله، كأمة ناشئة عند خروجهم من مصر في طريقهم إلى أرض الموعد، لم يكن معهم كتاب مقدس مكتوب يستطيعون استخدامه بل في الواقع لم يكن لهم مكان للعبادة وهم مرتحلون.

ويقول التقليد اليهودي المحفوظ في الكتاب المقدس، إن الله قد غيَّر هذا. فأمر الشعب أن يقيموا خيمة لمركز للعبادة هي خيمة الشهادة، وبدأ في إعطائهم الشرائع. وكانت الوصايا العشر، وهي حجر الأساس الذي بنيت عليه كل الشرائع اليهودية، قد حفظت في صندوق في أقدس مكان في مركز العبادة هو قدس الأقداس، وقد توالت مئات الشرائع الأخرى، سَلَّمَها الله لهم من خلال موسى.

وهذه الشرائع هي التي كانت توجه العبادة اليهودية، فبيّن لهم متى وكيف يقدمون ذبائحهم، والأسلوب الأساسي للعبادة في ذلك الوقت.

الموسيقى في العبادة

«اهتفي للرب يا كل الأرض. اعبدو الرب بفرح. ادخلوا إلى حضرته بترنم». ولقد نفذ الشعب ذلك.

وقد نظَّم الملك داود الذي تنسب له مزامير عديدة، فريق ترنيم وعيَّن موسيقياً محترفاً لقيادته. وكان هؤلاء الموسيقيون الكهنة المكرسين لهذه الخدمة، يقودون العابدين بالترنيم، بمصاحبة القيثارات والأعواد والأبواق والصنوج.

فكانت الموسيقى تصدح من قمة جبل أورشليم عندما كان الكهنة يقدمون ذبائح الصباح والمساء، وعندما كان يأتي العابدون بتقدماتهم. فكان البعض منهم يأتون وهم ينشدون ترانيم أصبحت تعرف باسم ترانيم المصاعد (المزامير ١٢٠ - ١٣٤) وهي ترانيم كان بنو إسرائيل يهتفون بها في سيرهم إلى أورشليم وسميت هذه الترانيم باسم ترانيم المصاعد، لأنه من أي اتجاه كان يجيء الناس، كان عليهم أن يصعدوا الجبل. ويقول المزمور ١٢١«أرفع عيني إلى الجبال، من حيث يأتي عوني! معونتي من عند الرب».

ولم تصل إلينا أي نوتة موسيقية، ولكن المدى الواسع من الشعر - من اليأس إلى الابتهاج - يدل على أن الموسيقى كانت غنية وشجية.

صلاة العشور

«قَدْ نَزَعْتُ الْمُقَدَّسَ مِنَ الْبَيْتِ وَأَيْضاً أَعْطَيْتُهُ لِلاَوِيِّ وَالْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ حَسَبَ كُلِّ وَصِيَّتِكَ الَّتِي أَوْصَيْتَنِي بِهَا.»
(تث ٢٦: ١٣)

العبادة في الهيكل

بعد أن بنى اليهود مركزاً دائماً للعبادة في أورشليم (الهيكل) بدأ الكتاب المقدس يأخذ دوراً أكبر في العبادة. وأحد أسباب هذا التغيير هو أن الشرائع اليهودية والكثير من القصص المقدسة والترانيم والأناشيد كانت قد أصبحت محفوظةً كتابة على رقوق محفوظة في الهيكل فعلاً فكانت في متناول أيدي هؤلاء القادة.

وقد استخدم اليهود الأسفار المقدسة بطرق مختلفة. أحياناً كانوا يحفظونها عن ظهر قلب ويرددونها في عبادتهم فقد أمرهم الله بذلك. وعندما كان العابدون يأتون بتقدماتهم إلى الهيكل من باكورات غلاتهم، كان عليهم أن يترنموا بما جاء في (تث ٢٦: ٣- ١١)، ويقدموا تقدمتهم للكاهن ويردد العابد أعمال الله التي جاءت باليهود إلى أرض الموعد، ثم يصرح: «فالآن هانذا قد أتيت بأول ثمر الأرض التي أعطيتني يارب». وقول مثل هذا كان عليهم أن يرددوه عند مجيئهم بعشورهم إلى الهيكل، محفوظ في (تث ٢٦: ١٣- ١٥).

وكانت المزامير هي كتاب ترانيم إسرائيل، وكانت مصدراً للموسيقى لفرق الترنيم في الهيكل فكانوا يترنمون بها للعابدين كل يوم. والعابدون الذين كانوا يأتون بتقدماتهم وللصلوات، الأرجح أنهم كانوا يترنمون معاً، وأحياناً يرددون ترانيم فردية للحمد أو الرثاء في الفناء المتسع:

قَلْباً نَقِيّاً اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ وَرُوحاً مُسْتَقِيماً جَدِّدْ فِي دَاخِلِي.(مز ٥١: ١٠).

وكان معلمو الناموس والشرائع يقفون في الفناء ليلقوا محاضرات ويجيبوا على الأسئلة عن أسفارهم المقدسة - كما كانوا يفعلون عندما كان الرب يسوع في الثانية عشرة من العمر أثار إعجابهم بمعرفته

(لو ٢: ٤٦). وقد وقف الكاهن عزرا، بالقرب من الهيكل في ساحة المدينة، على منبر خشبي في خدمة عبادة لسنة جديدة وقرأ الناموس اليهودي بصوت مسموع لكل الراجعين من السبي في بابل. وعندما فتح السفر، وقف كل الشعب إكراماً للكتاب المقدس (نح ٨: ٥). وبكى جميع الشعب حين سمعوا كلام الشريعة (نح ٨: ٩) ربما شكراً للرب أو حزناً على خطاياهم.

العبادة في المجمع

في أثناء السبي في بابل، لم يكن لليهود مكان للعبادة. فالهيكل في أورشليم كان متهدماً، وعلى بعد مئات الأميال. ويظن علماء الكتاب أنه في أثناء هذا السبي (في منطقة الخليج الفارسي) ظهرت المجامع كبديل عن الهيكل.

ولم تكن المجامع يديرها كهنة، كما لم يكن في إمكان الناس أن يقدموا ذبائح فيها، فالناموس اليهودي كان يسمح بتقديم الذبائح في الهيكل فقط. ولكن المجامع هي الأمكن التي احتفظ فيها اليهود بصلتهم بتعاليمهم المقدسة وتقاليدهم.

وعادة كان الخدمة في المجمع تشمل قراءات من ناموس موسى (الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس) ويتبع ذلك قراءات من الأسفار الأخرى من الكتاب المقدس العبري (الذي يسميه المسيحيون العهد القديم)، كما كانت ترفع عادة صلوات ثم عظة. وكثيراً ما كان يُدعى الزائرون للقراءة من الأسفار المقدسة ومخاطبة العابدين. فبعد قراءة الرب يسوع جزء من سفر إشعياء، ذلك الجزء الذي كان يتنبأ عن مجيء المسيا، تكلم الرب يسوع وأعلن أنه قد تم المكتوب (لو ٤: ٢١). وقد استخدم الرسول بولس هذه العادة في إكرام الضيوف، في الكرازة بالمسيح لليهود المجتمعين، وهي عظة يبدو أنها أدت إلى تجديد عدد قليل، كما أثارت معارضة شديدة ضد بولس.

وبعد تدمير الهيكل اليهودي على يد تيطس الروماني في ٧٠م، لم يعاد بناؤه، ولم يعد في استطاعة اليهود أن يقدموا ذبائح حيوانية أو تقدمات من غلاتهم. وعوضاً عن ذلك، فإنهم حين يجتمعون في مجامعهم، يفعلون ما سبق أن أنبأ به النبي: «فنقدم عجول شفاهنا» (هو ١٤: ٢). وثمر الشفاه هو الصلاة والقراءة من الكتاب المقدس العبري، والتعليق على ما يُقرأ من المعلمين.

تحية

يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاماً.

(عد ٦: ٢٤-٢٦)

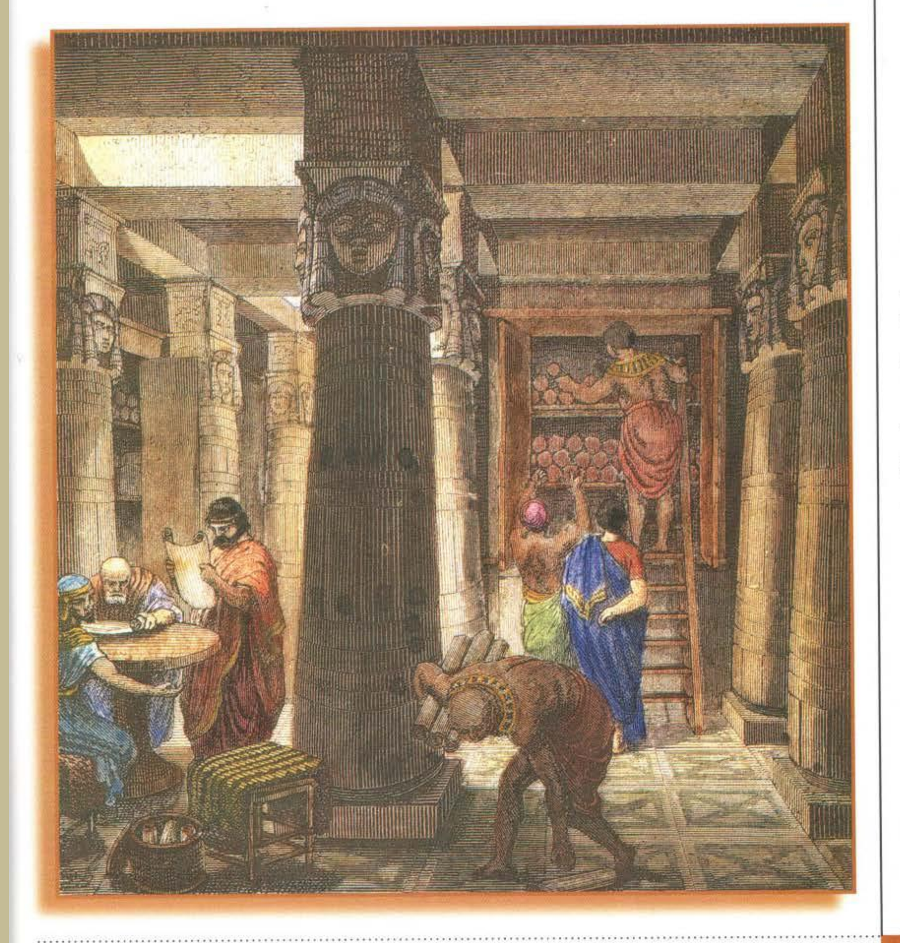
صورة لجماعة من الرجال اليهود يجتمعون في مجمع لدراسة الكتاب المقدس وقراءة تفسيرات قديمة من معلمين يهود محترمين. فقراءة الكتاب المقدس جزء أساسي من العبادة اليهودية



أَوَّلُ تَرْجَمَةٍ لِلْكِتَابِ المُقَدَّسِ

عاش اليهود تحت الحكم الفارسي حوالي ٢٠٠ سنة من وقت أن هزم كورش البابليين إلى أن غزا الإسكندر الأكبر الإمبراطورية الفارسية في ٣٣٢ ق.م. وابتداء من ٣٢٣ ق.م. حين مات الإسكندر، صارت مصر وفلسطين تحت سيطرة أحد قادة الإسكندر السابقين وهو بطليموس الأول الذي خلفه ابنه بطليموس الثاني في ٢٨٥ ق.م. وكان بطليموس الثاني حاكماً عظيماً شجع العلم. وأصبحت عاصمته الإسكندرية المركز الرئيسي للعلم في عالم البحر المتوسط واشتهرت بمكتبتها الضخمة.

وفي زمن بطليموس هجرت أعداد ضخمة من اليهود بلادهم للعمل والدراسة في بلاد أجنبية بما فيها مصر، وكانوا يتكلمون اللغة اليونانية حيث حظوا بتعليم يوناني، واكتسبوا الكثير من العادات اليونانية وبمضي الزمن، وجد أولئك اليهود المشهورون «بيهود الشتات» أنهم غير قادرين على قراءة كتبهم المقدسة التي كانت مكتوبة بالعبرية، فكانوا في حاجة ماسة إلى ترجمتها لليونانية، وقد تم ذلك في القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت هذه أول ترجمة للكتاب المقدس.



هذه لوحة خشبية محفور عليها صورة القاعة في مكتبة الإسكندرية في مصر، وتقول الأسطورة إن الملك أراد مزيدا من الكتب الشهيرة فكلف علماء من اليهود لترجمة كتاباتهم المقدسة إلى لغة ذلك العصر وهي اليونانية.

خطاب يَروي قصةَ

بحسب ما تقوله قصة قديمة، تُرجِمَت الأسفار العبرية إلى اليونانية بناء على أمر بطليموس الثاني وجاء هذا الخبر في وثيقة قديمة تعرف باسم رسالة أرستياس. ويقول الكاتب أرستياس إنه يكتب من الاسكندرية إلى أخ يسميه فيلوكراتس. ويقول أرستياس لأخيه إن الملك بطليموس طلب من ديمتريوس أمين دار كتبه أن يحصل على نسخة من كل كتاب في العالم ليضمه إلى مكتبته الشهيرة في الإسكندرية. وبعد جمع ٢٠٠٠٠٠ مجلد، أبلغ ديمتريوس الملك بذلك، وذكر أنه يريد أن يزيد عدد الكتب في المكتبة إلى ٥٠٠٠٠٠، وذكر ديمتريوس أن بين الكتب الناقصة كتب شرائع اليهود التي تستحق الترجمة وإضافتها إلى المكتبة الملكية.

ولرغبته الشديدة في الحصول على ترجمة للأسفار اليهودية، أمر بطليموس أن تكتب رسالة لأليعازار رئيس الكهنة اليهودي في أورشليم طالباً منه أن يرسل ٧٢ من أفضل علمائه إلى الإسكندرية لقيام بترجمة دقيقة للشريعة اليهودية (أسفار موسى الخمسة) إلى اليونانية. وعندما وصل الإثنان والسبعون عالماً إلى الإسكندرية (كانوا ستة علماء من كل سبط من أسباط إسرائيل الاثني عشر). وقد قدمت لهم موائد فاخرة وعوملوا كملوك. وأعطى لهم مكان هادىء ليعملوا فيه، في جزيرة صغيرة على بعد ميل في البحر الأبيض المتوسط. فقسَّم العلماء العمل بينهم مع التشاور فيما بينهم كلما كان العمل يتقدم. فأكملوا الترجمة في ٧٢ يوماً. وعندما قرئت الترجمة لجماعة من اليهود المحليين، حازت استحساناً كبيراً، وأعلنوا أنها دقيقة حتى إنهم لعنوا كل من يجرؤ على تغيير أي شيء فيها. كما سُرَّ الملك بطليموس بالترجمة وأُعجب بعبقرية المُشَرِّع. فأعاد العلماء إلى بلدهم محملين بهدايا ثمينة.

أنجزت الترجمة السبعينية بتكليف من بطليموس الثاني، وهو الذي يظهر أعلاه مع أخته (وزوجته فيما بعد) على نقش هندي بارز على حجر من العقيق، ويرجع هذا النقش لعام ٢٨٧ ق.م.

وهناك جدل كثير حول ما إذا كان خطاب أرستياس صحيح يوثق به أم لا. فبعض العلماء يرون أن الخطاب زائف ويعتقدون أنه قد كتب في الواقع بعد عصر بطليموس، ربما في القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد. ولزيادة الارتباك بعد ذلك. هناك أيضاً صور خيالية أخرى للقصة، ففي بعض الصور المسيحية للقصة تمت الترجمة بسبعين عالماً فقط، مثل السبعين شيخاً الذين كانوا مع موسى في جبل سيناء (خر ٢٤: ١- ١٤) والسبعين تلميذاً الذين أرسلهم الرب يسوع (لو ١٠: ١- ٢٠). وربما من هذه الصور المسيحية للقصة، أطلق عليها «الترجمة السبعينية».

على أية حال. تمت الترجمة وسرعان ما أصبحت هي الترجمة اليونانية المعتمدة للأسفار اليهودية. لكن الترجمة المشار إليها في خطاب أرستياس كانت لأسفار الناموس الخمسة (الخمسة الأسفار الأولى في الكتاب المقدس). وخلال المائتي سنة التالية أو نحو ذلك تمت ترجمة باقي الأسفار من الكتاب المقدس، من العبرية إلى اليونانية، وتعتبر بوجه عام جزءاً من السبعينية.

رواية فيلو للقصة

في القرن الأول قبل الميلاد، قدم فيلو، الفيلسوف اليهودي السكندري، رؤيته لقصة هذا الخطاب. وبحسب ما قاله فيلو فإن المترجمين اجتمعوا في جزيرة فاروس التي بنى فيها الملك بطليموس الثاني منارته الشهيرة، والتي هي واحدة من عجائب الدنيا السبع القديمة. وقال فيلو إن جميع العلماء الـ ٧٢ قاموا بترجمة كل كلمة في النص. ورغم احتمالية أن يستخدم كل عالم كلمات مختلفة. في ترجمة نفس الفقرة، إلا أن ما حدث كان أن جميع العلماء الـ ٧٢ استخدموا نفس الكلمات اليونانية بالضبط في ترجمة النص العبري كله. لقد حدث ذلك بشكل معجزي مما جعل الترجمات كلها تكون متطابقة رغم أنهم لم يتشاوروا معاً، كما زعم أرستياس. وهذا كله مبرهناً أن الترجمة السبعينية موحى بها من الله.

> «عندما كانت تقرأ الأسفار كان الكهنة يقفون ويقولون: حيث أن الترجمة تمت بدقة وحرص، فمن الخير أن تظل هكذا ولا يجري عليها تنقيح.»
>
> (من خطاب أرستياس دفاعاً عن الترجمة الجديدة).

الأسفار في السبعينية

فيما يلي قائمة بالأسفار السبعينية. أما الأسفار المسبوقة بنجمة (*) فهي لا توجد في القائمة القانونية الأخيرة للأسفار العبرية، ولكن الآن غالبيتها موجودة في الكتب المقدسة الخاصة بالروم الكاثوليك واليونانيين الأرثوذكس والسالفونيين. كما أنها مطبوعة في أجزاء منفصلة من كتب البروتستانت تحت اسم «الأبوكريفا». والأسفار الوحيدة التي لا توجد في كتب الكاثوليك والروم والسالفونيين (ولا حتى في الأبوكريفا) هي إسدراس الأول، صلاة منسى، والمكابيون الثالث والرابع، وأغاني ومزامير سليمان. ولكن بعض الكتب المقدسة الخاصة بالروم الأرثوذكس والسالفونيين فتحتوي على إسدراس الأول، وصلاة منسى، والمكابيين الثالث، علاوة على أن الكتاب المقدس اليوناني يحتوي أيضاً على المكابيين الرابع في ملحق.

الناموس والتاريخ

التكوين
الخروج
اللاويين
العدد
التثنية
يشوع
القضاة
راعوث
١- ٤ الممالك (أسفار صموئيل والملوك)
١- ٢ الأخبار
* إسدراس الأول
إسدراس الثاني (عزرا - نحميا)
أستير
* يهوديت
* طوبيا
* ١- ٤ مكابيون

الأسفار الشعرية والنبوية:

المزامير
* الأغاني
* صلاة منسى (موجودة بين الأغاني)
الأمثال
الجامعة
نشيد الأنشاد
أيوب
* حكمة سليمان
* يشوع بن سيراخ
* مزامير سليمان
هوشع
عاموس
ميخا
يوئيل
عوبديا
يونان
ناحوم
حبقوق
صفنيا
حجي
زكريا
ملاخي
إشعياء
إرميا
* باروخ
رسالة إرميا (موجودة في باروخ)
المراثي
حزقيال
دانيآل
* صلاة عزريا (موجودة في دانيآل)
* نشيد اليهود الثلاثة (موجودة في دانيآل)
* سوسنة (موجودة في دانيآل)
* بعل والتنين (موجودة في دانيآل)

النسخة المعتمدة

يعتقد بعض علماء الكتاب المقدس أن خطاب أرستياس كُتب بعد زمن طويل من الأحداث التي يصفها للدفاع عن سلامة الترجمة اليونانية للكتاب المقدس العبري، ولعله استخدم لمحاربة اقتراحات عمل ترجمة جديدة أو تنقيح الترجمة الأصلية تنقيحاً كاملاً. ومما دفع إلى هذا القول هو حقيقة أن هناك كتابات كثيرة لبيان أهمية المترجمين وعملهم وفي مدح الترجمة ذاتها. ومن الناحية الأخرى، لم يكرس سوى القليل لوصف عملية الترجمة نفسها.

تأثير الأسفار اليونانية

استخدم المسيحيون الأوائل الترجمة السبعينية عند الاقتباس من العهد القديم. وفي العهد الجديد المكتوب باليونانية، كل الاقتباسات من أسفار العهد القديم تقريباً مأخوذة من السبعينية، لذلك احترم المسيحيون هذه الترجمة وسرعان ما اعتبروها النسخة المسيحية ولهذا السبب بدأ بعض اليهود في العصر المسيحي الأول لا يقتنعون بالترجمة السبعينية، ولذلك ظهرت في القرن الثاني ترجمات يونانية جديدة للكتاب المقدس العبري، وهي تنسب لعلماء من اليهود: أكيلا وسيماخوس وثيودوتيون. وكانت ترجمة أكيلا شديدة المحاكاة للأصل العبري ومحتفظة بطابع اللغة العبرية، فجاءت الترجمة اليونانية غير سلسلة يصعب على الكثيرين فهمها. كما حاول ثيودوتيون أيضاً أن تكون ترجمة أقرب ما يكون للنص العبري، فبدلاً من أن يعبر بكلمات يونانية عن العبارات العبرية العسيرة، اكتفى بأن يكتب الألفاظ العبرية بنصها بحروف يونانية. أما سيماخوس التي لم تصلنا إلا أجزاء من ترجمته، فكان أقل اهتماماً بإعطاء الترجمة الحرفية في اليونانية بل كان كل همه أن يجعلها يونانية فصيحة، لذلك جاءت ترجمته أنيقة وبليغة عن الترجمتين الأخرتين.

اختلافات من نوعين

لقد تم اعتماد النسخة اليهودية من الكتاب المقدس العبري بعد استكمال الترجمة السبعينية بزمن قصير ونتيجة لذلك، ظهرت بعض الاختلافات، وأهمها أن السبعيني تحتوي على أسفار لا توجد في الكتاب المقدس العبري المعتمد (الذي ظل على ما هو عليه منذ القرن الثاني الميلادي، كما هو مبين في صفحة ٥٠) علاوة على مزامير سليمان، وهي مجموعة مزامير من القرن الأول قبل الميلاد تتغنى بالمسيا الذي سيهزم أعداء إسرائيل، وقصائد مجموعة من ١٥ أغنية أو أصوات موجودة في أماكن أخرى من الكتاب المقدس، ما عدا صلاة منسى (التي يتوسل فيها الملك الخاطىء منسى طالباً الغفران) ومزمور آخر.

وهناك أيضاً اختلافات أكبر في محتويات الأسفار، فمثلاً بينما سفر أيوب أقصر في السبعينية عن النسخة العبرية المعتمدة، فإن سفري استير ودانيآل أطول في السبعينية بل ويشتملان على قصص جديدة تماماً مثل قصة سوسنة والشيوخ، وعدد من الصلوات. وسفر إرميا يختلف ترتيبه في النسختين، كما السبعينية بها مادة لا توجد في النسخة العبرية المعتمدة، بل في الواقع أن النسخة العبرية المعتمدة تزيد ٢٠ ٪ عن الترجمة السبعينية. وبناء على ذلك، يقول بعض إن سفر إرميا تعرض للتنقيح مرتين أو أكثر، وإن الترجمة الموجودة في السبعينية جاءت عن نسخة مبكرة، إن نسخة مطولة من عهد متأخر هي التي وجدت طريقها إلى النسخة العبرية المعتمدة. فهذه الاختلافات الكبيرة بين النسختين لسفر إرميا تدل على أن أسفار العهد القديم لم تكتب مرة واحدة. فقبل أن تعتمد نهائياً، تعرضت أحياناً للتنقيح مرة أو أكثر.

ويعتقد العلماء الذين قاموا بدراسة النصوص الكتابية أن أجزاء من الترجمة السبعينية نقلت عن نسخة للأسفار العبرية أقدم من النسخة المعتمدة. وفي بعض الحالات شعروا بأن النسخ الأقدم أكثر دقة، وتساعد علماء النصوص على فهم أفضل للفصول غير الواضحة في النصوص التقليدية. وهكذا تظل النصوص في السبعينية هامة الآن لمساعدتنا على فهم كلمة الله فهماً كاملاً. وعلاوة على ذلك فإن ترجمة أي نص إلى لغة أخرى، يجب على المترجم أن يفسره إلى حد ما يجعله مفهوماً في اللغة الثانية. وهكذا فإن المترجمين الذين قاموا بالترجمة السبعينية كان عليهم أن يفسروا الأسفار الكتابية التي قاموا بترجمتها، وبذلك يبينوا لنا كيف فهموا النصوص العبرية وعلى ذلك فإن ترجماتهم تمثل أقدم تفسير للكتاب المقدس.

"لقد تلقوا أمراً، أن توضع لعنة على أي إنسان يغير النسخة بأي إضافة أو تغيير أي جزء في النص المكتوب (وكانت هذه خطوة جيدة لضمان الحفظ التام للكلمات على الدوام"

(من خطاب أريستياس)



صورة لقطعة من السبعينية تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد

فَيْلُو السَّكَنْدَرِيُّ

لعل فيلو السكندري الذي يُعرف أيضاً باسم فيلو اليهودي، كان أعظم كاتب يهودي في القرن الأول. إنه فيلسوف مشبَّع بالثقافة اليونانية، وغالبية كتاباته باليونانية تفسيرات للأسفار الكتابية العبرية. وكان فيلو يحظى باحترام كبير في عصره، وكان لكتاباته تأثير قوي على عدد من الكتاب المسيحيين الأوائل.

حياة فيلسوف

لا يعرف عــن حياة فيلــو إلا القليل. فقد وُلِدَ حوالى ٢٠ ق.م. في عائلة يهودية غنية بارزة في الإسكندرية بمصر التي كانت في ذلك الوقت وطناً لأكبر مجتمع يهودي خارج فلسطين (فقد كان بها نحو مليون يهودي) وقد تلقى فيلو تعليماً يونانياً كاملاً في الإسكندرية وعاش في المدينة كل حياته. والأرجح أنه زار أورشليم مرة واحدة فقط للعبادة في الهيكل.

وفي ٤٠ م.، بعد أن أثار فلاكوس الروماني نائب الملك في الإسكندرية أحداثاً ضد اليهود، رأس فيلو بعثة توجهت إلى روما للشكوى ضد الظلم، أمام الإمبراطور غايس كاليجولا. وقد كتب فيلو بعد ذلك قصصاً مفصلة عن بعثته هذه وقد انتهت بالموت الدامي لنائب الملك المذنب: «عن فلاكوس والبعثة إلى كاليجولا».

لم ينجح فيلو في السياسة، مع أن البعض من أقربائه قد نجحوا، وعوضاً عن ذلك، كرس نفسه للدراسة والكتابة، وكان تواقاً لأن يثبت أن الفكر اليهودي لم يكن أقل من الفلسفة اليونانية السائدة في عصره. ومع أنه كان معاصراً للرب يسوع والرسول بولس، فإن فيلو لم يشر أي إشارة في كتاباته إلى أنه سمع عنهما. ومات في نحو ٥٠ م.، ربما في الوقت الذي كتب فيه الرسول بولس رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي، أول ما كتب من أسفار العهد الجديد.

صــورة لمينـــــاء الصيد بالإسكندرية كما يبدو اليوم.



بدء ظهور التفاسير الكتابية

بالرغم من أن اليهود، على الأرجح، ناقشوا معاني كتبهم المقدسة منذ أن سجلت النسخة الأولى فإن آراءهم كانت تنتقل مشافهة، من مدرس لتلميذ، دون أن تسجل كتابة.

وبعض النصوص الكتابية يمكن أن تبدو على أنها أقدم تفاسير مكتوبة، فمثلاً عندما أعاد كاتب الأخبار الكثير من أجزاء أسفار صموئيل والملوك، فإنه قد لمَّع صور داود وسليمان إذ أراد أن يبين أنه يعتقد أنهما يجب أن يبدوا ملكين مثاليين، وبعمله هذا كان يعلق بصورة خفية على الأسفار الأولى التي تذكر سقطات هذين الملكين.

وبنفس الطريقة كانت الترجمة اليونانية للكتاب المقدس العبري (الترجمة السبعينية) نوعاً من الشرح حيث أنها استخدمت كلمات من لغة أخرى لتفسير للقراء اليونانيين النصوص العسيرة في العبرية.

وفي القرون الأخيرة التي سبقت العهد الجديد، والتي تلته، لعل الأسينيون (وهم جماعة من العبرانيين عاشوا حياة النسك في الصحراء) قد كتبوا أول شروحات كتابية حقيقية، وهي «بشاريم» في العبرية، وفي هذه المخطوطات اقتبس الأسينيون فصلاً من الكتاب المقدس ثم كتبوا شرحاً له، ناسبين إياه في أكثر الأحيان إلى جماعتهم، مجيء المسيا المحرر ونهاية الزمن. ولم تكن هذه الكتابات (البشاريم) معروفة خارج جماعة الأسينيين في قمران، إلى أن اكتشفت منذ نحو نصف قرن مخبوءة مع الكثير من المخطوطات القديمة في كهوف بالقرب من البحر الميت.

وأول شارح معروف جيداً، للكتاب المقدس هو فيلو الذي كتب في النصف الأول من القرن الأول الميلادي.

وبعد ذلك في نحو الوقت الذي توفي فيه فيلو، بدأ المسيحيون في كتابة قصص عن حياة الرب يسوع وتعاليمه التي رأوها إتماماً لما جاء في أسفار العهد القديم. والأناجيل الأربعة تذخر بالإشارات إلى الأسفار العبرية التي فسروها بأنها نبوات عن مجيء الرب يسوع وخدمته، كما أن الرسائل الموجودة في العهد الجديد تعتمد بشدة على الأسفار العبرية (العهد القديم). والرسالة إلى العبرانيين بخاصة تذكر الكثير من أقوال العهد القديم ثم تعلق عليها في ضوء حياة الرب يسوع ويقول البعض إن أسلوب الرسالة متأثر بأسلوب فيلو.

تفاسير فيلو

ومع أن فيلو كتب أحياناً عن موضوعات غير كتابية، بما فيها كتابه عن «حياة التأمل»، فإنه كرس حياته أساساً للكتابة عن أسفار موسى الخمسة، أو ناموس موسى، كما بنى كتاباته على الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للعهد القديم). وكان همه الأول في الحياة هو أن يعلن لقرائه ما لم يكن معروفاً بشكل عام عن ناموس موسى. فالكثير من كتاباته هي إعادة صياغة للفصول الكتابية، بشرح النصوص وإضافة آرائه عن مختلف الأمور.

ويمكن تقسيم شروحات فيلو الكتابية إلى ثلاثة أقسام القسم الأول تفسيرات مجازية للسبعة عشر أصحاحاً الأولى من سفر التكوين، فيشرح قصص الخليقة، وقايين وهابيل، والطوفان، وإبراهيم في عبارات أخلاقية، وبحث النفس عن الله. وهذه التفسيرات المجازية متأثرة بشدة بفلسفة أفلاطون ومفهومه عن المثل الأعلى.

والمجموعة الثانية من تفسيرات فيلو الكتابية، تشمل تفسيرات للنواميس اليهودية. ومع أنه يفسر النواميس رمزياً، فهو يصمم على مراعاتها حرفياً، فمثلاً يعترف بأن السبت رمز لقدرة الله الخالق، والقصد منه أن يرينا أننا نحن الكائنات المخلوقة مؤهلين للراحة ولكنه يصمم على أنه ما زال علينا أن نتبع النوميس المتعلقة بحفظ السبت. وهو يسلِّم بأن الختان رمز للتخلي عن أمور الجسد، ولكنه يقول إن طبيعته الرمزية ليست عذراً لإلغاء ناموس الختان.

والمجموعة الثالثة من الشروحات تتكون من أسئلة وإجابات عن فصول من التكوين والخروج. ويجيب فيلو عن هذه الأسئلة عامة، بإعطاء التفسير الحرفي أولاً، ثم التفسير الرمزي.

وعلاوة على الاحتفاظ ببعض الأمثلة عن كيف كان يفسر الكتاب المقدس في زمن الرب يسوع، فإن كتابات فيلو لا تقدر بثمن في مساعدتنا على دراسة كلا العهدين القديم والجديد.

في البدء كان الكلمة

يستخدم فيلو الكلمة اليونانية «لوجوس» (ومعناها كلمة) لوصف قوة الله الخالقة، وهي الكلمة التي يستخدمها الرسول يوحنا في إنجيله لتؤدي نفس المعنى، وقد كُتِبَ إنجيل يوحنا بعد موت فيلو بعدة عقود.



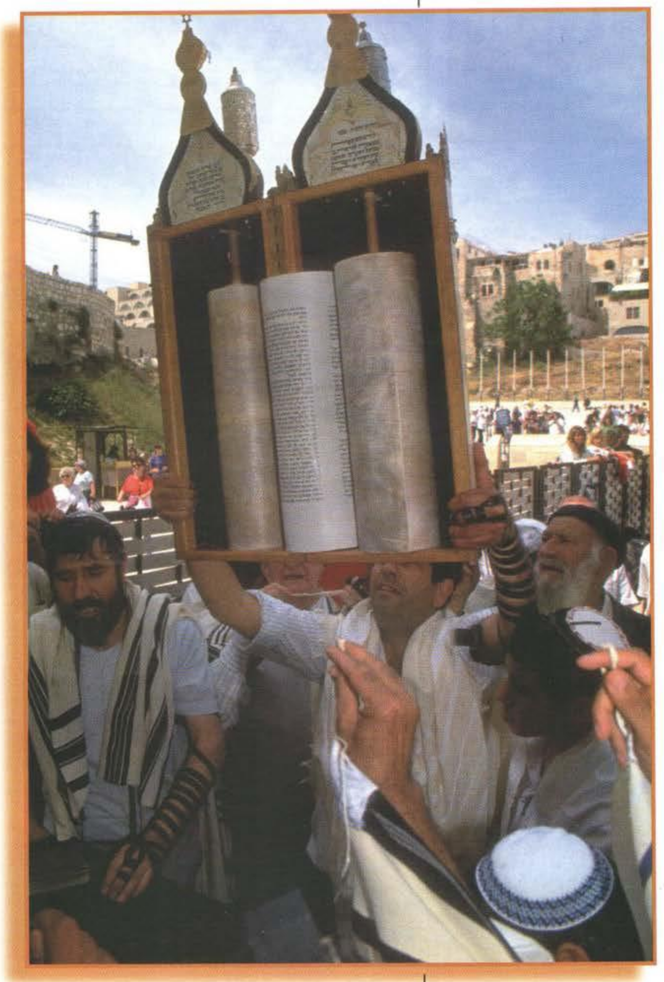
صورة لفيلو السكندري للفنان نيقيت، ١٥٨٤

الكِتَابُ المُقَدَّسُ اليَهُودِيُّ يَأْخُذُ صُورَتَهُ النِّهَائِيَّةَ

صورة لجماعة من اليهود يحملون مخطوطة من التوراة لتقرأ عند حائط المبكي في أورشليم في أحد الأعياد. والتوراة هي مجموعة الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس وتعتبر بالغة الأهمية لأنها تحتوي على ناموس الله. والأرجح أن هذه الأسفار هي أول أسفار يعترف اليهود بأنها موحاة من الله ولها احترامها ككتاب مقدس.

لا أحد يعلم كيف تم اختيار أسفار العهد القديم أو متى، فالكتاب المقدس لا يذكر شيئاً عن ذلك، ولا كتابات علماء اليهود القديمة.. ولكن هناك على أية حال مفاتيح في التاريخ تسمح لعلماء الكتاب المقدس أن يخمنوا كيف تمت العملية.

وكلمة «قانون» كلمة يونانية يستخدمها العلماء للدلالة على قائمة الأسفار المقبولة، وهي تعني «عصا القياس» وتشير إلى الأسفار المقدسة التي تتوفر فيها معايير التفوق والسمو، التي تدل على أن كتبتها كانوا ملهمين من الله.



ويوجد في القانون اليهودي ٢٤ سفراً، مقسمة إلى ثلاثة أقسام: الناموس (التوراة)، والأنبياء والكتابات. والإشارات في التاريخ تدل على أن اليهود استغرقوا قروناً عديدة ليستقروا على أي ٢٤ سفراً يتضمنها الكتاب المقدس، وذلك من حوالي ٦٠٠ ق.م. إلى القرن الأول الميلادي.

ويبدو أنه تمت الموافقة على الأسفار، كل قسم في وقته حسب الترتيب الذي ذكره الرب يسوع: ناموس موسى، الأنبياء، والمزامير، وتشير المزامير إلى كل الأسفار التي تبدأ بالمزامير فهو أول وأكبر أسفارها (لو ٢٤: ٤٤).

وقد تساعد عملية الموافقة على ثلاث مراحل، على تفسير وضع بعض الأسفار في غير قسمها، فمثلاً سفر دانيآل سفر نبوي، ولكنه في الكتاب المقدس العبري، يأتي في قسم الكتابات بدلاً من قسم الأنبياء، ويقول العلماء إن ذلك حدث لأن سفر دانيآل على الأرجح لم تكن قد تمت كتابته حتى القرن الثاني قبل الميلاد بعد أن كان قد استقر قسم الأنبياء، ولذلك أضيف إلى آخر قسم اعتمد في الكتاب المقدس العبري. ويحتمل أن نفس الشيء حدث مع سفري الأخبار الذين وضعا بين الكتابات، رغم أنهما شبيهان بسفري الملوك اللذين وضعا بين أسفار الأنبياء.

قبول الناموس

من المستحيل أن نعرف متى جمعت الأسفار الخمسة الأولى في الكتاب المقدس في مجموعة واحدة قال عنها اليهود إنها شملت شرائع وتعاليم الله. ويقول كثيرون من العلماء إنها على الأرجح جُمِعَت في زمن أزمة قومية، مثل السبي البابلي في ٥٨٦ ق.م. حين دُمرت أورشليم وهُدِم الهيكل بمعرفة الجيش البابلي، وأُخِذَ اليهود الباقون أحياء من موطنهم إلى بابل.

وفي السبي، أو ربما بعد ذلك ببضعة عقود عندما عاد كثيرون منهم من السبي إلى إسرائيل واستعادوا كيانهم كأمة، فشعروا بحاجتهم إلى اكتشاف أي شرائع الله وتقاليد اليهود هي الجوهرية اللازمة لهم. ولعل السبب

في هذا هو لأنه قبل السبي تنبأ الأنبياء عن الكارثة التي حاقت بهم، فحذروهم بأن الله وعد بما سيحدث لليهود إذا لم يحفظوا العهد الذي عاهد به أسلافهم. فقد قال الرب على فم موسى: «وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم، لذلك يفرح الرب لكي يفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها. ويبددك الرب في جميع الشعوب» (تث ٢٨: ٦٣- ٦٤). وبعد ذلك بعدة قرون، وقد أوشك الغزو البابلي أن يقع، شكا النبي إرميا من أنه ظل ثلاثاً وعشرين سنة يكلمهم برسالة الله ولكنهم لم يصغوا، لذلك سينفذ الله وعيده القديم بإرسال البابليين لغزو أرض اليهود، ويستعبد الباقين منهم مدة سبعين سنة (إر ٢٥: ٣- ١١).

بعد عودتهم إلى وطنهم المُدمر، لم يشأ اليهود أن يكرروا خطأهم، ولذلك طلبوا من عزرا الكاهن أن يقرأ بصوت مسموع سفر شريعة موسى احتفالاً بالعام اليهودي الجديد، (نح ٨: ١).

قبول الأنبياء

كان لإسرائيل من الأنبياء أكثر من الذين سجلت خدماتهم بالتفصيل في أسفار الكتاب المقدس. وقد كانت هناك جمعيات أو مدارس للأنبياء تسمى، «بني الأنبياء» (١مل ٢٠: ٣٥). ويذكر الكتاب المقدس بعض الأنبياء بالاسم مثل جاد رأئي داود، والنبي حننيا الذي عارض إرميا (إر ٢٨: ١- ١٧).

ولكي يقرر اليهود أي الأسفار النبوية تحمل طابع الموافقة الإلهية، لعلهم رجعوا إلى فصل في الناموس يبين لهم كيف يميزون بين النبي الصادق. وغير الصادق. فإذا تكلم نبي باسم الرب ولكن ما تكلم به لم يحدث أو لم يتحقق، فهو كلام لم يتكلم به الرب (تث ١٨: ٢٢).

ويقول العلماء إن عملية فحص وقبول الأسفار النبوية التي لابد استغرقت زمناً طويلاً، بدأت على الأرجح بعد السبي، ربما في القرن الخامس قبل الميلاد وكان هذا عندما كتب آخر الأسفار في هذا القسم وهو سفر ملاخي، والأرجح أن هذا القسم قد ختم قبل يكتمل سفر دانيآل في القرن الأخير قبل الميلاد. ودليل آخر على أن الكتاب المقدس اليهودي كان قد ختم في ذلك الوقت هو ما جاء في مقدمة سفر يشوع بن سيراخ (وهو سفر يهودي كتب في نحو ١٣٠ ق.م. وهو أحد أسفار الأبوكريفا، فيقول: «لقد أُعطيت لنا كثير من التعاليم العظيمة في الشريعة والأنبياء والآخرين الذين جاءوا بعدهم».

وفي الكتاب المقدس اليهودي، تنقسم أسفار الأنبياء إلى قسمين: «الأنبياء المتقدمون» و«الأنبياء المتأخرون». «والأنبياء المتقدمون» قد يكونوا قد قُبِلُو أولاً حيث أنها أسفار عن تاريخ إسرائيل المبكر. أما أسفار الأنبياء المتأخرين فهي من عصور متأخرة، وتتناول على الأكثر حياة وخدمة الأفراد من الأنبياء.

تنظيم الكتاب المقدس

هناك اتفاق بين اليهود والبروتستانت بشأن عدد أسفار العهد القديم، رغم أن ترتيب الأسفار يأتي مختلفاً عند اليهود عما هو الترتيب بحسب البروتستانت. في حين نجد أن العهد القديم بحسب الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية يتضمن العديد من الكتابات اليهودية القديمة الأخرى. وهذه الكتابات الإضافية، التي تعرف باسم الأبوكريفا، قد ظهرت في الترجمة اليونانية القديمة للكتابات اليهودية المقدسة، لكن اليهود اتخذوا فيما بعد قراراً بعدم الإبقاء عليها ضمن الكتاب المقدس. وفيما بعد اتبع البروتستانت نفس الاتجاه، فلم يضموا هذه الكتاب للكتاب المقدس.

الكتاب المقدس العبري (٢٤ سفراً)

* **الناموس**
- التكوين
- الخروج
- اللاويين
- العدد
- التثنية
* **الأنبياء**
* *الأنبياء المتقدمون*
- يشوع
- قضاة
- صموئيل
- الملوك
* *الأنبياء المتأخرون*
- إشعياء
- إرميا
- حزقيال
- الاثنى عشر: وهي مجموعة من الكتابات تشمل هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.
* **الكتابات**
- المزامير
- أيوب
- الأمثال
- راعوث
- نشيد الأنشاد
- الجامعة
- مراثي إرميا
- أستير
- دانيآل
- عزرا- نحميا
- أخبار الأيام

العهد القديم بحسب البروتستانت (٣٩ سفراً)

* التاريخ
- التكوين
- الخروج
- اللاويين
- العدد
- التثنية
- يشوع
- القضاة
- راعوث
- صموئيل الأول
- صموئيل الثاني
- الملوك الأول
- الملوك الثاني
- أخبار الأيام الأول
- أخبار الأيام الثاني
- عزرا
- نحميا
- أستير
* **الشعر**
- أيوب
- المزامير
- الأمثال
- الجامعة
- نشيد الأنشاد
* **الأنبياء**
- إشعياء
- إرميا
- مراثي إرميا
- حزقيال
- دانيآل
- هوشع
- يوئيل
- عاموس
- عوبديا
- يونان
- ميخا
- ناحوم
- حبقوق
- صفنيا
- حجي
- زكريا
- ملاخي

"أُنشُرِ الأَسفارَ الأَربَعةَ وَالعِشرِينَ الَّتِي كَتَبتَهَا أَوَّلاً، وَليَقرَأها مَن يَستَحِقُّ وَمَن لَا يَستَحِقُّ"
(٢إسدراس ١٤: ٤٥)

صورة لموكب من الحجاج السامريين فوق جبل جرزيم. والسامريون لا يعتبرون أن هناك أسفاراً مقدسة سوى الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس.

قبول الكتابات

هذا القسم من الكتاب المقدس اليهودي قد يكون آخر ما تم قبوله على أساس أنه موحى به، ولكن ليس معنى هذا أنها آخر ما كتب، فبعض المزامير والأمثال ربما كتبت قبل ذلك بكثير في تاريخ إسرائيل. وأيوب يشبه القصص المصرية ومنطقة الخليج العربي التي كتبت قبل مجيء الإسرائيليين إلى أرض الموعد، بقرون عديدة.

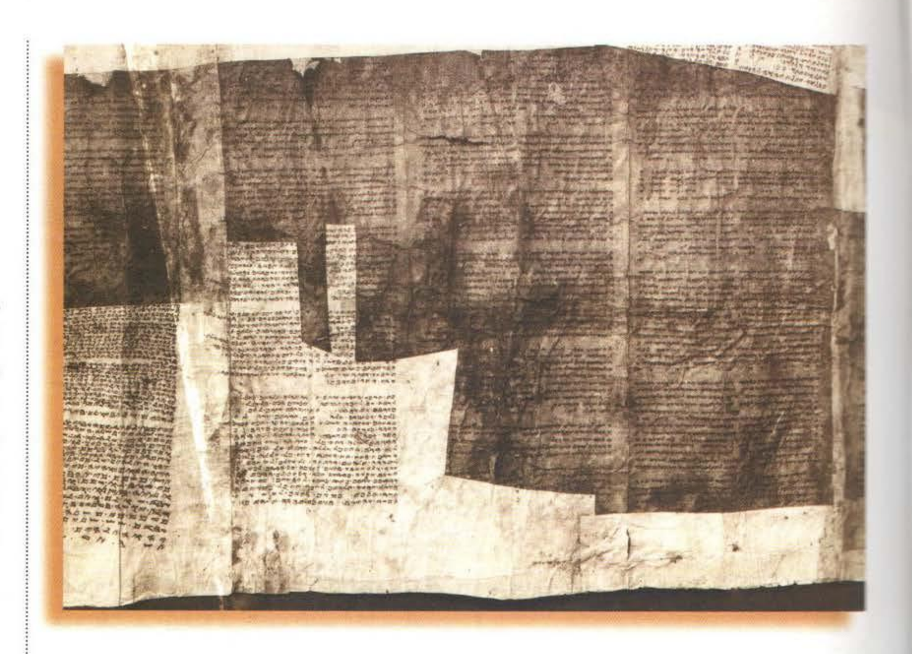
وأول ذكر للكتاب المقدس اليهودي وكان به ٢٤ سفراً، يظهر في إسدراس الثاني (السفر اليهودي الذي كتب في القرن الأول الميلادي وضم إلى أسفار الأبوكريفا) ويقول مؤرخ يهودي عاش في ذلك العصر، وهو يوسيفوس إنه كان به ٢٢ سفراً، ولكن يقول المؤرخون إنه على الأرجح ضم راعوث والقضاة (اللذين وقفت أحداثها في نفس الزمن) وإرميا والمراثي (ويقال إن إرميا هو الذي كتبهما).

وكتابات يهودية أخرى ظهرت متأخرة على أن تضاف إلى الكتابات، ولكنها جاءت في الترجمة السبعينية، وهي الترجمة اليونانية للكتابات اليهودية، والتي بدأت في القرن الثالث قبل الميلاد بترجمة الناموس، وقد استمر ذلك إلى القرن الأول بعد الميلاد مع أسفار أخرى. وقد قرر اليهود على أية حال، أن هذه الكتابات التي جاءت متأخرة، ليس لها نفس القيمة مثل الأسفار السابقة لها. وهذه الأسفار الأخيرة تضمنها الكتب المقدسة للرومان الكاثوليك والأرثوذكس الشرقيين. أما في الكتب المقدسة عند البروتستانت فقد تركت بشكل عام أو حسبت مثل أسفار الأبوكريفا» (وهي كلمة يونانية معناها «المخبوءة»).

ويقول بعض العلماء إن قائمة الأسفار القانونية في الكتاب المقدس اليهودي، ختمت في أواخر القرن الأول الميلادي بواسطة قادة من اليهود كانوا قد اجتمعوا في مجمع جامنيا. ويُصر علماء آخرون على أنه لم يجتمع هذا المجمع مطلقاً، إذ يقولون أنها كانت مجرد «أمنية» كانت مركزاً علمياً يهودياً حيث كان يدرس معلمو اليهود ويناقشون موضوعات كثيرة بما فيها صحة الأسفار المثيرة للجدل مثل حزقيال، الأمثال، الجامعة أستير ونشيد الأنشاد.

وترتيب الأسفار في الكتاب المقدس اليهودي ليس مثل ترتيب أسفار العهد القديم في الكتب المقدسة عند المسيحيين الآن. فمثلاً في الكتب المقدسة المسيحية يوضع دانيال بين الأنبياء، وسفر الأخبار بعد الملوك ككتاب تاريخي ، وهذا يماثل ما جاء بالترجمة السبعينية. وهي الترجمة اليونانية التي اشتهرت بين المسيحيين الأوائل.





صورة لمخطوطة «أبيشا» أقدس أثر عند السامريين. فهي مخطوطة للكتاب المقدس السامري، بإمضاء أبيشا الذي يقول إنه من أحفاد هارون أخي موسى. ولكن العلماء يؤرخون أسلوب الخط إلى نحو ٢٥٠٠ سنة بعد هارون.

الكتاب المقدس السامري

في الأزمنة الكتابية المتأخرة، كان اليهود يعتبرون السامريين بأنهم شعب وثني من أجناس مختلطة وإيمان منحرف. فقد قال اليهود إن السامريين كانوا نتاج غزاة أشوريين استولوا على شمالي إسرائيل في القرن السابع قبل الميلاد وتزاوجوا مع اليهود الذين بقوا في البلاد. ولكن السامريين قالوا إنهم البقية الأمينة الوحيدة من إسرائيل والحارسون للكتاب المقدس الحقيقي.

وقد اعتبر السامريون – مثلهم مثل اليهود الصدوقيون – الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس، هي المقدسة. ولكن نسختهم من هذه الأسفار الخمسة بها اختلافات هامة عن النسخة العبرية. وأهم اختلاف هو أنهم يقولون إن جبل جرزيم وليس أورشليم هو المكان الصحيح لعبادة الله، بل هو مكتوب في الوصايا العشر التي لديهم.

ولتأييد دعاواهم الدينية، يرجعون إلى أقدس مقتنياتهم وهي مخطوطة قديمة بإمضاء كاتب اسمه أبيشا، ذكر أنه حفيد من أحفاد هارون أخي موسى، وأول رئيس لكهنة إسرائيل. وادَّعى أبيشا أنه كتب المخطوطة في باب الخيمة مركز العبادة في جبل جرزيم بعد ثلاثة عشر سنة من وصول إسرائيل إلى أرض كنعان، وكثيرون من العلماء يكذبون هذا الإدعاء لأن أسلوب الإمضاء يرجع إلى ١١٠٠ بعد الميلاد. والبعض من العلماء القلائل الذين سُمح لهم بفحص المخطوطة يقولون إنها مكونة من رقع مختلفة ملفقة من خطوط ترجع إلى قرون عديدة وبأيدي أناس مختلفين.

والكتاب المقدس السامري مبني على بعض أقدم الكتابات العبرية المعروفة ولكن يقول علماء كثيرون إن النسخة السامرية نُقحت للدفاع عن عقائد السامريين. أما السامريون فيقولون إن الكتاب المقدس اليهودي هو الذي تم تنقيحه.

وما زال بضع مئات من السامريين يعيشون في إسرائيل، وفي كل سنة يقدمون ذبائح عيد الفصح على جبل جرزيم، الذي يُطل على مدينة نابلس (شكيم القديمة).

من كتب سفر دانيآل؟

يقول بعض العلماء إن دانيآل لم يكتب السفر المسمى باسمه، ويقولون إن الإشارة إلى حاكم سوري في القرن الأخير قبل الميلاد يدل على أن السفر قد كتب بعد زمن دانيآل بكثير، (نحو ٥٠٠ ق.م.) بمعرفة شخص استخدم اسم دانيآل، وبذلك يأخذ السفر صفته التاريخية.

وكتب أخرى كتبت حوالى نفس الوقت لم تدرج في الكتاب المقدس اليهودي لأنها اعتبرت أحدث جداً. ولكن بعض العلماء يقولون إن دانيآل استطاع أن يتنبأ عن أشياء في المستقبل بعد عصره بعدة قرون وأنه كتب السفر بنفسه.

أَسْفَارٌ لَمْ تُدْرَجْ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

وَأَتَوا بِي إِلَى مَكَانِ الظُّلْمَةِ وَإِلَى جَبَلٍ تَصِلُ قِمَّتُهُ إِلَى السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ الأَمْكِنَةَ الَّتِي يُخَزَّنُ فِيهَا النُّورُ، وَمَخَازِنَ النُّجُومِ وَالرَّعْدِ. وَفِي أَعْمَقِ جُزْءٍ فِي الْمَكَانِ كَانَ هُنَاكَ قَوْسٌ مِنْ نَارٍ وَسِهَامٌ فِي كِنَانَاتِهَا، وَكُلُّ نَوْعٍ مِنَ الْبَرْقِ.

(أخنوخ الأول ١٨: ٢- ٣)

تسمية الأسفار الإضافية

في أوائل القرن الخامس، عندما كان جيروم يقوم بترجمته اللاتينية (الڤولجاتا) ضم إليها أسفار من السبعينية لم تكن في الأسفار العبرية القانونية، ولكن في مقدمات منفصلة، أشار إلى أن هذه الأسفار ليست قانونية، وكان هو أول من أطلق عليها «أبوكريفا». ولكن مقدمات جيروم حذفت بعد ذلك، وضمت الأسفار الأبوكريفية بالتدريج إلى في الكتاب المقدس الكاثوليكي. ويطلق عليها الكاثوليك الآن «الأسفار القانونية الثانوية» بمعنى أنها أضيفت إلى الأسفار القانونية.

"ثُمَّ رَفَعَنِي الرَّجُلاَنِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَهُنَاكَ رَأَيْتُ نُوراً بَاهِراً وَفِرَقاً نَارِيَّةً مِن رُؤَسَاءِ الْمَلاَئِكَةِ، وَقُوَّاتٍ بِلاَ أَجْسَادٍ وَسِيَادَاتٍ وَرِيَاسَاتٍ وَسَلاَطِينَ وَكَرُوبِيمَ وَسِيرَافِيمَ وَعُرُوشاً وَخَلاَئِقَ لَهَا عُيُونٌ كَثِيرَةٌ، تِسْعُ فِرَقٍ مِنْهُمْ. وَالرَّبُّ عَلَى بُعْدٍ مِنْهُمْ جَالِساً عَلَى عَرْشٍ مُرْتَفِعٍ"

(أخنوخ الثاني ٢٠: ١-٢)

لم تكن الأسفار في الكتاب المقدس العبري، هي وحدها النصوص اليهودية القديمة التي يقرأها اليهود بعامة ثم بعدهم المسيحيون، بل هناك العديد من الكتابات التي كانت موضع الإحترام الكبير، لم تُضم إلى أسفار الكتاب المقدس.. وأهم هذه الأسفار تقسَّم عادة إلى قسمين. القسم الأول يشمل الأسفار الموجودة في أول ترجمة يونانية للكتاب المقدس (وهي الترجمة السبعينية)، ولكنها لم تقبل في الأسفار القانونية. وأغلب هذه الكتابات موجودة في العهد القديم للكتاب المقدس عند الكاثوليك، ولكنها لا تعتبر من الأسفار القانونية عند البروتستانت الذين يسمونها «الأبوكريفا» (وهي كلمة يونانية تعني «المخبوءة»). والقسم الثاني يشتمل على أكثر من خمسين كتاباً أخرى من طبائع متنوعة.

الأبوكريفا

كتبت أسفار الأبوكريفا في أزمنة مختلفة فيما بين ٣٠٠ ق.م. إلى ٧٠ م. وتشتمل على قصص خيالية وتواريخ وكتب حكمة.

القصص الخيالية موجودة في سفر طوبيا ويهوديت. وسفر طوبيا قصة مغامرة لطيفة لها هدف أدبي، وسفر يهوديت قصة بطلة يهودية ساعدت شعبها على هزيمة الأشوريين بأن قطعت بيديها رأس قائدهم أليفانا.

وأما سفرا المكابيين الأول والثاني فيحكيان قصة بطولة العائلة الهاشمونية التي قضت على عائلة السلوقيين (السوريين) الحاكمة في القرن الثاني قبل الميلاد. وقد حكم المكابيون اليهود حكماً مستقلاً إلى أن جاء الرومان في ٦٣ ق.م. وقد أطلق عليهم اسم «المكابيين» من الكلمة اليونانية التي تعني «مطرقة» لأن أشرس محاربيهم، (يهوذا) قتل أعداءه مثل مطرقة.

وسفر سيراخ كُتِبَ بأسلوب أسفار الحكمة في العهد القديم، وهو يسجل تعليم يشوع بن سيراخ المعلم اليهودي الذي كان يعيش في مصر، وكتبه بالعبرية في نحو ١٨٠ ق.م. وهذا السفر يشبه بقوة سفر الأمثال،

سفر طوبيا

بعض الأسفار التي لم تدمج في الكتاب المقدس جيدة للقراءة. وأحد هذه الأسفار سفر طوبيا، وهو قصة مغامرة فلكولورية لها هدف أدبي في قصة رجل شيخ من نينوى يفقد ثروته لأنه تحدى أوامر الملك الأشوري ودفن جثة رجل يهودي ممن أعدمهم الملك. كما أن طوبيا فقد بصره عندما قام ووقع ذرق من عش طائر في عينيه وهو سخن فعمى. بعد أن يصلي طلباً للمعونة، يذهب ابنه طوبيا برفقة الملاك روفائيل متنكراً إلى ميديا حيث ينجح في تحصيل أموال كانت لطوبيا الأب وفي أثناء الرحلة يتقابل طوبيا مع سارة التي كانت متزوجة سبع مرات وفي كل مرة كان شيطان شرير يقتل أزواجها في ليلة الزواج.

وبمعونة الملاك يقتل طوبيا الشيطان ويتزوج سارة ويعود إلى بيته. وهناك يعيد لأبيه بصره. ويعيش جميعهم سعداء بعد ذلك. وطوبيا الذي خاطر بكل شيء ليدفن جاره بكرامة، يُرى في هذه القصة نموذجاً للرجل الكريم. فمن الواضح أن القصة تبين أن الخير لابد أن يُكَافأ. ولابد للشر أن يُجَازي.

ولكن ابن سيراخ يشتمل أيضاً على بعض تعاليم العهد القديم الأخرى الأقدم عهداً كما ضم قصائد طويلة للحكمة تعامل فيها بين حب الله وتتميم ناموسه. وحكمة سليمان التي كتبت في القرن الأخير قبل الميلاد (أي بعد زمن سليمان بنحو تسعة قرون). يجسد الحكمة كمخلص أسلاف إسرائيل، ويؤكد قدرة الله ورحمته. كما يتكلم عن عطية الله للخلود البار، وهو مفهوم كان نادراً في الفكر اليهودي بينما كان من أهم الأمور في العقائد المسيحية.

ولعل سفر باروخ كان أصلاً ثلاثة كتب منفصلة من

كتّاب مختلفين. فالجزء الأول يروي قصة كيف كتب باروخ كاتب النبي إرميا صلاة اعتراف لتقرأ في الهيكل في أورشليم. والجزء الثاني قصيدة لتوبيخ إسرائيل لتركهم ناموس الله، مما أدى بهم إلى السبي. والجزء الختامي قصيدة لتشجيع بني إسرائيل المسبيين في بابل. وهي رسالة يقال إن إرميا كتبها للإسرائيليين المسبيين في بابل، وأحياناً تُدمج في سفر باروخ وأحياناً تكتب منفصلة.

وتحتوي الأبوكريفا أيضاً على إضافات لسفري أستير ودانيآل. فإلى سفر دانيآل تضاف قصة سوسنة والشيخين، وكيف أن دانيآل بحكمته كشف زيف رمي سيدة بريئة بتهمة شنيعة، وقصص عن كيف ذبح دانيآل تنيناً (حية ضخمة كانوا يعبدونها) وفضح خدعة كهنة «بيل» (الإله الوثني).

والمادة المضافة لسفر أستير تشتمل على كثير من المؤامرات، وحلم وتفسيره صلوات. ومن العجيب أن السفر العبري لا يذكر اسم الله مطلقاً، أما في الإضافات فإن اسم الله والرب يذكر أكثر من خمسين مرة.

الكتابات الزائفة

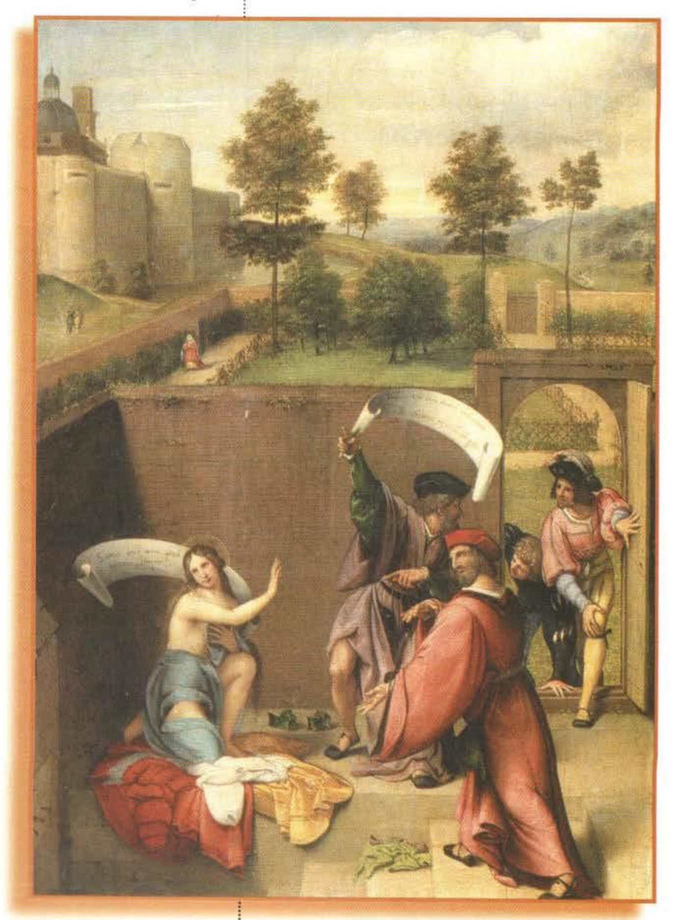
الأسفار الأخرى التي لم تدرج في الكتاب المقدس العبري كثيراً ما تذكر تحت عنوان «الكتابات الزائفة» وترجع بالتقريب إلى ما بين ٢٠٠ ق.م. إلى ٢٠٠م. وغالبيتها كتبت زيفاً تحت اسم أحد المشاهير مثل موسى وسليمان وإشعياء، أو كتبت تقليداً لأسفار كتابية أقدم عهداً.

وحوالي عشرين من هذه الأسفار تنتمي إلى الأدب الرؤي أي الذي يرتبط بالرؤى وأشهر هذه الأسفار الثلاثة الأسفار المنسوبة لأخنوخ التي تروي قصة الملائكة الساقطين باختصار على أساس ما جاء في (تك ٦: ١- ٤). وتتكلم عن الحياة الأبدية للأبرار. والصورة النموذجية لهذه الرؤى توضع عادة في زمن سابق لفترة من الفوضى أو الانقلابات، مثل سنوات السبي في بابل، وتروى منسوبة إلى شخصية بارزة من رجال الكتاب المقدس، مثل، آدم، إبراهيم أو إيليا، وهي بعامة تبين عن طريق الرؤى *أن الله على الدوام* ممسك بزمام الأحداث ويوجهها حسب خطته. وبعامة كتبت الرؤى في عهود الاضطهاد، بتطبيق أمثلة من الماضي لبيان أن الله سيرشد شعبه ويقودهم في وسط مشكلاتهم الراهنة، وأن الخير لابد أن ينتصر في النهاية.

وتشمل الكتابات الزائفة أيضاً امتدادات لقصص العهد القديم والأساطير المرتبطة بها، بما في ذلك قصة مينس ويمبريس، قصة السحرة المصريين الذين قاوموا موسى وهارون في بلاد فرعون، واستشهاد إشعياء وصعوده. كما توجد أسفار منسوبة لآباء الأسباط الاثني عشر التي فيها يعطي كل ابن من أبناء يعقوب نصيحة أدبية عند اقترابه من الموت. وأخيراً هناك أسفار من الحكمة والصلوات والترانيم وقطع مختلفة.

ومع أنها في الأصل يهودية إلا أن بعض الكتابات الزائفة تم توسيعها أو تنقيحها بمعرفة مسيحيين. وفي الواقع كل الكتابات الزائفة والأبوكريفا أيضاً لها أهميتها الآن للمسيحيين لأنها تبين مواقف ومعتقدات اليهود في زمن الرب يسوع، وتشمل على أفكار ذكرت في العهد الجديد.

صورة لسوسنة والشيخين بريشة لورنزو لوتر (نحو ١٤٨٠ - ١٥٥٦م.) وهي قصة يحاول فيها شيخان من اليهود أن يغريا سوسنة لممارسة الجنس معهما، وعندما ترفض، يثأران منها باتهامها علناً بالاضطجاع مع شاب. ويدافع دانيآل عنها ويكشف كذب الشيخين، فيلاقيان المصير الذي أنقذت منه سوسنة.



يُوسِيفُوسُ المُؤَرِّخُ اليَهُودِيُّ

صورة مأخوذة عن قوس تيطس في روما لموكب من الجنود الرومان حاملين المنارة الذهبية وبعض النفائس الأخرى التي نهبوها من الهيكل في أورشليم قبل تدميره وقد كان يوسيفوس شاهد عيان لسقوط أورشليم في ٧٠م. وسجل ذلك.

كتب هذا المؤرخ اليهودي في القرن الأول الميلادي مجلدات من التاريخ اليهودي تغطي الفترة ما بين العهدين القديم والجديد، ولو لم يسجلها يوسيفوس لكان من المحتمل أن تضيع من ذاكرة التاريخ، وبها إشارات عابرة عن الرب يسوع ويوحنا المعمدان ويعقوب أخي الرب. وقلما اقتبس منه الكتاب المدنيون في القرون الأولى بعده، وقد تجاهل اليهود كتاباته، في الغالب على أساس أنه خائن، ولكن الكتاب المسيحيين احتفظوا لنا بكتاباته لأنهم وجدوا فيها ما يؤيد العهد الجديد.

الجندي المعارض

يوسف بن متاتياس، ويتشهر باسمه الروماني فلافيوس يوسيفوس، وُلد في أسرة ميسورة لأب من الكهنة في أورشليم في ٣٧ م. أي بعد صلب المسيح بنحو سبع سنوات تقريباً. وتعلم تعليماً ممتازاً ودرس تعاليم العديد من الجماعات اليهودية قبل انضمامه إلى الفريسيين.

وفي سن السابعة والعشرين أُرسل إلى روما للتفاوض في موضوع إطلاق سراح كهنة من اليهود كانوا مسجونين هناك، وقد أدى مأموريته بمساعدة إحدى السيدات اليهودية المتعاطفات في قصر الإمبراطور نيرون.

وعندما عاد إلى الوطن، كانت المقاومة اليهودية ضد الاحتلال الروماني قد تحولت إلى ثورة. ومع أن يوسيفوس كان قد شاهد قوة روما وعارض الحرب فقد أوكلت إليه قيادة القوات اليهودية في الجليل وهو المكان الأول الذي كانت القوات الرومانية المتمركزة في سوريا ستهاجمه، وانهزمت قوات يوسيفوس ووقع هو في الأسر، ولكنه تنبأ أن القائد الروماني الجنرال ڤسباسيان الذي كان يعرف أنه أكثر جنود الإمبراطورية الرومانية إحتراماً، سيصبح الإمبراطور القادم. وعندما حدث ذلك، في أثناء هذه الحرب ذاتها، أطلق سراح يوسيفوس، فانضم يوسيفوس إلى حاشية ابن ڤسباسيان العسكرية الجنرال تيطس، كنجدة قوية ساعد على سحق روما للتمرد اليهودي في



ما كتبه يوسيفوس عن يوحنا المعمدان:

يؤكد يوسيفوس ما يقوله الكتاب المقدس عن أن هيرودس أغريباس أعدم يوحنا المعمدان. ويضيف المؤرخ أن بعض اليهود قالوا إن هزيمة جيش هيرودس التي حدثت ذلك في معركة ضد العرب، كانت عقاباً لما عمله في يوحنا الذي كان يدعى المعمدان، لأن هيرودس ذبحه، وكان رجلاً صالحاً وكان يوصي اليهود بممارسة الفضيلة، سواء بالبر نحو بعضهم البعض، والتقوى نحو الله. ثم يأتون للمعمودية.

٧٠م. وحدثت كارثة تدمير الهيكل اليهودي الفخم (ولم يُعد بناؤه مرة أخرى حتى الآن).

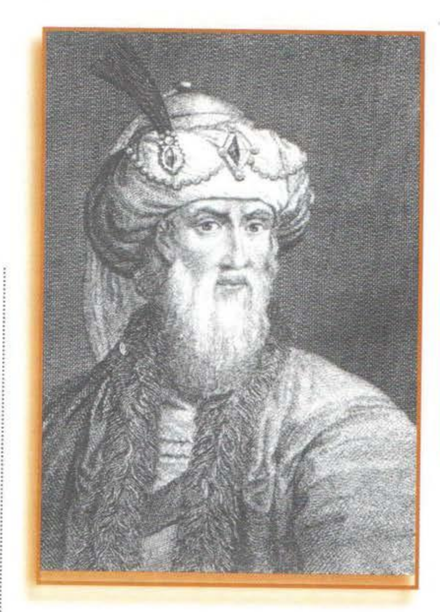
المؤرخ المدلل

اعترافاً بخدمته لروما، مُنح يوسيفوس الجنسية الرومانية وجناحاً في قصر ڤسباسيان ومعاشاً مدى الحياة. وقضى بقية حياته - نحو ٣٠ سنة - في كتابة التاريخ. وقد وصلنا من كتاباته:

- **الحرب اليهودية**: سبعة كتب عن الثورة اليهودية التي قضي عليها.
- **تواريخ اليهود**: عشرون كتاباً عن التاريخ اليهودي من الخليقة إلى القرن الأول الميلادي.
- **الحياة**: ملحق قصير للحرب اليهودية مع التركيز على دوره في الحرب.
- **ضد أبيون**: كتابان لدحض الافتراءات ضد اليهود التي أشاعها خطيب اسمه أبيون.

وقد حاول يوسيفوس في كتاباته أن يغطي الفجوة بين الرومان واليهود. وبخاصة حاول أن يعاون الرومان على فهم اليهود وتقديرهم، فمثلاً نسب الحرب اليهودية لجماعة من المتعصبين حاولوا أن يفسدوا موظفين رومانيين قد أدانهم الإمبراطور. على أية حال كانت هناك عوامل كثيرة لم يذكرها، مثل الرغبة القوية لاستقلال إسرائيل تحت قيادة ملك يهودي مثل داود.

رغم محاولات يوسيفوس لاقناع الرومان باحترام التقاليد اليهودية، فإن اليهود اعتبروه خائناً حقيراً ولم يرى وطنه مرة أخرى.



صورة ليوسيفوس من نقش على النحاس من ١٧٣٧

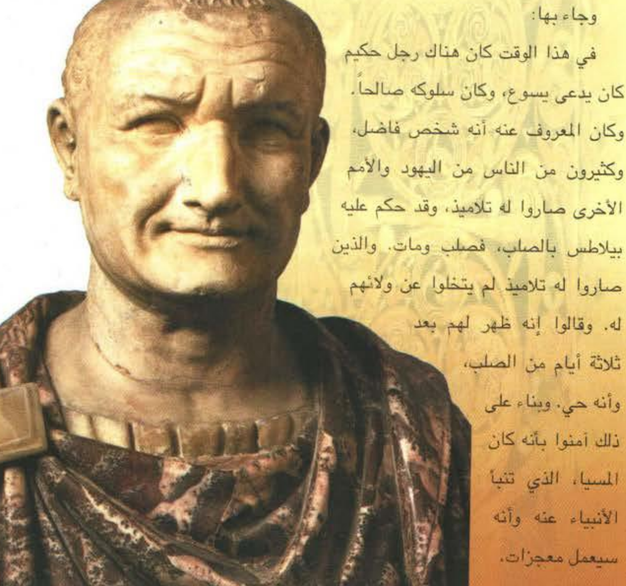
ما كتبه يوسيفوس عن الرب يسوع

هناك نسختان لما كتبه يوسيفوس عن الرب يسوع. بأكثرهما انتشاراً نسخة يرى كثيرون من العلماء أنها كتبت بعد ذلك بمعرفة مسيحيين لتأكيد آراءهم في الرب يسوع. وتتضمن أن يسوع كان أكثر من إنسان، وإنه كان المسيا الذي قام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام. وهناك نسخة مماثلة مكتوبة باللغة العربية في القرن العاشر.

وجاء بها:

في هذا الوقت كان هناك رجل حكيم كان يدعى يسوع، وكان سلوكه صالحاً. وكان المعروف عنه أنه شخص فاضل، وكثيرون من الناس من اليهود والأمم الأخرى صاروا له تلاميذ، وقد حكم عليه بيلاطس بالصلب، فصلب ومات. والذين صاروا له تلاميذ لم يتخلوا عن ولائهم له. وقالوا إنه ظهر لهم بعد ثلاثة أيام من الصلب، وأنه حي. وبناء على ذلك آمنوا بأنه كان المسيا، الذي تنبأ الأنبياء عنه وأنه سيعمل معجزات.

"لقد حفظت كتابات يوسيفوس بفضل اهتمام الكنيسة المسيحية"
لويس فيلدمان
(قاموس أنكور للكتاب المقدس)



تمثال نصفي لڤسباسيان من القرن الأول الميلادي

اَلْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بِلُغَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ

عندما رجع بنو إسرائيل من السبي في بابل لإعادة بناء الهيكل ومدينة أورشليم، كانوا قد فقدوا صلتهم بالكثير من تراثهم، بما في ذلك لغة الأسلاف، فعوضاً عن العبري كانت غالبية الإسرائيليين يتكلمون الأرامية فقط وهي لغة الإمبراطورية الفارسية، وظل كثيرون من اليهود يفعلون ذلك حتى زمن الرب يسوع. وعندما دعا عزرا الكاتب الشعب ليقرأ لهم سفر الشريعة، أدرك أن غالبيتهم لا يفهمون النص العبري، وعليه قرأ النص أولاً بالعبرية ثم قام شخص آخر بقراءة نفس النص بالآرامية والمشهد كله موصوف بوضوح في الأصحاح الثامن من سفر نحميا.

الكتاب المقدس للشعب

ولأن مشكلة اللغة استمرت، وبخاصة بين الشعب الذي استمر في بابل بعد السبي، أصبحت ترجمة الكتاب المقدس إلى الأرامية أمراً معتاداً. وفي وقت من الأوقات كانت الترجمات الأرامية تُعد لاستخدامها في أثناء الخدمة في المجمع، وحيث كان يقرأ رجل واحد من الكتاب المقدس، ويقوم شخص آخر بترجمة القراءة.. وأصبح يطلق على هذه النسخ الأرامية «الترجوم»، من الكلمة العبرية التي تعني ترجمة أو تفسيراً وفي أوائل العصر المسيحي، كانت هناك «ترجومات» لكل الكتاب المقدس العبري ما عدا أسفار عزرا ونحميا ودانيال.

ولعل هذه «الترجومات» حُفظت في البداية شفاها، وبعد ذلك سُجلت وفي الغالب نُقّحت، وكان الغرض الرئيسي من كل «الترجومات» هو توصيل رسالة النص الكتابي للشعب. كان بعضها ترجمات دقيقة للنصوص الكتابية، بينما اشتملت بعضها الآخر على قصص إضافية أو تعاليم يهودية، فمثلاً تقول آية من التوراة: «انصتي أيتها السموات فأتكلم ولتسمع الأرض أقوال فمي» (تث ٣٢: ١) فيترجم أحد «الترجومات» هذه الآية بتوسع كبير شارحاً بالتطويل لماذا كان موسى يتكلم، ويضيف إشارات إلى النبي إشعياء الذي جاء بعد ذلك بزمن طويل.

وأقدم «الترجومات» التي وصلتنا هي التي وجدت بين مخطوطات البحر الميت ومنها واحد يشتمل على أجزاء من سفر أيوب تختلف اختلافاً واضحاً عن النص المعتمد. ولم يقبل كل يهود العهود القديمة صحة هذه «الترجومات». وجاء في كتابات معلمي اليهود قصة عن كيف فحص المعلم العظيم غمالائيل الشيخ (معلم الرسول بولس) ترجوم لسفر أيوب، وفي الحال أمر أحد البنائين أن يخبئه بين الحجارة في الهيكل.

تفسير الترجوم

في الرسالة إلى أفسس في العهد الجديد يترجم الكاتب ما جاء في (مز ٦٨: ١٨)، «إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا» ثم يفسر ذلك بالقول «وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى؟ الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف ٤: ٨- ١٠) ومع أن هذا ليس تفسيرياً لغالبية القراء، فإنه موجود في ترجوم من «الترجومات» مما يدل على أن «الترجوم» قد أثر في الكاتب في العهد الجديد.

"اجْتَمَعَ كُلُّ الشَّعْبِ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِلَى السَّاحَةِ الَّتِي أَمَامَ بَابِ الْمَاءِ وَقَالُوا لِعَزْرَا الْكَاتِبِ أَنْ يَأْتِيَ بِسِفْرِ شَرِيعَةِ مُوسَى الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ. فَأَتَى عَزْرَا الْكَاتِبُ بِالشَّرِيعَةِ أَمَامَ الْجَمَاعَةِ وَوَقَفَ عَزْرَا الْكَاتِبُ عَلَى مِنْبَرِ الْخَشَبِ الَّذِي عَمِلُوهُ لِهَذَا الأَمْرِ وَفَتَحَ عَزْرَا السِّفْرَ أَمَامَ كُلِّ الشَّعْبِ لأَنَّهُ كَانَ فَوْقَ كُلِّ الشَّعْبِ. وَعِنْدَمَا فَتَحَهُ وَقَفَ كُلُّ الشَّعْبِ. وَقَرَأُوا فِي السِّفْرِ فِي شَرِيعَةِ اللهِ بِبَيَانٍ وَفَسَّرُوا الْمَعْنَى وَأَفْهَمُوهُمُ الْقِرَاءَةَ."

(نح ٨: ١، ٢، ٤، ٥، ٨)

ماذا قرأ الرب يسوع؟

يصف (لو ٤: ١٦- ٢٠) وصفاً نابضاً بالحياة اشتراك الرب يسوع في خدمة في مجمع الناصرة. فعندما ذهب الرب يسوع إلى المجمع طلب منه أحد المسئولين أن يقرأ من سفر إشعياء مقدماً له المخطوطة المناسبة فلم يكتف الرب يسوع بالقراءة بل علق عليها. ولما كانت العادة أن يقرأ (ترجوم) في الخدمة، فلابد أن الرب يسوع الذي كان يكلم الأرامية، وفعل ذلك ولوقا لا يذكر (ترجوم) ولكنه أيضاً لا يذكر قراءة من التوراة، التي كانت جزءاً من الخدمة، ولعل لوقا تخطّى موضوع (الترجوم) للتركيز على نقطته الأساسية، وهي تعليق الرب يسوع على إشعياء.

ولكن سواء كان الرب يسوع قد استخدم «الترجوم» أو لم يستخدمه، فقد كانت «الترجومات» مكتوبة باللغة التي يتكلمها عادة، ودراستها هامة لنا. فإذ نبدأ بالترجومات»، فإننا نأخذ فكرة عن التفسيرات اليهودية المبكرة للنصوص و«الترجومات» التي التزمت الدقة بالنسبة للنصوص الكتابية تساعدنا على التأكد من المعنى الصحيح للأقوال في العهد القديم التي تصعب قراءتها لأن النصوص العبرية في العهد القديم قد تشوهت من الدموع أو من بقع الحبر.

وهناك إيماءات تدل على أن كُتَّاب العهد الجديد استخدموا «الترجومات». فمثلاً صور الله الخالق كالكلمة وكالنور موجودة في مقدمة إنجيل يوحنا وفي أحد «الترجومات». وعلاوة على ذلك، إن الدراسة الدقيقة «للترجومات» تساعدنا على اجتياز الفجوة بين العهدين القديم والجديد، حيث أنها تكشف لنا كيف فهم المفسرون اليهود الذين من عصر الرب يسوع الكتاب المقدس العبري.



صور لكاتب محترف يسجل الكتاب المقدس على رقوق بخط يده.

إلى اليمين: صورة لصفحات من نسخة البشيطة لأعمال الرسل وترجع هذه المخطوطة إلى نحو ١٢١٦م.

البشيطة: الكتاب المقدس بلغة جديدة

في السنوات السابقة مباشرة لمولد الرب يسوع، انتشرت لغة جديدة هي السريانية التي تمت بصلة للآرامية فيما حول إدسا (عرفه الحديثة في جنوبي شرق تركيا) في القرنين الأول والثاني. وترجم الكتاب المقدس العبري إلى السريانية، وسمي فيما بعد «البشيطة» (البسيطة أو النقية) تمييزاً لها عن الترجمات السريانية اللاحقة التي أخذت عن الترجمة السبعينية اليونانية. وقد كتبت أسفار البشيطة بكتَّاب مختلفين في أماكن مختلفة، ولكن الأرجح أنها جميعها كانت قد اكتملت في نهاية القرن الأول أو بعد ذلك بقليل. وتدل بعض أسفار البشيطة، وبخاصة أسفار التوراة (الأسفار الأولى الخمسة) على أثر «الترجومات» الآرامية، ففي حالة سفر الأمثال. يبدو أن البشيطة وليس النص العبري كانت مصدر ترجمة الترجوم. والنسخ القديمة المختلفة من البشيطة ظلت ثابتة مما جعل النص هاماً في المساعدة على فهم القراءات العبرية الغامضة. وقد أضيفت ترجمات العهد الجديد إلى البشيطة في القرن الثاني. الآن البشيطة هي الكتاب المقدس الرسمي للسريان الأرثوذكس والمارونيين وللكنيسة الشرقية.

٢- صِيَاغَةُ الْعَهْدِ الْجَدِيْدِ

وُلِدَ يسوع الناصري في حوالي عام ٦ ق.م. ، نحو ثلاثين سنة انشغل بخدمة التعليم والشفاء، ثم أُلقِيَ القبض عليه وصُلِبَ كمُجْرِمٍ. ولكن بعد ثلاثة أيام قام يسوع من بين الأموات، وتَحقَّقَ تلاميذه من أنه كان المسيا الذي وعد به الأنبياء. وفي البداية لم يَكتُب أحدٌ شيئاً عن يسوع، ولكن بعد ذلك عندما بدأ ظهور كنيسة جديدة، بدأ أتباع يسوع في كتابة رسائل وقصص عن خدمة يسوع.

وكانت بعض هذه الكتابات تُقرَأُ مع الأسفار المقدسة العبرية في أثناء العبادة المسيحية. وفي القرون التالية، بدأ جمع عَدَدٍ من هذه الكتابات وكَوَّنَت العهد الجديد استكمالاً للأسفار العبرية التي اعتبرها المسيحيون منذ ذلك الوقت العهد القديم.





يسوع مع كتبة العهد الجديد لوقا وبولس والرسولين بطرس وأندراوس في صورة بالفسيفساء البيزنطية في قبة كنيسة القديس باولو فوري لموري - بروما - من عمل الفنانين البنادقة في نحو ١٢٢٠م.

نَشْرُ الأَخْبَارِ الطَّيِّبَةِ

عندما صُلب الرب يسوع، يئس تلاميذه. ويخبرنا إنجيل لوقا أن اثنين منهم تركا أورشليم يوم الأحد بعد الصلب متجهين إلى قرية عمواس القريبة وهما يتحدثان معاً عما حدث (لو ٢٤: ١٤) وفي الطريق قابلا الرب يسوع المقام، ولم يعرفاه.

وعندما سألهما الرب يسوع عما يتحدثان، ذكر أحدهما وهو كليوباس كيف أنه قد حكم على يسوع بالصلب مما قضى على آمالهما في أنه هو الذي سيحرر إسرائيل، وأضاف كليوباس أن بعض النسوة قد وجدن قبر يسوع فارغاً في ذلك الصباح وقال لهن الملائكة إن يسوع قد قام من بين الأموات، ولكن لم يكن ثمة مما يجعلهما يؤمنان بذلك. فوبخ يسوع التلميذين لعدم إيمانهما. وعندما عرفاه، زالت شكوكهما وأسرعا بالعودة إلى أورشليم ليخبرا بما حدث لهما للتلاميذ الآخرين.

وهذه الحادثة تصور لنا كيف تناقل التلاميذ القصص عن الرب يسوع في السنين الأولى للمسيحية. فالرجال والنساء، ممن عرفوا الرب يسوع وقد آمنوا بقيامة الرب يسوع وفرحوا بالمسيح المقام وأخذوا يخبرون بل وينادون بما شاهدوه للآخرين أينما يذهبون، وهكذا انتشرت الأخبار الطيبة عن الرب يسوع شفاهاً.

صورة لبطرس وهو يكرز بريشة ماسولينو بانيكال (١٣٨٣ – ١٤٤٧م.)

تقليد مسيحي شفهي

لعل المناداة الأولى بالرب يسوع كانت بسيطة ومركزة، لقد مات المسيح وقام من بين الأموات. والكرازة المفصلة، مثل موعظة بطرس الأولى (أع ٢: ١٤– ٣٦) أوضحت أن يسوع رب ومسيح وأن موته وقيامته سبق أن أنبأ بهما الأنبياء. وبعد ذلك شملت الكرازة أن الرب يسوع قد مات لمغفرة خطايانا وأنه سيأتي ثانية في مجده ليدين الأحياء والأموات. وهذه الإعلانات الأساسية صيغت بعد ذلك في عقائد موجزة شكلت قوانين الإيمان لتعليم المؤمنين الجدد والأرجح أنها كانت تُقال عند المعمودية، وربما كانت تستخدم أيضاً في العبادة.

ولابد أن الناس بعد سماع العقائد الأساسية، كانوا يريدون أن يسمعوا تفاصيل حياة يسوع، من كان هو؟ وماذا فعل؟ وماذا قال؟ ولعل الجموع حشدت حول تلاميذ الرب يسوع هنا وهناك وسمعوهم يقصون الذكريات الشخصية عن الرب يسوع. وفي هذه الاجتماعات لابد أن المسيحيين الأوائل كانوا أشبه بالعبرانيين في أيام الآباء، الذين كانوا يجتمعون حول رواة القصص ليسمعوا عن الخليقة والطوفان. وبعد زمن وجيز، ولأجل المسيحيين الجدد، ظهرت قصص أكمل عن محاكمة

الرب يسوع وموته وقيامته، وأضيفت إليها معجزاته في الشفاء التي لابد جذبت الناس الذين كان لديهم أمل الشفاء من أمراضهم، وبالطبع لابد أن تكررت إذاعة أقوال الرب يسوع.

لا حاجة للكتابة

لم يكتب شيء عن الرب يسوع في العقدين التاليين لزمن وجوده على الأرض، والأرجح أنه كان هناك عدة أسباب لذلك. أول كل شيء هو أن الرب يسوع لم يترك شيئاً مكتوباً كما أنه لم يوصِ أحداً من تلاميذه ليكتب عنه كما أن أتباعه الأولين لم يعتبروا أنفسهم أتباع ديانة جديدة في حاجة إلى كتب مقدسة خاصة بها، فقد كانت غالبيتهم يهوداً طيبين يؤمنون بالأسفار العبرية وأن الرب يسوع كان إتماماً لهذه الأسفار، فهو المسيا الذي وعد به الأنبياء. وعندما آمن الأمم (غير اليهود) بالمسيح، اعتبروا اليهودية هي ديانتهم.

ولعل السبب الأكبر في عدم الكتابة، كان سبباً عملياً. فالمسيحيون الأوائل آمنوا أن الرب يسوع سيأتي ثانية في المستقبل القريب، وعليه لم يروا سبباً يدعوهم لتسجيل أي شيء، إذ يمكنهم حفظ التعليم عن الرب يسوع حيًّا بالكلام، أي مشافهة في أثناء الفترة القصيرة قبل أن يعود بالمجد لكي يدين الأحياء والأموات ويستكمل ملكوته.

تحديد الشكل

عندما بدأت القصص عن الرب يسوع تتكرر روايتها، كانت كثيراً ما يُعاد بناؤها لتكون ملائمة لنماذج معينة. فمثلاً القصص التي تتضمن معجزات شفاء، سارت على النمط المستخدم في العهد القديم: فأولاً يوصف نوع الألم ثم يتقابل المصاب مع صانع المعجزة ويطلب منه الشفاء. وثالثاً، يتم الشفاء بكلمة أو بلمسة. رابعاً يحدث البرهان على الشفاء. وخامساً يندهش المشاهدون. فشفاء الأبرص المذكور قصته في (مر ١: ٤٠- ٤٥) تبين هذا الترتيب.

بل أنه حتى كثيراً ما كانت بعض القصص من حياة الرب يسوع تعاد صياغتها لتلائم هذا التركيب حتى وإن كان الأمر يستلزم اختيار الحقائق بدقة، ويعاد ترتيبها أو حبكها لتلائم النموذج. ولم يكن هذا تحريفاً للحق، إذ لم يكن قصد الراوي أن يعطي وصفاً مفصلاً عن أعمال الرب يسوع، بل بالحري ليبرز القوة التي كانت للرب يسوع على الحياة والموت، والصحة والمرض. ويجعل القصة عن الرب يسوع في صيغة مفهومة، فإن الرسالة الأساسية من القصة تتضح لمن يستمعون للأخبار الطيبة.

الرسول فيلبس نشر الأخبار الطيبة في السامرة، بل أنه حتى قام بتبشير الخصي الحبشي الذي يُرى في الصورة يعمده - بريشة كلود لورين (١٦٠٠ - ١٦٨٢م). صورة القديس فيلبس يعمد الخصي.

تصنيف تعليم الرب يسوع

في السنوات الأولى للمسيحية، ربما كانت قصص الرب يسوع لا يرويها إلاَّ الرجال والنساء ممن عرفوه شخصياً، ورووها من وجهة نظرهم. ولما انتشر الإيمان بالمسيح، احتاج الأمر لآخرين لحمل أخبار الرب يسوع إلى أماكن بعيدة.

ولتنظيم التعاليم عن الرب يسوع، كثيراً ما جمع هذا الجيل الثاني من المعلمين المسيحيين هذا التعاليم في أقسام مرتبة، فمثلاً، حفظوا أقوال الرب يسوع منفصلة عن قصص معجزاته بل أن الأقوال تم تصنيفها حسب موضوعها فالأقوال عن الناموس وضعت وحدها منفصلة عن الأقوال النبوية، وكثيراً ما وضعت الأمثال في مجموعات ثلاثية كانت أحياناً تشترك في موضوع أو صورة مثل بذر البذور. والقصص التي تتصل بأعمال الرب يسوع صُنِّفت بهذه الصورة فكانت هناك قصص عن معموديته أو آلامه وموته، وقصص عن معجزاته، التي قسمت إلى معجزات في الطبيعة (مثل تهدئة العاصفة) ومعجزات الشفاء.

«فَانْحَدَرَ فِيلُبُّسُ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ السَّامِرَةِ وَكَانَ يَكْرِزُ لَهُمْ بِالْمَسِيحِ»
(أع ٨: ٥)

رَسَائِلُ بُولُسَ الرَّسُولِ

"لأَنَّ هَذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ" (أع ٩: ١٥)

خطة الله للأمم

أعطى إشعياء هذه الرسالة من الله لليهود: «قد جعلتك نوراً للأمم، لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض» (إش ٤٩: ٦)

صورة لبولس يكرز في أثينا بريشة أدولف سبانجنبرج ڤون ستاف (١٨٢٨- ١٨٩١م.) كان بولس يمكث عادة أياماً قليلة أو أسابيع قليلة في إحدى المدن، وهي مدة تكفي لتعليم المبادىء الأساسية للمسيحية وكان يعطي التعاليم الأخرى عن طريق الرسائل.

عندما كان بولس في نحو الثلاثين من العمر، كان حاد الطبع وفريسياً، والفريسيين هم أحد الفروع المتعصبة للديانة اليهودية قديماً. والأرجح أنه لم يكن يود أن يعطي الأمم أكثر من صدمة خروجه المفاجيء إليهم.

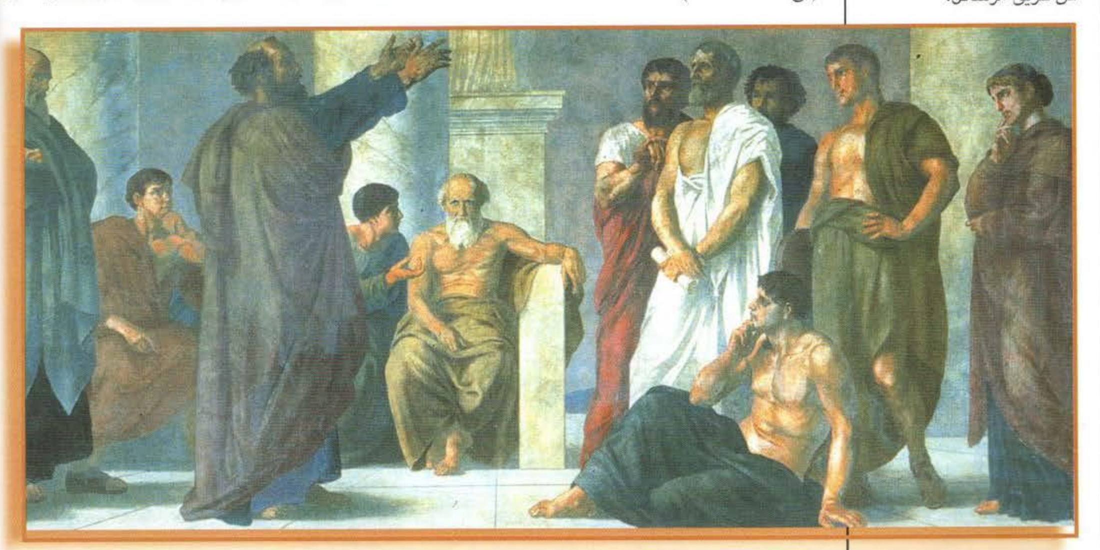
فقد تجنب كثيرون من اليهود مثل بولس وفريسيين كثيرين غيره، أي اتصال بغير اليهود. بل لقد علَّم البعض بأن مجرد لمس أممي يجعل اليهودي غير مهيأ لعبادة الله إلا بعد القيام بطقوس التطهير.. فكانت الفجوة بين اليهود والأمم من الوضوح حتى إن تاسيتوس المؤرخ الروماني من عصر الرسول بولس قال إن اليهود ينظرون إلى سائر البشر غيرهم، نظرة الأعداء المكروهين.

وقد تعلَّم بولس أن يحب هؤلاء الأعداء. وقد حدثت اللحظة الفاصلة في رؤيا وهو في الطريق إلى دمشق للقبض على اليهود الذين انضموا إلى الحركة المسيحية التي كان يعتقد أنها هرطقة خطيرة. وفجأة في حوالي الظهيرة، أبرق حوله نور أقوى من نور الشمس، ورن في أذنيه صوت: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده». ثم عيَّن الرب يسوع بولس كارزاً للأمم، «لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور... حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين» (أع ٢٦: ١٥- ١٨).

من العظات إلى الرسائل

في البداية كانت خدمة بولس محصورة في الأحاديث العامة، فالأرجح أنه كان يروي قصة رؤياه، وما تعلمه عن الرب يسوع من الرسل، وكيف أن الرب يسوع قد تحققت فيه نبوات العهد القديم عن المسيا الذي وعد الله بإرساله. وقد اشترك بولس مع برنابا في القيام بالواجبات الرعوية في جماعة مختلطة من يهود وأمم في أنطاكية في سوريا. ومن الواضح أن الكنيسة هناك بدأت بمسيحيين متجولين جاءوا بأخبار الرب يسوع، ثم قررت هذه الكنيسة أن تذيع هذه الأخبار لآخرين، وبإرشاد الروح القدس، أرسلت كنيسة أنطاكيا بولس وبرنابا للكرازة بالانجيل، وبهذا بدأت رحلات الرسول بولس الثلاثة الأولى المعروفة والتي في خلالها قطع نحو ١٠٠٠٠ ميلاً في الشرق الأوسط وجنوبي أوربا.

وفي رحلته الثانية، أدرك بولس أنه يواجه مشكلة خطيرة. لقد كان في الغالب يمكث في المدن التي يزورها بضعة أيام أو أسابيع، وكانت تلك المرة تكفي لتعليم المبادىء الأساسية للديانة المسيحية. ولكنها لم تكن تكفي لانتاج مؤمنين ناضجين. وبعد أن كان بولس يترك المدينة، كانت تثور منازعات، أو يصل كارزون متجولون ويقدمون



تعاليم منحرفة وبذلك يربكون الكنائس ويقسمونها، فكانت ترسل الكنائس أحياناً رسائل بها أسئلة للرسول بولس.

وبدلاً من أن يعود عاجلاً إلى الكنيسة التي كانت تبعد عنه أحياناً مئات الأميال، كان يُمسك بقلمه ويكتب رسائل. ونحو نصف أسفار العهد الجديد رسائل من الرسول بولس، ولأنها وصلت إلينا كما هي، فلدينا صورة حية لمدى التقدم في منظومة عقيدته وأيضاً صورة واضحة لكنيسة الأمم الناشئة.

والأرجح أن رسائل الرسول بولس هي أقدم أسفار العهد الجديد، فقد كتبت قبل أن تكتب الأناجيل التي تروي قصة حياة الرب يسوع. ويقول كثيرون من العلماء إن رسالة الرسول بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي هي أقدم رسائله. فبعد أن ترك الرسول بولس تسالونيكي في رحلته التبشرية الثانية في نحو ٥٠م. من الواضح أن المؤمنين هناك ارسلوا إليه رسالة، فقد ارتبكت أفكارهم عن مجيء الرب يسوع ثانية، وقد اضطربوا لما يمكن أن يحدث للمؤمنين الذين رقدوا قبل أن يرجع الرب يسوع. هل سيخلصون أم سيهلكون. فأكد الرسول بولس المؤمنين أنه عندما يأتي الرب يسوع ثانية: «الأموات في المسيح سيقومون أولاً» (١تس ٤: ١٦)

تيخيكس حامل رسائل الرسول بولس

عندما كان يريد الرسول بولس أو أي شخص آخر خارج الحكومة الرومانية، أن يرسل رسالة، كان يلزمه أن يجد من يحمل رسالته، فقد كانت مصلحة البريد في الإمبراطورية الرومانية مخصصة للأعمال الرسمية فقط. فكان الرسول بولس كثيراً ما يستخدم رفقاءه الذين يعملون معه، وكان تيخيكس أحد هؤلاء.

كان تيخيكس مواطناً من أفسس، وكان يرافق الرسول بولس في رحلته التبشيرية الثالثة، وقد قام بتسليم رسالتين على الأقل من رسائل الرسول بولس، وهما رسالتا أفسس وكولوسي.

وفي رسالته للمؤمنين في كولوسي، يشرح الرسول بولس لماذا اختار تيخيكس ليحمل رسالته إليهم:

«جميع أحوالي سيُعرِّفكم بها تيخيكس الأخ الحبيب، والخادم الأمين، والعبد معنا في الرب الذي أرسلته إليكم لهذا عينه ليَعرِف أحوالكم ويُعزِّي قلوبكم» (كو ٤: ٧، ٨) وتوجد مثل هذه الملحوظة في رسالة الرسول بولس إلى أهل أفسس (أف ٦: ٢١- ٢٢).

ما هي الرسائل التي كتبها الرسول بولس؟

هناك ثلاثة عشرة رسالة منسوبة للرسول بولس، ورسالة هي الرابعة عشرة، (وهي الرسالة إلى العبرانيين) كثيراً ما تنسب له رغم أنه لا يذكر بالتحديد أنه كاتبها، وبعض العلماء المسيحيين الأوائل شكوا في كتابته لها، في القرن الثاني الميلادي اقتبس أحد العلماء المدعو ترتليان من الرسالة إلى العبرانيين وقال إن كاتبها هو برنابا.

وفي الواقع إن الرسائل التي كتبها الرسول بولس موضوع جدل مستمر. ومع أن اسم بولس على ثلاثة عشرة رسالة، فإنه كان من المألوف في العصور القديمة أن يكتب التلاميذ باسم معلمهم وروحه، كوسيلة لتكريمه، وتطبيق تعاليمهم على المواقف المستجدة. وهذا ما يقوله كثيرون من المعلمين في العصر الحديث، إنه قد حدث مثلاً مع الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، الرسالة إلى تيطس، اللتين تختلفان عن رسائل الرسول بولس الأخرى من عدة وجوه، بما فيها أسلوب الكتابة.

وبعد نحو قرن من موت الرسول بولس، جمعت رسائله في أسفار منفصلة، ثم نشرت في كل الكنائس، وأقدم النسخ المعروفة تشمل عادة عشرة أو إحدى عشرة رسالة، تتضمن أحياناً العبرانيين، وأحياناً تستبعد الرسالتين إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس. ورسائل الرسول بولس كانت ترتب عامة حسب طولها، من الأطول إلى الأقصر: رومية، العبرانيين، كورنثوس الأولى والثانية، أفسس، غلاطية، فيلبي، كولوسي، تسالونيكي الأولى والثانية وفليمون.

وبمضي الوقت، تغير ترتيب غلاطية وأفسس فحلت إحداهما محل الأخرى في الترتيب، واضيفت رسائل تيموثاوس وتيطس ووضعت قبل الرسالة الأقصر إلى فليمون. ونقلت الرسالة إلى العبرانيين إلى الآخر لأنه لم يذكر بها اسم الكاتب.



بولس يكتب إلى كنائس الأمم في المدن المبينة على الخريطة وكذلك لكنائس يهود الشتات في كل ولاية غلاطية في ما يُعرف الآن بتركيا.

«كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضاً بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ، كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضاً، مُتَكَلِّماً فِيهَا عَنْ هذِهِ الأُمُورِ»
(٢بط ٣: ١٥، ١٦)

أمم وبرابرة

كلمة «أمم» تعني «شعوباً» واستخدمها اليهود لتدل على غير اليهود، كما استخدم اليونانيون كلمة «برابرة» للدلالة على غير اليونانيين.

لماذا كَفَّ الرسول بولس عن الكرازة لليهود

عندما رفض اليهود في إحدى المدن رسالة الرسول بولس، قال لهم: «كان يجب أن يُكَلَّموا أنتم أولاً بكلمة الله، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية، هوذا نتوجه إلى الأمم» (أع ١٣: ٤٦).

كِتَابَةُ الرَّسَائِلِ فِي الْقَرْنِ الأَوَّلِ

"لِئَلاَّ أَظْهَرَ كَأَنِّي أُخِيفُكُمْ بِالرَّسَائِلِ"
(٢كو ١٠: ٩)

إذ حذفنا الرسائل من العهد القديم، فإننا لا نستبعد الكثير، فلا توجد في أسفار العهد القديم رسائل، ولو أن هناك إشارات إلى بعض الرسائل مثل الرسائل التي بعث بها الملوك (استير ١: ٢٢) ولكن إذا حذفنا الرسائل من العهد الجديد، فإننا نفقد ٢١ سفراً من السبعة والعشرين سفراً فيه أي نفقده كله باستثناء أناجيل متي ومرقس ولوقا ويوحنا وأعمال الرسل والرؤيا.



لوحة جصية رومانية قديمة لشابة تمسك بازميل وكتاب. ولم يكن هناك نظام بريدي إلا للوثائق الرومانية الرسمية. أما الناس العاديون من الرومان الذين كانوا يريدون إرسال رسائل للأصدقاء أو الأقرباء فكان عليهم الاعتماد على القوافل أو غيرها من المسافرين لنقل رسائلهم.

وفي عصر الرسول بولس، استخدم الفلاسفة والقادة الدينيون وغيرهم من المفكرين الخطابات وسيلة لنشر تعاليمهم إلى أوسع مدى. وهذه الخطابات التعليمية أصبحت تعرف «بالرسائل».

وقد اعتمد الرسول بولس الذي كتب أغلب رسائل العهد الجديد، على مثل هذه الرسائل لاستكمال خدمته، فحيث أنه ارتحل كثيراً في كل الامبراطورية الرومانية، ساعدته الرسائل على تأدية الخدمة في أكثر من مكان واحد في وقت واحد، فبينما كان يكرز في إحدى المدن،

ألفاظ يونانية في الكتاب المقدس

الكلمات اليونانية في الكتاب المقدس كما في اللغة الإنجليزية فإن اللغة اليونانية بها حروف كبيرة وحروف صغيرة. وقد استخدمت المخطوطات الكتابية المبكرة الحروف الكبيرة في غالبية المرات، مثل الأمثلة التالية:

الكلمة اليونانية	النطق	الترجمة العربية
ΘΕΟΣ	ثيوس	الله
ἸΗΣΟΥΣ	إسوس	يسوع
ΧΡΙΣΤΟΣ	خريستوس	المسيح
ΑΓΑΠΗ	أجابي	محبة

كتب لكنائس بعيدة ولرعاة في أماكن عديدة، وكان يقصد أن تُقرأ رسائله بصوت مسموع في أثناء خدمات العبادة، وأحياناً كانت تتداولها كنائس أخرى. فقد طلب من الكنيسة. في كولوسي أن تقرأ رسالته إليهم في كنيسة اللاودكيين (كو ٤: ١٦).

وكان الرسول بولس عادة يُملي رسائله على كاتب، وأحياناً يضيف جملة أو جملتين في نهاية الرسالة بخط يده. ومع أن الرومان كانت لديهم خدمة بريدية، لكنها كانت لاستخدام الدولة الرسمية. أما المواطنون فكانوا يعتمدون على القوافل أو المسافرين أو الرفقاء، كما كان الأمر مع الرسول بولس أن الذين كانوا، كثيراً ما يمكثون فترة بعد توصيل الرسالة لمساعدة الكنيسة على تنفيذ وصية الرسول بولس.

كيف تكتب رسالة

عندما نكتب رسالة الآن، نتبع عادة نموذجاً معيناً يشتمل على التاريخ مع أسلوب شائع من التحيات ثم الختام. وكان الكتبة في أيام الرسول بولس يتبعون نفس هذا الأسلوب غالباً، وقد سار الرسول بولس على نهجه ولو أنه شعر بحرية تحويره.

الافتتاحية

معظم الرسائل المكتوبة بالأسلوب اليوناني كانت تبدأ بالتعريف بالكاتب والمرسل إليه، ثم بعد ذلك بكلمة تحية.

لغات عصر الرسول بولس

كانت تستخدم في عصر العهد الجديد أربعة لغات هي العبرية الآرامية واللاتينية واليونانية.

ففي عصر الرسول بولس، كانت غالبية اليهود لا تتحدث بالعبرية كثيراً، لأن هذه اللغة لم تكن تستخدم إلا نادراً بعد زمن سبيهم الطويل في بابل في القرن الخامس من قبل الميلاد. ولكن بعض العلماء اليهود كانوا ما زالوا يفضلون العبرية، وكذلك كان بعض الكهنة والربيين (علماء اليهود) الذين كانوا يؤدون خدمة العبادة بالعبرية، ويقرأون الأسفار المقدسة باللغة اليهودية (وبخاصة في أورشليم مركز التقليديين من اليهود).

وقد اتخذ اليهود الآرامية لغة في أثناء سبيهم في منطقة بلاد فارس، وكان معظم اليهود في فلسطين يتكلمونها باعتبارها اللغة الشائعة. والأرجح أنها كانت اللغة التي تكلم بها الرب يسوع.

وكان الرومانيون يتكلمون اللاتينية في بلادهم وبين أنفسهم، كما كانوا يستخدمونها في إعلاناتهم وفي نقوشهم. ولكن خارج بلادهم كانوا يستخدمون اللغة الشائعة وهي اليونانية.

فكل شخص تقريباً في الإمبراطورية الرومانية كان يعرف اللغة اليونانية، وهي اللغة التي كتب بها العهد الجديد، فقد برزت اللغة اليونانية وأصبحت اللغة السائدة بعد أن اكتسح الإسكندر الأكبر وجيوشه معظم عالم البحر المتوسط في القرن الثالث قبل الميلاد.

وكان انتشار اللغة اليونانية هذا الانتشار الواسع هو أحد الأسباب التي لأجلها اختار كتبة العهد الجديد تلك اللغة، فقد ضمنوا بذلك أن يقرأها أكبر عدد من الناس. وسبب آخر هو أنه في العصر الذي بدأ فيه المسيحيون كتابة العهد الجديد، كانت نسخة العهد القديم التي نشأوا على محبتها هي الترجمة السبعينية.

ومع أن كتبة العهد الجديد استخدموا اليونانية بصورة تكاد تكون بلا استثناء، فإن هناك الكثير من الأدلة على أن اللغات الأربعة كانت ما زالت تستخدم، إذ تظهر في كلمات وعبارات وغيرها من الإشارات. وأشهر هذه الأدلة هو ما كتبه بيلاطس وعلقه على الصليب: «يسوع الناصري ملك اليهود» فكانت مكتوبة بالعبرية واللاتينية واليونانية (يو ١٩: ١٩، ٢٠).

وقد استخدم الرسول يعقوب هذا الأسلوب (يع ١: ١)، لكن الرسول بولس أضاف شيئاً، فبدلاً من التحيات، استهل الرسالة بالبركة: «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح» (رو ١: ٧).

المقدمة

في الرسائل الرومانية الشخصية، كان الكتبة يبدأون في أحيان كثيرة بتقديم الشكر وبخاصة للآلهة. والرسول بولس – من الناحية الأخرى – كثيراً ما بدأ بتقديم الشكر لله وبمدح المرسل إليهم. «أشكر إلهي في كل حين من جهتكم» (١كو ١: ٤). ثم بعد ذلك يضيف صلوات قصيرة من أجل المرسل إليهم: «لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي، كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته» (أف ١: ١٦، ١٧).

متن الرسالة

كثيراً ما كانت تبدأ الرسالة في اليونانية، بعبارة موجزة عن الغرض منها. وقد سار الرسول بولس على هذا النهج في رسالته إلى أهل كورنثوس، عندما طلب منهم أن لا يكون بينهم انشقاقات (١كو ١: ١٠).

وكان الرسول بولس يقصد أن تحمل رسالته المكتوبة من القوة والسلطة كما لو كان يأمرهم شخصياً. وفي الواقع إن بعض النقاد اتهموه بأنه كان أشد صرامة في رسائله عما كان في مواجهة من يخاطبهم، وهي تهمة أنكرها الرسول بولس، واعداً بأن يكون أيضاً بالفعل وهو حاضر (٢كو ١٠: ١٠، ١١).

الختام

كانت العادة أن تختم الرسائل اليونانية بأمنية بالصحة الجيدة للمرسل إليه، وكلمة وداع، لكن الرسول بولس عوضاً عن ذلك ختم رسائله بتحية، صلاة قصيرة للبركة، مثل ما يختم به الخدام الآن خدمة العبادة: «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين » (٢كو ١٣، ١٤).

رسالة غاضبة

تخطت رسالة الرسول بولس إلى أهل غلاطية إلى الأسلوب المؤدب المعتاد، وعوضاً عن ذلك قفز الرسول مباشرة إلى المشكلة، فصرح لهم بأنه يتعجب أنهم انتقلوا عن الإنجيل الحقيقي الذي علمهم إياه (غل ١: ٦)

تَدْوِينُ الأَخْبَارِ الطَّيِّبَةِ

«أصبح مرقس مُفسراً لبطرس وكتب بتدقيق كل ما تذكّره من كل ما قاله أو فعله الرب، ولكن بغير ترتيب، لأنه لم يسمع الرب نفسه»

(بابياس في تاريخ يوسابيوس للكنيسة)

لمس الرسول بولس في رسائله أحداثاً في حياة الرب يسوع وأقواله وأفعاله لعلها لم تدون وتجمع إلا في بداية الستينات بعد الميلاد ولكن لم يكن قد دُوِّن كل ما يختص بالرب يسوع، فكان كل ذلك مازال ينتقل شفاهاً. وفي منتصف الستينات كان قد مات الكثيرون ممن عرفوا الرب يسوع وشاهدوا الرب المقام من الأموات، بما فيهم بطرس وبولس ويعقوب أخو الرب. أما الذين بقوا لرواية ما عرفوه عن الرب يسوع، فقد كانت لهم روابط أضعف بشخصية الرب يسوع التاريخية. وفي نفس الوقت كان قد بدأ يتضح أن مجيء الرب يسوع ثانية لم يعد وشيكاً، ولابد أنه قد بدت فكرة طيبة أن تكتب قصة متماسكة عن أقوال الرب يسوع وأفعاله، وعليه ففي ما بين عامي ٦٨ - ٧٣ كتب أول إنجيل.

مرقس يكتب إنجيله

ومع أن إنجيل متى يأتي في أول العهد الجديد كما وصل إلينا، فإن إنجيل مرقس هو على الأرجح أول إنجيل كُتب، كما يبدو أنه كان المصدر الأهم لإنجيلي متى ولوقا. ولا أحد يعرف على وجه اليقين من كتب هذا الإنجيل رغم أن اسم مرقس موجود في عنوان الإنجيل في أقدم المخطوطات التي وصلتنا. وليس هناك ما يدل على أي مرقس هو المقصود، فاسم مرقس كان اسماً شائعاً في القرن الأول وبناء على تقليد قديم، كان الكاتب هو يوحنا مرقس الذي رافق بولس وبرنابا بعض الوقت، ثم ارتبط بالرسول بطرس الذي دعاه «مرقس ابني» (١بط ٥: ١٣) أي ابنه بالمعنى الروحي. وبناء على ما ذكره بابياس، أحد أساقفة القرن الثاني (الذي يقتبسه يوسابيوس في القرن الرابع في كتابه تاريخ الكنيسة) كتب مرقس إنجيله على أساس ما علمه إياه بطرس. ومع أن هذا قد يبدو مبالغة، فالأرجح أن مرقس استخدم بعضاً مما تعلمه من بطرس في كتابة إنجيله.

اختراع شكل

كانت كتابة الإنجيل الأول عملاً ضخماً مبتكراً كما أنه تضمن اختراع شكل أدبي جديد. كانت كتابة السِّير موجودة في ذلك العصر ومن أشهرها المجموعة اليونانية «الحياة المتوازية» (التي تروي منجزات المشاهير من اليونانيين والرومان) التي كتبها بلوتارك اليوناني في نحو ذلك الوقت. ولكن الأناجيل التي في العهد الجديد ليست قصص حياة ولا تواريخ بالمعنى الدقيق للكلمة، فلم يكن يُعرف عن الرب يسوع ما يكفي لكتابة قصة عما فعله وقاله يوماً بعد يوم. فقد حُفظت حياته وخدمته في ذكريات غير متصلة وحكايات وأقوال متقطعة، بالإضافة إلى قصص مسهبة قليلة. وكانت مهمة كاتب الإنجيل الأول، ومن جاءوا بعده، هي الربط بين المواد المتاحة عن الرب يسوع معاً لتكوِّن كلاماً متماسكاً لتقديم وجهة نظر.

ولابد أن وجهة نظر مرقس كانت على الأغلب متأثرة بوضع المسيحيين الذين كان يكتب لأجلهم وكان نموذجاً

ما معنى كلمة إنجيل؟

كلمة إنجيل مأخوذة عن الكلمة اليونانية «إڤنجليون» التي تعني «الأخبار الطيبة». وكانت الكلمة اليونانية تستخدم في العصور القديمة في الإشارة إلى مولد «الإمبراطور الإله». وقد استخدمت الكلمة العبرانية المرادفة لها في تسمية ملك (١مل ١: ٢٤) والبشارة بمولد ابن (إر ٢٠: ٥)، والنصرة في معركة (١صم ٣١: ٨- ١٠). وأناشيد العبد في إشعياء تتنبأ بأن العبد سيذيع الأخبار الطيبة عن الخلاص والعصر الجديد (إش ٤٠: ١- ٥، ٥٢: ٧- ١٠) وفي العهد الجديد بعد إلقاء القبض على يوحنا المعمدان، «جاء يسوع يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١: ١٤، ١٥). «والإنجيل» هنا يعني إعلان بزوغ عصر جديد من حكم الله. في بدء الكنيسة، تركز الإنجيل في الكرازة بموت المسيح وقيامته، والإيمان بذلك كان يؤدي إلى الحياة الأبدية. وقد استخدمت كلمة «الإنجيل» بهذا المعنى ستين مرة في رسائل الرسول بولس. ثم استخدم مرقس هذه الكلمة في الآية الافتتاحية لإنجيله: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله». وفي الأزمنة التالية أطلقت كلمة «الإنجيل» أو الأخبار الطيبة، على كل ما كتبه مرقس عن خدمة الرب يسوع وموته وقيامته، وعلى كل ما يماثل هذه الأخبار.

صالحاً للأناجيل التالية. ولا يستطيع أحد أن يجزم بمَتَى وأين كتب مرقس إنجيله، أو لمن كتبه، ولكن من الممكن أن مرقس كان مع بطرس قبيل موته في روما في ٦٤م.، وأنه ظل في روما وكتب إنجيله هناك بعد ذلك بسنوات قليلة. وقد لاحظ العلماء أن الرب يسوع في إنجيل مرقس قد تنبأ بأن أتباعه سيواجهون الاضطهاد مما يؤدي بالبعض إلى إنكار الإيمان (مر ٤: ١٦- ١٧، ١٣: ٩- ١٣). وفي الواقع كان هذا هو الحال في روما في الوقت الذي استشهد فيه بطرس وبولس، وعليه لعل مرقس كتب قصته عن خدمة الرب يسوع وموته للمسيحيين المقيمين في روما، ليعدَّهم لمواجهة الاضطهاد بل والموت، مؤكداً لزوم أن يحمل الواحد منهم صليبه. فالصليب في الحقيقة هو مركز إنجيل مرقس.

وإذ لم يستطع أن يبني قصة متسلسلة زمنياً، كتب إنجيله بتصنيف الأحداث حسب مواقع حدوثها فأولاً في الجليل، وثانياً في الطريق إلى أورشليم، وثالثاً في أورشليم، وكثيراً ما جمع بين الأحداث المتشابهة أو الأقوال المتشابهة معاً كما نرى ذلك في الأمثال الثلاثة عن البذار المذكورة في الأصحاح الرابع. ويعتقد بعض العلماء أن مرقس استخدم قصصاً عن آلام الرب يسوع (قصص محاكمته وصلبه) كانت موجودة فعلاً، فجزء كبير من إنجيل مرقس تشغله قصة آلام الرب يسوع وموته، وينتهي الإنجيل بشكل مفاجيء في المخطوطات القديمة، بقصة النساء عند قبر الرب يسوع الفارغ ولم يقلن شيئاً مما شاهدنه «لأنهن كُنَّ خائفات» (مرقس ١٦: ٨).

وقد أربكت هذه النهاية بعض المسيحيين منذ البداية بسبب ما يبدو من سلبيتها، فلماذا لم تبتهج النسوة بالقيامة؟ وللإجابة على ذلك، قام أحدهم في القرن الثاني بإضافة الأعداد الموجودة الآن في غالبية الكتب المقدسة الآن (مر ١٦: ٩- ٢٠) مُستمِدّاً ما كتبه من الأناجيل الأخرى وأعمال الرسل. ومنذ ذلك الوقت والعلماء يظنون أن النهاية الأصلية لإنجيل مرقس يمكن أن تكون قد فقدت أو أن مرقس لم يكمل إنجيله أبداً. والآن يعتقد بعض العلماء أنها كانت نهاية مقصودة، مما يدل على أن مرقس أراد أن يؤكد حاجة المسيحيين إلى قبول صليب الرب يسوع والصعوبة التي وجدها أتباع الرب يسوع في الإيمان بالصليب وهم يعتقدون أن مرقس أنهى إنجيله بمثل هذه النغمة. ولعل مرقس أيضاً أراد من القاريء المسيحي أن يكون رد فعله عاطفياً مع هذه النهاية، وداعياً النسوة أن يؤمنَّ عقلياً بأن المسيح قد قام حقاً.

يؤكد مرقس عن آلام الرب يسوع، التي تشمل الاستهزاء به، كما يصورها كريستوفورو دي بريديس في كتابه (١٤٧٦م.).

مجتمع مرقس

يمكننا أن نستنتج أكثر من ذلك قليلاً عن المجتمع الذي كتب مرقس لأجلهم إنجيله من طبيعة نَصِّه، فمثلاً يبدو أنه كان مجتمعاً من المسيحيين من الأمم، حيث أن مرقس يشرح معنى الكلمات الآرامية والعادات اليهودية ولكنه لا يشرح الكلمات اللاتينية أو العادات الرومانية، ومع ذلك فإن قراء مرقس لابد أنهم كانوا مسيحيين متعلمين جداً (وليس مجرد قراء) لأن مرقس يتكلم عن الأخلاق المسيحية باعتبارها معروفة تماماً، كما أن كتابته تبدو أنها تفترض أن قراءه يعرفون الرب يسوع وتعليمه.



صورة في مخطوطة، لمرقس المبشر، بريشة الراهب هرمان من كتاب الإنجيل لهنري ليون. نحو ١١٧٣م.

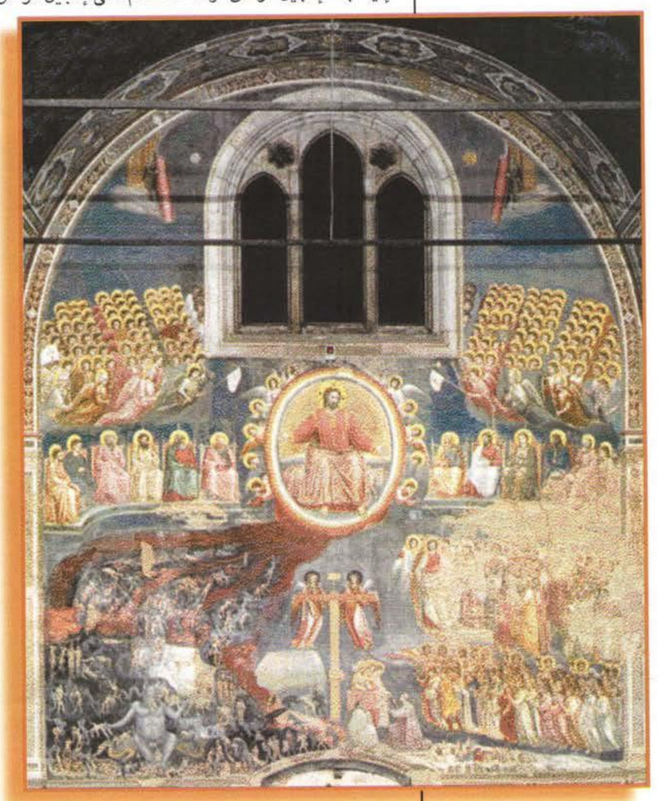
مَتّى وَلُوقَا يَتّبِعَانِ مَرْقُسَ

يصف الأصحاح الخامس والعشرون من إنجيل متى الدينونة الأخيرة التي تظهر هنا في لوحة جدارية من رسم جيتو دي بوندون (حوالي ١٢٦٦- ١٣٣٧م.) من كنيسة سكروويني في بودوا.

حَظِيَ إنجيل مرقس بتقدير كبير جداً، وأخذت منه نسخ إلى الجماعات المسيحية في الأماكن البعيدة، ولابد أن هذا حرَّك آخرين لتسجيل أعمال الرب يسوع، لأن البشير لوقا يذكر في افتتاحية إنجيله أن كثيرين «قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها لنا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة» (لو ١: ١، ٢) وبكل تأكيد كان في فكر لوقا إنجيل مرقس ويحتمل إنجيل متى أيضاً (أما يوحنا فلم يكن قد كتب إنجيله بعد) ولكن باقي «الكثير» من هذه القصص، نعلم أنها قد فقدت.

متّى يَستَكمِل القصة

الأرجح هو أن إنجيل متّى كان أول إنجيل يصل إلينا بعد إنجيل مرقس. وقد استخدم متّى إنجيل مرقس



كنقطة بداية لإنجيله، فقد استخدم في إنجيله معظم إنجيل مرقس، وأحياناً أعاد كتابته، وكثيراً ما كرره كل كلمة بكلمة. وما يجعل إنجيل متى هاماً هو ما أضافه لإنجيل مرقس. وبداية فإن متى يستكمل قصة الرب يسوع بإضافة أجزاء عن مولده وطفولته وظهوراته بعد القيامة. الإضافات الأخرى الهامة هي خمسة أحاديث أو مواعظ نطق بها الرب يسوع، بما فيها الموعظة على الجبل التي تشتمل التطويبات، والصلاة الربانية ووصف للدينونة الأخيرة التي سيفصل فيها الرب يسوع بين الخراف والجداء (بين المُخلَّصين والمدانين) بما فعلوه من العناية بالمحتاجين.

ولأن الكثير مما جاء في الأحاديث ورد في إنجيل لوقا وليس في إنجيل مرقس، قد رأى العلماء أن متى استمد مادته من مصدر آخر مفقود، سجل أقوال الرب يسوع، أطلقوا عليه "Q" «كيو» (وهو اختصار لكلمة تعني مصدر باللغة الألمانية). وفي الواقع ذهب بعض العلماء إلى حد بعيد في محاولة إعادة صياغة هذا المصدر المفترض بل وإعادة تنقيحه عدة مرات. على أية حال لا أحد يمكنه أن يتأكد تماماً من أن مثل هذا المصدر كان له وجود، والمادة التي استخدمها كتبة الأناجيل قد تكون من عدة مصادر سابقة، سواء مكتوبة أو شفاهية. وقد استخدم متى ولوقا مادة لا توجد في مرقس ولا في "Q" المفترض.

وبناء على تقليد قديم، كتب متى جامع الضرائب الذي دعاه الرب يسوع رسولاً، هذا الإنجيل غير أن الحقيقة، لا يبدو أن الكاتب كان شاهد عيان، حيث أنه اعتمد على مرقس ومصادر أخرى في الحصول على مادته.. وأول من ذكر متى كاتباً للإنجيل هو بابياس الأسقف من القرن الثاني، وهو الذي ذكر أن مرقس كان أول من كتب الإنجيل الأقدم عهداً. وقال بابياس إن متى جمع «أقوال يسوع» في اللغة العبرية. غير أن كلمة «أقوال» لا تعني إنجيلاً مثل الذي بين أيدينا، بل قائمة بالأقوال مثل "Q". علاوة على ذلك. إنجيل متى مكتوب باليونانية وليس بالعبرية، وقد استخدم مصادر يونانية (منها مرقس بالتأكيد).

لعل إنجيل متى كتب حوالي ٨٥م. ولكن هناك من يفترضون تواريخ قبل أو بعد ذلك. ويبدو أن الإنجيل

ما هو الحق

لقد أشار الشكاكون إلى أن هناك تناقضات في الأناجيل ما يقلل من دقتها. ولكن كتبة الأناجيل لم يحاولوا كتابة تاريخ مرتب زمنياً لحياة الرب يسوع، بل كانوا يكتبون كتباً لاهوتية ترينا من كان يسوع وماذا فعل، ولم يروا أي خطأ في تغيير حقيقة تاريخية لإبراز نقطة لاهوتية فمثلاً في أناجيل متى ومرقس ولوقا نجد أن عشاء الرب الأخير مع تلاميذه هو وليمة الفصح، تذكاراً لآخر وجبة أكلها بنو إسرائيل قبيل هروبهم من مصر. وفي إنجيل يوحنا، أكلوا هذا العشاء الأخير في اليوم السابق، فلماذا هذا الاختلاف؟

لقد ذكرت الأناجيل الأولى الثلاثة على أنه وليمة الفصح فيها أصبح الخبز والخمر العاديين جسد ودم الرب يسوع. أما يوحنا من الناحية الأخرى فيرى أن الرب يسوع هو الحمل الذي يؤكل في وليمة الفصح، فذكر أن المسيح مات في الوقت الذي كان يذبح فيه خروف الفصح، وهكذا تغير اليوم، فما فعله البشيرون هو إبراز المعنى الرمزي للوليمة. فربما لم يكن يهتمون كثيراً باليوم الذي تمت فيه الوليمة.. فكل إنجيل ذكر جوانب من حياة الرب يسوع وما يعنيه لنا. فحقيقة التاريخ أقل أهمية عن الحق الذي تريد الأناجيل أن تعلمه.

قد كتب في أنطاكية المدنية التي دُعِيَ فيها أتباع الرب يسوع «مسيحيين» أولاً (أع ١١: ٢٦). وبعد استشهاد استفانوس، هاجر عدد كبير من المسيحيين اليهود إلى أنطاكية، ويبدو أن إنجيل متى قد كتب إلى جماعة كانت غالبيتها من اليهود، فمثلاً يبدي الإنجيل احتراماً قوياً للناموس اليهودي، ولا يفسر العوائد اليهودية في المواضع التي يفسرها إنجيل مرقس. كما أن إنجيل متى يعكس وجود مسافة بين المسيحيين من اليهود والمسيحيين من الأمم. فحديثه عن اليهود ومجامعهم ووصفه للفريسيين بأنهم مراؤون – مثلاً – يعكس تاريخ أنطاكية الذي أعقب ذلك عندما نشب الخلاف بين المسيحيين من اليهود والأمم.

ويؤكد إنجيل متى أن الكنيسة متأصلة على أساس تعليم الرب يسوع، وأن الكنيسة مبنية على صخرة «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦: ١٨) وسرعان ما أصبح إنجيل متى الوسيلة الأولى للتعليم في الكنيسة مما قد يعلل وضعه كأول أسفار العهد الجديد.

إنجيل لوقا المكون من سفرين

الإنجيل الثالث يتكون في الواقع من سفرين، الإنجيل وأعمال الرسل الذي يواصل قصة الكنيسة الأولى بعد صعود الرب يسوع. والسفران مكتوبان بلغة يونانية بليغة مرتبة بعناية، ترسم الكثير من التشابه بين خدمة الرب يسوع وخدمة الرسول بولس.

وقد استخدم لوقا – مثله مثل متَّى – الكثير مَن إنجيل مرقس مع إضافة مادة من عنده. ومثل متى، يضيف لوقا قصة طفولة الرب يسوع، ولكنه يختلف عن متى فيما يرويه من قصص وفي وجهة النظر، فبينما يروي متى قصصه عن الميلاد وطفولة الرب يسوع من وجهة نظر يوسف، الذي كان يعتبر والد يسوع بالتبني، فإن لوقا يروي قصته هذه من وجهة نظر مريم أم الرب يسوع. ولهذا السبب، رأى بعض المفسرين أن لوقا كان يعرف مريم شخصياً وحصل على الكثير من مادته منها. كما أن لوقا يضيف قصصه عن القيامة ويختمها بصعود الرب يسوع إلى السماء. ويتكرر نفس المشهد في بداية سفر أعمال الرسل الذي يروي قصة الكنيسة في البداية من الصعود إلى وصول الرسول بولس إلى رومية. وهكذا ينتقل من أورشليم مركز العالم اليهودي إلى رومية، مركز عالم الأمم مؤكداً هدف لوقا الرئيسي من أن الرب يسوع جاء لكل الرجال والنساء، قديسين وخطاة يهود وأمم على السواء.

في إنجيل لوقا، معظم الباقي مما لم يرد في إنجيل مرقس يوجد في قسمين. القسم الأول يصف خدمة الرب يسوع في الجليل (لو ٦: ١٧– ٨: ٣) ويشمل العظة في السهل، وهي صورة موجزة للموعظة على الجبل في إنجيل متى. والقسم الثاني (لو ٩: ٥١– ١٨: ١٤) يصف رحلة الرب يسوع من الجليل إلى أورشليم لمواجهة الموت، ويشتمل على تعاليم من "Q" ومادة لا توجد في مكان آخر تشتمل على أمثال السامري الصالح والابن الضال.

وأقدم المخطوطات التي ما زالت موجودة للإنجيل الثالث تنسبه للوقا، الذي يمكن أن يكون رفيق الرسول بولس الذي يشير إليه بعبارة «لوقا الطبيب الحبيب» (كو ٤: ١٤) والأرجح أن لوقا كان أممياً تجدد في أنطاكية، وقد كتب إنجيله في نحو ٨٥م. واستغرق خمس سنوات إلى عشرة. ومع أنه لا أحد يعلم أين كتب لوقا سفريه، إلا أنه يبدو أن ذلك حدث في كنيسة يونانية، لعلها إحدى الكنائس التي أسسها الرسول بولس عندما كان لوقا يرافقه.. وبكل تأكيد كانت الكنيسة تتكون أساساً من مسيحيين من الأمم، حيث أن النص يتحاشى ذكر التعبيرات والعادات اليهودية التي لم تكن شائعة عند غير اليهود. والهدف من النص الذي كتبه لوقا هو نشر الأخبار الطيبة للأمم كما لليهود، لتوصيل رسالة الرب يسوع لجميع الناس في كل مكان.

تَمَيُّز لوقا

لقد كتب لوقا أكثر من أي كاتب آخر من كتاب العهد الجديد فسفر أعمال الرسل وإنجيل لوقا معاً يشكلان أكثر من ربع العهد الجديد.

« رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ.»

(لو ١: ١– ٤)

إحصائية من الإنجيل

نحو ٨٠٪ من آيات إنجيل مرقس التي تبلغ ٦٦١ تتكرر في إنجيل متى، ٦٥٪ من آيات مرقس توجد أيضاً في لوقا.

الإنجيل الرابع

"فَالْتَفَتَ بُطْرُسُ وَنَظَرَ التِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ يَتْبَعُهُ .... هَذَا هُوَ التِّلْمِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهَذَا وَكَتَبَ هَذَا. وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ. وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ. آمِينَ"

(يو ٢١: ٢٤، ٢٥)

الإنجيل الرابع المنسوب ليوحنا أكثرها شاعرية وعمقاً لاهوتياً. وكان آخر إنجيل يكتب من الأناجيل الأربعة، ولعله قد تعرض للتنقيح مرتين على الأقل، حيث أنه يحتوي على مادة من الواضح أنها أضيفت إلى الإنجيل الأصلي في زمن متأخر. وقد تكون هذه المادة المضافة قد كتبت بمعرفة نفس الكاتب مثل الأصل، أو من كاتب مختلف.

الكاتب والمصادر

ومرة أخرى ليس من يعرف من كتب هذا الإنجيل. ويذكر الإنجيل نفسه أن الكاتب كان «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» (يو ٢١: ٢٠) ويشار إليه عادة «التلميذ المحبوب» وكان شاهد عيان لأحداث الصليب (يو ١٩: ٣٥). ومع أن التلميذ المحبوب يُذكر كثيراً في إنجيل يوحنا، إلا أنه لا يذكر اسمه أبداً. وفي نحو ١٨٠م. حدد الكاتب المسيحي إيريناوس بأنه الرسول يوحنا الذي عاش في أفسس إلى عصر ترجان (الذي أصبح إمبراطوراً لروما في ٩٨م). وظل يوحنا يعتبر كاتب الإنجيل الرابع. ولكن في القرن الماضي، شعر كثيرون من العلماء أن الرسول لم يكتب الإنجيل، فمع أنه قد يكون مؤسساً لكنيسة، أو جماعة من المسيحيين احتفظوا بكتاباته، فإنهم يعتقدون أن أحد أتباع يوحنا كتب الإنجيل، وبعد ذلك قام واحد أو أكثر وكتب الإضافات.

وقد اكتشف العلماء ثلاثة مصادر هامة في إنجيل يوحنا. الأول مجموعة من المعجزات التي يسميها يوحنا «علامات» (لأنه آمن بأنها تشير إلى حقيقة ماهية يسوع بكونه الله). وغالبية هذه العلامات تختلف عن المعجزات المذكورة في الأناجيل الثلاثة الأخرى، وتشمل المعجزة المثيرة، معجزة إقامة لعازر من الأموات المعجزة الوحيدة والمذكورة في الأناجيل الأربعة هي معجزة تكثير الأرغفة والسمكات. والمصدر الثاني الذي يزعمونه لإنجيل يوحنا هو مجموعة من الأحاديث التي ترتبط عامة بعلامة أو آية. فعادة يصنع الرب يسوع معجزة، وهذه تؤدي إلى حادثة معينة أو حديث بين الرب يسوع وشخص آخر أو أكثر. وفي النهاية يظهر ما يدل على أن يسوع هو الله. والمصدر الأخير هو قصة الآلام التي تختلف في مواضع كثيرة عن قصص الأناجيل الأخرى.

أزمنة الكتابة

يتفق غالبية العلماء على أن الإنجيل كتب في غضون التسعينات من القرن الأول الميلادي، ويعتقد البعض أن هناك مادة مضافة جاءت بعد ذلك في العقد الأول من القرن الثاني.

وواضح من النصوص التي بين أيدينا أنه كانت هناك نسختان، فكثيراً ما تتكرر الفقرات، وأحياناً بنغمة مختلفة، مما جعل العلماء يعتقدون أن كاتباً آخر أضافها بعد ذلك، ولكن باحترام شديد للأصل فلم يجرؤ

متّى ومرقس ولوقا

لأن الأناجيل الثلاثة الأولى متشابهة جداً لذلك سميت الأناجيل المتشابهة تمييزاً لها عن إنجيل يوحنا المختلف عنها.

هل إنجيل يوحنا ضد السامية؟

حيث أن إنجيل يوحنا كثيراً ما يذكر اليهود بما يبدو أنه عداء، فكثيرون من القراء يعتبرونه معادياً للسامية، ولكن ليس الأمر كذلك، ففي الواقع كانت غالبية المسيحيين في المجتمع الذي أنتج الإنجيل من اليهود الذين آمنوا بالمسيح. وبسبب إيمانهم بألوهية الرب يسوع، فإنهم عابوا على اليهود الآخرين الذين رأوا أن الآراء المسيحية تكسر أول وصية التي تنص على عبادة الله الواحد. وبمضي الوقت سبب هذا الخلاف انقساماً في المجامع التي كان يصلي فيها الفريقان، وبعد ذلك طرد اليهود المتمسكون بتقاليدهم المسيحيين من مجامعهم مما أدى لشعور المسيحيين بالمرارة رغم أنهم كانوا ما زالوا بعامة يتبعون الناموس اليهودي بما فيه الوصية الأولى، فبدأ المسيحيون يرون في اليهود الذين طردوهم بأنهم الجانب الآخر، بل والعدو. وبناء عليه عندما يكتبون أقوالاً شديدة عن «اليهود» فإنهم يقصدون اليهود الذين رفضوهم، وبخاصة الذين رفضوا الرب يسوع (وليس كل اليهود) فصوروهم في الإنجيل على أنهم أنذال بصورة قد تبدو قاسية.

دون حذف شيء منها، بل ترك النصين جنباً إلى جنب. والأوضح من ذلك هو أن الأصحاح الحادي والعشرين الذي يصف ظهورات الرب المقام في الجليل، أصحاح مضاف، لأن الأصحاح العشرين ينتهي بخاتمة واضحة للإنجيل كله. والأصحاح الحادي والعشرين بدوره ينتهي بخاتمة أضعف للإنجيل. فلماذا خاتمتان من كاتب واحد؟ ثم إن كاتباً آخر يمكن أن يكون قد أضاف الأصحاح الحادي والعشرين الذي يحتفظ بمعلومة عن الرب يسوع كانت هامة لأعضاء جماعته في ذلك الوقت، ووضعها في النهاية حتى لا تربك الأصل.

وأخيراً يثار سؤال بخصوص الإضافات عن قصة المرأة التي أمسكت في زنا (يو ٧: ٥٣– ٨: ١١) والتي لا توجد في كثير من النسخ القديمة لإنجيل يوحنا. ويعتقد بعض العلماء أنها تقليد قديم، لم يذكر في الأناجيل الأربعة ولكنه رافقهم. وهم يفترضون أن كاتباً من القرن الثاني، أراد أن يحفظ هذه القصة فأضافها إلى إنجيل يوحنا حتى وإن كانت لا تنتمي تماماً لأي إنجيل من الأناجيل الأربعة كما كتبت في الأصل.

المجتمع الذي أنتج الإنجيل الرابع

كان المجتمع الذي كتب إنجيل يوحنا لأجله، موضع بحث واسع. وقد ذهب رايموند براون المفسر البارز لإنجيل يوحنا ورسائله في أواخر القرن العشرين، إلى حد بعيد ليضع تاريخاً مفترضاً لهذا المجتمع. فبناء على ما ذكره الآب براون، اجتاز هذا المجتمع في أربعة مراحل. فجماعة من اليهود المسيحيين اجتمعوا حول التلميذ المحبوب في مكان ما في فلسطين، حيث ظلوا هناك إلى ما بعد الغزو الروماني لأورشليم في ٧٠م. وبينما هم في فلسطين، كانوا يذهبون إلى المجامع اليهودية بانتظام وأثاروا مجادلات بإعلانهم أن يسوع كان الله. ورأى اليهود المتمسكون في المجمع أن هذا يتعارض مع العقيدة اليهودية بأنه لا يوجد سوى إله واحد. وبمضي الوقت نمت العداوة بين الفريقين، وطرد اليهود المتزمتون المسيحيين من مجمعهم (ونجد شيئاً من هذا في قصة شفاء الرب يسوع للرجل المولود أعمى في الأصحاح التاسع من إنجيل يوحنا) فنشب عداء شديد بين الفريقين، وفي وقت ما، انتقل على الأقل عدد من المسيحيين من هذا المجتمع، ربما إلى مدينة أفسس في أسيا الصغرى (وهي الآن تركيا).

وفي موطنهم الجديد، اعتنق بعض أعضاء المجتمع بعض آراء الثقافة اليونانية التي كانت تحيط بهم، ولكنهم تشددوا في تمسكهم بألوهية يسوع، وفي هذا الوقت تم كتابة الإنجيل، إمَّا بواسطة التلميذ المحبوب نفسه أو أحد أعضاء المجتمع الخاص به فالإنجيل بالطبع يؤكد بشدة على ألوهية الرب يسوع.

وفي السنوات التي أعقبت ذلك، أراد بعض الأعضاء من المجتمع أن يؤكدوا ناسوت يسوع ليلطفوا من توكيد ألوهيته الموجود في الإنجيل، وهكذا يعطون صورة متوازنة ليسوع. ونجد هذه الأفكار في رسالتي يوحنا الأولى والثانية اللتين كتبتا في هذا الوقت. وأخيراً ثار بعض أعضاء الجماعة على التأكيد الجديد على ناسوت المسيح، ولم يكن في الجماعة من يملك السلطان لفرض خط فاصل، وفي الفترة الرابعة لهذه الجماعة، شدد بعض أعضاء الجماعة على الحاجة لوجود رعاة أو قادة، مفترضين أن الروح القدس ليس المرشد الروحي الوحيد، وفي ذلك الوقت كتبت رسالة يوحنا الثالثة، وقام أحدهم بكتابة الإضافات للإنجيل الأصلي بما فيها الأصحاح الحادي والعشرون. فهذا الأصحاح الأخير يركز على تكليف الرب يسوع لبطرس أن يرعى خرافه، وكان هذا تعليماً يلزم أن يضاف للإنجيل في ذلك الوقت لحفظ الجماعة من الانقسام فذلك أفضل من قبول نوع من الكنيسة أشد تنظيماً.

مراحل التطور

يروي الكثير من العلماء أن إنجيل يوحنا، كمثل الأناجيل الثلاثة الأخرى، قد اجتاز في ثلاث مراحل من التطور.

أولاً: كان هناك روايات الشهود الذين عرفوا يسوع.

ثانياً: هذه الروايات تم صياغتها وتشكيلها لكي تركز على احتياجات الكنائس المبكرة، أو المجتمعات المسيحية المبكرة.

وأخيراً: قام أحد الأفراد في واحدة من هذه المجتمعات المسيحية بإعادة صياغة وتشكيل المادة كتابة لكي تتناسب تماماً مع احتياجات قُرَّائه الأولين.



صورة لإقامة الرب يسوع للعازر، المرسومة على مذبح الكنيسة بريشة دوشيو دابوننسجنا (نحو ١٢٥٥ – ١٣١٨م.) وهي معجزة لا ترد إلا في إنجيل يوحنا.

رسائل لم يكتبها الرسول بولس

"لقد ترك بطرس رسالة واحدة معترف بها، وقد تكون هناك رسالة ثانية إلا أنها موضع شك"
أوريجانوس – لاهوتي مسيحي من القرن الثالث الميلادي.

كتب الرسول بولس لأفراد ولكنائس محددة، ولكن قادة عديدين آخرين كتبوا ما يطلق عليه العلماء اسم «الرسائل العامة» الغرض منها أن تتداولها الكنائس المسيحية. وهذه الرسائل هي: رسالة يعقوب، ورسالتا بطرس الأولى والثانية، ورسائل يوحنا الثلاث، مع رسالة يهوذا.

ومع أن هذه الرسائل ورسائل الرسول بولس قد كتبها أناس مختلفون وفي أوقات مختلفة في أوائل التاريخ المسيحي، ولأسباب مختلفة، فإنها جميعها تشترك في هدف واحد: هو إرشاد ومعاونة رفقائهم المسيحيين.

رسالة يعقوب

يعتبر هذا السفر سفر الأمثال في العهد الجديد لأنه يمتلىء بالنصائح العملية الحكيمة عن كيف يمكن أن نعيش حياة تقية، وليس واضحاً من هو مصدر هذه النصيحة. فالكاتب لا يقول عن نفسه سوى أنه «يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح» (يع ١: ١). ويوجد على الأقل أربعة رجال بهذا الاسم في العهد الجديد، اثنان منهم من الرسل. ولكن منذ القرن الثالث الميلادي، نسب قادة الكنيسة هذا السفر إلى يعقوب الموصوف في الأناجيل بأنه أخو يسوع (مت ١٣: ٥٥، مر ٦: ٣) وفي سفر الأعمال ورسائل الرسول بولس بأنه قائد الكنيسة في أورشليم.

لوحة بيزنطية من القرن العاشر تصور الرسول بطرس. ومع أنه كان قائد الرسل، إلا أن كتابات بطرس لا تشكل سوى ضئيلاً من العهد الجديد، هو: رسالتي بطرس الأولى والثانية.

فإذا كان هذا هو يعقوب كاتب الرسالة، فلابد أن الرسالة كتبت قبل سنة ٦٢م لأن المؤرخ اليهودي يوسيفوس ذكر أنه في تلك السنة رجم قادة اليهود في أورشليم يعقوب حتى الموت.

ويقول بعض العلماء إن الأفكار اليهودية التي تملأ الرسالة تجعلنا نفترض أن الرسالة كتبت عندما كانت غالبية الكنيسة ما زالت تتكون من اليهود، وهذا معناه أنها قد تكون سابقة لرسائل الرسول بولس، وبذلك تكون أقدم سفر في العهد الجديد.. ويوجه يعقوب رسالته إلى الاثني عشر سبطاً الذين في الشتات، مما قد يعني اليهود المشتتين في كل الإمبراطورية، ولكنها قد تعني أيضاً اليهود والأمم على حد سواء كما هو الحال في العهد الجديد.

رسالتا بطرس الأولى والثانية

كتبت رسالة بطرس الأولى لتشجيع المسيحيين الذين كانوا يواجهون اضطهاداً، ربما في أوائل الستينات من القرن الأول الميلادي عندما تزايد عدد المسيحيين وأصبح ينظر إليهم على أنهم مذهب راديكالي بدلاً من فرع شرعي من الديانة اليهودية. ويمكن أيضاً أن تكون قد كتبت بعد ذلك، بعد أن اتهم نيرون المسيحيين باحراق روما في ٦٤م.

ويقول الكاتب عن نفسه: بطرس رسول يسوع المسيح، الذي يقول عنه قادة الكنيسة بأنه استشهد في أثناء السنوات الأربع التي اضطهد فيها نيرون الكنيسة. ويشك بعض العلماء في كتابة بطرس للرسالة لأن أسلوبها يوناني بليغ وهو أمر غريب بالنسبة لصياد جليلي.. ويقول علماء آخرون إن بطرس اعترف بأنه كان له مساعدون: «بيد سلوانس الأخ الأمين كما أظن كتبت إليكم بكلمات قليلة» (١بط ٥: ١٢) وسلوانس هو الصيغة اللاتينية للاسم اليوناني «سيلا» وهو مسيحي رافق الرسول بولس في رحلاته في العالم الناطق باليونانية (أع ١٥: ٢٢). والعلماء الذين يشكُّون في كتابة بطرس لهذه الرسالة يقولون إن هذا الاضطهاد الذي تتحدث عنه الرسالة يمكن أن يكون قد حدث في التسعينات بعد زمن طويل من موت بطرس.

وقد أشار كليمنت في كتاباته في نحو ٩٥م. وهو أحد قادة الكنيسة في رومية، الذي أصبح فيما بعد يُعرف باسم البابا كليمنت الأول، إلى رسالة بطرس الأولى. وقد فعل نفس الشيء إيريناوس أحد قادة الكنيسة في القرن الثاني الميلادي، وأضاف أن بطرس هو الذي كتبها.

ورسالة بطرس الثانية كُتبت لتحذير المسيحيين من المعلمين الهراطقة، تبدو كشهادة أخيرة من شخص على وشك الموت. فالكاتب الذي ذكر أنه سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله، ذكر أن يعلم أن خلع مسكنه قريب كما أعلن له «ربنا يسوع المسيح أيضاً» (٢بط ١: ١٤).

ومنذ القرن الثاني، بدأ قادة الكنيسة الشك في أن بطرس كتب هذه الرسالة، فأسلوب الكتابة يختلف بشدة عن الرسالة الأولى، فهو أقل منها بلاغة في اليونانية، كما أن بها وجوه شبه صارمة مع رسالة يهوذا في المحتوى كما في العبارات، كما يذكر الكاتب أن رسائل الرسول بولس أصبحت موضع الاحترام، لأنه يجمع بينها وبين سائر الكتب (٢بط ٣: ١٦). وهذا ما جعل بعض العلماء يفترضون أن رسالة بطرس الثانية كتبها أحد الأتباع باسم بطرس، ولعلها كانت آخر ما كتب من أسفار العهد الجديد، ربما في الفترة (١٠٠ – ١٥٠م.) وكانت الكتابة باسم معلم محترم أمراً شائعاً عند اليونانيين واليهود، وعلى عكس الرسائل المنتحلة كانت تمتدح المعلم الذي تُطبق أفكاره على أوضاع جديدة.

رسائل يوحنا الثلاثة

تبدو رسائل يوحنا الثلاثة القصيرة أنها تعكس زمناً فيه حُرِمَ المؤمنون بالمسيح من اليهود من العبادة مع سائر اليهود، وهو قرار أصدرته مجامع عديدة في أواخر القرن الأول. والرسالتان الأولى والثانية تُرشد المسيحيين إلى كيفية الرد على الهجمات على طبيعتي الرب يسوع الإلهية والبشرية، وتحذرهم من المعلمين الكذبة. والرسالة الثالثة تدين أحد القادة في الكنيسة لخروجه على الحق ومعارضة رعاة الحركة المسيحية.

والكاتب لا يُعرِّف نفسه، ولكن أسلوب الكتابة واللغة – وبخاصة في رسالة يوحنا الأولى – شبيه بإنجيل يوحنا، الذي لم يذكر أيضاً فيه اسم كاتبه ولكنه ينسب عادة للرسول يوحنا. وقد اقتبس قادة الكنيسة في القرن الثاني من الرسائل وذكروا أن يوحنا كتبها في أواخر حياته عندما كان يعيش في أفسس.

رسالة يهوذا

في هذه الرسالة المكونة من ٢٥ آية، يقول الكاتب إنه «يهوذا عبد يسوع المسيح وأخو يعقوب» (يه ١). ويقول بعض العلماء إن يهوذا كان أخاً للمسيح، وهو ما يفسر لماذا ذكر يعقوب وهو أخ معروف للمسيح، وكان قائداً للكنيسة في أورشليم. وتذكر الأناجيل أن المسيح كان له أربعة إخوة منهم يعقوب ويهوذا.

تهاجم الرسالة تعليماً هرطوقياً بأنه يحق للمسيحيين أن يرتكبوا خطية، ربما في إشارة إلى حركة ظهرت في أواخر القرن الأول. ولهذا فإن بعض العلماء يفترضون أن يهوذا آخر كان قائداً هاماً في الكنيسة هو الذي كتب الرسالة.

إخوة يسوع الكتبة

يُنسَب سفران من العهد الجديد إلى إخوة يسوع. وتذكر الأناجيل أربعة إخوة: يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا. والأول والأخير في هذه القائمة يفترض فيهما أنهما الأكبر والأصغر في إخوة يسوع، وأنها قد كتبا الرسالتين القصيرتين المنسوبتين إليهما.

سفر الرؤيا

يختم سفر الرؤيا أسفار الكتاب المقدس والتاريخ البشري. ولكنه يفتح الباب لعصر جديد من السلام فيه يقهر الله الشر، ويحيا الأمناء إلى الأبد معه. ويستمد هذا السفر الأخير في الكتاب المقدس، اسمه من أول كلمة فيه: «إعلان يسوع المسيح» (رؤ ١: ١)، ففي اليونانية (لغته الأصلية كلمة «إعلان» هي «رؤيا» أو «كشف المستور».

ويقول الكاتب عن نفسه إنه «يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره» وإنه كان منفياً في الجزيرة الصخرية الصغيرة بطمس (بين تركيا واليونان) «من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح» (رؤ ١: ٩). ولكن أي يوحنا؟

كان أول من ذكر أنه يوحنا الرسول، وهو «جستن مارتر» الكاتب المسيحي الذي عاش في حوالي ٦٥– ١٠٠م. فقد ذكر أن الكاتب كان الرسول يوحنا أحد تلاميذ المسيح المقربين، والكاتب المفترض لإنجيل يوحنا والرسائل الثلاثة. وفي غضون نحو مائة، بدأ قادة آخرون من قادة الكنيسة يتحدون هذه المقولة على أساس أن هذا السفر لا يشبه كتابات الرسول يوحنا الأخرى.

ومهما كان الكاتب، فالأرجح أن سفر الرؤيا قد كتب في آخر عقد من القرن الأول، عندما جدد الامبراطور دوميتان اضطهاد المسيحيين، فأعدم الكثيرين ونفي آخرين إلى منافي مختلفة. والرمزية الغامضة في سفر الرؤية، من الواضح أنها سمحت للكاتب أن يشجع الكنائس المسيحية دون إغضاب روما وإثارة رد فعلها لقد فهم المسيحيون الصور الرمزية، فالكثير منها كان مأخوذاً من العهد القديم، ولكنها على الأرجح بدت للرومانيين ثمرات خيال جامح لرجل متفرد أمامه المتسع الكبير من الوقت.



صورة من تفسير لسفر الرؤيا من القرن العاشر، تبين إعلان البوق الثاني لسقوط بابل.. فالكثير من سفر الرؤيا كتب بلغة رمزية لحماية الكاتب من رد فعل القادة السياسيين. فبابل مثلاً كانت الاسم اليهودي لرومية، فكلتا الإمبراطوريتين هدمتا أورشليم ودمرتا الهيكل اليهودي.

اَلآبَـــاءُ الرَّسُولِيُّـــون

«من تعرف؟!» ليست أمراً محدثاً، فلقد كان ذلك أمراً هاماً منذ العصور القديمة. وفي الحقيقة عدد كبير من الكتاب المسيحيين القدماء يُعرفون ممن كانوا يعرفونهم. ففي أواخر القرن الثاني افتخر الكاتب المسيحي إيريناوس بذكريات طفلولته عن الرجل الشيخ بوليكاربوس أسقف سميرنا الذي استشهد في ١٥٥م بينما كان هو شاباً. وكان بوليكاربوس قد عرف الرسول يوحنا «وآخرين ممن رأوا الرب» وأخبر بوليكاربوس إيريناوس عن أحاديثه معهم مكرراً كلماتهم من الذاكرة، «وبذلك كان حلقة وصل بين إيريناوس والرسل، الذين منهم جاءت كل المعلومات عن الرب يسوع.



القديس بوليكاربوس أحد الآباء الرسوليين والقديس سيباستيان أحد الشهداء القدماء يحطمان الأوثان في منزل أحد المتجددين المسيحيين.

بريشة بدرو جارسيا دي بنابار

الشخص الذي عرف شخصاً آخر كان قد عرف الرب يسوع

منذ القرن السابع عشر، دُعي الكُتَّاب القدماء الذين عرفوا أحداً ممن قد عرفوا الرب يسوع شخصياً، باسم «الآباء الرسوليين». ورغم أن إيريناوس كان كاتباً مشهوراً فهو ليس من الآباء الرسوليين. فهو لم يعرف شخصياً أحداً من الرسل، ولكنه كان واحداً ممن عرفوا شخصاً آخر هو بوليكاربوس الذي عرف يوحنا الذي عرف الرب يسوع، ولكن حتى هذه الحلقة الضعيفة بينه وبين الرب يسوع كانت تستحق أن تكون موضع الفخر أو هكذا رآها إيريناوس.

وبالإضافة إلى بوليكاربوس، فإن الآباء الرسوليين شملوا كليمنت الأول (بابا روما الذي ربما كان قد أقامه الرسول بطرس نفسه) وإغناطيوس أسقف أنطاكية وقد كتب هؤلاء الرجال الثلاثة رسائل هامة عن سياسة الكنيسة كما فعل كاتب آخر يُعرف خطأ باسم كليمنت. وهذا الكاتب الأخير، الذي يبدو أنه عاش في الإسكندرية بمصر أو بالقرب منها في منتصف القرن الثاني، كتب أول موعظة مسيحية كاملة ما زالت محفوظة ويشار إليها عامة باسم رسالة كليمنت الثانية.

ومن الآباء الرسوليين البارزين كتبة الرسالة إلى ديوغنيطس، ورسالة برنابا (الأرجح أنه ليس الرسول كما يقال) التي تعالج العلاقة بين اليهودية والمسيحية. كما يدخل في هذه الزمرة كاتب «الديداكي أو الديداشي» (أو تعليم الرسل الاثني عشر)، وهرماس كاتب «راعي هرماس». والكتابان الأخيران بهما الكثير عن الحياة في كنيسة القرن الثاني.

معلومات عن أسفار العهد الجديد

في زمن الآباء الرسوليين (أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني) كانت كل أسفار العهد الجديد على الأرجح قد كتبت، ولكنها لم تكن تعتبر أسفاراً مقدسة بنفس الطريقة التي كانت تعتبر بها أسفار العهد القديم. وفي الواقع أن قانونية أسفار العهد الجديد لم تتقرر إلا بعد قرنين آخرين. وكان أحد الأسس التي يبني عليها اعتبار أي الأسفار جزءاً من العهد الجديد، أن يكون

طرح أغناطيوس للأسود

في حوالي ٦٩م قبل أن تكتب بعض أسفار العهد الجديد، عُيِّن إغناطيوس أسقفاً لأنطاكية (سوريا) ومع أنه لا يُعرف شيء عن حياته حتى سنته الأخيرة، فلابد أن إغناطيوس عرف وتشاور مع عدد من الرسل وغيرهم ممن عرفوا الرب يسوع، مما أهَّله أن يُسَّمى «أباً رسولياً». ثم في نحو ١٠٧م في أيام اضطهاد الإمبراطور تراجان للمسيحيين، قُبض على إغناطيوس وحكم عليه بالموت لأنه مسيحي، وسيق تحت حراسة مسلحة إلى رومية لينفذ فيه حكم الإعدام، لتأكله الوحوش المفترسة. وفي الطريق كتب سبعة رسائل، مما يدل على أن إغناطيوس كان مكرساً تماماً للمسيح، وأكد فيها ألوهية المسيح وقيامته. لم يكن إغناطيوس يخشى الموت، بل كان يتطلع إلى أن يموت لأجل إيمانه بالمسيح، وتوسل إلى الذين كتب لهم ألا يتدخلوا في أمر إعدامه. ففي رسالته إلى أهل رومية (٤: ٢) يتوسل إليهم:

«إنني أموت متطوعاً لأجل الله – فإذا كان الأمر كذلك – لا تتدخلوا أتوسل إليكم، لا تبدو نحو شفقة لا داعي لها. اتركوني طعاماً للوحوش المفترسة، فبهذه الطريقة استطيع الوصول إلى الله، فأنا قمح الله، وستطحنني أنياب الوحوش لتصنع مني رغيفاً نقياً للمسيح».

وقد تحققت أمنية إغناطيوس، فعندما وصل إلى رومية، طرح إلى الأسود التي سرعان ما قضت عليه. وستظل رسائله شهادة هامة عن الكنيسة الأولى.

صورة لإغناطيوس أسقف أنطاكية الذي استشهد لإيمانه بالمسيح

معروفاً ومستخدماً في الكنائس المسيحية. وفي القرن الثاني ليس لدينا سوى ما كتبه الآباء الرسوليون عن أي الأسفار كانت تقرأ وتستخدم بشكل عام.

ويشير بوليكاربوس في رسالتـه إلى أهـل فيلبي (٣: ٢) إلى «بولس المبارك والرائع» الذي أسس الكنيسة في فيلبي، ويحث المسيحيين في فيلبي على أن يدرسوا بعناية الرسائل التي كتبها بولس لهم (وإحداها الموجودة في العهد الجديد) لكي «ينموا في الإيمان المسلم لكم» – «التي هي أُمُّنَا جميعاً» (هذه الكلمات الأربع الأخيرة ترجع إلى غل ٤: ٢٦). وعلى أية حال، فإنه بشكل عام تأتي الإشارات إلى أسفار العهد الجديد كاقتباسات منها أو تعليقاً على ما فيها من أفكار. ويقتبس بوليكاربوس من أسفار عديدة من العهد الجديد بما فيها إنجيل متى وإنجيل لوقا ورسائل يوحنا وبطرس الأولى.

ويتأثر إغناطيوس في رسائله السبع الموجودة، تأثراً عميقاً برسائل بولس، ويقتبس منها كثيراً، ولكنه يصهر فكره البولسي مع عناصر تذكرنا بالرسول يوحنا. ورسالة برنابا أشبه في نغمتها بالرسالة إلى العبرانيين. وتعليم الرسل (الديداكي) وهو نوع من الكتب الكنسية، يبدو في الغالب امتداداً لمفاهيم من إنجيل متى. ويعكس راعي هرماس غالباً معرفة بسفر الرؤيا وبخاصة في تصويره الكنيسة بامرأة، عدوها وحش، ولكنه أقل تركيزاً على الأزمنة الأخيرة مما على ما يجب فعله ونحن ننتظر هذه الأزمنة. كما يعكس الكتاب دراية بأناجيل متى ومرقس ويوحنا والرسالة إلى أهل أفسس. ويشير كليمنت في رسالته إلى كورنثوس إلى أناجيل متى ومرقس ولوقا، وأعمال الرسل والرسائل إلى رومية وكورنثوس الأولى وغلاطية وفيلبي وتيموثاوس الأولى وتيطس وبطرس الأولى.

ورسالة كليمنت الثانية مهمة لأنها تستشهد بنوعين من الأسفار في الكنيسة الكتاب المقدس، والرسل: فالكتاب المقدس وكذلك الرسل يقولون إن الكنيسة غير قاصرة على الحاضر بل كانت منذ البدء (٢ كليمنت ١٤: ٢). فالرسالة بذلك تساوي العهد القديم (الذي نسميه هنا الكتاب المقدس) والعهد الجديد (الرسل). وبالمثل يستشهد الكاتب بقول موجود في إنجيل متى، حيث يقول: «كما يقول الكتاب المقدس أيضاً: لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة» (٢ كليمنت ١٤: ٢). وهذه هي أول مرة واضحة، نجد آية من العهد الجديد تُذكر على نفس المستوى مع آيات من العهد القديم. ويبدو أن كاتب رسالة كليمنت الثانية، كان ملماً بالكثير من العهد الجديد كما نعرفه، وإن كانت بعض الأجزاء التي يستشهد بها موجزة فلا يمكن تحديد مرجعها بدقة.

والخلاصة هي أن الكثير من أسفار العهد الجديد كانت معروفة للآباء الرسوليين. وعلى أية حال يبدو أن سفراً واحداً هو إنجيل متى بتأكيده على الكنيسة، كان أكثر انتشاراً، ولعل هذا هو سبب وضعه في أول أسفار العهد الجديد.

"إنني لا أقول أشياء غريبة عني، أو أن تصرفي غير معقول، لأنني كنت تلميذاً للرسل، الآن أنا معلم للأمم، والأشياء التي تنتمي للتعليم القويم، أحاول أن أخدم بها للذين يصبحـون تلاميذ للحق"

من الرسالة لديوغنيطس ١١: ١

أسفار كانت مرشحة لأن تكون بين أسفار العهد الجديد

حدث أن بعض كتابات الآبـاء الرسولين رُشحت بضمها لأسفـار العهد الجديد ولكنها في النهاية استبعدت مـن قائمـة الأسفار القانونية. مع أنها ما زالت تعتبر هامة.

الأناجيل الغنوسية المرفوضة

في عام ١٩٤٥م. كان أخوان مصريان يحفران في كهف بقرب نهر النيل في مدينة نجع حمادي، فاكتشفا كنزاً عبارة عن مكتبة في آنية فخارية، تتكون من اثني عشر كتاباً من البردي في غلاف جلدي، من إحدى أقدم الهرطقات المسيحية، وهي الهرطقة الغنوسية. وكلمة غنوسية معناها في اليونانية «المعرفة»، لأنهم كانوا يؤمنون بأن الناس يخلصون بمعرفة سرية عن الأمور الروحية، وليس بالإيمان بالرب يسوع. وقبل هذا الاكتشاف، كل ما كان معروفاً عن الغنوسية جاء عن طريق معارضيهم من القادة المسيحيين الأوائل الذين كتبوا ضد هذه الحركة الشعبية، وبين هذه الكتب الاثني عشر، ٥٢ مقالة قديمة، يبدو أن غالبيتها كتبها الغنوسيون أنفسهم. وهذه الكتب كتبت في القرن الثالث الميلادي باللغة القبطية وهي لغة مصرية ولكنها كانت مترجمة عن مخطوطات يونانية، يرجح أنها كتبت قبل ذلك بقرن أو قرنين من السنين.

وما اكتشفه العلماء من دراسة هذه الوثائق القديمة، هو أن الغنوسية قد نشأت منذ أوائل العصر المسيحي، ولكنها كانت تتعارض مع التعاليم المسيحية.

إنجيل توما

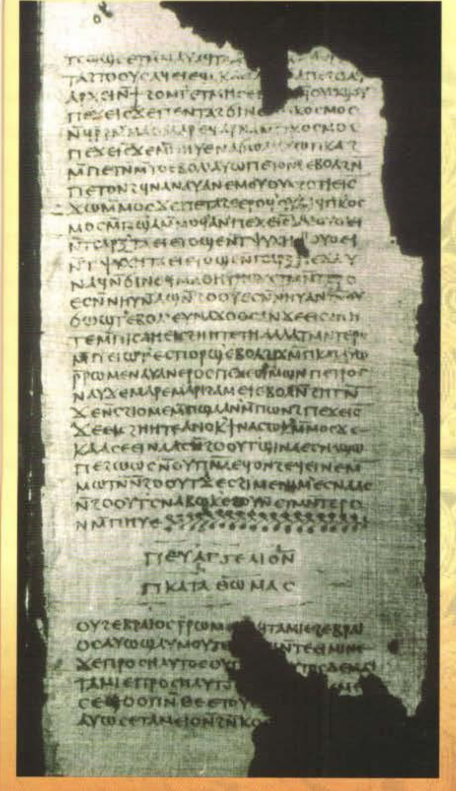
إنجيل توما هو أشهر الكتب الغنوسية وأكثرها إثارة للجدل بين تلك الكتابات التي عُثِرَ عليها في نجع حمادي. وهذا الكتاب لا يتبع الأسلوب القصصي نظير أناجيل العهد الجديد، لكنه يحتوي على قائمة بالأقوال. فهو يتضمن ١١٤ قولاً منسوباً ليسوع، ونصفها تقريباً يوازي بعض الأقوال الموجودة في أناجيل العهد الجديد. ومعظم الأقوال الأخرى تشير إلى أفكار غنوسية.

في أحد الأقوال، يبدو أن يسوع ينكر أن ملكوت الله موجود في مكان وزمان محددين:

إذا قال لكم قائدوكم: «هوذا، الملكوت في السماء» إذن فإن الطيور سوف تدخله أولاً. وإذا قالوا لكم: «إنه في المحيط»، إذن فإن الأسماك سوف تدخله أولاً. لكن ملكوت الله في داخلكم وحولكم. فبمجرد أن تعرفوا أنفسكم فستصيرون عارفين، وستعرفون أنكم أنتم أبناء الآب الحي.

يبدو أن القول رقم ٧٠ يساند الفكرة الغنوسية أن البشرية تخلص بالانتباه إلى المعرفة الروحية المخفية بداخلكم: «إذا أخرجتم ما بداخلكم، فما تخرجونه سوف يخلصكم. وإذا لم تخرجوا ما بداخلكم، فإن ما لا تخرجونه سوف يهلككم».

يختلف العلماء بشأن إذا ما كانت هذه المجموعة من المقالات من شهادات من القرن الأول مختلفة عن تلك الموجودة في أناجيل العهد الجديد، أم أنها نمت وتطورت عن هذه الأناجيل الأربعة وتم كتابتها في القرن الثاني أو الثالث، خلال الفترة التي بلغت فيها الغنوسية ذروتها.



جزء من إنجيل توما من مخطوطات نجع حمادي
المخطوطة الثانية – القرن الرابع

الهرطقات تحفز صياغة العقائد

لقد أجبرت الهرطقات مثل الغنوسية، قادة الكنيسة على تحديد ما يؤمن به المسيحيون بدقة. فوضعت العقائد الأساسية للإيمان في عبارات موجزة دقيقة مثل «إقرار الإيمان الرسولي» الذي كان يجب على من يتقدمون للمعمودية أن يعترفوا به لتأكيد إيمانهم بالله الخالق وبيسوع المسيح وموته وقيامته، وبالروح القدس، وبقيامة الأجساد للحياة الأبدية.

كيف بدأت الغنوسية؟

منذ البداية، حاربت الكنيسة التعاليم المنحرفة التي صدرت عن بعض الأعضاء. ومن أشهرها فكرة أن المسيحيين يجب أن يتبعوا الشرائع والتقاليد اليهودية، وهو تعليم حاربه الرسول بولس بشدة، ويبدو أن الغنوسية ظهرت بعد ذلك بسنوات قليلة، ربما في أثناء خدمة الرسل في القرن الأول. ويبدو أن الرسول بولس حذر تيموثاوس من هذا التعليم الغريب: «ياتيموثاوس احفظ الوديعة، معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم» (١تي ٦: ٢٠). وقد كتب الرسول بولس مثل هذه التحذيرات في رسائله لأهل كورنثوس ولأهل كولوسي.

ولكن الحركة اجتذبت كثيرين من المسيحيين، وانتشرت بشكل خاص في القرن الثاني وفي ١٨٠م. بلغت من القوة حدًّا أثار إيريناوس أسقف ليون (في فرنسا) حتى كتب أول مقالة هامة عن علم للاهوت المسيحي: «ضد الهرطقات».

ماذا كانت تعاليم الغنوسية؟

كانت هناك جماعات غنوسية كثيرة مع اختلافات كبيرة في التعاليم التي استمدوها من ديانات كثيرة، من المسيحية واليهودية والأساطير اليونانية، وكذلك من ديانات مصر وبلاد الخليج العربي. فلم تكن الجماعات الغنوسية على رأي واحد دائماً، ومع ذلك فهناك أفكار عديدة يتكرر ظهورها في كتاباتهم، والتي تتعارض مع التعاليم المسيحية.

الخليقة شر:

علَّم غالبية الغنوسيين أن إله العهد القديم الذي خلق العالم ليس هو الكائن الأسمى، بل هو إله أقل وكل ما خلقه - بما في ذلك البشر - شر، ويقولون على الأجساد إنها أعباء علينا أن نحملها حتى يحررنا الموت منها.

ولأن العالم في نظرهم شر، أصبح كثيرون من الغنوسيين متقشفين مثل الرهبان، يحرمون أنفسهم من متع الحياة مثل الطعام والجنس. وفعل بعض الغنوسيين الآخرين عكس ذلك تماماً، إذ كانت حجتهم أن العالم الطبيعي لا أهمية له، ولا يمكن أن يؤثر عليهم روحياً، وهكذا فعلوا كل ما أرادوا.

لم يكن يسوع بشراً

كان الكثيرون من الغنوسيين يؤمنون بأن يسوع لم يكن ابن الله الأدنى، إله الخليقة، بل كان كائناً روحياً ظهر في صورة البشر، ولم يمت على الصليب، ولم يقم من الأموات.

نحن نخلص بالمعرفة الروحية:

قال الغنوسيون إن الله الأسمى، لكي يخلص البشرية أرسل فادياً من الملكوت الأسمى ليأتي بالمعرفة للأرواح السجينة في أجساد البشر. وهذا السجن يوصف عادة بأنه الجهل أو النوم وليس خطية، ولكي ما يجد البشر خلاصاً، يلزمهم أن يستيقظوا من هذا الجهل وأن يستعيدوا معرفة هويتهم الحقيقية كجزء من الله الأسمى وملكوته. وعندئذ فقط يمكنهم أن يتوقعوا أنهم بعد أن يموتوا، يمكنهم أن يصعدوا إلى عالم الله عالم الروح الخالص.

وقد علَّم بعض الغنوسيين أن هناك ثلاثة أنواع من الناس في العالم الطبيعي، فالبعض قد ولدوا بهذه المعرفة ويستطيعون أن يعلموها لآخرين، والبعض كانوا قادرين على إدراك المعرفة، أما الغالبية الساحقة من الناس فكانوا غير قادرين على الاستنارة.

وقادة الكنيسة لم يقبلوا شيئاً من هذا، فلم يكونوا لينكروا إله العهد القديم، أو أن يتخلوا عن التعليم بأن يسوع قد قام من بين الأموات، وهو التعليم الذي قال عنه الرسول بولس إنه أمر جوهري في المسيحية (١كو ١٥: ١٧)، ورفض قادة الكنيسة أن يتراجعوا عن التعليم الأساسي للإنجيل الذي يفتح باب الخلاص لكل واحد، معلناً أن كل من يؤمن بالرب يسوع يخلص (يو ٣: ١٦).

عينات من الغنوسية

يمكن أن نضع ٢٥ من الكتابات الاثنين والخمسين من نصوص نجع حمادي في فئة الرؤى، أو الإعلانات وهو أمر لا غرابة فيه حيث أن الغنوسية تؤكد المعرفة عن طريق الإعلان. فمن هذه الكتابات رؤى تنسب لآدم وبطرس ويعقوب ويوحنا وبولس، وستة منها أناجيل عن يسوع، منها إنجيل الحق، إنجيل فيلبس وإنجيل المصريين، وبعض المقالات عبارة عن كتابات حكمة، وأقوال تعليمية، وصلوات وترانيم، وبعض قصص من العهد القديم أعيدت صياغتها.

وغالبية الكتابات بها مسحة غنوسية. فشهادة الحق تصور الخالق في صورة إله ساذج، ورؤيا بطرس تهاجم الكنيسة. وبعض كتابات أخرى في هذه المجموعة قد لا تكون غنوسية، فهناك إحدى الكتابات التي تسمى «حديث عن الثامن والتاسع» مثلاً عن أساطير مصرية وفي النهاية يظل سر دفن هذه الكتابات بل وكتابتها سراً غامضاً لا يعرفه أحد.

"كأولاد نور الحق، اهربوا من الانقسام والتعليم الباطل، فحيث يكون الراعي، اتبعوه مثل الخراف"

إغناطيوس أسقف أنطاكية



تميمة غنوسية من العصر البيزنطي المتأخر تصور تقديم إسحق. وكانوا يعتقدون أن مثل هذه التمائم لها قوى سحرية.

اَلْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ والْعِبَادَةُ فِيْ الْعَصْرِ الأَوَّلِ

"لأن الرسل في الذكريات التي كتبوها والتي تسمى الأناجيل، وهكذا سلمونا كل ما أمرهم به الرب يسوع أنه أخذ خبزاً وشكر وقال لهم: اصنعوا هذا لذكري. "هذا هو جسدي" ثم أخذ الكأس وشكر وقال "هذا هو دمي" وأعطاه لهم وحدهم"
چستين مارتر.
الدفاع ١: ٨٥

كان المسيحيون الأوائل من اليهود، فكانوا يعبدون مثلهم. وبعد تدمير الهيكل في ٧٠م، أصبحت خدمات العبادة اليهودية قاصرة على المجامع. ويعطينا إنجيل لوقا وصفاً حياً لجزء من خدمة العبادة اليهودية النموذجية في الناصرة. فكانت العادة أن يقرأوا من التوراة (الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس العبري) ومن الأنبياء. ومن الواضح أن رئيس المجمع كان يختار واحداً من الجماعة ليقوم بالقراءة، ثم يقوم القارىء بتفسير الجزء الذي قرأه. وفي بداية خدمة الرب يسوع، أُختير الرب يسوع ليقرأ من الأنبياء، عندما عاد إلى الناصرة وطنه: فيقول لنا إنجيل لوقا:

وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى، ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ، فدُفع إليه سفر إشعياء النبي. ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: «روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب. لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة. ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس، وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم. وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه» (لو ٤: ١٦- ٢٢)

ومع أن تفسير الرب يسوع لِمَا قرأ كان محبطاً إلى حد ما، فإنه هو نفسه كان قد جاء لإتمام نبوة إشعياء. والمشهد يصور بشكل نابض بالحياة خدمة المجمع النموذجية، كما لاحظ ذلك المسيحيون الأوائل. وكانت تضاف للخدمة صلوات وبركات وترانيم وبخاصة المزامير.

الاجتماع معاً في يوم الرب

كان المسيحيون الأوائل يذهبون إلى المجمع، ولكنهم أيضاً كانوا يجتمعون معاً عادة في بيوت بعضهم البعض لممارسة الأفخارستيا، فيشكرون الرب يسوع ويتذكرون كسره للخبز في العشاء الأخير وكما يخبرنا سفر أعمال الرسل: «وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة. وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت، كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب» (أع ٢: ٤٦، ٤٧)

وفي البداية كان كسر الخبز عبارة عن وجبة كاملة. وقد وجد الرسول بولس أن بعض المسيحيين كان لهم طعام وافر بينما لم يكن لآخرين ما يكفيهم، ولذلك نصحهم: «إذاً يا إخوتي حين تجتمعون للأكل، انتظروا بعضكم بعضاً، إن كان أحدكم يجوع فليأكل في البيت، كي لا تجتمعوا للدينونة» (١كو ١١: ٣٣- ٣٤)

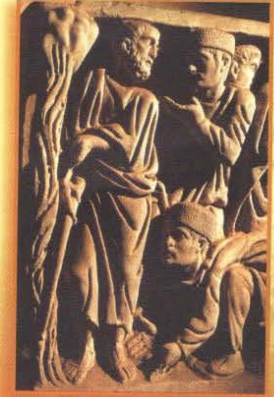
ويوصي كتاب الديداكي - وهو كتاب كنسي من القرن الثاني- المسيحيين أن يعترفوا بخطاياهم قبل تقدمهم للأفخارستيا.

في كل يوم من أيام الرب - فهو يومه الخاص - اجتمعوا معاً واكسروا الخبز واشكروا، اعترفوا بخطاياكم أولاً حتى تكون ذبيحتكم طاهرة» (ديداكي ١٤: ١)، ونظام الأفخارستيا يصفه بأكثر تفصيل چستين مارتر (يوستينوس الشهيد) - من روما - في منتصف القرن الثاني:

طقس المعمودية

لم يكن يُسمَح إلا للمتعمدين من الرجال والنساء بتناول الأفخارستيا. ومنذ البدايات المبكرة، تم دمج ما كان يقوم به يوحنا المعمدان مع كلمات الرب يسوع، حينما أوصى تلاميذه بأن يذهبوا ويتلمذوا الناس من جميع الأمم، ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨: ١٩). وتقدم الديداكي قواعد واضحة ومحددة للمعمودية، مع سماحها ببعض التنويعات لكي تتلائم مع الظروف:

هكذا تكون المعمودية: اعط تعليمات عامة عن كل هذه النقاط بعد ذلك قم بالتعميد في ماء متدفق، «في اسم الآب والابن والروح القدس». وإذا لم يكن لديك ماء متدفق، يمكنك أن تستخدم أي مياه أخرى. وإذا لم تستطع في الماء البارد، فلتستخدم الدافيء. وإذا لم يكن عندك أي منها، عندما اسكب بعض الماء على الرأس ثلاث مرات» في اسم الآب والابن والروح القدس». علاوة على ذلك، قبل المعمودية يجب على المُعَمِّد والمُعَمَّد أن يصوما، وأي شخص آخر يستطيع على ذلك. ويجب أن تطلب من الشخص الذي سيُعَمَد أن يصوم قبل المعمودية بيوم أو اثنين.


جزء من نحت تحت عنوان «معمودية كرنيليوس» من أواخر القرن الرابع.

«في اليوم المسمى يوم الأحد، يوجد اجتماع في مكان واحد للذين يعيشون في المدن، أو في الأرياف وتُقرأ ذكريات الرسل أو كتابات الأنبياء بقدر ما يسمح الوقت. وعندما ينتهي القارىء، يتكلم الرئيس ليحث الحاضرين ويدعوهم للعمل بهذه الأمور النبيلة، ثم نقف جميعاً ونصلي».

وهذا الجزء من الخدمة المسيحية، يشبه إذن خدمات المجمع القديم، فيما عدا أن القراءات من العهد الجديد (ذكريات الرسل) قد أُضيفت إلى قراءات العهد القديم (من الأنبياء). ويقوم الرئيس بالتفسير أو قائد الكنيسة وليس من قرأ. وبعد موعظة القائد، يقول لنا جستين: يخرجون الخبز والخمر والماء، ويصلي القائد، ثم يوزع الخبز والخمر على الحاضرين، ويأخذه الشمامسة للآخرين. ويقول جستين إن الخدمة تتم في يوم الأحد لأنه اليوم الذي فيه بدأ الله الخليقة، واليوم الذي قام فيه الرب يسوع من الأموات. ويبدو من المحتمل أنه في البداية كان المسيحيون من اليهود يذهبون إلى المجمع في أيام السبت (السبت اليهودي) ثم يجتمعون لممارسة الأفخارستيا في أيام الأحاد ولكن من منتصف القرن الثاني قد جمعوا الخدمتين في أيام الآحاد.

الصلوات والترانيم وغيرها

كانت الصلوات في الخدمات المسيحية في البداية مأخوذة أحياناً من الأناجيل ورسائل الرسول بولس، وكان على رأسها بالطبع كلمات الرب يسوع على الخبز والخمر في العشاء الأخير، كما تذكر في (١كو١١: ٢٤، ٢٥) وأناجيل متى ومرقس ولوقا. كان يماثل ذلك أهمية ترديد الصلاة الربانية كما هي موجودة في (مت ٦: ٩- ١٣) وبالإضافة إلى ذلك فإن في (٢: ٦- ١١) يحتفظ بصلاة لعلها كانت تستخدم في بعض الخدمات المبكرة. وقد أشار العلماء إلى عدد من الترانيم في العهد الجديد التي يمكن أن تكون قد استخدمت في خدمات العبادة في ذلك العصر المبكر، وهذه الترانيم موجودة في (كو ١: ١٥- ٢٠)، (أف ١: ١٣، ١٤)، (١تي ٣: ١٦).

وفي القرن الثاني، أصبحت خدمات العبادة طويلة وشملت قراءات منفصلة، ولكن في القرن الثالث قصرت الخدمات وكانت القراءات تُختار لتناسب اليوم الذي يُحتفل به، فمثلاً في الأسبوع السابق لعيد القيامة، كانت القراءات من أيوب، لأن آلام أيوب كان ينظر إليها في ضوء آلام المسيح، وفي عيد القيامة، كان يُقرأ سفر يونان لأن ثلاثة أيام يونان التي قضاها يونان في بطن الحوت كانت تعتبر إشارة إلى ثلاثة الأيام التي قضاها الرب يسوع في القبر. كانت هذه بداية إصلاح العبادة المسيحية التي امتدت على مدى القرون التالية إلى اليوم.

تقديم الشكر

أصبحت خدمة عشاء الرب تُعرف باسم «افخارستيا» من الكلمة اليونانية التي تعني «تقديم الشكر» في العصور المبكرة. وكانت الكلمة في الأصل تستخدم لوصف الصلوات التي تقال في الخدمة، ولكنها سرعان ما أصبحت تطلق على الخدمة نفسها.

صورة جدارية من مقبرة القديس بطرس ومريسيلينوس تبين وليمة محبة – وليمة شركة تذكاراً للعشاء الأخير.



مِنَ الدَّرْجِ (اللَّفِيفَةِ) إِلَى الْكِتَابِ

"اَلرِّدَاءَ الَّذِي تَرَكْتُهُ فِي تَرُوَاسَ عِنْدَ كَارْبُسَ أَحْضِرْهُ مَتَى جِئْتَ، وَالْكُتُبَ أَيْضاً وَلاَ سِيَّمَا الرُّقُوقَ"
(٢تي ٤: ١٣)

حبر للرقوق

لأن الأحبار التي أساسها الكربون التي تستخدم عادة للكتابة على البردي لا تلتصق جيداً بالرقوق، استخدمت أحبار مصنوعة من كبريتات الحديد ومواد نباتية، وكان يضاف إليها أحياناً الصمغ.. وكانت هذه الأحبار يكتب بها بأقلام من البوص كان لبعضها سن معدنية.

في أزمنة العهد القديم كانت الأسفار المقدسة تكتب في أغلب الأحيان على ورق البردي ولكن كانت تستخدم أيضاً مواد أخرى. فالقوانين والأقوال الهامة كانت تنقش على الآثار الحجرية أو المباني. وأحياناً كانت السجلات الهامة تنقش على أحجار مغشاة بالجص وكانت الكتابات المقدسة القصيرة تنقش أحياناً على صحائف رقيقة من النحاس أو أحياناً من الفضة. وبعد ذلك كان يستخدم الخشب المغشى بالشمع للكتابة. ومن العجب أيضاً، كتب الناس أيضاً على الأواني الفخارية وعلى الشقف (الأواني الفخارية المكسورة) كما نستخدم نحن قصاصات الورق الآن.

وظل البردي المادة المفضلة لكتابة الأسفار المقدسة لأن الأوراق المصنوعة منه كان يمكن ضمها معاً وتكوين لفائف كبيرة تتسع لكتاب كامل. ولكن لم يدم استخدام البردي زمناً طويلاً، وكان يستورد غالباً من مصر التي لم تكن في سلام على الدوام مع إسرائيل، ولذلك حاولوا استخدام مواد أخرى لتحل محل البردي، فاستخدموا الجلود المدبوغة حيث كان يمكن تشذيبها وخياطة بعض القطع معاً لتكوين لفافة كبيرة ذات سطح ناعم للكتابة عليه. ولكن الجلود لم تكن البديل المثالي للبردي لأنها كانت سميكة وأصعب من البردي في استخدامها كما أن لونها القاتم كان يجعل من الصعب قراءة المكتوب عليها.

وبعد ذلك قبيل سنة ٥٠٠ ق.م. بدأ استخدام مادة جديدة في برغامس على الساحل الغربي لأسيا الصغرى، وهي الرقوق وكانت تصنع من جلود الحيوانات ولكن بعملية أكثر تقدماً.. فكانت الرقوق تمر في أربعة خطوات هامة، فكانت تؤخذ الجلود من الحيوانات وتغسل جيداً، ثم تنقع في ماء نظيف لمدة يوم أو أكثر، ولاستكمال العملية، كانت الجلود تنقل إلى حوض به ماء مضاف إليه الجير، وتترك هكذا لمدة أسبوع أو أسبوعين أو أكثر أحياناً للتخلص مما بها من شعر وفي خلال هذه المدة، كان المخلوط يُحرك عدة مرات كل يوم بقضيب أو بحراك.

وعندما يتم التخلص من الشعر بشكل كاف، كانت الجلود تنقل من الحوض، وتوضع بجانبها الذي كان الشعر إلى أعلى، على لوح أو عمود من الخشب، ويقشط الشعر بسكين منحنية ذات يدين. ثم تُقلب، وتعاد العملية للتخلص من أي بقايا من اللحم. ثم يُنقع الجلد بكامله في ماء نقي لمدة يومين لإزالة الجير.

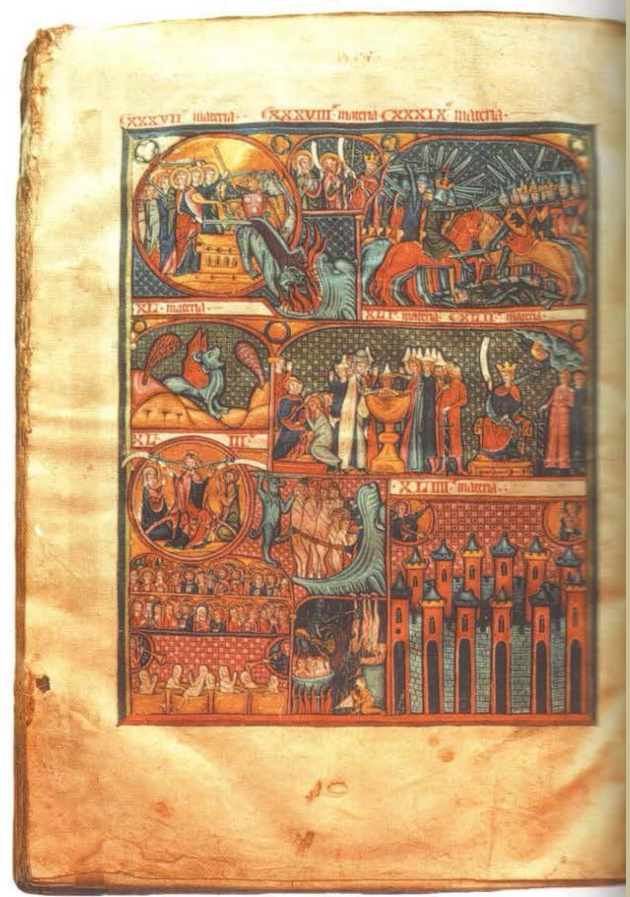
والخطوة الثالثة تتضمن فرش الجلود وتنظيفها جيداً.

مخطوطة مصورة فارسية من القرن الرابع عشر تصور معركة ميخائيل والمعركة ضد جوج وماجوج وضد المسيح والدينونة الأخيرة وأورشليم السماوية.

ثم تؤخذ الجلود من الماء وتربط بحبال قصيرة من نقط عديدة إلى إطار خشبي.. وكانت أطراف الحبال تربط إلى أوتاد يمكن أن تدار بحيث تشد الجلود بقوة على الإطار الخشبي . وبينما الجلد على الإطار، كان العامل يتناول سكيناً أخرى خاصة ليقشط جانبي الجلود مرة أخرى وتكون في أثناء ذلك مبللة. ثم يترك الجلود على الإطار لتجف في الشمس التي تشدها بقوة نتيجة لانكماشها.

والخطوة النهائية كانت تتضمن قشط الجلود مرة أخرى من الجانبين حتى تصل إلى السمك المطلوب. وكان الجانب الذي كان به الشعر، يلزمه قشطاً أشد من السطح الخلفي. ثم ينقل الجلد بعد ذلك من الإطار ثم يطوى حسب المطلوب، وقبيل استخدامه، كان يُشذَّب حسب الحجم المطلوب. ثم يصقل بحجر الخفاف لتبييض سطحه.

وكانت الرقوق تامة الصنع أفتح لوناً من ورق البردي وأكثر مرونة. وبعد الاستعمال كان يمكن أن تقشط ويعاد استخدامها. ولأنها كانت أقل تعرضاً للقصف فكان يمكن طيها بسهولة مما جعلها نموذجية في كتابة المخطوطات التي كانت تتكون من صفحات أصغر تضم معًا لتكون كتاباً مثل الكتب التي نستخدمها الآن.



تطور الكتاب الحديث

وفي زمن الرب يسوع كانت الرقوق قد انتشرت في معظم بلاد البحر المتوسط، وأصبح المادة المفضلة عند اليهود لاستخدامه في تدوين الكتب التي كانت تقرأ في المجامع. فعندما قرأ الرب يسوع من سفر أشعياء في مجمع الناصرة، كان على الأرجح يقرأ من كتاب مصنوع من الرقوق، ولكن في نفس الوقت، ظهر نوع جديد من السطوح للكتابة عليها، مثل الكتب التي نستخدمها الآن، بصفحات داخل أغلفة. وقد تطور هذا الشكل من الكتب فأصبحت من مادة كتابية كانت مصنوعة من الخشب كان يستخدمها الرومان لحفظ سجلاتهم وغير ذلك من الكتابات، وكانت تتكون من عدة ألواح خشبية كانت تجوَّف لتصبح سطحاً واحداً مستوياً وتملأ بالشمع وتجمع معاً لتكون نوعاً من الكراسات غير المصقولة. وكان الرومان يكتبون على الشمع الناعم بالطرف المدبب لأزميل معدني ويمحون الكتابة بالطرف الآخر غير المدبب من نفس الأزميل.

وبمرور الزمن استخدمت صحائف البردي والرقوق عوضاً عن هذه الألواح المتعبة المغطاة بالشمع. وفي البداية كانت توضع عدة صحائف من البردي أو الرقوق ثم تطوى إلى نصفين لتكون كراسة بسيطة. وفي نحو زمن تدوين أسفار العهد الجديد، بدأ الكتّاب في خياطة عدداً من



ضمن برنامج التاريخ المعاش في أمريكا، ارتدى شخص من فريق العمل ملابس من القرن التاسع عشر، وهو يمثل كيفية عمل الرقوق. وهنا يقوم بشد الجلد على النار لتجفيفها.

الأفضل فقط

يمكن عمل الرقوق من جلد كل أنواع الحيوانات تقريباً: مثل الماعز، والغزلان والأرانب، ولكن أفضل جودة يمكن الحصول عليها من جلد Golfskin. وكانت هذه الرقوق الرقيقة تستخدم في كتابة المخطوطات الثمينة خلال العصور الوسطى.

هذا الجانب للخارج

عندما كانت تجمع المخطوطة كانت أوراق الرقوق توضع بحيث تواجه الجوانب التي كان بها الشعر نظيرتها كما كانت الجوانب الخلفية تواجه نظيرتها أيضاً. وكان هذا يتم لجعل الصفحات المتواجهة من المخطوطة على نمط واحد لأن جانبي قطعة الجلد يتشربان الحبر بطريقة مختلفة.



صورة قرص من الشمع من القرن الرابع

هذه الكراسات عند الثنيات، وهكذا أصبح لديهم كتباً به صفحات أكثر مخطوطة. وأول إشارة وصلتنا إلى المخطوطة جاءت في قصيدة الشاعر اليوناني مارتيال، التي أكملت في ٩٨م. ويقول مارتيال إن «المكتبات تبيع هوميروس في كراسات من الرقوق والألياذة وقصة عوليس.. في جلود مطوية عدة طيات». وكان بالتأكيد يشير إلى أن هذه المؤلفات كانت في شكل كتب.

المسيحيون والمخطوطات

وبناء على عدد المخطوطات التي وصلتنا من القرن الثاني، كان المسيحيون مبكرين في استخدام هذا الشكل من الكتب، فمن بين نحو ٨٧٠ مخطوطة وصلتنا من تلك الأيام، جميعها ما عدا ١٤ مخطوطة، تحتوي على كتابات مسيحية. وكانت أقدم المخطوطات المسيحية مصنوعة من البردي، ولكن متانة الرقوق ومرونتها لابد قد ظهرتا بسرعة لأن غالبية المخطوطات التي جاءت بعد ذلك كانت من الرقوق وظلت هكذا إلى أن ظهرت صناعة الورق في العالم المسيحي في القرون الوسطى.

ولا أحد يعلم لماذا انجذب المسيحيون الأوائل إلى المخطوطات. يعتقد البعض أنهم استخدموا المخطوطات للتمييز بين الكتابات المسيحية وغير المسيحية، أو بالحري بين المسيحية والأسفار اليهودية التي كانت مكتوبة على لفائف. وبناء على تقليد قديم، كان مرقس أو من سجل إنجيله سجَّلهُ على شكل مخطوطة، ثم تبعه كُتَّاب مسيحيون آخرون.

ومهما كانت حقيقة هذه النظريات، فإن الأسباب الحقيقية لاستخدام أشكال المخطوطات كانت أسباباً عملية، فاللفائف كانت متعبة فكان على القارىء أن يمسك بأحد أطرف اللفيفة. بينما يفرد الطرف الآخر بيده الأخرى. كما كان من الصعب تحديد مكان موضوع معين في اللفيفة. وعندما قرأ الرب يسوع في سفر إشعياء في مجمع الناصرة، كان عليه أن يبحث عن المكان المطلوب ثم يظل ممسكاً باللفيفة مفتوحة وهو يقرأ، فلو أنه قرأ من مخطوطة، لكان من السهل أن يجد الفصل الذي يريد أن يقرأه، ربما بمساعدة نوع من الشرائط أو أي علامة أخرى لتحديد المكان، كما كان يمكنه أن يترك الكتاب مفتوحاً أمامه، بدلاً من إمساكه باللفيفة، مما كان يحرر يديه بالإشارات المعبرة. وهذه السهولة في حفظ مخطوطة مفتوحة كانت تجعل من الأسهل على القارىء أن يفتح كتابين أحدهما إلى جانب الآخر للمقارنة بين القراءات.

كما أن الحجم، ربما كان عاملاً في تفضيل المخطوطة على اللفيفة. حيث كان طول اللفيفة محدوداً، أما المخطوطة فكان يمكن أن تكون أطول كثيراً، فمثلاً إنجيل لوقا كان يمكن أن يستغرق أكثر من ثلاثين قدماً من اللفيفة، وهو أكثر ما كان يمكن للفيفة واحدة أن تتيحه. وهذا يعني أنه لم يكن في الإمكان كتابة الأناجيل في لفيفة واحدة، كما لم يكن في الإمكان كتابة إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل في لفيفة واحدة، وكانا جزءين من عمل واحد. ومن الناحية الأخرى، كان للفائف ميزة للكتّابات الأقصر، وهي لو أن النص انتهى قبل أن تمتلىء اللفيفة، فإن باقي الرق كان يمكن أن يقطع ويستخدم لكتابة نصوص أخرى، كما كان يمكن إضافة رق آخر متى ثبت أن اللفيفة غير كافية بينما كان من الصعب الإضافة أو الحذف من المخطوطة، كان يجب تطبيق رق آخر، وكان ذلك كثيراً ما يترك أمام الكاتب صفحات أكثر مما يلزمه لاستكمال النص الذي يسجله، وهذا السبب نجد في نهاية بعض المخطوطات القديمة أجزاء صغيرة من كتابات لا تمت بصلة للنص الأصلي.

ومهما كان السبب في تفضيلهم للمخطوطات، فإن المسيحيين بدأوا في إتجاه لم ينقطع.. ومع أن اليهود ظلوا يستخدمون اللفائف في العبادة، وما زالوا يفعلون ذلك حتى الآن، فإن سرعان ما أصبحت المخطوطة هي الشكل الذي أصبح عليه الكتاب في كل العالم الغربي، وما زال إلى اليوم.

الأناجيل والرسائل في شكل كتاب

في الأيام التي تلت مباشرة كتابة الأناجيل، كانت تستخدم أساساً في داخل المجتمعات التي كُتِبَت فيها. ولكن نتيجة لقيمتها العظيمة، أصبحت هذه الأناجيل يتم تداولها بشكل منفرد في جماعات مسيحية أخرى. وبعد فترة ما تم تجميعها معاً وبدأت تنتشر في شكل مخطوطات أو كُتب. وهذا الأمر ينطبق تماماً على رسائل بولس، وفي ثلاثينات القرن الماضي تم اكتشاف مجموعة من المخطوطات القديمة للعهد الجديد واشتراها عَالِم متخصص يدعى شستر بيتي. (وقد اشتهرت المخطوطات باسم برديات شستر بيتي على اسم الشخص الذي عثر عليها وكتب عنها) وأهم ما فيها يرجع تاريخه إلى بدايات القرن الثالث ويضم الأناجيل. والأمر المدهش أن ترتيب الأناجيل جاء كما يلي: متى ثم يوحنا ثم لوقا ثم مرقس وأخيراً أعمال الرسل على خلاف سواء مع الترتيب التي تظهر به في العهد الجديد، أو مع الترتيب الذي يراه معظم العلماء اليوم لزمن كتابتها. وهناك مخطوطة أخرى تتضمن معظم الرسائل المنسوبة لبولس. وتتضمن المجموعة رسالة العبرانيين (التي فيما بعد أصبحت تُنسَب إلى بولس)، ولكنها ليس بها رسالتي تيموثاوس ورسالة تيطس. وربما أن الشخص الذي جمع هذه المجموعة معاً لم يكن يعرف شيئاً عن هذه الرسائل، أو ربما لم يكن يعتقد أن بولس كتبها.

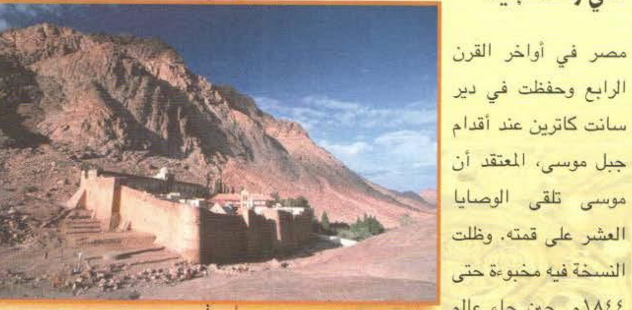
صورة صفحة من المخطوطة السينائية إحدى أقدم مخطوطات الكتاب المقدس التي وصلتنا.

خراف للذبح

يُقدِّر العلماء أن المخطوطة السينائية، إحدى المخطوطات الكتابية الكاملة، كانت تحتوي على ٧٣٠ رقيقة من الجلد مما استلزم استخدام جلود نحو ٣٦٠ من الخراف والماعز لإعداد الرقوق اللازمة.

أقدم الكتب المقدسة التي وصلت إلينا

لا أحد يعلم متى تم ضم أسفار العهدين القديم والجديد في مجلد واحد، ولكن أقدم نسختين من الكتاب المقدس وصلتا إلينا (كاملتين تقريباً) ترجعان إلى منتصف القرن الرابع، وتعرفان اليوم بالمخطوطة الفاتيكانية والمخطوطة السينائية، وتحتويان على معظم النسخة السبعينية (أول ترجمة يونانية للكتاب المقدس العبري) وتحتوي على الأسفار التي حذفها اليهود، واعتبرها البروتستانت أسفاراً أبوكريفية مع أن المخطوطة الفاتيكانية ينقصها أسفار المكابين. وكلتا المخطوطتين تحتويان على أسفار العهد الجديد كلها (٢٧ سفراً). والمخطوطة السينائية تحتوي أيضاً على رسالة برنابا وراعي هرماس. والأرجح أن النسخة الفاتيكانية قد كتبت في مصر في نحو ٣٥٠م. ثم انتهى بها المسار إلى مكتبة الفاتيكان في روما. أما النسخة السينائية فلها تاريخ أكثر إثارة. فقد كتبت في مصر في أواخر القرن الرابع وحفظت في دير سانت كاترين عند أقدام جبل موسى، المعتقد أن موسى تلقى الوصايا العشر على قمته. وظلت النسخة فيه مخبوءة حتى ١٨٤٤م. حين جاء عالم ألماني هو قسطنطين تشيذورف الذي عثر عليها في كوم من القمامة كان معدًّا للحريق وفوراً وعندما أدرك حقيقة ما اكتشفه، أنقذ معظم المخطوطة. لِقِدَم هاتين المخطوطتين ولأنهما تكادان أن تكونا مكتملتين، فإن لهاتين المخطوطتين قيمة لا تقدر في معاونة علماء الكتاب المقدس الآن.



صورة لدير سانت كاترين في سيناء بمصر، الذي بُني على المكان الذي رأى فيه موسى العليقة المشتعلة. وقد أصبح هذا المكان مزاراً مسيحياً منذ القرن الرابع. وهو أسقفية مستقلة تابعة للكنيسة الروم أرثوذكسية.

أَوَّلُ كِتَابٍ مُقدَّسٍ بِهِ مَلْحُوظَاتُ دِرَاسِيَّةٌ

"تقرأ الأسفار المقدسة يومياً ونختبر جفافاً في النفس إلى أن يهبنا الله طعاماً ويشبع جوع النفس" أوريجانوس

كتاب أوريجانوس المقدس به ست ترجمات في أعمدة متوازية مما يسمح للقاريء أن يقارن الترجمات ببعضها، لذلك يطلق عليها اسم السداسية. والصورة هنا لمزمور ٢٢ تحتفظ فقط بأربعة أعمدة من الستة الأصلية.

(مخطوطة في مكتبة جامعة كامبردج)

اكتمل أول كتاب مقدس به ملحوظات دراسية معروف في نحو ٢٤٥م، وهو عمل ضخم يبدو وكأنه موسوعة تضم أكثر منه كتاباً واحداً للدراسة. وكانت كلماته تملأ نحو ٦٥٠٠ صفحة ربما في ١٥ مجلداً، وهذه أعداد تقديرية لأنه لم يقم أحد بعمل نسخة كاملة منها. لقد قام بعضهم بنسخ أجزاء من هذه النسخ. وقد شمل المشروع العهد القديم فقط ومع ذلك فهو عمل ضخم لأنه احتفظ بست ترجمات لأسفار العهد القديم العبري في أعمدة متجاورة، فما سمح للقاريء أن يقارن بين الترجمات المختلفة، ومما أضفى عليها اسم النسخة السداسية (الهاكسابلا)

ابتكار عالم

وقد جاءت فكرة هذا العمل الضخم الخالد من فكر عالم كان في الخامسة والأربعين من عمره هو أوريجانوس أحد المعلمين العظماء كثيري الانتاج من كنيسة العصور القديمة.

ولد أوريجانوس في نحو ١٨٥م. لوالدين مسيحيين

أسلوب حياة أوريجانوس المتقشفة

لقد عاش أوريجانوس حياة التقشف، فيأكل القليل وينام على الأرض ويمشي حافياً بل وتمادى في الأمر حتى إنه خصى نفسه كما يذكر الكاتب المسيحي يوسابيوس، وهو قول يعتقد الكثيرون من العلماء أنه كاتب يوثق به. وذكر يوسابيوس أن السبب الذي دفع أوريجانوس لذلك هو لمنع أي شك في اتهامات كاذبة من غير المؤمنين لأن أوريجانوس كان يعلّم النساء والرجال.

سيوري الحال في الاسكندرية بمصر، وكان والداه يحبانه بشدة فحظى بتعليم جيد في الآداب اليونانية والأسفار المقدسة المسيحية، وكان أوريجانوس ابن ١٦ سنة عندما استشهد أبوه وصودرت ممتلكات الأسرة. وقامت سيدة مسيحية ثرية بالصرف على أوريجانوس ليستكمل دراساته والقيام بعمله في التعليم والكتابة اللاهوتية. وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره عين رئيساً لمدرسة دينية في الاسكندرية.

وبعد ذلك استقر أوريجانوس في قيصرية العاصمة الرومانية لفلسطين على شاطيء البحر الأبيض المتوسط وهناك صرف العشرين سنة الأخيرة من حياته. وهو يحاضر ويكتب، وهناك أيضاً كتب معظم الهكسابلا، بالإستعانة بعدد من السكرتيرين والنسَّاخ الذين كانوا يعملون في دوريات معه.

وقد بدأ المشروع في نحو ٢٣٠م واستغرق نحو ١٥ سنة لاستكماله. والأرجح أنه كانت هناك عدة أسباب ليشرع أوريجانوس في القيام بمثل هذا المشروع المضني. أولاً حقيقة أنه كان تلميذاً عاكفاً على دراسة الكتاب المقدس زمناً طويلاً وأراد أن يفهم العهد القديم، وكانت هناك نسخ عبرية عديدة، كان بعضها يحتوي على فصول لا توجد في غيرها، كما كانت هناك ترجمات يونانية عديد تحتوي على تغييرات عديدة عن الترجمة السبعينية أول ترجمة يونانية. وقرر أن يضع أفضل هذه الترجمات في أعمدة متوازية لتسهيل دراستها، وهذه هي النسخ التي حفظها في ستة أعمدة من اليسار إلى اليمين:

- **النص العبري** الذي كان يهود فلسطين يعتبرونه المرجع الأساسي في أيامهم، والذي كان أوريجانوس يعتقد أنه النص الذي استخدم في الترجمة السبعينية.
- كتابة الكلمات العبرية بأحرف يونانية لإيضاح كيفية نطق الكلمات العبرية.
- **ترجمة يونانية** بواسطة العالم أكيلا.
- **ترجمة يونانية** بمعرفة سيماخوس.
- **الترجمة السبعينية** منقحة بمعرفة أوريجانوس
- **ترجمة يونانية** بمعرفة ثيودوتيون.

وفي بعض الأجزاء من النسخة السداسية، استمد أوريجانوس ما كتبه من ترجمات يونانية أخرى، مما جعله يكتب أحياناً سبعة أعمدة أو ثمانية.

تنقيح الترجمة اليونانية

صرف أوريجانوس معظم جهده في العمود الخامس، لتنقيح الترجمة السبعينية.. وشرح هذا العمل: عندما لم أكن واثقاً مما جاء في السبعينية لأن النسخ المختلفة لا تتطابق، لجأت إلى نسخ أخرى واحتفظت بأكثرها تطابقاً.

وفي النسخة السبعينية بعض فصول لا توجد في النص العبري كما أن بعض الفصول الموجودة في النص العبري. لا توجد في السبعينية. فأدخل أوريجانوس كل هذه في نسخته المنقحة، مع كتابة ملحوظات تبين أي الفصول غير موجودة في العبرية وأيها أضيفت. وعن هذه الإضافات والملحوظات، كتب أوريجانوس «أي شخص يُعثره هذا التصرف، له حق الاختيار أن يقبلها أو يرفضها».

وألمح أوريجانوس إلى أن السبب الذي جعله يشرع في هذا المشروع هو أن يساعده في محاوراته اللاهوتية مع اليهود. فهو لم يكن يقرأ العبرية، وكذلك غالبية اليهود في عصره، ولكن النسخة السداسية أتاحت لأوريجانوس أن يعرف أي الفصول من الكتاب المقدس العبري يستطيع أن يستخدمها لإبراز نقطة لاهوتية لليهود. وكتب أوريجانوس في خطاب له، وهو يشتغل بالعمل في النسخة السداسية: «لقد بذلت جهدي ألا أكون جاهلاً بقراءاتهم (السبعينية) المختلفة، لئلا في محاوراتي مع اليهود، اقتبس لهم ما لا يوجد في نسخهم، ولكي أستطيع أن استيفيد شيئاً مما يوجد فيها حتى وإن لم يكن موجوداً في كتبنا نحن».

ومع أن عمل أوريجانوس الضخم لم يستنسخ إطلاقاً بالكامل، فإن النسخة الأصلية ظلت عدة قرون قبل أن تختفي في أوائل القرن السابع، ولربما مُزقت عندما غزى العرب فلسطين.

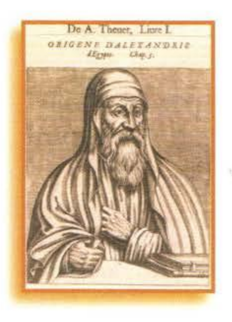
على أية حال، عُملت نسخ من نسخته المقنحة كما نسخت أجزاء من الكتاب المقدس مثل نسخة المزامير ذات الستة أعمدة.

وكل ما بقي إلى اليوم إنما هي جزازات من كتابه وإحدى هذه النسخ الباقية عبارة عن أعيد استخدامه، ومُحي حبر القرن العاشر من نسخة المزامير السداسية، وكتب أحد الكتبة من القرن الثالث عشر أو الرابع عشر نصاً يونانياً مختلفاً، ولكن ما زال في الإمكان رؤية الكلمات الأصلية. وتراوح عدد الأعمدة في مخطوطة القرن العاشر ما بين عمودين إلى ستة أعمدة، بها نحو ١٥٠ آية على ٣٥ صفحة ولوجود هذه الأعمدة العديدة، فإن كل سطر لم يكن يتسع إلا لكلمتين.. وهناك جزازة أصغر بها المزمور ٢٢، بها كل الأعمدة الستة.

وقد كتب أوريجانوس الكثير من الكتب الأخرى، بما في ذلك مواعظ وشروحات على أسفار العهدين القديم والجديد. كما كتب «عن المبادىء الأولى» من أول محاولاته لشرح التعاليم المسيحية. وقد انتهى عمل حياته، عندما جدد الإمبراطور الروماني ديسيوس اضطهاد المسيحيين في ٢٥١، وكان أوريجانوس ابن ٦٥ سنة، فسُجن وعُذِّب، فضعفت صحته ومات بعد ذلك بنحو سنتين.

كاد يستشهد وهو في صغره

أراد أوريجانوس أن يموت شهيداً مع أبيه. فقد ذكر أحد قدماء الكتبة: ولكن أمه خبأت ثيابه، فلم يستطع أن يغادر البيت. وبذلك أنقذت الرجل الذي أصبح أكثر علماء الكتاب احتراماً في عصره.



أوريجانوس أحد أعظم علماء الكتاب المقدس في عصره، كاتب كثير الانتاج، ومنشيء أول كتاب مقدس به ملاحظات دراسية. وقد مات من مشكلات صحية بعد أن عذبه الرومان بسبب إيمانه. (صورة منحوته من ١٥٨٤م).

اَلْبَحْثُ عَنِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الْمَسِيْحِيِّ

"خالق الشرور، يشتهي الحرب، متقلب في مواقفه، ومتناقض مع نفسه"
وصف ماركيون لإله العهد القديم

إلى اليسار: قطعة من الرق وجدت في ديورا أورباس في سوريا. ولعل هذا النص اليوناني جزء من الدياتسرون وهو قصة واحدة. تمزج قصة الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا في قصة واحدة، ويقول بعض العلماء إن الكاتب كان أحد علماء القرن الثاني في سوريا اسمه «تاتيان». وقد أصبح إنجيله التوفيقي النسخة المفضلة لكثير من الكنائس السورية

إله سيء، وإله طيب

قال ماركيون: يوجد إلهان الإله الشرير وهو إله العهد القديم، والإله الصالح المحب الأسمى، إله العهد الجديد. ولشرح فكرته، كتب ماكيون كتاباً «المتناقضات» بَيَّن فيه كيف أن يسوع وبولس اختلفا مع العهد القديم: فقد قال يسوع: «ما من شجرة جيدة تثمر ثمراً ردياً» (لو ٦: ٤٣)، وأعلن إشعياء «أنا الرب.. صانع السلام وخالق الشر» (إش ٤٥: ٧).

يقول كثيرون من العلماء إن السبب في وجود ٢٧ سفراً في العهد الجديد، هو أن قادة الكنيسة الأُوَل لم يقبلوا الأحد عشر كتاباً التي وافق عليها الأُوَل اسمه ماركيون، كما لم يهتموا بدعوى لاهوتي آخر اسمه مونتانوس بأن إعلان الله مستمر ويجب ألا تكون للأسفار الإلهية نهاية.

وقد ساعدت مثل هذه الآراء، من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال، قادة الكنيسة أن يتحققوا من وجود مشكلة. أرادوا أن يقرروا أي كتابات مسيحية يقبلونها على أنها موحى بها من الله ويجب أن تقود المسيحيين في إيمانهم.

وعلى مدى المائة السنة الأولى بعد المسيح، لم تظهر مشكلة، فقد كان المسيحيون مكتفين بأقوال شهود العيان من رسل المسيح، ثم أقوال أتباع الرسل. فقد انتقلت هذه الذكريات الحية من شخص إلى آخر شفاهاً وكان لها تأثيرها القومي. وبمرور الوقت، ضعفت الذكريات بموت الأجيال الأولى من المؤمنين. وبدأ المسيحيون يعتمدون على القصص والتعاليم التي سُجلت كتابة ونسخت وزعت بين الكنائس مجموعات من القصص عن الرب يسوع (الأناجيل) والرسائل التي كتبها الرسول بولس وغيره من قادة الكنيسة.

العهد الجديد عند ماركيون

أول قائمة معروفة للكتابات المسيحية المقبولة، وضعها ماركيون في نحو ١٤٠م. قبل أن تفرزه الكنيسة باعتباره هرطوقياً.

كان ماركيون غنوسياً، فكان يعلِّم بوجود إلهين، الإله الأدنى والشرير والخالق، هذا هو إله العهد القديم، والإله المحب السامي الذي أعلنه يسوع وبولس. وقد رفض ماركيون كل العهد القديم قائلاً إن الأبطال الروحيين والأنبياء في تلك الأسفار قد خدعهم الله الخالق، كما قال إن الكثير من الكتابات المسيحية قد أفسدها الرسل الكذبة الذين أدخلوا أفكارهم الشريرة وحذفوا التعاليم التي لم يحبوها. وقال ماركيون يلزم القيام بعمل دقيق لإعادة الكتابات المسيحية إلى حالتها السليمة، وهو ما شرع بعمله.

وانتاجه الكامل - أول عهد جديد له - كان إنجيلاً يعتمد بشدة على إنجيل لوقا مع عشرة رسائل معدلة من رسائل بولس، فقد حرر ماركيون كل هذه الأسفار الأحد عشر لتجاري تعاليمه الغنوسية، وكان ماركيون يقول مثل سائر الغنوسيين إن يسوع لم يكن بشراً حقيقياً حيث أن كل شيء طبيعي قد خلقه الإله الشرير، وكان يسوع روحاً نقياً أرسله الإله الأسمى، فيسوع ظهر في صورة البشر. لذلك فإنجيل لوقا عند ماركيون لم يكن فيه

لذلك سلسلة نسب يسوع، ولا قصة مولده في بيت لحم أو ذكر لأسرته ولا إشارات إلى نبوات العهد القديم التي تممها يسوع. كما حذف ماركيون من رسائل بولس كل الإشارات إلى أن يسوع أخذ صورة بشرية وتألم أجل خطايا البشر.

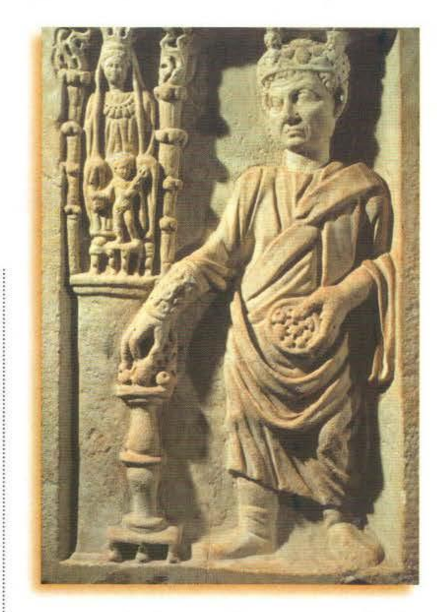
وإذا كان ماركيون يبدو لنا هرطوقياً جريئاً، فإنه كان قوي الحجة في أيامه، فكثيرون من العلماء يقدرون أنه في الوقت الذي توفي فيه في نحو ١٦٠م، كان نصف الكنيسة يؤمن بالكثير من تعليمه.

إنجيل تاتيان الرباعي

في أواخر القرن الأول كانت الأناجيل الأربعة عن الرب يسوع متداولة في كل الكنيسة. وكان چستين مارتر الذي ولد في نحو ١٠٠ م.، من أوائل من عبر عن معرفته وتقديره لهذه الكتابات، وإن كان يبدو أنه لم يكن يدري بإنجيل يوحنا. ففي نحو ١٥٠م. أشار إلى الأناجيل «كذكريات الرسل». وهناك معلم مسيحي آخر من نفس القرن، باسيليدس أشار إلى فصول في متى ولوقا ويوحنا لتأييد أقواله، مما يدل على أن الأناجيل كانت قد أصبحت مصدراً للسلطة.

ووجود أربعة صور لنفس القصة عن الرب يسوع كان أمراً مربكاً، وسير الأحداث لم يكن منطقياً على الدوام، وبدت بعض التفاصيل في أحد الأناجيل تتعارض أحياناً مع التفاصيل في إنجيل آخر، كما قد نتوقع عندما تقارن بين قصة شاهد وقصة شاهد آخر، وقد قرر بعض العلماء من المسيحيين الأوائل حل هذا الارتباك بمزج الأناجيل الأربعة في قصة واحدة متوافقة. وحقيقة أنهم شعروا بأنهم أحراراً ليفعلوا ذلك تدل على أنهم لم يكونوا يرون أن الأناجيل أقدس من أن تنقح.

وكان أحد العلماء السوريين الذي حاول ذلك معلماً غنوسياً اسمه تاتيان. وقد أتم في نحو ١٧٠م. هذا الإنجيل الممزوج المسمى الدياتسترون أي «توفيق أربعة». وفي الواقع كان يشتمل على أكثر من أربعة لأن تاتيان أضاف مادة من مصادر أخرى التي من الواضح أنها انتقلت شفاهاً. وقد أصبح إنجيله المنسوج بمهارة النسخة المفضلة عند كثير من الكنائس السورية وظل هكذا إلى أوائل القرن الرابع عندما أعلن أسقف في المنطقة أن تاتيان هرطوقي وأمر الكنائس باستخدام ترجمات أخرى للإنجيل. ويمكن أن تكون بعض جزازات من إنجيل تاتيان باقية لليوم، ولو أن العلماء يجادلون في هذا، وقد ظهرت نسخ متأخرة وترجمات للنص.



نقش بارز من حجر رملي يبين كاهناً يقدم ذبائح للآلهة سيبيل، قبل أن يتحول إلى المسيحية. وكان مونتانوس كاهناً من هذا الصنف. وادعى أن الله قد كلمه هو وأتباعه بشكل مباشر رأساً، وقال إن قائمة الكتاب المقدس يجب أن تظل مفتوحة لتسمح لرسائل جديدة من الله.

مونتانوس والكتاب المقدس الذي لا نهاية له

قرب نهاية القرن الثاني، تجدد كاهن وثني اسمه مونتانوس، في ما يسمى الآن تركيا، وأصبح مسيحياً، وجاء بولعه الشديد وبغيرة بالغة وبدأ في حركة نبوية مدعياً أنه وأتباعه قد وصلتهم رسائل من الله مباشرة. ثم سُجلت هذه النبوات في كتب، وذهبت بعض هذه الرسائل إلى أبعد من أي شيء موجود سابقاً في الكتابات المسيحية، وعلاوة على إعلان أن النهاية قربت وأن يسوع سيرجع سريعاً، فإن مونتانوس قال إن أورشليم السماوية ستنزل إلى الأرض في منطقة موطنه في تركيا.

وكسب مونتانوس أتباعاً كثيرين، فقد أقنع كثيرين بأنه وأتباعه أدوات لانسكاب الروح القدس المتنبأ عنه في إنجيل يوحنا: «متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية» (يو ١٦: ١٣).

وحركة مونتانوس التي استمرت عدة قرون نادت بأن المسيحيين يجب أن يحفظوا الإعلان مفتوح عن طريق خدمة الأنبياء المستمرة. وكان جواب الكنيسة أن كل الإعلانات اللازمة للخلاص احتوتها كتابات الرسل.

«كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ».
(٢تي ٣: ١٦).

اسْتِكْمَالُ الْعَهْدِ الْجَدِيد

شروط السفر الكتابي

ليس ثمة قائمة رسمية بالمعايير التي استخدمتها الكنيسة الأولى لتحديد الكتب التي تشكل العهد الجديد، ولكن العلماء يرون أنه كانت هناك ثلاثة شروط كبرى:

أولاً: أن يكون السفر قد كتبه أحد الرسل أو رفيق حميم لرسول.

ثانياً: يجب أن يكون موافقاً للتعليم المسيحي الموروث

ثالثاً: أن يكون مستخدماً استخداماً واسعاً في الكنيسة ومعتبراً مرجعاً صحيحاً.

لا توجد طريقة بسيطة لتفسير كيف اختار المسيحيون الأسفار السبعة والعشرين التي شكلت العهد الجديد. لم يكن ذلك نتيجة رد فعل متعجل للهرطقات في القرن الثاني، رغم أن الأسفار التي اقترحها أولئك الهراطقة جعلت الناس يفكرون في عهد جديد. وتبع ذلك تفكير استغرق قرنين من الحوار بين قادة الكنيسة.

ومع ذلك لم يكن قادة الكنيسة هم الذين قرروا الأمر، ففي نهاية الأمر كان عليهم أن يؤيدوا القرار الذي توصلت إليه الكنيسة على إتساعها بالتدريج فعندما كانت الكنائس تجتمع للعبادة، كانوا يقرأون الأسفار اليهودية وبخاصة النبوات التي كانت تشير إلى الرب يسوع، كما بدأوا في قراءة كتابات مسيحية مختارة، وبخاصة تلك القصص والرسائل التي كتبها أشخاص كانت لهم صلة وثيقة بالرب يسوع: وهم الرسل وأتباع الرسل. وكانت أكثر الكتابات احتراماً هي التي كانت أكثرها إتفاقاً مع التعليم المسيحي المعهود وأكثرها جدوى للكنائس المحلية والتي كانت تقرأ في أكثر الأحيان. وهذه هي القصص والرسائل التي أصبحت أعز ما يكون للمؤمنين في القرون الأولى للكنيسة.

نسخة من سفر أعمال الرسل يرجع تاريخها للقرن الخامس الميلادي، ومكتوبة باللغة القبطية وهي لغة مصرية قديمة، منذ بدايات القرن الثالث قد قُوبِل سفر أعمال الرسل الذي يسرد قصة ميلاد الكنيسة بشكل واسع كسفر قانوني.

وفي أوائل القرن الثالث خطا العالم اللاهوتي أوريجانوس خطوة كانت الأولى نحو تحديد أسفار العهد الجديد. أراد أوريجانوس أن يعرف أي الكتابات المسيحية تستخدمها الكنائس، وما اكتشفه جعله يكتب قائمة من ثلاثة أجزاء: كتب مقبولة، كتب موضع شك، وكتب غير موثوق بها.

وكان في قائمة الأولى، الأسفار المقبولة في الكنائس على إتساعها، الأناجيل الأربعة التي نعرفها الآن، ورسائل الرسول بولس الثلاث عشرة كما هي لدينا الآن، وأعمال الرسل، وبطرس الأولى ويوحنا الأولى والرؤيا. وفي قائمته الثانية من الكتب موضع الشك كانت الأسفار الستة الباقية من أسفار العهد الجديد الذي بين أيدينا: العبرانيين ويعقوب وبطرس الثانية ويوحنا الثانية والثالثة ويهوذا. وكانت قائمته الثالثة من الكتب غير الموثوق بها أسفار لم تعتبر إطلاقاً أسفاراً من العهد الجديد: إنجيل توما وإنجيل المصريين وإنجيل متياس.

يوسابيوس والإمبراطور

ظلت المسيحية على مدى ثلثمائة عام ديانة مرفوضة في الإمبراطورية الرومانية، وتعرضت لنوبات من الاضطهاد العنيف حسب مزاج الإمبراطور الموجود. وعندما انتشرت الكتابات المسيحية، امتد الاضطهاد إلى حرق الكتابات المسيحية. فقد جعل الإمبراطور دقلديانوس هذا أمراً واجباً في السنوات الأخيرة من حكمه من ٣٠٣ – ٣٠٦م. ولكن خليفته قسطنطين الأكبر عكس موقف الإمبراطورية الرومانية من المسيحية.

فبعدما يقال عن ظهور المسيح لقسطنطين في حلم وأكد له انتصاره في معركة اليوم التالي، وقع الإمبراطور مرسوماً بالتسامح في ٣١٣م. فتحولت المسيحية من ديانة محرّمة إلى الديانة الرسمية، فلم تعد الكتابات المسيحية تتعرض للحرق، بل عوضاً عن ذلك أمر قسطنطين بنسخ ٥٠ كتاباً مقدساً للكنائس التي قرر بناءها في عاصمته القسطنطينية.

وقد تقدم الإمبراطور بطلبه هذا إلى العالم الشهير يوسابيوس أسقف قيصرية، عاصمة الولاية الرومانية في فلسطين. ولتنفيذ هذا الأمر كان على يوسابيوس أن يقرر أي كتابات مسيحية يضمها العهد الجديد. وكان يوسابيوس كشاب قد درس على يد بامفيلوس تلميذ أوريجانوس ولذلك ليس عجيباً أن يتبع يوسابيوس أوريجانوس في تقسيمه الثلاثي

الكتابات المسيحية وانتهى تقريباً بالأسفار المقبولة في قائمة أوريجانوس الأولى المتداولة في الكنائس: الأناجيل الأربعة، الأعمال، أربعة عشر رسالة للرسول بولس (بما فيها الرسالة إلى العبرانيين) وبطرس الأولى ويوحنا الأولى «والرؤيا إذ بدت مقبولة»، مما يعني أنه كان ثمة تردد من نحو هذا السفر النبوي. وفي قائمته الثانية، كانت الأسفار موضوع الجدل وهي بقية الأسفار الموجودة الآن في العهد الجديد: يهوذا وبطرس الثانية مع يوحنا الثانية والثالثة. والقائمة الثالثة كانت الكتابات المرفوضة التي لم يتم ضمها مطلقاً للعهد الجديد.

أسفار العهد الجديد

الأناجيل:

متـــى: حياة يسوع وخدمته

مرقس: الأرجح أنها أول قصة عن يسوع.

لوقـــا: أكمل قصة عن يسوع.

يوحنـا: تأكيد ألوهية يسوع

التاريخ:

أعمال الرسل: بداية الكنيسة

رسائل بولس الرسول:

رومية: ملخص الإيمان المسيحي.

١كورنثوس : توجيهات لكنيسة متنازعة.

٢كورنثوس: بولس يدافع عن حقه في القيادة.

غلاطية: الخلاص لا يكتسب بطاعة الشرائع.

أفسس: وصف عمل الكنيسة.

فيلبي: فرح خدمة المسيح.

كولوسي: الإيمان بالمسيح يخلص.

١تسالونيكي: تعليم عن المجيء الثاني.

٢تسالونيكي: المجيء الثاني والعيشة المقدسة.

١تيموثاوس: كيف تكون راعياً.

٢تيموثاوس: كلمات بولس الأخيرة.

تيطس : كيف ترعى كنيسة صعبة.

فليمون: اغفر للهارب

رسائل عامة:

العبرانيين: يسـوع يأتي بالنعمـة لتحـل محـل النامـــوس.

يعقوب: اظهر إيمانك في كيفية تصرفك

١بطرس: تحمل المعاناة كما تحملها المسيح.

٢بطرس: احترس من المعلمين الكذبة

١يوحنا: احترس من التعاليم المخرفة عن المسيح

٢ يوحنا: لا تعضد الهرطقات

٣ يوحنا: احترس من المعلمين الكذبة

النبـــوة:

الرؤيا: الله يهزم الشدة مرة وإلى الأبد.

وتظل الأسفار التي ضمَّنها يوسابيوس في الخمسين كتاباً مقدساً التي أمر بها قسطنطين سرّاً إذ لم يصل إلينا أي كتاب منها.

على أية حال لقد وصلتنا نسختان من الكتاب المقدس من ذلك العهد: النسخة السينائية (التي وجدت في دير سانت كاترين على جبل سيناء) والنسخة الفاتيكانية



(التي وجدت في الفاتيكان، وينقصها جزء من العهد الجديد). ولكن يقول العلماء إنه من غير المحتمل أن تكون هاتان النسختان من النسخ الخمسين التي عملها يوسابيوس.

ونسخة الكتاب المقدس التي عملها للإمبراطور قسطنطين يمكن أن يكون قد نقلها عن كتاب أوريجانوس ذي الأعمدة الستة الذي به الملاحظات الدراسية، «النسخة السداسية» (الهاكسابلا)، مستخدماً الترجمة اليونانية للعهد القديم التي ظهرت في عمود السبعينية. أما بالنسبة للعهد الجديد فلعل يوسابيوس استخدم الكتابات المقبولة من قائمة أوريجانوس الثلاثية، أو من قائمته هو. ومن الممكن أنه قد ضمَّنها الكتابات موضع الجدل أيضاً. أما النسخة السينائية ففيها كل الكتابات المسيحية وكثير غيرها.

قبل أن يصل الإمبراطور قسطنطين إلى الحكم، كان الحكام الرومان يأمرون بحرق كتابات الكنيسة المسيحية، ولكن الإمبراطور قسطنطين في ٣١٣م. أقر المسيحية ديناً للإمبراطورية وأمر بنسخ ٥٠ نسخة من الكتاب المقدس لتوضع في الكنائس التي ينوي تشييدها وسرعان ما أصبحت المسيحية هي الديانة المفضلة. والصورة المرسومة هنا هي صورة جصية من دير سوكيڤيتا في رومانيا، لقسطنطين وأمه هلينا.

القزم الأسود

وهو اللقب الذي أطلقه معارضو أثناسيوس عليه، فقد كان مصرياً قصيراً أسمر اللون، ولمحاربته ضد هرطقة معروفة قاومه الكثيرون، حتى نُفي خمس مرات من قِبَل أباطرة مختلفين، فظل في المنفى ١٧ سنة من مدة ٤٥ سنة شغل فيها مركز الأسقف.

صورة جدارية للقديس أثناسيوس الأسقف المصري. وخطابه في عيد القيامة سنة ٣٦٧م. أول من سجل أسماء أسفار العهد الجديد وذكر أنها أسفار مقدسة.

المدافعون عن أسفار العهد الجديد

يمكننا أن نلاحظ أن علماء الكنيسة الأولى، والمجامع المبكرة والنسخ القديمة للكتاب المقدس لا تتفق جميعها على الأسفار التي يجب أن يحترمها كل المسيحيين. الأسقف المصري أثناسيوس في خطابه للكنائس في ٣٦٧م. كان أول شخص في التاريخ المعروف يحدد أسماء الأسفار السبعة والعشرين التي تكون العهد الجديد كما نعرفه اليوم. وقد بُتَّ في الموضوع بعد ذلك بثلاثين سنة في مجمع قرطاج، رغم بعض المعارضات. كما يَظهر في الجداول هنا.

- ▲ ماركيون نحو ١٤٠
- ◆ إيريناوس نحو ١٨٠
- ✣ أوريجانوس نحو ٢٥٠
- ✖ النسخة السينائية نحو ٣٢٥
- ● أثناسيوس نحو ٣٦٧
- ■ مجمع قرطاج نحو ٣٩٧

متى:
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

مرقس:
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

لوقا:
- ▲ ماركيون
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ النسخة السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

يوحنا:
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

أعمال الرسل:
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

رومية:
- ▲ ماركيون
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

١، ٢ كورنثوس:
- ▲ ماركيون
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

غلاطية:
- ▲ ماركيون
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

أفسس:
- ▲ ماركيون
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

فيلبي:
- ▲ ماركيون
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

كولوسي:
- ▲ ماركيون
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

١، ٢ تسالونيكي:
- ▲ ماركيون
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

١، ٢ تيموثاوس:
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

تيطس:
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

فليمون:
- ▲ ماركيون
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

العبرانيون:
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

يعقوب:
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

١ بطرس:
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

٢ بطرس:
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

١يوحنا:
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

٢ يوحنا:
- ◆ إيريناوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

٣ يوحنا:
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

يهوذا:
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

الرؤيا:
- ◆ إيريناوس
- ✣ أوريجانوس
- ✖ السينائية
- ● أثناسيوس
- ■ قرطاج

راعي هرماس:
- ✣ إيريناوس
- ● السينائية

رسالة برنابا:
- ✣ إيريناوس
- ● السينائية

خطاب أثناسيوس في عيد القيامة

أول مرة ذكرت قائمة بالأسفار السبعة والعشرين جاءت في خطاب عيد القيامة من أسقف مصري كان في نحو السبعين من العمر في ٣٦٧م.، فقد كتب الأسقف أثناسيوس الخطاب للكنائس الخاضعة له، كما قد فعل في أعياد القيامة فيما مضى ليعلِّم المؤمنين ويشجعهم.

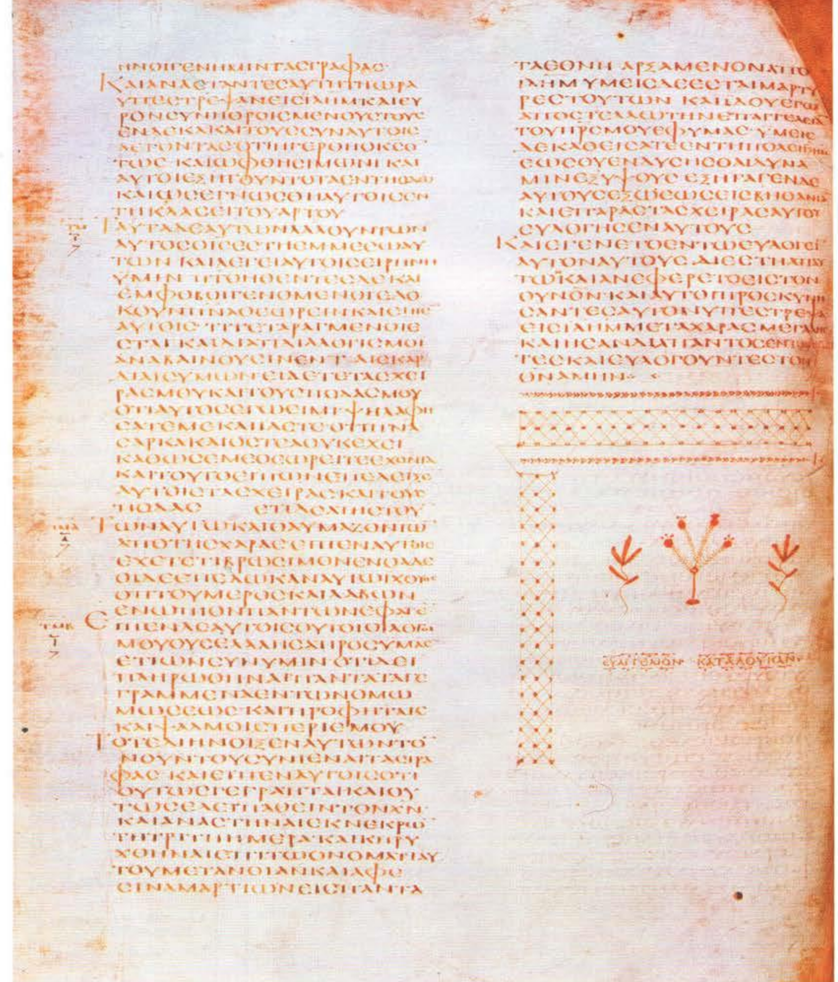
وفي هذا الخطاب الهام، كتب أثناسيوس: حيث أن الهراطقة يقتبسون من كتابات أبوكريفية، وهو شر قد انتشر منذ كتب القديس لوقا إنجيله، لذلك فكرت أنه من الصالح أن أحدد بوضوح أي الأسفار قبلناها على أنها تنتمي إلى الأسفار القانونية، والتي نؤمن بأنها أسفار إلهية.

ثم كتب الأسقف أسفار العهد القديم، وأعقبها بأسفار العهد الجديد من إنجيل متى إلى سفر الرؤيا.

وبعد أن سجل أثناسيوس أسفار العهد الجديد، كتب أثناسيوس: هذه هي ينابيع الخلاص، حتى أن كل من يعطش يمكنه أن يشبع بالكلمات الحية التي تحتويها، ففيها وحدها يُعلَن تعليم التقوى، فلا يضف أحد إليها شيئاً أو يحذف منها شيئاً.

ولم يكن أثناسيوس يعبر عن رأيه الشخصي، بل كتب الموقف السائد في الكنيسة. وقد تأيد هذا عندما أقر قادة الكنيسة قائمته الرسمية في مجامع عديدة في شمالي أفريقية: مجمع هبو في ٣٩٣م.، ومجمع قرطاج في ٣٩٧م.، ومجمع قرطاج الثاني في ٤١٩م. بناء على دعوة بعض القادة الذين طلبوا حذف العبرانيين ويعقوب ويهوذا.

وبهذا استقر موضوع أسفار العهد الجديد بالنسبة لغالبية المسيحيين، فقد قبلت الأسفار السبعة والعشرون بصورة عامة على أنها الجزء الثاني من الكتاب المقدس. ولكن استمر الحوار، ولم يتم الإتفاق الكامل الشامل، فبعد ذلك بعدة عقود من السنين، احتوت النسخة الإسكندرانية وهي نسخة من الكتاب المقدس من الإسكندرية بمصر سفرين لم يذكرهما أثناسيوس مطلقاً: وهما خطابان لكليمنت، والذي هو أحد قادة الكنيسة في أواخر القرن الأول. وظل السوريان يستخدمون كتاب تاتيان، «الدياتسترون» الذي يجمع الأناجيل الأربعة في كتاب واحد حتى القرن الخامس (بل وبعد ذلك في كثير من الكنائس). بل حتى اليوم تستبعد بعض الكنائس في شرقي سوريا بطرس الثانية ويوحنا الثانية والثالثة ويهوذا والرؤيا، وفي الناحية الأخرى، تضيف الكنيسة الحبشية أسفاراً أخرى، فالعهد الجديد لديها به ٣٨ سفراً عوضاً عن السبعة والعشرين.



صورة صفحة من المخطوطة الإسكندرانية تبين نهاية إنجيل لوقا ٢٤. وهذه النسخة التي ترجع للقرن الخامس كتبت بعد عدة عقود من وقت أن حدد الأسقف المصري أثناسيوس السبعة والعشرين سفراً في العهد الجديد، المتفق عليها. ومع ذلك فهذه المخطوطة تحتوي أيضاً سفرين آخرين، وهما خطابان منسوبان إلى أحد قادة الكنيسة في القرن الأول اسمه كليمنت.

اَلأَسْفَارُ الَّتِي كَادَتْ تَكُونُ أَسْفَاراً مُقَدَّسَةً

صلاة الشركة

يذكر كتاب تعليم الرسل (الديداكي) إحدى أقدم الصلوات المعروفة التي كان يستخدمها الخدَّام في العشاء الرباني. وبدلاً من التركيز على العشاء الأخير أو على جسد ودم المسيح، فإنها تشير إلى ملكوت الله الآتي «فكما أن هذا الخبز المكسور كان مُوَزَّعاً على الجبال، ولكنه جُمِع وصار خبزاً واحداً، فلتجتمع كنيستك معاً من أقاصي الأرض».

«رسالة من البابا»

وإحدى الكتابات المسيحية المشهورة والتي اعتبرها البعض مقدسة رسالة كليمنت الأولى. وهي رسالة كتبت في أواخر القرن الأول، من أحد قادة الكنيسة في رومية إلى الجماعة المضطربة في كورنثوس. فقد كتب بعض المؤمنين إلى هذا القائد للمساعدة على حل صراع قوي في الكنيسة. ومع أن الرسالة لا تذكر اسم هذا القائد في رومية، فإن كتاباً كثيرين بعد ذلك يقولون إنه كان كليمنت أسقف رومية الذي عرف بعد ذلك بأنه البابا الثالث للكنيسة.

ليست جميع الأسفار التي تنتمي للعهدالجديد، موجودة به، على الأقل حسبما كان يرى بعد قادة الكنيسة في العصر الأول.

ومع أن كتابات مسيحية كثيرة لم ترد في العهد الجديد فإن البعض دافعوا عنها دفاعاً شديداً، وبعض قادة الكنيسة المشهورين مثل إيريناوس وترتليان وأوريجانوس، أصروا على أن بعض الأسفار المفقودة كانت تستحق الاحترام والطاعة مثل سائر أسفار الكتاب المقدس.

راعي هرماس

وقد كُتِب في منتصف القرن الأول، وكان كتاباً مسيحياً مشهوراً في القرنين الثاني والثالث. ولأنه كان يتناول الكثير من القضايا الأخلاقية التي كانت تدعو المؤمنين للحياة المقدسة وضبط النفس، فكان قادة الكنيسة يوصون المتجددين الجدد به.

وفي هذا الكتاب، يعطي راعٍ سماوي (يُفتَرَض أنه ملاك) نصيحةً روحيةً لرجل اسمه هرماس، كان أصلاً عبداً وأصبح رجل أعمال. وكان هرماس أخاً لبيوس أسقف رومية في منتصف القرن الأول، بناء على مجموعة من الكتابات المسيحية ترجع إلى القرن الثاني (القائمة الموريتورية)

هناك ثلاثة أقسام في هذا الكتاب، رؤى، ومواعظ (وتسمى «وصايا»)، وأمثال (وتسمى «تشبيهات»). ومن الرؤى التي يبدأ بها الكتاب رؤيا من الواضح أنها متأثرة بسفر الرؤيا، فهي تذكر وحشاً مثل وحوش سفر الرؤيا، ينبيء ظهوره بضيقة رهيبة. والمواعظ والأمثال التي تلي ذلك تشمل مواضيع مثل الطهارة الجنسية، والتوبة والصبر والغضب.

وأحد الأسئلة الملفتة للنظر، الذي قدمها هرماس للراعي، عن الخطايا التي ترتكب بعد المعمودية. فبعض المعلمين يقولون إنه لا توجد فرصة ثانية بعد تلك التي منحت عندما بوركنا في ماء المعمودية ونلنا غفراناً عن خطايانا السابقة كان هذا سؤال هرماس.

فأجاب الراعي: «الأمر هكذا، لأن الذي نال غفراناً عن الخطايا السالفة، ينبغي ألا يخطيء مرة أخرى، بل يحيا في طهارة».

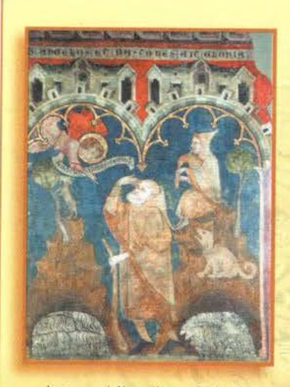
ملاك صالح، وملاك شرير

قال الرسول السماوي، في راعي هرماس: إن ملاكين يرافقان الإنسان:

فملاك البر رقيق ووديع ومتواضع ولطيف، عندما يدخل قلبك، يتحدث إليك عن الطهارة والاحترام وضبط النفس والفضيلة. فعندما تدخل هذه الأشياء إلى قلبك وتفيض منها الأعمال الصالحة، تعلم أن ملاك البر في داخلك. والآن راقب أعمال ملاك الشر، فهو سيء الطبع وعنيف وغبي.

وأجاب هرماس على الرسول السماوي الذي كان يرتدي ثوب راعٍ، بالقول: إنه لم يكن يعرف ماذا يقول عندما يقوده الملاك الشرير. فقال الراعي:

عندما يغلبك الطبع الرديء والمرارة، عندئذ تعلم أنه فيك، عندما تغزو قلبك الشهوة للشهرة، والتغذي بالأطايب، والشهوة للنساء، والطمع والاستعلاء ومثل هذه النزوات، فاعلم أن ملاك الشر قد تسلل إليك. فعندما تشعر بذلك، انفضه عنك واطرحه بعيداً.



صورة جلدية من القرن الرابع، عن ظهور الملائكة للرعاة لإعلان مولد الرب يسوع. وكان سفر راعي هرماس سفراً اعتبره كثيرون من المسيحيين الأوائل من الأسفار المقدسة، وهذا السفر يقدم مجموعة من النصائح أعطاها مرسل سماوي (ملاك في الغالب) لأحد الرعاة.

ويواصل الراعي الحديث ليفسر أن هناك توازناً بين عدالة الله ورحمته، وأن المغفرة بعد المعمودية ممكنة، ولو أنها لمرة واحدة ولوقت محدود.

وقد اعتبر قادة الكنيسة إيريناوس وكليمنت الاسكندري أن هذا الكتاب من من الأسفار المقدسة. وكذلك فعل أوريجانوس وترتليان في وقت من الأوقات بل أن الأسقف أثناسيوس الذي أسقطه من قائمة بأسفار العهد الجديد، ظل يوصي المؤمنين الجدد بقراءته. وفي النسخة السينائية، وهي مجموعة من أسفار العهدين القديم والجديد التي دونت في القرن الرابع، كان راعي هرماس آخر سفر في الكتاب المقدس، بعد سفر الرؤيا ورسالة برنابا.

رسالة برنابا

تقدم رسالة برنابا نفسها كرسالة من كاتب لا يذكر اسمه، ولكنها تبدو كمقالة عن كيف يتوافق المسيحيون مع عهد الله لليهود. وجواب الرسالة القصير هو أن اليهود قد فقدوا امتيازهم بأن يكونوا شعب الله لأنهم مراراً عديدة رفضوا الله مفضلين الأوثان، كما رفضوا المسيا الذي أرسله الله، وقد أصبح المسيحيون هم الورثة الشرعيون لعهد الله عوضاً عن اليهود، هكذا يقول الكاتب، فهم شعب الله الجديد الذين يطيعونه ويحظون ببركته لذلك.

كما أن السلوك المسيحي القويم وأواخر الأيام من المواضيع الهامة في هذا الكتاب. وعلاوة على ذلك، يفسر الكاتب فصولاً من العهد القديم ليكشف المعنى المختبىء وراءها (المجازي) الذي يرى أنه يُعتمد عليه عن المعنى الظاهر، المعنى الحرفي، فمثلاً يقول الكاتب إنه عندما قال موسى للعبرانيين ألا يأكلوا لحم الخنزير، كان قصد موسى أن شعب الله يجب ألا يكونوا مثل الخنازير، أي عندما يكونون في رفاهية ينسون الله، ولكن عندما يكونون في احتياج يعترفون بالرب، مثل الخنازير تماماً، التي عندما تأكل لا تعرف سيدها، ولكن عندما تجوع، تصرخ وعندما تحصل على الطعام مرة أخرى، تصمت.

والأرجح أن هذه المقالة كتبت بعد زمن من سقوط أورشليم في ٧٠م. ولكن قبل أن يعيد هادريان بناءها في ١٣٥م. ولا يُعرف من كتبها، فكثيرون من قادة الكنيسة الأوائل وكذلك بعض أقدم المجموعات من الكتابات المسيحية نسبتها إلى برنابا أحد رفقاء بولس، وكان منهم كليمنت الإسكندري، وأوريجانوس وجيروم والنسخة السينائية. ويقول علماء آخرون إنه من غير المحتمل أن يكون برنابا الذي وصفه الرسول بولس بأنه كان يحافظ على التقاليد اليهودية (غل ٢: ١٣) قد كتب مقالة مثل هذه التي تعتمد أن هذه التقاليد بالية.

الديداكي (تعليم الرسل)

فكلمة «ديداكي» في اليونانية تعني «التعليم». وهو كتاب صغير لتعليم المتجددين حديثاً العقائد المسيحية الأساسية، وكذلك السلوك المسيحي وطقوس العبادة، كما يطلق عليه «تعليم الرسل». والأرجح أن هذا الكتاب كتب في أواخر القرن الأول أو في بكور القرن الثاني عندما كان المسيحيون واليهود يحاولون الابتعاد بعضهم عن بعض.



صورة للثالوث ظاهراً للبابا القديس كليمنت، بريشة جيوڤاني باتستا تيبولو (١٦٩٦ - ١٧٧٠م.) وكان القديس كليمنت كاتب من القرن الأول لرسالة اعتبرها الكثيرون من الكتابات المقدسة.

ويوصي المسيحيين أن يصوموا مرتين في الأسبوع، في يومي الاثنين والخميس. ويقول الكتاب عن اليهود إن أيامهم للصيام هما الأربعاء والجمعة وكان اليهود يصلون ثلاث مرات في اليوم، ويقول هذا الكتاب إن على المسيحيين أن يفعلوا نفس الشيء، ويضيف الكتاب «يجب أن تختلف صلواتكم عن صلاتهم»، وكان على المسيحيين أن يضموا إلى صلواتهم الصلاة الربانية.

كما يقدم هذا الكتاب (الديداكي) نصيحة عن السلوك المسيحي اللائق والمعمودية وعبادة يوم الأحد، والشركة (الأفخارستيا)، والأزمنة الأخيرة. وفي بعض المواضع يقتبس أقوال الرب يسوع، التي تطالب بتغييرات جذرية التي تبدو مستحيلة تقريباً، مثل تحويل الخد الآخر لمن يضرب. وفي وضع آخر تذكر ما يبدو أنه وصية راع حصيف: «إذا كنت تستطيع أن تحمل نير الرب الكامل فستكون كاملاً، أما إذا لم تستطع، فافعل ما تستطيع. وكان أوريجانوس يعتبر أن سفر «تعليم الرسل» له سلطته ولكنه ليس سفراً قانونياً.

"اكتب وصاياي وأمثالي وسائر ما سأريه لك"

الرسول السماوي لراعي هرماس

اَلْكِتَابَاتُ الْمَسِيحِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ

"رجل قصير القامة برأس أصلع وسيقان معوجة، له جسم سليم بحواجب مقرونة وأنف معقوف نوعاً ما، ويطفح بالمودة"
«من كتاب أعمال بولس وتكلا» وهذا هو الوصف الوحيد المعروف للرسول بولس

بنهاية القرن الأول كان كل من رأوا الرب يسوع شخصياً قد ماتوا- فبعد جيل الرب يسوع لم يعد هناك شاهد عيان لقصصه وتعاليمه ومعجزاته، ولذلك للاسترشاد الروحي، كان المسيحيون يرجعون إلى كتابات شهود العيان ومن عاشروهم عن قرب وثيق. وفي أوائل القرن الثاني، كان المسيحيون يعرفون جيداً كل الأسفار السبعة والعشرين الموجودة في العهد الجديد وكذلك الكتابات المبكرة الأخرى.

ولكن المؤمنين كانوا في حاجة إلى المزيد إذ كانوا يريدون تفاصيل لم تضمها هذه الكتابات المبكرة، فكانوا يريدون أن يعرفوا المزيد عن حياة العذراء مريم أم يسوع، وكانوا يريدون أن يعرفوا المزيد عن طفولة يسوع، كما كانوا يريدون أن يعرفوا المزيد عن الرسل أنفسهم.

وعلى مدى القرنين التاليين، اضطر الكتّاب المسيحيون أن ينقلوا عن قصص تناقلوها شفاها، وربما من الخيال الهادف، فكتبها الكثير من الكتب: أناجيل جديدة عن الرب يسوع وأعمال جديدة (تواريخ) عن الرسل، ورسائل جديدة من الرسل، ونبوات عن الزمن الأخير.

وغالبية هذه الكتب لم تكن جديرة بمكان لها في العهد الجديد، فلم تستوف شرط أن تكون من كتابات أحد الرسل أو رفيق الرسول.

ومع ذلك فكثير من هذه الكتب انتشرت على نطاق واسع وتُرجمت، وكانت تُقرأ أحياناً في خدمات الكنيسة.

التلميذة الأنثى لبولس

كتاب «أعمال بولس وتكلا» هو قصة عن إمرأة يبلغ عمرها ١٨ سنة، واسمها تكلا. كانت قد فسخت خطبتها بعد سمعها عظة لبولس الرسول عن العزوبية. فأسرع خطيبها فيريوس وقبض على بولس وضربه وأمر بطرده خارج المدينة. وأما والدة تكلا فاشتعلت غضباً أكثر من فيريوس نفسه، حتى أنه أخذت ابنتها لكي يتم حرقها وهي حية. فأوثقوا تكلا في عمود، لكنها استطاعت الفرار عندما سقطت أمطار غزيرة وأطفئت النيران. وبعد ذلك تبعت تكلا بولس الرسول في رحلته التبشرية ونجت معجزياً من عدة محاولات أخرى للقضاء عليها. وفيما بعد عاشت بمفردها وذاعت شهرتها في معجزات شفاء المرضى.

لقد كتب هذه القصة أحد قادة الكنيسة، الذي قال عنه ترتليان إنه طُرِدَ من الكنيسة فيما بعد بسبب هذا الكتاب. وكان ترتليان لاهوتياً عاش في بدايات القرن الثالث. ولم يوضح ترتليان لماذا تم طرد كاتب هذا الكتاب من منصبه، ولكن العلماء يعتقدون أن ذلك يرجع لأن الكتاب يزعم أن بولس كان يدافع عن العزوبية أكثر من الزواج.



لوحة بعنوان «القديسة تكلا تشفي المدينة من الطاعون» بريشة جيوفاني باتيستا تيبولو (١٦٩٦- ١٧٧٠م). وقد كانت تكلا بطلة صانعة معجزات بحسب القصة المسيحية الشهيرة الموجودة في كتاب «أعمال بولس وتكلا».

إنجيل الطفولة لتوما

إحدى الكتابات المسيحية الشائعة، مجموعة قصيرة من معجزات يفترض أن يسوع عملها وهو طفل فيما بين الخامسة والثانية عشرة من عمره، هو إنجيل الطفولة لتوما الذي ينسب لكاتب يهودي اسمه توما. والمعجزات الواردة بهذا الكتاب لا تصور يسوع باستمرار على أنه كان طفلاً تقياً، بل تصور تحوله من ولد حقود غير ناضج يستخدم قواه الخارقة للإنتقام إلى مراهق عطوف بدأ يستخدم قواه لمساعدة الآخرين.

ففي الخامسة من عمره، كان يلعب في الطين، ويحفر بركاً صغيرة من الماء. فجاء ولد آخر واستخدم غصناً من الصفصاف لتجفيف البرك، فسأله يسوع: «أي ضرر سببته لك البركة والمياه؟ فالآن ستجف أنت» فيبس الولد في الحال ومات.

وبعد ذلك، كان يسوع يتمشى في القرية، جاء ولد آخر واصطدم به، غضب يسوع وقال له: «لن تعود في الطريق التي جئت منها» «فسقط الولد ميتاً. فذهب والدا الولد الذي سقط ميتاً إلى يوسف شاكين: «حيث أن لك ابناً مثل هذا، فمن المستحيل أن تعيش معنا في القرية، أو علّمه أن يبارك لا أن يلعن، لأنه يقتل أولادنا. وعندما حث يوسف يسوع أن يكف عن فعل ذلك لأنه يجعل الجميع يبغضونهم، ضرب يسوع الشاكين بالعمى، فخشى الناس أن يتكلموا ضده.

وبمرور الوقت تعلّم يسوع أن يستخدم قواه للخير، فعندما سقط أحد زملائه في اللعب من فوق السطح،

أقامه يسوع من الموت، وعندما قطع يوسف عموداً من الخشب فأصبح أقصر مما يجب لعمل أريكه لأحد الأغنياء، جعل يسوع العمود يستطيل، وعندما انكسر إبريق ماء كان يحمله إلى البيت، جاء بماء أكثر وحمله في عباءته. ومعجزات أخرى، مثل شفاء أخيه يعقوب الذي كان على وشك الموت من لدغة حية، وإقامة أناس كثيرين من الموت، بما فيهم رجل مات لنزفه دماً كثيراً بعد أن قطع عن غفلة جزءاً من قدمه بفأس، فشفي يسوع القدم أيضاً.

وليس من الواضح تماماً متى كتبت هذه القصص. فأقدم المخطوطات الموجودة يرجع إلى القرن الخامس الميلادي، ولكن في نحو ١٨٠م. أشار إيريناوس - أحد قادة الكنيسة - إلى تفصيل في إحدى القصص قائلاً فقط إن مصدره في هذه القصة هو أحد الكتابات الغير قانونية ولعله يشير إلى إنجيل الطفولة لتوما الذي كان قد ترجم إلى ١٣ لغة على الأقل.

رؤيا بطرس

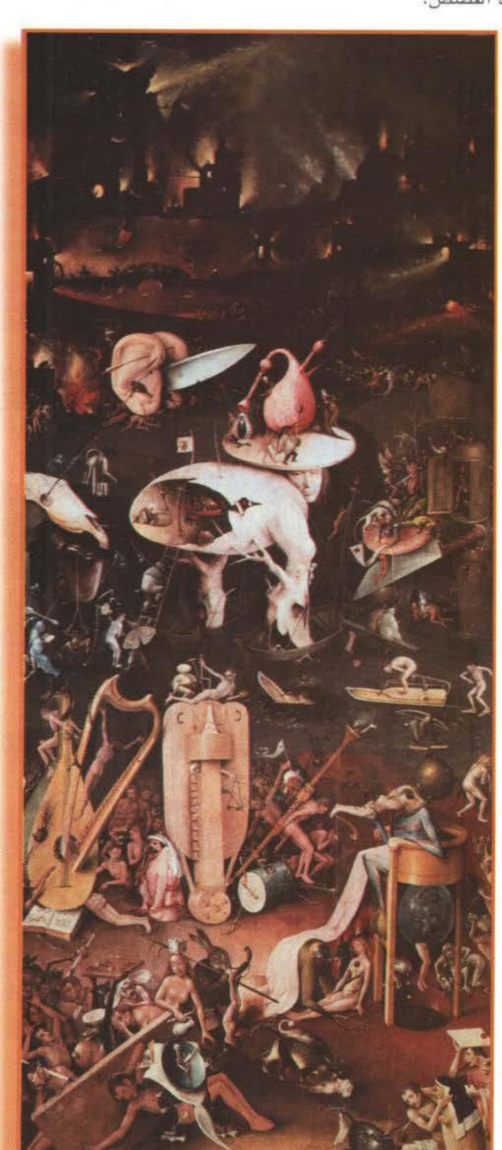
لعل رؤيا بطرس هي أعظم مثال للكتابات المسيحية عن آخر الزمان خارج الكتاب المقدس، ففي وقت من الأوقات كانت تنافس سفر الرؤيا في الشهرة، وأحد الأسباب لاكتسابها هذه الخطوة هو أنها احتوت على تفاصيل لا تصدق عن الحياة الأخرى.

وأطول قسم في هذا الكتاب هو رحلة الجحيم، ترسم ٢١ نوعاً من الخطاة، وتصف ما أصابهم من عقاب، فقد نالوا ما كانوا يستحقونه لأجل خطيتهم. فالناس الذين جدفوا على طريق بر الله، كان معلقين من ألسنتهم فوق نيران لا تخمد.

وكان هناك آخرون، نسوة معلقات من شعورهن فوق حمأة تغلي، وهنّ النسوة اللواتي زيّن أنفسهن للزنا.

ورأيت القتلة ومن كانوا يوافقونهم، مطروحين في مكان ضيق مملوء بحشرات رديئة زاحفة وهم يتلوون في ذلك العذاب. وفوقهم تخيم ديدان مثل سحابات من الظلمة، ونفوس من قتلوهم واقفة تشاهد عذاب أولئك القتلة وتقول: «يا الله: عادلة هي أحكامك».

ويدعي هذا الكتاب الرؤوي أنه رؤيا أعطاها يسوع المقام من الأموات، للرسول بطرس. ويقول غالبية العلماء إنه من المحتمل جداً أن هذا السفر كتب بعد موت بطرس بزمن طويل، وثمة دلائل في النص قد تدل على أن الأرجح أنه كتب بعد أن قاد سيمون باركوكبا، الذي أدعى أنه المسيح، وقاد اليهود في ثورة ضد روما انتهت بالقضاء عليهم (ما بين ١٣٢ - ١٣٥م.) وقد ورد اسم هذا الكتاب في القائمة الموراتورية (نحو ٢٠٠م.) مع التعليق: «أن البعض منا لا يريدون أن تُقرأ في الكنيسة» ولكن بعض الكنائس ظلت تقرأها حتى القرن الخامس.



صورة بعنوان «الجحيم من جنة الملذات الأرضية» بريشة هيرونيموس بوش (١٤٥٠ - ١٥٧٦م.) وأطول قسم في رؤيا بطرس هو جولة تصويرية في الجحيم. وقد حول الفنانون هذه الكلمة التصويرية إلى صور مرسومة.

طرد حشرات البق

يذكر كتاب «أعمال يوحنا» أن الرسول يوحنا كان يقضي الليل في فندق صغير، وأمر البق أن يغادر حجرته قائلاً: «أيها البق أترك مكانك هذه الليلة، وأمكث هادئاً في أحد الأماكن» وفي الصباح التالي وجد يوحنا حشوداً من البق تجتمع خارج بابه. فقال لها حيث أنها أطاعته يمكنها أن تعود إلى مكانها، فأسرعت بالزحف إلى الفراش (المرتبة) واختفت.

طُرُقُ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّس

"الذي أنشأ الأسفار المقدسة هو روح الله.. وليس لها فقط معنى ظاهر، ولكن لها أيضاً معنى آخر خفي فيما يتعلق بغالبية الناس."
(أوريجانوس، في المبادىء)

فسر الكُتَّاب المسيحيون الأوائل جميعهم الكتاب المقدس: بعهديه القديم والجديد، ولكنهم لم يستخدموا جميعهم نفس الأساليب. فالمفسرون المسيحيون الأوائل ظلوا يفعلون ما تفعله نصوص العهد الجديد في أحيان كثيرة، فيجدون الرب يسوع في الأشخاص وأحداث العهد القديم.

فإنجيل متى يشير باستمرار إلى أحداث في خدمة الرب يسوع على أنها تتفق مع الأنبياء كذلك نجد أنه في قصة قتل الأطفال الأبرياء والهروب إلى مصر، فيبدو أنه يساوي بين الطفل يسوع وموسى . ويرى الرسول بولس والدتي ابني إبراهيم على أنهما والدتا العهدين، فهاجر تمثل العهد القديم، العبودية وجبل سيناء وأورشليم الأرضية، بينما سارة هي أورشليم الجديدة، الحرية، وأمنا. وهذا النوع من القراءة يسمى الآن «الدراسة الرمزية» حيث يُرى الشخص من أشخاص العهد القديم، أو حادثة من أحداث العهد القديم أمثالاً للمسيح، أو شخصاً أو أمراً متعلقاً بالمسيح (مثل العهد الجديد) فمثلاً لأن إبراهيم أبا إسحق كان مستعداً أن يقدمه ذبيحة، لذلك يُرى إسحق رمزاً للمسيح الذي قدمه أبوه السماوي ذبيحة على الصليب. كما أن عبور البحر الأحمر رمز للمعمودية.

وقد واصل كتَّاب عديدون من القرن الثاني هذا النوع من الرمزية بحثاً عن المزيد من الروابط بين الرب يسوع والعهد القديم، بل وكثيراً ما أوغلوا في ذلك، فمثلاً جستن مارتر، الكاتب المحترم الذي ضحى بحياته في سبيل إيمانه في نحو ١٦٥م.، وجد رموزاً لصليب يسوع في كل قطعة خشب تقريباً ورد ذكرها في العهد القديم. وآخرون طبقوا كل مرة ذكرت فيها كلمة «حَمَل» على المسيح.

ولكن اكتشاف الرموز لم يكن الشغل الوحيد الشاغل لقدماء المفسرين، فكثيراً ما أرادوا أن يفسروا أجزاء غامضة في الكتاب المقدس أو تطبيقها على عصرهم. وللقيام بذلك احتاجوا لوسائل أخرى للتفسير.

التفسيرات المجازية للكتاب المقدس من الإسكندرية

والوسيلة التي استند إليها البعض هي المجاز، هو نوع من الاستعارة، ولكن أكثر تحديداً وكان ذلك أمراً مألوفاً جدًا في العالم اليوناني وقد استخدمه الفيلسوف اليهودي فيلو الإسكندري في تفسيراته للكتاب المقدس.

فلا عجب أن التفسيرات المجازية للكتاب المقدس كانت على أقواها في الإسكندرية، موطن فيلو القديم، حيث سادت الثقافة اليونانية، وكان أشد المتمسكين بذلك هو أوريجانوس، الكاتب الذي كتب «الهكسابلا» (النسخة السداسية) أو أول كتاب مقدس متعدد اللغات لدراسة النص.

نقد

في نقده للأسلوب المجازي في تفسير الكتاب المقدس، هاجم الكاتب الأنطاكي تيودور الموبسوستي أصحاب الاتجاه الرمزي أو المجازي لجرأتهم. فقد لاحظ أن أصحاب هذا الاتجاه يدَّعون أن الأسفار المقدسة تذهب إلى ما وراء المعاني الحرفية والتاريخية إلى شيء روحي يلزمه فهماً خاصاً، كما أنهم يدَّعون أنهم يستطيعون أن يفهموا هذا المعنى الروحي لأنهم روحيّون، وهنا يسأل تيودور ما هو مصدر فهمهم؟

تصوير مشهد التجلي

تصف أناجيل متى ومرقس ولوقا كيف أخذ الرب يسوع ثلاثة من تلاميذه إلى قمة جبل، وهناك تجلى أمامهم فصار وجهه يلمع كالشمس وثيابه بيضاء جداً كالثلج. وقد كتب الكتاب من المدرستين السكندرية والأنطاكية عن هذا الفصل مبينين كيف أن أساليبهم في التفسير تنوعت.

فيركز أوريجانوس زعيم المدرسة الإسكندرانية، على حقيقة أن ثياب الرب يسوع صارت تلمع بيضاء كالثلج لا يقدر قصَّار على الأرض أن يبيض مثل ذلك.. ويقول إن العمَّال الذين لا يقدرون أن يبيضوا مثل ذلك قد يكونون حكماء هذا العالم الذين ينشرون فن الخطابة (الكلام الرسمي)، فهم يظنون أن أفكارهم الضعيفة لامعة ونظيفة لأن كلامهم مزين «بأقوال بليغة». ولكن الشخص الذي ثيابه تلمع هو الكلمة، الذي يُظهَر في الكتاب المقدس لمعان أفكاره. يصعب علينا الآن أن نذكر الحكماء الذين يستخدمون البلاغة في وصف تجلي الرب يسوع، ولكن كان الأمر واضحاً لأوريجانوس.

ويوحنا فم الذهب من مدرسة أنطاكية، يبدو عملياً أكثر، فتعليقاً على لماذا لمعت ثياب الرب يسوع كالثلج، يقول: الثلج هو أبيض شيء نعرفه، ولكن يوحنا يتقدم بهذه الصورة خطوة أبعد، ربما خطوة عملية عما ذهب إليه أوريجانوس، فهو يسأل هل فعلاً لمع وجه الرب يسوع كما تلمع الشمس يومياً حقيقة؟ ويقول: كلا. لأن التلاميذ بُهتوا حتى إنهم سقطوا على وجوههم. فإذا كان وجه الرب يسوع لمع فقط كلمعان الشمس يومياً، كما سقط التلاميذ على وجوههم. فهم يروا الشمس تلمع كل يوم دون أن يسقطوا، إذاً لابد أن وجه الرب يسوع لمع أكثر من لمعان الشمس.

وقد ركز أوريجانوس في محاولاته لتفسير الكتاب المقدس على ثلاثة مستويات أساسية للمعنى: الحرفي أو التاريخي (وهو أقلها أهمية)، الأهمية الأدبية (ما تعنيه لنا)، والمعنى الرمزي الذي وصل إليه عن طريق استخدام المجاز. وأحياناً جمع أوريجانوس بين المعنيين الأخيرين، مشيراً فقط للمعنيين الحرفي والروحي.

واستطاع أوريجانوس أن يرى رموزاً في أشياء بسيطة مثل قارب الصيد. ففي أحد الأمكنة يرى أنه القارب الذي يحمل التلاميذ والرب يسوع، يمثل الكنيسة. وفي فصل آخر حيث تحد الريح من سرعة القارب الذي به التلاميذ، يرى في القارب الصراع الذي يجد فيه الإنسان محصوراً بالكلمة، ويذهب مكرها. ويختم القول بأن «المخلص يريد أن يدرب التلاميذ عملياً في هذا القارب الذي تعذبه الأمواج والريح المضادة» وهذه استعارات بسيطة ولكن كانت هناك استعارات أكثر تعقيداً.

وفي قصة إطعام الرب يسوع للخمسة الآلاف، يأمر الناس أن يجلسوا على الحشيش الأخضر، فجلسوا في جماعات من مئات وخمسينات (مر ٦: ٣٩-٤٠) ويعلق أوريجانوس أن الحشيش هنا يمثل الجسد وأن الناس جلسوا على الحشيش لإذلال الجسد وإعداد أنفسهم لأكل الأرغفة التي باركها الرب يسوع. لقد قسَّمهم الرب يسوع إلى جماعات لأنه ليس لأن ليس الجميع يتغذون بنفس القدر من الكلمات التي سمعونها. ثم يتناول أوريجانوس الأعداد المذكورة. فمائة عدد مقدس، فيقول وقد قدسه الله كماله، أما الخمسين فيمثل من الجانب الآخر غفران الخطايا.

وقد آمن أوريجانوس بالحاجة للتفسير المجازي لأنه كان مقتنعاً بأن الكثير من الفصول الكتابية لا تؤدي معنى مفهوماً إذا أخذت على المستوى الحرفي. وكان يعتقد أن غالبية الناس يستطيعون قراءة الكتاب المقدس على المستوى الحرفي فقط - وربما المستوى الأدبي - ولكن بعض المفسرين الموهوبين البالغين روحياً فقط هم الذين يستطيعون فهم النصوص على المستوى الروحي. فالتفسير على هذا المستوى الرفيع يستلزم المجاز، وقد حذا كثيرون من العلماء حذو أوريجانوس في هذا الأمر، وهم الذين يُقال عنهم مدرسة الإسكندرية، هي مركز هذا النوع من التفكير.

أسلوب أكثر اعتدالاً من أنطاكية

أدى التفسير المجازي إلى الكثير من التطرف، وأثار نقداً حاداً لأنه كثيراً ما كان يشتط بعيداً عن النص المكتوب، أو عن مقاصد الكتَّاب الأصليين. في القرن الثالث بدأ عدد من الكُتَّاب المسيحيين المقيمين في أنطاكية، أو الذين تتدربوا فيها، في الكتابة بأكثر تحفظ، فمع أنهم كانوا يؤمنون بتعدد المعاني في الأسفار المقدسة، إلا أنهم أصروا على الحفاظ على النص كما هو مكتوب، كالهدف الأول.



رأي أوريجانوس في العاصفة التي هاجمت قارب الرسل كصورة للصراع اليومي الذي نواجهه جميعاً. لقد سمح الرب يسوع للعاصفة أن تضرب القارب ليعلم التلاميذ درساً، ولكنه أسكت الأمواج كما يظهر في هذه الصورة بريشة جبرائيل بودمير.

ولعل أهم كاتب من مدرسة أنطاكية كان عالم القرن الرابع ديودور الطرسوسي، الذي كان له تلاميذ نابهون كثيرون بمن فيهم تيودور الموبسوسيتي، والمبشر الملتهب، وأسقف القسطنطينية الشهير يوحنا فم الذهب. وقد بذل ديودور جهداً جباراً لإثبات الظروف التاريخية التي كُتبت فيها الأسفار الكتابية، بل لقد أعاد ترتيب كل ما استطاعه من الظروف التي كتب فيها كل نص، عندئذ فقط بحث عن معنى أسمى، أطلق عليه هو - وأتباعه - «النظرية» وأصر ديودور على أن كل نظرية يجب أن تكون مؤصلة في النص وليست مجرد تلفيق من خيال المفسر.

ولم يدم تأثير مدرسة أنطاكية طويلاً، فقد اختفى هذا التأثير تماماً في نهاية القرن الخامس بينما ظل أصحاب المذهب المجازي أقوياء على أية حال، يمكن أن يُرى تأثير مدرسة أنطاكية في استخدام المجاز عند الكتاب الذين جاءوا بعد ذلك بمن فيهم جيروم وأوغسطينوس أعظم علماء الكتاب المقدس في العصور القديمة.

"سبب كل الشرور هو الفشل في معرفة الأسفار المقدسة جيداً"
(يوحنا فم الذهب - مواعظ على الرسالة إلى كولوسي)

"هناك أناس يبذلون غاية الجهد ليلووا معاني الأسفار المقدس .. ويحلمون بخرافات غبية تخطر في رؤوسهم، ويطلقون على هذه الحماقة اسم المجاز"
(تيودور الموبسوسيتي في شرحه لغلاطية)

٣- الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ فِيْ كَنِيسَةٍ تَنْمُو بِسُرْعَةٍ

ما أن حَلَّ القرن الرابع حتَّى اتفقت غالبية الكنيسة على أيِّ الأسفار تنتمي للكتاب المقدَّس، وأصبح الكتاب المقدَّس يتكوَّن من جُزءين: العهد القديم ويتكوَّن من الأسفار المقدَّسة اليهودية، والعهد الجديد ويتكوَّن من ٢٧ سفراً ويشمل قصصاً وتعاليم ورسائل ونبوة.

وإذ تقرَّرَ هذا، اشتهرت الألف سنة التالية بانتشار الكتاب المقدس، فقد بدأ المسيحيون ينشرون إيمانهم في كلِّ الكرة الأرضية، فيحملون الكتاب المقدس معهم حيثما يذهبون، وأخذ العلماء في تحقيق النصِّ، حيث لم تكن كل النسخ لكلِّ سفر من الأسفار على نَمَطٍ واحد. فَكَتَبَ الكُتَّابُ نُسخاً عديدة، وأسرف الفنانون في تزيين هذه النسخ بالرسوم والصور، وبدأ عُلماء اللغات في ترجمة النصِّ إلى اللغات الأخرى، وفي بعض الأحيان اخترعوا أبجديات حيث لم تكن اللغات مَكْتُوبة حتَّى تتمكن الشعوب المُختَلِفة من قراءة الكتاب المقدس في لغاتها، فانتشر الكتاب المقدس إلى خارج دول البحر المتوسط، وانتشر في كُلِّ أوربا، وحيثما وصل كان الناس ينسخونه في لغاتهم المختلفة وهكذا انتشر الكتاب المقدس في كُلِّ العالم.





خريطة للعالم من رؤيا القديس سيڤر (نحو ١٠٧٢م.) من رسم استفانوس جارسيا

چيرُومُ العَالِمُ المُلتَهِبُ

عـاش في القرن الرابع اثنان من أعظم علماء الكتاب المقدس في كل العصور: چيروم وأوغسطينوس أسقف هِبُّو. كان چيروم عالماً ذا عبقرية فذة، وكان يعد أفضل رجال عصره. ولكنه كإنسان كان حزمة من المتناقضات فكان شديد الإعتداد بنفسه وسريع الغضب، وكثيراً ما هاجم معارضيه هجوماً عنيفاً، ومع ذلك كان صديقاً ودوداً ومشيراً روحياً لآخرين. كان يستطيع أن يهاجم معارضاً بناء على عيوبه الجسمانية، وفي نفس واحد ينصح بلطف أباً كيف يعلم طفله القراءة.

وكان اسم چيروم بالكامل هو «سوفرونيوس يوسابيوس هيرونيموس» وقد ولد في نحو ٣٤٧م. في دلماتيا (سلوڤينيا الآن). وفي الثانية عشرة من عمره ذهب إلى روما ليدرس الكلاسيكيات اليونانية والرومانية. واعتَمَد في نحو ٣٦٦م.، وسرعان ما بدأ في تكريس نفسه لدراسة الأسفار المقدسة. وفي ٣٧٧م. بعد أن قضى سنتين راهباً في الصحراء، ثم تعين كاهناً في أنطاكية. وفي ٣٨٢م. عاد إلى روما ليشغل وظيفة السكرتير الخاص للبابا دماسوس الذي كلفه بتنقيح الترجمات اللاتينية المتداولة للكتاب المقدس.. وبينما كان في روما، وعظ ضد الكهنة الرومان والرهبان المتهاونين، وأصبح المرشد الروحي لفريق من السيدات الرومانيات الأثرياء.. وعندما توفي دماسوس في ٣٨٤مم، ترك چيروم روما مع اثنتين من النساء وهما صديقاته باولا وابنتها افستوكيوم، واستقر في بيت لحم. وهناك استغلت «باولا» ثروتها في تأسيس ديراً للسيدات (تحت إدارتها)، وديراً آخر للرجال، قضى فيه چيروم باقي حياته. وفي بيت لحم أكمل چيروم ترجمته للكتاب المقدس، وتوفى في ٤١٩م. أو ٤٢٠م.

الرهبنة تبزغ من الصحراء

لقد كان چيروم مكرساً تماماً لمثاليات حياة الرهبنة كمثل تكريسه تماماً للكتاب المقدس، وقد كتب كتاباً يتناول سرداً مثالياً لحياة واحد من أوائل الرهبان. وهو كتاب «حياة بولا» والذي يصف كيف ترك الشاب بولا بيته في طيبة في وقت الاضطهاد على يد الإمبراطور ديسيوس في ٢٤٩- ٢٥١م.

هرب بولا إلى الصحراء، حيث عاش في كهف كناسك منعزل لمدة تبلغ حوالي مائة سنة، وهو يقضي يومه في الصلاة والصوم المستمر. وكان هناك ناسك آخر، وهو أنطونيوس، الذي جاء إليه عندما حانت ساعة وفاة بولا لكي يدفنه. وحيث أنه لا يوجد أي مصدر آخر عن حياة بولا، يعتقد البعض أن بولا ليس سوى اختراع مثالي من خيال چيروم، ولكن أنطونيوس بالتأكيد كان شخصية حقيقية، وهو يعتبر بشكل عام أبو الرهبنة، لأنه لم يكتف بكونه ناسكاً بل جمع الرهبان من حوله. وسرعان ما تنامت الحركة النسكية. وفي بدايات القرن الرابع، قام رجل مصري يدعى باخوميوس بتأسيس أول جماعة نسكية مسيحية وكتب أول قواعد الرهبنة (طريق الحياة)، وهي القاعة التي ترجمها چيروم فيما بعد. وقد ازدهرت الرهبنة وبمرور الوقت انتقلت من صحراء مصر إلى مناطق أخرى قريبة من المدن والريف في أوربا. وقد قام الرهبان بدور مهم للغاية في نسخ الكتاب المقدس في مخطوطات مفعمة بالصورة والزخارف الجميلة.

"أنت تلح عليَّ لمراجعة النسخة اللاتينية القديمة لتكون المرجع لكل نسخ الكتاب المقدس التي لم تنتشر في كل العالم، والتي تختلف إحداها عن الأخرى، وتريدني أن أقرر أيها يتفق مع الأصل اليوناني. وهو عمل أحبه ولكنه في نفس الوقت خطير وجريء، لأنني بالحكم على الآخرين يجب أن أقبل أن يُحكَم عليَّ من الجميع".

من مقدمة چيروم للأناجيل الأربعة، التي أرسلها للبابا دماسيوس

الرحلة إلى الأرض المقدسة

عندما وصل چيروم إلى بيت لحم قادماً من روما، لم يستقر هناك، بل اصطحب صديقتيه باولا وابنتها افستوكيوم من روما في جولة لزيارة الأماكن الكتابية في الأرض المقدسة. ثم ارتحل ثلاثتهم إلى مصر لزيارة بعض النُسَّاك والأديرة القديمة، قبل أن يستقروا ويبنوا أديرتهم».

"لطيف وعنيف، رقيق وصارم، متعجرف ومتواضع مثل الطفل، ذو بغضة عميقة وعواطف مشبوبة، كان ذهنه صافياً على الدوام، كان نسيجاً من المتناقضات، ويبدو أنه كان يعرف ذلك في نفسه."

وصف روبرت باين لچيروم في كتابه: «آباء الكنيسة الغربية» (١٩٨٩م.)

التفاسير الكتابية

بالإضافة إلى ترجمته للكتاب المقدس وعدد كبير من الرسائل والكتب عن موضوعات متنوعة، فقد نشر چيروم عدداً كبيراً من الكتب عن النقد الكتابي تشمل تفاسير مهمة للأنبياء والمزامير والجامعة ومتى وغلاطية وأفسس وفليمون وتيطس. كما كتب أيضاً كتاباً عن الأصحاحات الصعبة في التكوين، وكتب شرحاً للأسماء العبرية والأماكن، ومواعظ على المزامير وإنجيل مرقس. وفي تفاسيره حذا حذو أوريجانوس في استخدام المجاز. وعلى أية حال، إذ زادت معرفته بالنصوص الكتابية بترجمته لها، زاد احترامه لها، واحتفظ بمعناها الحرفي في فكره. ومع أنه ظل يستخدم المجاز في تفسيره الأسفار الإلهية، فقد استخدمه بحرص متجنباً التطرف. وقد هاجم چيروم من لم يحذ حذوه، وشكا من الهراطقة الذين استخدموا المجاز لتأييد تعاليمهم المنحرف. وقال إن الطريق القويم لقراءة الأسفار الإلهية هو السير في سبيل ضيق بين الطرفين من الحرفية الزائدة والمجازية الزائدة.

چيروم في الفن

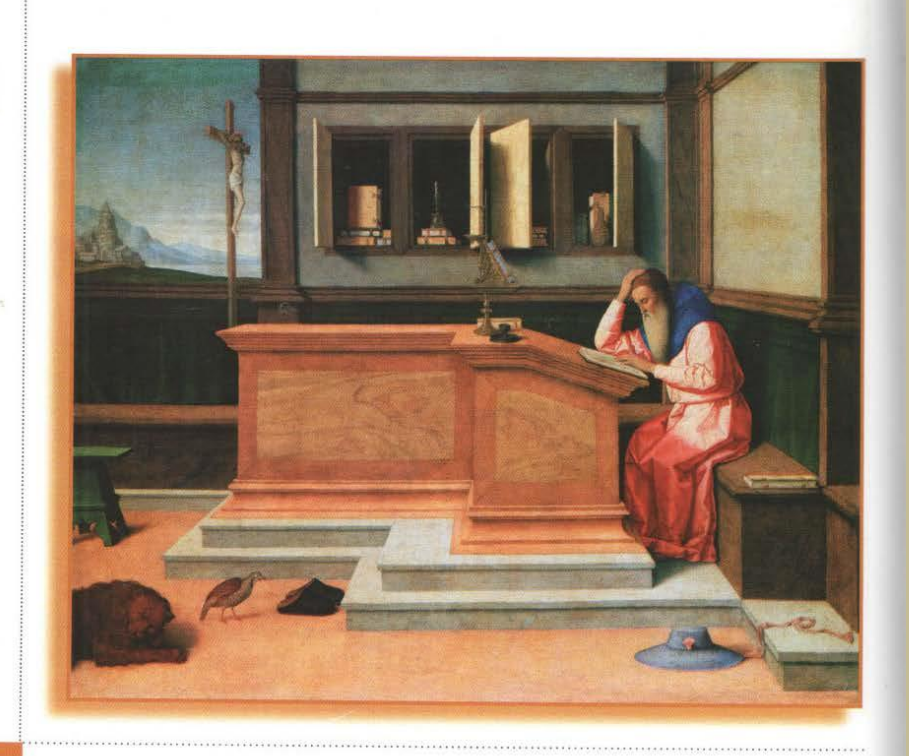
كثيراً ما يُصَوَّر چيروم في ثياب كاردينال، ويشير هذا إلى صلته الوثيقة بالبابا دماسوس الذي قد يكون أو لا يكون قد عيَّن چيروم كاردينالاً. ويظهر أحياناً يقرع صدره بحجر، إدراكاً لتكريسه لحياة التوبة والندامة. وأخيراً، يصوَّر چيروم أحياناً مع أسد، في إشارة إلى أسطورة تحكي أن چيروم قد أخرج شوكة من مخلب أسد، صار بعد ذلك يتبعه على الدوام.

"نحن الآن منشغلون بكتابنا الثالث عن غلاطية.. ونحن ندرك جيداً ضعفنا كما ندرك أن قدرتنا المحدودة لا تجري إلا في مجرى صغير محدثة القليل من الجلبة والقعقعة".

چيروم في مقدمته لتفسير غلاطية.

"إن مهنة تفسير الأسفار المقدسة هي المهنة الوحيدة التي يدّعي الناس في كل مكان أنهم أساتذة فيها. وكما قال هوراس "المرأة العجوز الثرثارة، والسفسطائي، والجميع يتناولون الأسفار المقدسة في أيديهم ويمزقونها إرباً إرباً ويلمونها قبل أن يكونوا قد عرفوها جيداً"

(چيروم في رسالته ٥٣)



صورة لچيروم في مكتبه (نحو ١٥١٠م.) بريشة ڤينزنز وكاتينا.

الكِتَابُ المُقَدَّسُ اللَّاتِينيُّ لِچيرُوم

حتى عصر چيروم كانت غالبيته المسيحيين يقرأون الكتاب المقدس باليونانية التي كانت لغة المثقفين في عصر الرب يسوع، فالعهد الجديد كان قد كتب باليونانية بالطبع، كما أن العهد القديم كان معروفاً من خلال الترجمات اليونانية وبالأخص بالترجمة السبعينية الأصلية التي كانت معروفة للمسيحيين الأوائل. وفي عصر چيروم، في القرن الرابع، أصبحت اللاتينية هي لغة الحديث في كل الإمبراطورية الرومانية الشاسعة فأصبحت الحاجة ماسة إلى كتاب مقدس باللاتينية ومع أن بعض الترجمات اللاتينية للكتاب المقدس كانت قد صدرت، فإنها كانت ترجمات ضعيفة، وأصبح واجباً على چيروم أن يقوم بعمل ترجمة لاتينية جيدة للكتاب المقدس، وهي المعروفة بالڤولجاتا لأنها كانت باللهجة العامة للشعب، وقد أثبتت ترجمة چيروم نجاحاً فائقاً حتى إنها ظلت الكتاب المقدس الرسمي للكنيسة الكاثوليكية لأكثر من ١٥٠٠ سنة.

تمثال للقديس چيروم
خارج كنيسة في بيت لحم

ترجمة الكتاب المقدس

بدأ چيروم عمله في ترجمة الكتاب المقدس في رومية بعد أن كلفه البابا دماسيوس بالقيام بذلك في عام ٣٨٢ أو ٣٨٣م. فقام بترجمة الأناجيل الأربعة بسرعة مستخدماً ترجمة لاتينية قديمة كأساس لعمله مع تصويبها بعد دراسة النصوص اليونانية الأصلية. وكانت هدفه من القيام بهذه الترجمة – كما قال – هو تصويب الأخطاء التي حدثت من المترجمين الذين لم يتلزموا الدقة، والتغييرات الفاضحة من النقاد الجهلة، ثم كل ما أدخله الناسخون أو غيروه، الذين كانوا نائمين أكثر منهم متيقظين، كما يظهر من نقد الترجمات اللاتينية القديمة التي قام بها مسيحيون بمن فيهم البابا، فقد كان فيها الكثير جداً من الأخطاء والتغييرات والإضافات، فكان أمام چيروم عمل شاق، فانهمك في عمله.

وليس من المؤكد تماماً أن چيروم قد ترجم سائر أسفار العهد الجديد، وإن كان بعض العلماء يعتقدون أنه فعل ذلك. فأسفار العهد الجديد الأخرى التي أصبحت جزءاً من الڤولجاتا، يمكن أن يكون قد قام بترجمتها آخرون. على أية حال، لقد ترجم چيروم كل أسفار العهد القديم، فقد انصرف إلى هذا العمل فوراً بعد أن أكمل ترجمة الأناجيل. فقام أولاً بترجمة سريعة للمزامير، مستخدماً أيضاً نصاً لاتينياً قديماً، ولكنه في هذه المرة راجعة على العبري الأصلي وعلى نسخة من السبعينية اليونانية. ولكن هذه الترجمة لم تحز رضاه وعند هذه النقطة ترك روما واستقر في بيت لحم.

وفي بيت لحم استأنف چيروم عمله بالقيام بترجمة ثانية للمزامير، وفي هذه الترجمة حقق دقة أعظم برجوعه إلى سداسية أوريجانوس، وهي الكتاب المقدس الذي به

ردود الأفعال الأولى بالنسبة للڤولجاتا

في البداية لم يوُلِ الشعب ترجمة چيروم للكتاب المقدس اهتماماً مفضلين عليها الترجمات التي كانوا يستخدمونها في العبادة والدراسة. وقد استنكر البعض تخلي چيروم عن الترجمة السبعينية واعتماده على العبرية. ومع أن چيروم كان حريصاً على الاحتفاظ بأي عبارات من السبعينية كانت قد أصبحت موضوع حوار لاهوتي، ولم يقنع النقاد لأنهم اعتبروا النص اليوناني أدق من العبري القديم.

وفي مقدمته لأسفار الأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد (٣٩٣م.)، أجاب چيروم على هؤلاء النقاد:

إذا فضَّل إنسان النسخة السبعينية، فها هي بعد أن نقحتها بنفسي، لأن ليس هدفنا من هذه الترجمة الجديدة أن نقضي على القديمة.. ومع ذلك إذا قرأ صديقنا بعناية، فسيجد أن ترجمتنا أوضح، إذ أنها كمثل العصير الذي لم يفسد بصبه ثلاث مرات في أوعية مختلفة، بل أخذت توّاً من المعصرة وخُزنت في وعاء نظيف، فاحتفظت بمذاقها.

وبمرور الوقت سقطت كل الاعتراضات على ترجمة چيروم وبدأ الناس يدركون كم كانت ترجمته جيدة حقاً، لأنها كانت بكل الاعتبارات أفضل ترجمة متاحة في ذلك الوقت، وسرعان ما أصبحت النص اللاتيني القياسي للكتاب المقدس، ونموذجاً لكل المترجمين فيما بعد.

"إن السفر كله يتميز بالغموض وعدم الوضوح حتى في العبرية، وكما يقول الخطباء في اليونانية إنه مزخرف العبارات، فبينما يقول شيئاً، فإنه يفعل شيئاً آخر كأنك تقبض على الهواء أو على سمكة زلقة، كلما ضغطت قبضتك تسلك منها".

چيروم في مقدمته لسفر أيوب

النزعة المسيانية عند چيروم

شدد چيروم في ترجمته للعهد القديم على المضمون المسياني لبعض الفقرات، بل كثيراً ما يذهب بها بعيداً عما يحتمله النص الأصلي، مستخدماً عبارات غير موجودة في العبري. ومع أن هذه الفقرات كانت تغذي العقائد المسيحية، فإنها كانت تعوق الحوار مع علماء اليهود الذي كان يتطلع إليه چيروم.

"وكما تقرأ الكنيسة يهوديت وطوبيا وأسفار المكابيين، ولكنها لا تعترف بها كأسفار مقدسة قانونية، هكذا لتقرأ هذين المجلدين لبناء الشعب وليس كأساس لتعاليم الكنيسة"

مقدمة چيروم لأسفار الأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد.

نصوص عبرية ويونانية متنوعة من العهد القديم في ستة أعمدة. ومع أن چيروم قام بعمل ترجمة ثالثة للمزامير، فإن هذه الترجمة الثانية هي التي استخدمت بعد ذلك في الڤولجاتا. ثم شرع في ترجمة سفر أيوب، والأسفار الثلاثة المنسوبة لسليمان، وسفري أخبار الأيام مستعيناً بالسبعينية.

ثم خطا چيروم خطوة جريئة فهجر النص السبعيني رغم أنه كان يعتبره المسيحيون دائماً أنه النص الحاسم لأسفار العهد القديم، وأعطوه مكانة أعظم من النصوص العبرية الأصلية. ومن ذلك الوقت فصاعداً، يبدو أنه، بدلاً من الاعتماد على الترجمة اليونانية السبعينية، بدأ چيروم يترجم مباشرة من العبرية سائر أسفار العهد القديم.

وبعد دراسة الأسفار التي لم تكن مقبولة كجزء من الأسفار المقدسة العبرية الرسمية، ولكنها موجودة في السبعينية، قرر چيروم أنها تافهة، ومع أنه ترجم البعض منها، إلاّ أنه رفضها من أن تكون جزءاً من أسفار العهد القديم القانونية. وكتب مقدمات أطلق فيها على هذه الأسفار اسم «أبوكريفا». وكانت هذه خطوة أخرى جريئة، حيث أن هذه الأسفار كانت زمناً طويلاً معتبرة أسفاراً كتابية عند الكثير من المسيحيين. وبمرور السنين، أُسقِطت كثير من النسخ من ترجمة چيروم المقدمات، وظل المسيحيون يعتبرون الأبوكريفا جزءاً من الكتاب المقدس: وظل الأمر كذلك إلى زمن الإصلاح حين أصبحت قانونية هذه الأسفار موضع تساؤل جاد.

«هذه الترجمة لا تحذو حذو أي مترجم قديم بل ستجدها تورد حيناً الكلمات الدقيقة، وحيناً المعنى، وحيناً آخر كليهما معاً نقلاً عن الأصل العبري والعربي، وأحياناً السرياني»

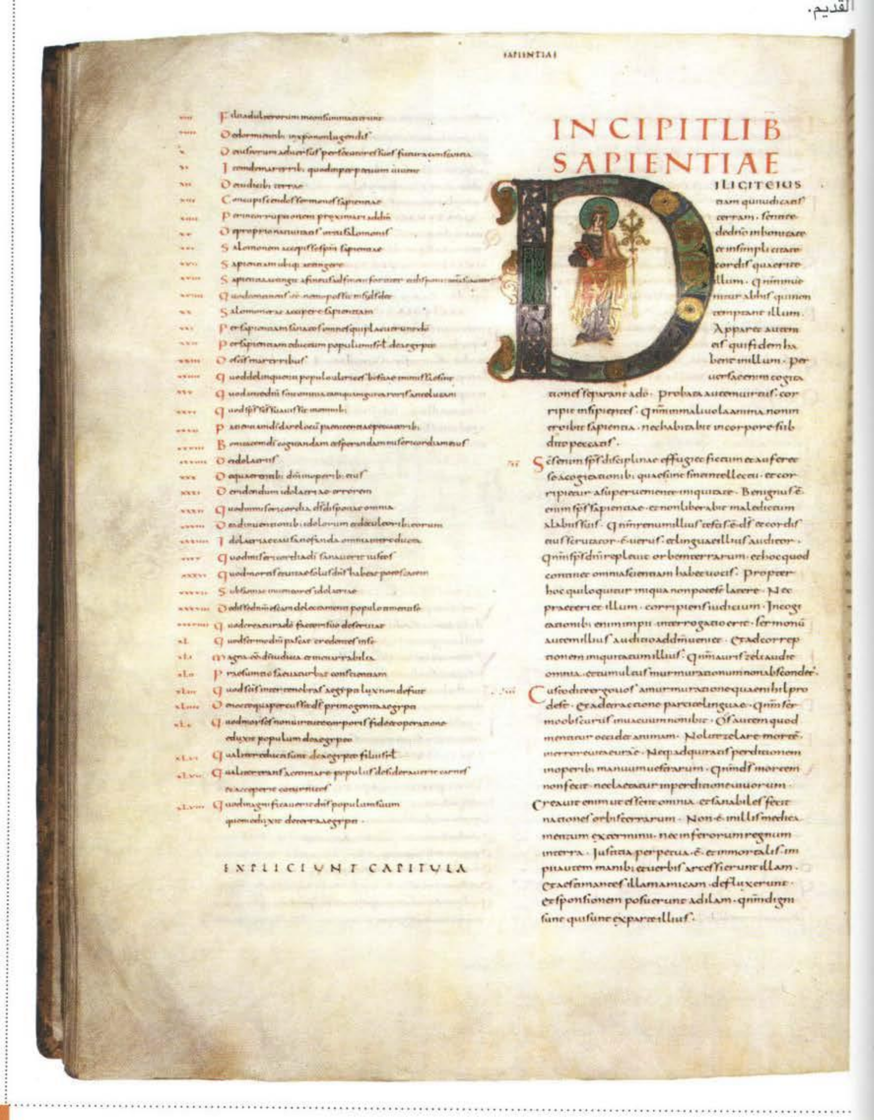
چيروم في مقدمة سفر أيوب

«بالرغم من أن اللغة الكلدانية قريبة جداً من العبرية، قد استعنت بأمهر المتكلمين باللغتين استطعت العثور عليهم، وأعطيت للموضوع يوماً كاملاً من العمل السريع. وكانت طريقتي هي أن أفسر باللاتينية بمساعدة سكرتير، كل ما قاله لي المترجم بكلمات عبرية.»

چيروم في مقدمته لطوبيا ويهوديت

«بالنسبة لضعف عيني ووهن جسدي بصورة عامة، فإنني لا أكتب بيدي ولا أستطيع التغلب على البطء في نطقي رغم محاولاتي وجهادي، كما يقال إنه كان الحال مع ڤرچيل الذي يقال عنه إنه كان يعامل كتبه كما تعامل دبة صغيرها، وتلعق جسده.»

چيروم في تفسيره لغلاطية



صورة صفحة من نسخة من الڤولجاتا – ترجمة چيروم اللاتينية للكتاب المقدس

أُوغُسطِينُوس وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّس



القديس أمبروز مرشد أوغسطينوس بريشة فبرينزودي لرنزوا (نحو ١٤٩٠م.) من مذبح في كنيسة سانتا ماريا نوڤا في بروچيا في إيطاليا

"لتكن أسفارك المقدسة هي مسرتي العفيفة، ولا تدعني أن أخدع فيها، أو أخدع بعيداً عنها."

(اعترافات أوغسطينوس)

السبعينية

لقد أيد أوغسطينوس كل التأييد للترجمة السبعينية القديمة للأسفار المقدسة العبرية، معتقداً أن الله قد أوحى بها، وأنها تفوق العبرية. ولذلك قبل الأسفار التي أطلق عليها چيروم اسم «الأبوكريفا»، واعترض على تخلي چيروم عن السبعينية واستخدامه للنصوص العبرية في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللاتينية.

"العهد الجديد يكمن مختبئاً في العهد القديم، والعهد القديم يتضح في الجديد."

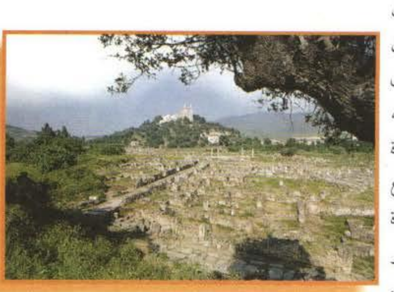
أسئلة أوغسطينوس عن الأسفار السبعة الأولى.

بدأ أوغسطينوس الأسقف الأفريقي المعاصر لچيروم، حياته شاباً شريراً احتقر الكتاب المقدس، وختم حياته كقديس، وأعظم لاهوتي في الكنيسة الغربية، تأصلت أفكاره في الكتاب المقدس.

من خاطىء إلى قديس

ولد أوغسطينوس في مدينة سقسطة (هي الآن سوق أحراس بالجزائر في شمالي أفريقيا) وكان أبوه وثنياً، أما أمه مونيكا فكانت مسيحية وكان لغته اللاتينية، فنشأ أوغسطينوس وتعلم الثقافة اللاتينية كما أنه تعلم القليل من اليونانية، ولكنه لم يكن يعرف من العبرية سوى كلمات قليلة.

ومع أن أمه مونيكا كانت تحثه على أن يصبح مسيحياً، وكانت تُصَلّي دائماً من أجل تجديد ابنها فإن أوغسطينوس فضل حياة اللهو والخلاعة، فهو في السابعة عشرة من عمره، بدأ يعيش مع فتاة عمرها خمسة عشرة سنة، وأصبح له ابن غير شرعي. وفي ٣٧٣م. وهو في الثامنة عشرة من عمره قد قرأ خطب شيشرون فشعر بشيء من النشاط الروحي، ثم حاول أن يقرأ الكتاب المقدس، ولكنه لم يستسغ أسلوبه الأدبي. وبالطبع لابد أن النسخة التي قرأها كانت إحدى الترجمات اللاتينية القديمة، التي لم يكن قد شُرِع بعد في وضعها في صيغة سليمة.



مدينة هِبُّو المسيحية، وهي مدينة رومانية فيما يعرف الآن باسم الجزائر، أعلى تل عقربة من كاتدرائية القديس أغسطينوس

وبدلاً من أن يصبح مسيحياً، انضم إلى جماعة من المانيين، أتباع ماني الهرطوقي الفارسي الذي احتقر العهد القديم واعتقد أن الكون يتكون من مملكتين متحاربتين، مملكة الظلمة ومملكة النور. ظل أوغسطينوس مرتبطاً بهذه الجماعة نحو عشر سنوات، بينما كان يعمل في وظائف التدريس في قرطاجنة وروما وميلان. وفي ٣٨٥ رتبت مونيكا أن يتزوج أوغسطينوس فتاة وارثة عمرها اثنا عشرة سنة، واقنعته أن يترك المرأة التي كان يعيش معها.. فطرد هذه السيدة، ولكنه في أثناء انتظاره أن تبلغ خطيبته السن المناسبة للزواج، أخذ سيدة أخرى وأخيراً لم يتزوج مطلقاً.

وحوالي ذلك الوقت بدأ أوغسطينوس يتحرر من ارتباطه بالمانيين، بفعل المواعظ التي كان يلقيها الأسقف المسيحي أمبروز الذي جعلت قراءته المجازية للكتاب المقدس أوغسطينوس أن يدرك أن الكتاب المقدس له قيمته بعد كل شيء. وبدأ أوغسطينوس يقترب ببطء من المسيحية. ثم في أحد أيام شهر يوليو في ٣٨٦م.، كما يقول لنا، كان يفكر في الأمور وهو في حديقة في ميلان، عندما سمع صوت طفل قادماً من بيت قريب يتغنى بالقول: «خذ وأقرأ، خذ وأقرأ». وظن أوغسطينوس في البداية أن الطفل يلعب إحدى اللعبات، ولكنه لم يستطع أن يتخيل لعبة تستخدم هذه الكلمات. فأدرك أنها رسالة من السماء، فالتقط نسخة من رسائل الرسول بولس وفتحها وقرأ أول كلمات وقع عليها نظره: «لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد، بل البسوا الرب يسوع ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات» (رو ١٣: ١٣، ١٤). وفي الحال تجدد أوغسطينوس، «بشعاع من نور سرى في قلبي، فانمحى كل ظلام الشك».

وقام أمبروز بتعميد أوغسطينوس في ٣٨٧م. وبعد أن ماتت أمه في أواخر ذلك العام، عاد إلى بلدته سقسطة حيث نظَّم جماعة من العلمانيين. في ما يشبه مجتمعاً رهبانياً. وعندما كان يزور مدينة هبو الساحلية القريبة في ٣٩١م. التف حوله الناس الذين أعجبوا به وأرادوه أن يكون أسقفاً لهم. ورسم كاهناً رغم إرادته تقريباً. وفي ٣٩٥م. عُين أسقفاً لهبّو، وظل أوغسطينوس في هبو قائماً بكل واجبات الأسقف، يكتب ويحارب الهرطقات ويعيش في شركة مع كهنته إلى أن مات في ٤٣٠م.

أوغسطينوس وكتاباته عن الكتاب المقدس

وفي خلال الخمسة والثلاثين السنة التي قضاها أسقفاً لهبو، كتب أوغسطينوس عدداً من الكتب والرسائل والمواعظ. الكثير منها عن النصوص الكتابية أو أساسها الكتاب المقدس. ومن أهم كتاباته «اعترافاته» وهي تقرير عاطفي شخصي عن سنواته المبكرة وتجديده وتتضمن تفسيرات عن سفر التكوين ودفاعه الخالد عن المسيحية ضد النقاد الوثنيين، و«مدينة الله» المؤسسة على الكتاب المقدس. وعلاوة على ذلك كتب أوغسطينوس «توافق البشيرين» حيث وضع مبادىء تناول الاختلافات بين الأناجيل الثلاثة المتشابهة (أناجيل متى ومرقس ولوقا) و«عن التعليم المسيحي» الذي يعطي الإرشادات الأساسية لتفسير الكتاب المقدس، كما كتب كتباً متنوعة للإجابة على أسئلة عن الكتاب المقدس. كما كتب العديد من التفاسير الكتابية بما في ذلك «مقالات هامة عن إنجيل يوحنا» و «مواعظ على المزامير».

ولم يكن أوغسطينوس مثل چيروم الذي ركز على الأسفار المقدسة أساساً كعالم في الدراسات الكتابية، فمعظم كتابات أوغسطينوس في تفسير الكتاب المقدس كان الهدف منها إيقاظ فهم الشعب في إبراشيته. ولذلك كان أسلوبه أقل تمسكاً بالشكليات وأكثر تودداً. ففي محاضراته أو مواعظه عن الكتاب المقدس استخدم لغة كل يوم التي كانت مفعمة بالحيوية في أسلوبها ومتقدة بالمحبة الحارة. وعلى قدر ما كان أوغسطينوس يُعجب بالأسلوب الخطابي أو الأدبي، فإنه فضل أن يضحي بالأسلوب ليتأكد من أن الشعب فهمه.

وقد حذا أوغسطينوس في تفسيراته للكتاب المقدس حذو أوريجانوس وغيره من مدرسة الإسكندرية في التأكيد على المعنى الروحي للكتاب أكثر من المعنى الحرفي، ولكنه بصورة عامة استخدم كلمة «تصوير» بدلاً من كلمة «مجاز». ومن الناحية الأخرى، احترم المعنى الحرفي لعبارات الكتاب المقدس وكان شديد الاهتمام بالنص والسياق التاريخي الذي كُتب فيه. فمثلاً أشار إلى أن ترتيب القصص الموجودة في الأناجيل تعكس أحياناً ذكريات عامة أكثر من أن ترتيباً تاريخياً دقيقاً. كما كان يعتقد أن كلمات الرب يسوع كثيراً ما تُروى بصورة عامة في الأناجيل، لتعكس المعنى الواسع لما قاله الرب يسوع وليس الكلمات ذاتها تماماً.

وبالنسبة لأوغسطينوس لا يتحدث الكتاب المقدس عن وعد وإتمامه في شخص الرب يسوع، ولكنه يحتوي على إجابات في أساليب حرفيه أو مجازيه، لكل الأسئلة الأساسية عند البشر، فكان أوغسطينوس يعتقد أن الله أعطانا الكتاب المقدس ليحث المؤمنين على محبة الله ومحبة الجار، فهي غاية رحلة النفس. وفي الناحية الأخرى، أدرك أوغسطينوس أن تعقيدات اللغة البشرية وغموضها يجعلان من الصعب تفسير الكتاب المقدس، ونصح الآخرين أن يُعنوا أشد العناية في القيام بذلك.. وقد انتشرت كتاباته عن الأسفار المقدسة انتشاراً واسعاً بعد موته، وكانت تُقرأ بعناية وتستخدم طوال العصور الوسطى.



صورة لأوغسطينوس بريشة يسطس ڤان جنت من قصر الدوقية في يوربينو.

عادة راهب

رغم أن أوغسطينوس يُصَوَّر عادة في الفن لابساً الثياب الكاملة لأسقف من العصور الوسطى بما فيها التاج والقفازات والخاتم والصولجان، إلا أنه في واقع الحياة كان يرتدي ثوب الراهب حتى وهو يقوم بخدمة الطقوس في الكنيسة.

"عجيبة هي أعماق أقوالك، التي سطحها أمامنا يدعو الصغار، ومع ذلك عجيبة في العمق. يا إلهي عجيب هو العمق، بل من المرعب النظر فيه. إنه مرعب في جلاله، ورعشة محبته."
(اعترافات أوغسطينوس)

قواعد لتفسير الكتاب المقدس

وضع أوغسطينوس بعض القواعد الأساسية لتفسير الكتاب المقدس ما زالت صالحة اليوم. وبين أشياء كثيرة، ينصح المفسر:

- استخدم معرفتك بالعبرية واليونانية لأنهما لازمان لتفسير اللغة المجازية للكتاب المقدس.

- اعرف تماماً جغرافية الأرض المقدسة وتاريخها الطبيعي، وموسيقاها وتاريخها ولهجاتها وعلم الأعداد، واعرف أيضاً كتابات الفلاسفة القدماء.

- اذكر أن الكتاب المقدس له أكثر من تفسير واحد.

- فسر الأقوال الغامضة في نور الأقوال المفهومة، فهذا أفضل من التفسير العقلي.

وأخيراً يعتقد أوغسطينوس أن روح وقصد المفسر أهم من الدقة اللفظية والفطنة النقدية. التفسيرات الخاطئة ليست بالضرورة رديئة. فإذا كان تفسير خاطىء يهدف إلى بناء المحبة، التي هي غاية الوصية، فإن المفسر يضل مثلما ينحرف رجل عن الطريق الصحيح ومع ذلك يصل من خلال الحقول إلى نفس المكان الذي تؤدي إليه الطريق.

رَحَلاتُ إلى الأَرْضِ المُقَدَّسَة

جيروم راسم الخرائط

جيروم المشهور أساساً لترجمته اللاتينية للكتاب المقدس، كان أيضاً رسَّاماً للخرائط، قد استكشف فلسطين على مدى ٣٥ سنة، ومازالت توجد لدينا نسخة من إحدى خرائطه من القرن الثاني عشر، رسمت نحو ٣٨٥م،. في نفس الوقت الذي تجولت فيه الحاجة إيجريا في بلاد الكتاب المقدس، والخريطة تبين المواقع الشهيرة المذكورة في الكتاب المقدس، بما فيها أورشليم، ونهر الأردن والناصرة وبيت لحم.

في الصفحة المقابلة:
أشهر الشخصيات التي قامت بسياحة إلى الأراضي المقدسة في المرحلة المبكرة من التاريخ كانت هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين، التي أمرت في سنة ٣٢٦م. ببناء عدة كنائس في الأماكن المقدسة. وهي تصور هنا مع الإمبراطور هِرقل، الذي عاش في الحقيقة بعد حوالي ٣٠٠ سنة من حياة هيلانة، ويقال عنه إنه استطاع الحصول على جزء من صليب يسوع وأعاده من بلاد فارس إلى أورشليم. هذه اللوحة بعنوان «القديسة هيلانة والإمبراطور هيرقليس عند بوابة أورشليم». من القرن الخامس عشر بريشة سانتا كروز دي بلازا.

لم تكن قراءة القصص عن الرب يسوع بكافية لكثيرين من المسيحيين، فكانوا يريدون أن يمشوا حيث مشى، وأن يسيروا في الأماكن التي وقعت فيها أحداث الكتاب المقدس، إذ كانوا يعتقدون أنه بعملهم ذلك، يتقوى إيمانهم إذ يتمثلون الأحداث جارية.

والأرجح أن المسيحيين بدأوا القيام برحلات إلى الأماكن المقدسة منذ القرن الأول. فبعد القضاء على ثورة يهودية في ١٣٥م. بدأ الإمبراطور هارديان في تدمير كل الأماكن المقدسة اليهودية والمسيحية، وأقام مكانها مزارات لآلهة الرومان. ففوق كهف كان يستخدم اسطبلاً في بيت لحم كان يظن أنه فيه قد ولد الرب يسوع بنى هيكلاً لأدونيس، الذي كان يعتبر إلهاً معروف عنه أنه مات وقام من بين الأموات، وفي كل شتاء حسب الأسطورة الرومانية كان أدونيس ينزل إلى العالم السفلي، ويرجع إلى الأرض في الربيع.

وأول رحلة مسجلة حدثت بعد نحو عقدين كتب مليتو أسقف ساردس (في تركيا الحالية) في إحدى رسائله أنه قام برحلة إلى فلسطين ليحقق الأسماء والأماكن المذكورة في الكتاب المقدس.

والدة الإمبراطور

لعل أشهر الرحلات المبكرة، كانت رحلة أم الإمبراطور قسطنطين، هيلانة، التي جاءت إلى أورشليم في ٣٢٦م. وكانت في السبعينيات من عمرها والتي قد أصبحت معضدة غيورة للمسيحية وهي الديانة التي أعلنها ابنها ديانة شرعية منذ نحو اثنتي عشرة سنة. وذكر المؤرخ المسيحي يوسابيوس أنها طافت بالمنطقة وزارت الأماكن المقدسة وأمرت بإقامة كنائس ومزارات لتحديد هذه المواقع.

وتقول إحدى الأساطير إنها ذهبت إلى أورشليم لتبحث عن الصليب الذي صُلب عليه الرب يسوع، وإنها وجدته مدفوناً فوق جبل الجلجثة، وفوق هذه القمة وفوق القبر القريب الذي دفن فيه الرب يسوع، أمرت هيلانة ببناء كنيسة القبر المقدس. ومن بين الكنائس الكثيرة التي أمرت ببنائها في أثناء تلك الزيارة، كانت كنيسة

مذكرات سائح للأراضي المقدسة

من أبرز الشخصيات التي كتبت عن تفاصيل زيارتها للأراضي المقدسة كانت سيدة غامضة تدعى إجريام.. لقد قضت في رحلتها أربع سنوات من ٣٨٠ – ٣٨٤م. وظلت حريصة على كتابة مذكراتها في وصف الأماكن التي زارتها والتي تمثل ٦٣ موقعاً من العهد القديم و ٣٣ من العهد الجديد كانت قد زارتها فيما يعرف الآن باسم دولة إسرائيل والمناطق الفلسطينية ومصر وسوريا وتركيا. غير أنه لم يتبقى سوى جزء فقط من مذكراتها، وذلك فإن العلماء ظلوا يخمنون من أين جاءت. ويعتقد البعض أنها قد جاءت من فرنسا، بسبب اللهجة اللاتينية التي تستخدمها، كما أنها كانت تخدم كراهبة، حيث أنها وجهت مذكراتها إلى «الأخوات المحترمات». وفيما يلي بعض اللمحات من مذكراتها:

لقد رأينا كل أراضي سدوم وعمورة وهي المكان الوحيد من بين خمسة أماكن التي ما زالت موجودة حتى الآن. هناك ملمح منها ولكن لا شيء يمكن أن يدلنا على تلك المدن الأخرى سوى القليل من الحطام، كما لو أنها تحولت إلى رماد. وقد ظهر لنا المكان الذي فيه النقوش الخاصة بزوجة لوط... العمود (عمود الملح) يقال إنه البحر الميت قد غطاه.

(إجريا تصف سدوم وعمورة)

إذا نظرت هناك فلن ترى سوى الذهب والحرير. فإذا نظرت إلى الستائر، فستجد أنها مصنوعة كلياً من الحرير المطرز بالذهب، كذلك فإن أواني الكنيسة أيضاً من كل أنواعها مصنوعة من الذهب والجواهر.

(وصف إجريا لكنيسة المشهد المقدس في أورشليم، والتي بُنيت في المكان الذي يُعتقد أن المسيح صُلِبَ فيه ودُفِنَ).

الصعود على جبل الزيتون الذي من فوقه صعد المسيح إلى السماء، وكذلك كنيسة الميلاد فوق كهف المزود الذي يعتقد كثيرون أن الرب يسوع ولد فيه.

الرحلات للأرض المقدسة تصبح شعبية

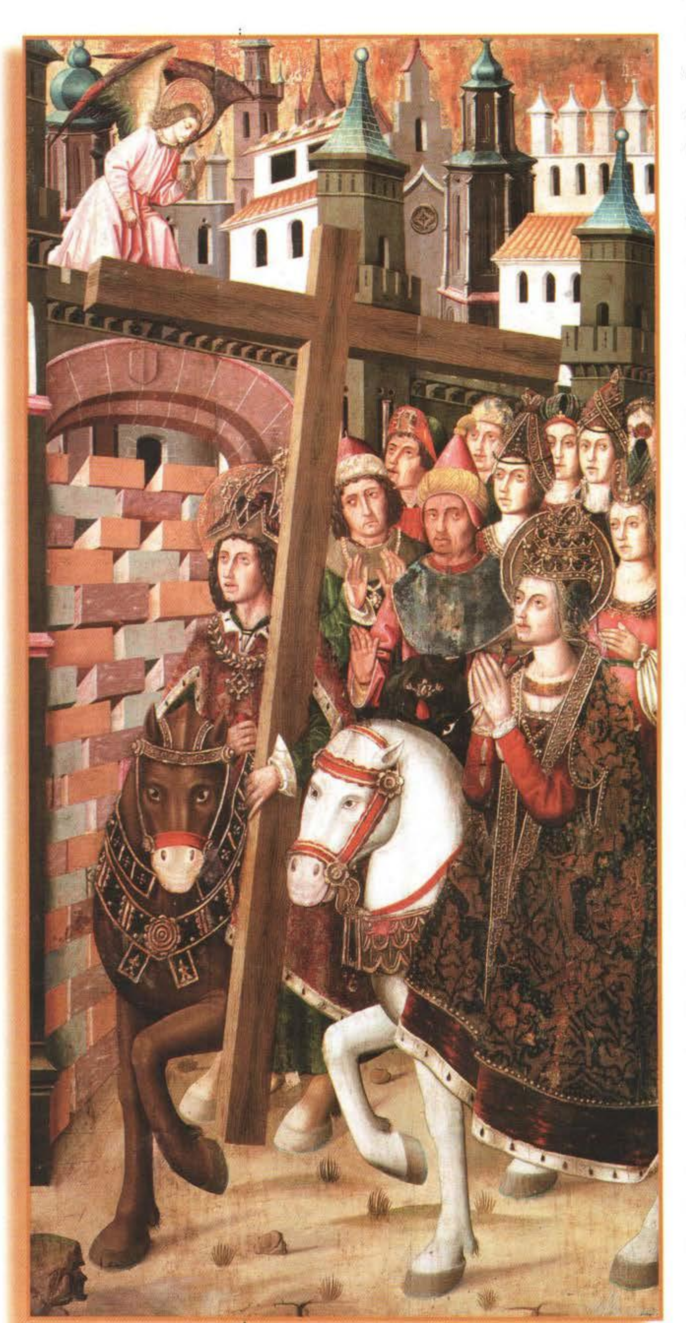
لقد نهى بعض قادة الكنيسة، مثل أوغسطينوس، عــن الذهـــاب إلى بلاد الكتـاب المقدس، لأنها - كما يقـول - تقلل من أهمية التعليم بأن الله موجود في كل مكان. وآخرون مثل چيروم، أصروا أنه من الطبيعي أن يريد الإنسان زيارة موطن الرب يسوع لأنه جزء من الإيمان أن نكرم الأماكن التي وطأتها قدماه.

وبدأ المسيحيون يتوافدون من كل أجزاء الإمبراطورية الرومانية لزيارة الأماكن الرئيسية المذكورة في الكتاب المقدس، مثل قبور الأنبياء وآثار القديسين والشهداء. وكانت إحدى الرحلات العامة هي الذهاب أولاً إلى جبل سيناء وتتبع طريق الخروج إلى أرض الموعد، ثم زيارة المواقع الكتابية في ما يسمى إسرائيل الآن. ولكن أشهر الأماكن في الأرض المقدسة كانت الأماكن التي سار فيها الرب يسوع.

وقد احتفظ بعض السائحين بمذكرة عن رحلاتهم، وأحد أوائل هؤلاء السائحين، شيخ يعرف باسم سائح بوردو، ولم يحدد شخصيته، ولكن يقول العلماء انه على الأرجح جاء مما يعرف الآن باسم مدينة بوردو في فرنسا حيث أن مذكراته بدأت من هناك. وارتحل إلى فلسطين في ٣٣٣م. وسجل ملحوظات مختصرة عن المواقع الأربعين في العهدين القديم والجديد، التي زارها، وما رآه، والمسافات بين الأماكن المختلفة، والأماكن التي استراح فيها. ويبدو أنه لم يكن يهتم بالأمور اللاهوتية، وقليلاً جدّاً ما علق على ما رآه، ولكنه على أي حال كتب ملاحظات عن كنيسة القبر المقدس التي كانت قد بنيت حديثاً:

«إلى الجانب الأيسر يوجد تل الجلجثة حيث صُلب الرب. وعلى بعد رمية حجر من ذلك الموقع يوجد مقبرة حيث وضعوا جسده وقام ثانية في اليوم الثالث وهناك الآن بنيت بأمر الإمبراطور قسطنطين كنيسة ضخمة، كنيسة رائعة الفخامة».

وكان قادة الكنيسة والرهبان الذين يعيشون في الأراضي المقدسة كثيراً ما يعملون كمرشدين يقودون الحجاج في الصلاة ويقرأون لهم الأجزاء المناسبة من الكتاب المقدس، وكانت الأديرة والكنائس تقوم مقام الاستراحات والفنادق. وعندما كان يعود الحجاج إلى أوطانهم، كانوا كثيراً ما يأخذون معهم تذكارات غالية للاحتفاظ بهذه الذكريات، مثل ماء من نهر الأردن، زيت مقدس، بقايا مقدسة مثل قطع من العظام، وقطع من الثياب، وتراب من قبور القديسين.



تَسجِيلُ النَّامُوسِ المَنْطُوقِ

نفي اليهود من أورشليم

لم يُجمع تلمود أورشليم ولم يُكتب في أورشليم. فبعد الثورة اليهودية الفاشلة في ١٣٥م. نفي الرومان اليهود من مدينة أورشليم، وأسكنوا الجزء الأعظم مما هو الآن الجزء الجنوبي من إسرائيل بأناس من غير اليهود، وانتقل غالبية اليهود إلى الشمال، وأقام معلمو اليهود (الربيون) مدارس في العديد من المدن هناك بما في ذلك قيصرية وطبرية سيفروس، وهناك وُلد تلمود أورشليم.

إن دراسة الشريعة حياة لك وطول أيام.
(المعلم عقيبة - نحو ٥٠ - ١٣٥م).

لم تُكتب كل القوانين الدينية التي عاش بها اليهود، في الكتاب المقدس اليهودي. فقد تناقلوا شفاها قوانين غير مسجلة، وكان لها نفس السلطة مثل الكتاب المقدس، وكانوا يعتقدون أنها جاءت من الله.

فقد علَّم الربيون (معلمو اليهود) تلاميذهم أنه عندما أعطى الله موسى الناموس (القواعد المحفوظة في الأسفار الخمسة الأولى في الكتاب المقدس) أعطاه أيضاً وصايا لم يسجلها موسى، فمثلاً قال الله لموسى إن على الشعب ألا يشتغلوا يوم السبت. وسجل موسى هذا في الناموس المكتوب، ولكن المعلمين اليهود قالوا إن الله أوضح لموسى ما الذي يعتبر عملاً في يوم السبت. فكان على اليهود ألا يجهزوا طعاماً (فكانوا يتناولون طعاماً مما أعدوه في اليوم السابق)، ألا يسحبوا ماء للشرب أو يحملوا أي شيء من بيوتهم أو إليها. كانت هناك العشرات من هذه النواهي فيما يتعلق بالسبت وحده.

وبمرور الوقت، تمدد هذا الناموس الشفهي إذ أن الأجيال الجديدة من القادة الدينيين اليهود أرادوا أن يفسروا ويطبقوا مبادىء نواميس الله للعالم دائم التغيير.

في المرتبة الثانية بعد الكتاب المقدس، لليهود

في نهاية القرن الأول الميلادي، أصبحت التقاليد الشفوية كثيرة ومعقدة ويستحيل حفظها عن ظهر قلب، حتى أن كثيرين من المعلمين بدأوا في تسجيل مذكرات لمساعدتهم على تذكر النواميس. كانت العادة اليهودية تمنع ذلك حيث أن موسى لم يفعل ذلك، ولكنهم أيقنوا من أنهم لو لم يبدأوا في فعل ذلك، فلابد أنهم سيفقدوا البعض من الناموس الشفوي. وفي حوالي ٢٠٠م. قرر الربي (المعلم) يهوذا النسي أن يخطو الخطوة المنطقية التالية، فشرع في العمل الضخم بتسجيل الناموس الشفوي. فسجل يهوذا، بمعاونة فريق من الربيين، وثيقة يعتبرها اليهود في المرتبة الثانية من الأهمية بعد الكتاب المقدس.

هذه الوثيقة هي «المشنا» وهي كلمة عبرية قديمة تعني «يتلو»، وأصبحت بعد ذلك تعني يُعلِّم، وهي مجموعة ضخمة، فقد احتوت المشنا قروناً عديدة من التفسير من الشرائع الشفاهية المبكرة والتفاسير العديدة إلى عصر يهوذا، وقد احتفظ يهوذا بالقليل من أفكاره هو.

وتنقسم المشنا إلى ستة أقسام كبرى تغطي دائرة واسعة من الحياة اليهودية، من الزراعة إلى الأسرة إلى الإيمان. والأقسام الستة هي:

- **البذور**: وهي تتناول أساساً الزراعة وتغطي القوانين الخاصة بكيفية استغلال الأرض.
- **المواسم المعينة**: وهي تناقش المواسم الدينية اليهودية بما فيها الشرائع الخاصة بحفظ السبت والأعياد الدينية وأيام الصوم.
- **النساء**: وهي تتحدث أساساً عن القوانين المتعلقة



جماعة من الرجال اليهود يجتمعون في مجمع في مدينة أورشليم القديمة لدراسة أسفارهم المقدسة والتلمود الذي يضم مجموعة المشنا من القواعد اليهودية مع كمية كبيرة من مواد دينية أخرى مثل تفسيرات كتابية، وتاريخ وتعاليم وأحكام مجامع يهودية قديمة.

أقوال الربي يهوذا:

عمل الربي يهوذا (أحد قادة اليهود في القرن الثاني) مع غيره من المعلمين اليهود الهامين لتسجيل النواميس اليهودية الشفوية في مجموعة مكتوبة تسمى المشنا. وقد أضاف يهوذا إلى المجموعة بعضاً من أقواله كما إلى غيرها من الكتابات اليهودية. وإليك البعض من أقواله:

ما هو سبيل الفضيلة الذي يجب على الإنسان أن يتبعه؟ كل ما يؤدي إلى إجلال صانعه من رفقائه.

تأمل في ثلاثة أشياء، فتتحاشى الخطايا: فوقك عين ترى، وإذن تسمع، وكل أعمالك تُسجل بأمانة.

لا يخدعنك المظهر الخارجي، سواء من الشيخوخة أو الشباب، فقد يكون إبريق جديد مملوءاً بخمر عتيقة جيدة، بينما يكون إبريق عتيق فارغاً تماماً.

على الإنسان أن يحترم أباه وأمه كما يحترم الله، لأن الثلاثة شركاء فيه.

بالزواج والطلاق وجوانب الحياة العائلية.

– **الأجزاء**: وتغطي القوانين المدنية والجنائية وتحدد أي القوانين تعرضت للكسر والعقوبة المحددة لذلك. وهناك أقسام عن عبادة الأوثان والأخلاق.

– **الأشياء المقدسة**: وتغطي أمور العبادة والطقوس وبخاصة الذبائح والتقدمات وخدمات الهيكل.

– **الطهارة**: وهو القسم الأخير ويركز على قوانين الطهارة الطقسية والنجاسة، فيحدد ما الذي يمكن أن يجعل شخصاً نجساً طقسياً وغير صالح للعبادة، وكذلك عن كيف يمكن أن يصبح طاهراً طقسياً.

قانون وتقاليد التلمود

ورغم التفاصيل الكثيرة في المشنا، وأكثر من خمسمائة فصل، فإنها لم تكن سوى بداية تسجيل الناموس الشفوي. وظل العلماء اليهود يتدارسون النواميس، وكيفية تطبيقها في الحياة. وقد سجلت هذه الحوارات والأفكار المتنوعة مع العديد من المواضيع الأخرى من تفسيرات للكتاب المقدس، وقصص عن الربيين، وقصص ذكرها الربيون عن أبطال الكتاب المقدس، وتعاليم عن الشياطين، ونصائح طبية، وعلوم، وتاريخ وأساطير وأحكام تناقلها المجلس اليهودي عن أمور دينية.

وبمرور الزمن جُمِعت هذه المناقشات التي تناولت العديد من الأمور في مجلد ضخم يُعرف باسم «الجمارا». وقد ضمت هذه المجموعة إلى المشنا ليكونا التلمود (والتلمود والجمارا مشتقتان من كلمتين تعنيان «يدرس أو يتعلم»).

وهناك صورتان من التلمود، فقد كان هناك مركزان كبيران للتعليم اليهودي. كان أحدهما فيما يسمى الآن إسرائيل، وكان الثاني في منطقة العراق. حيث قرر كثيرون من اليهود الإقامة بعد أن هزم البابليون الأمة اليهودية في ٥٨٦ ق.م. وأسروا اليهود وأخذوهم معهم إلى بابل. وتلمود أورشليم ويسمى أيضاً التلمود الفلسطيني هو الأقصر والأقل تطوراً. فقد تمت كتابته في عدة معاهد للمعلمين اليهود في العديد من المدن، وتمت كتابته في نحو ٤٥٠م. أما التلمود البابلي الذي يبلغ في الطول نحو ثلاثة أمثال تلمود أورشليم ويحتوي على نحو مليونين ونصف مليون كلمة فقد تمت كتابته بعد ذلك بنحو قرن، وأصبح النسخة الأكثر انتشاراً وقبولاً.

وطوال الخمسة عشر قرناً التي مضت، كان هذا الكنز من النفائس الثمينة من الفكر اليهودي مصدراً للإلهام لليهود المنقطعين لدراسة ناموس الله وتطبيقه على حياتهم. وحتى اليوم تعتبر دراسة التلمود مهمة أساسية في مدارس المعلمين اليهود في كل العالم. ويرى كثيرون من اليهود أن التلمود مصدر للحكمة وإن لم يكن على نفس قدر الأسفار المقدسة، وغالبية اليهود الأرثوذكس أي مستقيمي الرأي) من الناحية الأخرى يعتبرون التلمود مرشداً جوهرياً وملزماً للحياة اليهودية.

صورة نسخة محفوظة جيداً من المشنا من فلسطين أو من مصر، نسخت في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر. والمشنا مقدسة عند اليهود، وتعتبر عند اليهود في المرتبة الثانية بعد الأسفار المقدسة. وهي تحتوي على الشرائع اليهودية والتقاليد التي ظلوا يتناقلونها شفاهاً، ولكن في نحو ٢٠٠م. أصبح هذا الناموس الشفوي من الضخامة حتى شعر الربيون بالحاجة إلى حفظه مكتوباً.

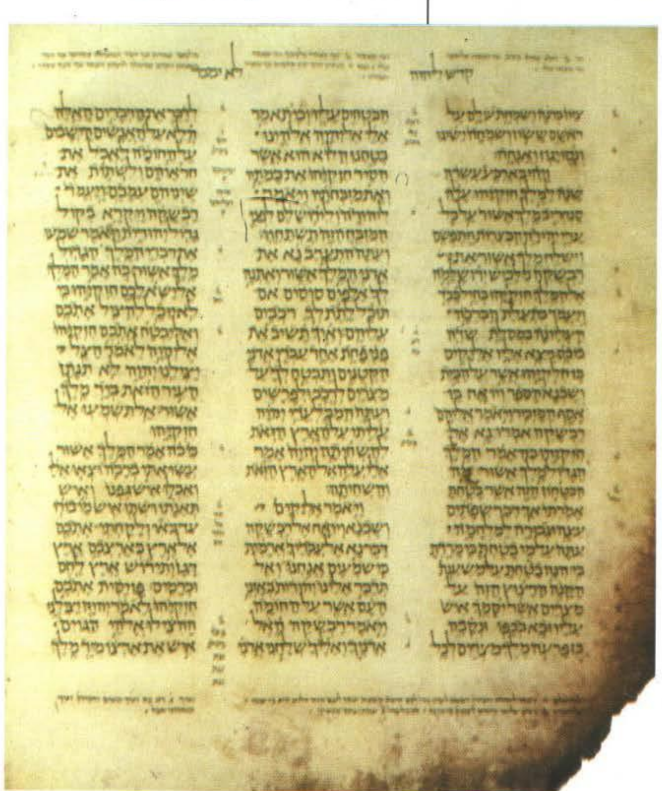
(مكتبة جامعة كامبردج)

تَصْفِيَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الْعِبْرِيِّ

في زمن الرب يسوع قبل أن يغزو الرومان أورشليم ويدمروا الهيكل في ٧٠ م. تعرضت نصوص الكتاب المقدس العبري أحياناً للتغيير، وكان معظم التغييرات بسيطة حدثت من النساخ الذين كانوا يحررون النصوص، ولكن بعضها كان كبيراً، فمثلاً يوجد سفر إرميا في صورتين إحداهما أطول كثيراً من الأخرى.

وفي القرن الثاني، كان قد تغير كل شيء، وبدأت النصوص تكتب بدقة شديدة لا يُسمح معها بأي تغيير. وفي الوقت الذي كان اليهود فيه بلا هيكل ومشتتين حول البحر الأبيض المتوسط، لابد أنهم شعروا الحاجة إلى نص دقيق لأسفارهم المقدسة، وعندما بدأوا في تسجيل تراثهم في أثناء أيام السبي في بابل، لابد أنهم عملوا على تكوين نصوص أسفارهم المقدسة في غاية الدقة بعد أن ابتعدوا عن بلادهم ولم يعد لهم هيكل.

صورة صفحة من مخطوطة حلب ترجع إلى القرن العاشر. وهذه المخطوطة هي أقدم نسخة للكتاب المقدس العبري استخدمت علامات الترقيم الماسورية.



وفي خلال القرون القليلة التالية، عكف علماء اليهود على تحقيق نص سليم يمكن أن تنقل عنه الأسفار في غاية الدقة، فلم يكن يسمح للمحررين بتغيير أي حرف. وقد حذر أحد معلميهم (الربيين) في تلك الفترة من حذف أو إضافة حرف واحد من النص المقدس لأن ذلك يؤدي إلى تدمير العالم.

الحفاظ على كلمة الله

وفيما بين سنة ٥٠٠ – ١٠٠٠م. قامت جماعة خاصة من الكتّاب بإعداد نسخة دقيقة من النص للعهد القديم مازال هو المرجع والمعيار الآن. ولأنهم كانوا يُعتبرون أساتذة التراث (الماسورة في العبرية) لذلك أطلق عليهم «الماسوريين».

وكان الماسوريون – مثل أسلافهم – حريصين على عدم تغيير حرف واحد من النصوص الرسمية، فمتى اكتشفوا خطأ فكانوا يعيدون كتابتها بكل أمانة مع إضافية ملحوظة في الحاشية، وكانت توضع علامة خاصة بجانب الكلمة التي تحتاج إلى تصويب، للرجوع إلى الملحوظة في الحاشية الجانبية، فكانت هذه الملحوظة تنبه القراء إلى المشكلة المحتملة، أو الخطأ وعليهم أن يقرروا لأنفسهم قبول أو عدم قبول القراءة باعتبارها صحيحة.

كما أن الماسوريين قَسَّموا النصوص إلى فقرات، وهو تقسيم قد يعود على الأرجح إلى زمن قديم. كما بينت هذه الأقسام الفصول التي يجب أن تستخدم في القراءة من الناموس والأنبياء في المجامع. وكانت تُستَخدَمْ دورتان مختلفان للقراءة في زمن الماسوريين، ففي فلسطين كانوا يقرأون التوراة كلها (الأسفار الخمسة الأولى) مرة كل ثلاث سنوات، ولذلك كان يقسم عادة إلى ١٥٤ قسم (قسماً لكل أسبوع)، أما في بابل فكانوا يقرأون التوراة كلها مرة كل سنة، ولذلك قسموا الأسفار إلى ٥٤ قسماً. وبمرور الزمن أصبحت الدورة السنوية هي القاعدة.

علامات التشكيل وحروف العلة

الكلمات التي جاهد المساوريون أن يخافظوا عليها كانت تتكون فقط من الحروف الساكنة، ففي العبرية القديمة لم تكن تكتب الحروف المتحركة (حروف العلة)

وكان ينتظر من القراء أن يضيفوا الحروف المتحركة الصحيحة لقراءة الكلمات قراءة سليمة. ولكن إذ كانت العبرية على وشك الاختفاء كلغة حية، وضاع النطق التقليدي، أصبحت الحاجة ماسة إلى ابتكار نظام للدلالة على الأصوات المتحركة ليعرف القراء قراءة النص قراءة سليمة. كان القارىء عادة يحدد الكلمة الصحيحة من التأمل في سياق الجملة ولكن بعد أن أصبح اليهود الملمون بالعبرية يتضاءل عددهم، أصبحت قراءة نصوصهم القديمة صعبة.

وعلى مر السنين، وضع ثلاث جماعات من الماسوريين في ثلاثة أماكن مختلفة أنظمة لاستخدام الحروف المتحركة. والأنظمة التي سادت جاءت من الماسوريين في مدينة طبرية في فلسطين وقد قام بوضعها إلى حد بعيد، أعضاء عائلتين: أبناء أشير، وأبناء نفتالي. وتستخدم هذه الأنظمة عدداً من الرموز، كانت بشكل عام عدداً معيناً من النقط بترتيبات متنوعة توضع فوق الحروف الساكنة أو تحتها أو بينها. وكانت هذه العلامات دقيقة تدل على تغييرات دقيقة في النطق، وعلاوة على ذلك، كانت هناك علامات ترقيم تدل على الوقوف أو انتهاء الجملة والمقاطع... وقد وضعت هذه العلامات لمساعدة القارىء على معرفة النغمة الموسيقية للعبارة في أثناء العبادة. والنظام الذي وضعه أبناء نفتالي يوجد في بعض المخطوطات المبكرة، ولكنه بمضي الوقت بطل استخدامه. أما النظام الذي استخدمه أبناء أشير فقد استخدم على نطاق واسع في السنوات التالية، ثم أصبح هو القاعدة.

المعروف أن خمسة أو ستة أجيال من بني أشير قد عملوا في هذا النظام. وكان آخرهم موسى بن أشير وابنه هارون فقد قاما بالعمل النهائي في ضبط النظام.



صورة لعزرا يقرأ الناموس
رسم من أحد المجامع القديمة في دورا أوربا من نحو ٢٤٦م

ونحو ٩٢٥م. استخدم هارون بن أشير نفسه نظامه في الترقيم في نسخ المخطوطة المعروفة باسم «مخطوطة حلب» لأنها حفظت على مدى قرون بواسطة جماعة يهودية في حلب (سوريا).

والمعتقد أن الترقيم في مخطوطة حلب» أقدم نص إلى العصور الكتابية، حين كانت العبرية لغة حية ولم تكن هذه العلامات ضرورية، لأن الآباء كانوا يعلمونها أولادهم شفاها في حلقة غير منقطعة. فعلامات الترقيم الماسورية تساعد الذين عاشوا بعد عصر هذا التقليد الشفوي، والذين كان عليهم أن يصارعوا لتعلم العبرية من الكتب. ولكن بفضل الماسوريين يستطيع أي إنسان الآن يعرف العبرية جيداً، أن يقرأ العهد القديم كما كانوا يقرأونه قديماً.

تعليمات للنُسَّاخ

هناك كتاب من القرن الثامن أو التاسع بعنوان مقالة للنُسَّاخ وهو يوجز القواعد والطقوس التي يجب على الكاتب الماسوري أن يتبعها في أثناء نسخة للكتاب المقدس. وهي تتضمن طقوس الاغتسال والإعداد لأدوات الكتابة الخاصة بالإضافة إلى ذلك، يجب قبل كل مرة يتم فيها كتابة كلمة «الله» باللغة العبرية، أن يقول «إنني أكتب اسم الله لأجل قداسة اسمه».

المعركة حول علامات التشكيل

نعلم الآن أن اللغة العبرية كانت تكتب بدون حروف العلة أو أدوات الترقيم في العصور الكتابية، ولكن في نحو عصر حركة الإصلاح، اعتقد كثيرون أن حروف العلة وأدوات الترقيم الموجودة في بعض نسخ الكتاب المقدس كانت تستخدم على الدوام، وأنه لم يكتب أي نص كتابي بدونها، وبناء على تقليد قديم، فقد تسلمها موسى من الله شفاها، وأن الذي كتبها هو عزرا الكاهن الكاتب الذي قام بإصلاحات دينية بين اليهود الذين رجعوا إلى أورشليم من السبي البابلي.

وفي القرن السادس عشر عندما افترض المعلم اليهودي إلياس ليفيتا أن حروف العلة أضيفت إلى النصوص الكتابية بعد كتابتها بزمن طويل، أثار عاصفة من الاحتجاج استمرت قرنين من الزمان. ومع أن المصلحين رحبوا باكتشافات ليفيتا، فإن علماء حركة الإصلاح الذين جاءوا أخيراً عارضوهم واتهموا الكاثوليك باستخدامهم لها لفائدتهم. وفي ١٦٧٣م. أصدرت سويسرا قانوناً يمنع أي إنسان من الوعظ إذ كان لم يقبل صحة النص العبري بما فيه من الأصل الإلهي لعلامات التشكيل ولم يحدث إلا مؤخراً عندما درس العلماء الموضوع بهدوء ونزاهة فوجدوا الكثير جداً من الأدلة على صحة الموضوع حتى أصبح لا يشك بعد ذلك في ليفيتا. وكان الدليل الرئيسي يتركز في حقيقة أن لا جيروم في القرن الرابع ولا أي واحد من عدد كبير من العلماء اليهود في القرن الخامس، أشار بأي صورة إلي التشكيل مع أنهم ناقشوا موضوع تشكيل الحروف الساكنة مناقشة شاملة. والآن غالبية العلماء مقتنعون بأن علامات التشكيل قد بدأها الماسوريون.

"فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلمكم لتعملوها لكي تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرب إله آبائكم يعطيكم. لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها."

(موسى في سفر التثنية ٤: ١-٢)

كِتَابٌ مُقَدَّسٌ لِلْمُحَارِبِين



صورة جندي قوطي من المشاة يرتدي خوذة ودرع وحربة، منقولة عن صورة في دير سانتودومنجو دي سيوس في أسبانيا. والتي كانت إحدى الأقطار الثلاثة التي استقر بها هذا الشعب المحارب بعد أن تحولوا للمسيحية.

في القرون الأولى بعد الرب يسوع، عندما كان المسيحيون ما زالوا يتحاورون حول أي الأسفار يتضمنها العهد الجديد، كانت هناك جحافل من القبائل الجرمانية المحاربة تهاجم حدود الإمبراطورية الرومانية، وهي قبائل القوط الغربيين، ولم يكونوا يعرفون إلاَّ القليل أو بالحري لم يكونوا يعرفون شيئاً عن المسيحية، كما لم تكن لهم لغة مكتوبة، إذ كانت لغتهم القوطية قاصرة على الحديث شفاها. وكان لابد من تغيير هذا، ولابد أن تصبح لهم لغة مكتوبة، وكذلك كتاب مقدس باللغة القوطية.

لقد هاجر القوط من السويد واستقروا في داشيا في ما يُعرف الآن برومانيا، شمالي نهر الدانوب، وإذ أصبحت هذه المنطقة وطنهم الجديد وقاعدة لعملياتهم الحربية في القرن الثالث الميلادي، قاموا بغارات على أراضي الإمبراطورية الرومانية، وفي ٤١٠م. اكتسحوا روما نفسها.

وفي إحدى غاراتهم المبكرة على ما يعرف الآن بتركيا، أسروا إمرأة مسيحية تزوجت رجلاً من القوط. وقد استخدم الرب ابنها في اعتناق القوط للمسيحية وكذلك في كتابة الكتاب المقدس بلغتهم بأبجدية اخترعها لهذا الغرض.

يولفيلاس، الذئب الصغير

ولد هذا الابن في نحو ٣١١م. وأطلق عليه اسم أحد المحاربين: يولفلاس (ويترجم أيضاً «ولفيلا» ومعناه



صورة صفحة من كتاب مقدس قوطي مكتوب بالأبجدية القوطية التي اخترعها يوليفلاس في القرن الرابع

من السويد إلى أسبانيا

كانت قبائل الفيزيجوز، التي جاءت من السويد في القرن الأول، هاجرت تدريجياً جنوباً عبر أوربا ثم اتجهت إلى الغرب. وفي القرن الخامس بعد أن هزموا الإمبراطورية الرومانية، استوطنوا ما يعرف الآن باسم أسبانيا والبرتغال وجنوبي فرنسا. وقد حملوا معهم الإيمان المسيحي الذي علمهم إياه المبشرون.



«الذئب الصغير») ولكن بدلاً من أن يصبح محارباً، أصبح خادماً للرب.

ولأسباب غير معروفة، عندما كان في نحو الثلاثين من عمره ذهب إلى العاصمة الشرقية للدولة الرومانية وهي القسطنطينية، وهي التي تسمى الآن «استانبول» في تركيا. ويفترض البعض أنه ذهب إلى هناك كرهينة أو ربما كسفير لمقابلة الإمبراطور الروماني. ومهما كان السبب، فقد عاد إلى وطنه بلقب جديد: هو أسقف القوط، وقد رسمه يوسابيوس بطريرك القسطنطينية المعين حديثاً. وكان يوسابيوس أريوسي، حيث كانت الأريوسية حركة بدأت تنتشر في المسيحية تصر على أن يسوع أقل من أن يكون معادلاً لله الآب، وهي حركة حكم عليها بعد ذلك بالهرطقة. وسواء كان يولفلاس قد تأثر بيوسابيوس أو لم يتأثر. فقد أثبت أنه أريوسي مخلص جعل همه أن يحمل مسيحيته الأريوسية إلى وطنه.

خدم يولفيلاس بين القوط ربما لمدة سبع أو ثماني سنوات، ولكن ما أن جاء عام ٣٤٨، حتى بدأ القوط غير المؤمنين في اضطهاده هو وأتباعه والتمس يولفيلاس الأذن من الإمبراطور الروماني بانتقال جماعته عبر نهر الدانوب إلى الأراضي الرومانية وحصل على الأذن بذلك، فاستقروا في ما يُعرف الآن باسم بلغاريا.

اختراع أبجدية

وهنا بدأ يولفيلاس العمل الذي اشتهر به، لأنه في الثلاثين سنة الأخيرة من حياته ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة القوطية، ولكنه قبل أن يبدأ في ذلك كان عليه أن يخلق أبجدية قوطية، وعرف أنه لا فائدة من اللغتين السائدتين في أيامه وهما اليونانية واللاتينية (لغة روما)، فخلط بين الاثنتين واختار من كل منهما الحروف التي تقابل منطوق الكلمات القوطية، وخرج من ذلك بسبعة وعشرين حرفاً في الأبجدية القوطية، تسعة عشر حرفاً منها أو عشرون جاءت من اليونانية، وخمسة أو ستة جاءت من اللاتينية. وحرفان اخترعهما أو استعارهما من التيوتونية، وهي الأبجدية التي كان يستخدمها بعض الشعوب الجرمانية.

ولا يتفق العلماء على مقدار ما ترجمه يولفيلاس من الكتاب المقدس. وقال فيلوستورجيوس المؤرخ الكنسي من القرن الخامس، إن يولفيلاس ترجم كل أسفار الكتاب المقدس ما عدا أسفار الملوك (١صم، ٢صم، ١مل، ٢مل) التي أغفلها لأنها قصص حروب، وكانت القبائل القوطية مولعة بالحروب بصفة خاصة، وكانوا في حاجة إلى كبح جماحهم عن الانسياق وراء ولعهم بالحرب، لا إلى ما يثير شهيتهم للحرب.

ولكن لا توجد نسخة كاملة من الكتاب المقدس بالقوطية لتأييد ذلك. فالنسخة الأصلية التي كتبها يوليفلاس فقدت، ولعلها قد أحرقت لأن الكنيسة أمرت بعد ذلك بتدمير كل الكتابات الأريوسية. وأقدم الكتب المقدسة القوطية التي لا تزال موجودة ترجع إلى القرنين الخامس أو السادس، كما أنه ليس فيها نسخة كاملة، فلم تبق سوى إصحاحات قليلة من العهد القديم، ولكن هناك أجزاء كبيرة من الأناجيل، وكل رسائل بولس تقريباً.

وأهم نسخة هي مخطوطة أرجنتيوس المعروضة في جامعة أوبسالا في السويد، وتحتوي على الكثير من الأناجيل ومكتوبة بحروف فضية وذهبية على ورق أرجواني.

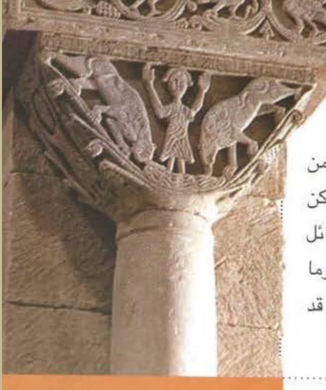
وهذه الشظايا من الكتاب المقدس هي كل ما وصلنا من اللغة القوطية التي لم يعد لها وجود الآن، وما تكشف عنه هذه الشظايا هو أن يولفيلاس ترجم العهد القديم من النسخة السبعينية، أي الترجمة اليونانية بدلاً من العبرية الأصلية، والعهد الجديد من اليونانية الأصلية.

وعندما توفي يولفيلاس في نحو السبعين من عمره في ٣٨٢، كانت غالبية القوط غير المؤمنين، ولكن أتباعه واصلوا العمل فانتشرت المسيحية في كل القبائل الجرمانية. وفي الوقت الذي استولى فيه القوط على روما في نحو ثلاثين سنة بعد ذلك، حتى الملك القوطي كان قد اعترف بإيمانه بالمسيح.

"بفضل خدمة يوليفلاس أصبح أولئك النّهّابون – القوط الغربيون – رجال سلام."
(يارز، خدمة ترجمة الكتاب المقدس).

أقدم الكتابات الألمانية

إن نُسَخ يولفيلاس من الكتاب المقدس باللغة القوطية هي أقدم وثائق مكتوبة بلغة جرمانية، فقد اخترعت الأبجدية القوطية لأجل الكتاب المقدس فكان الكتاب المقدس هو أول كتاب كُتِب بها.



صورة لرأس عمود تبين دانيآل في جب الأسود، من كنيسة سان بدرو دي لانيف بكامبيلو. وهي من أقدم كنائس القوط الغربيين الباقية في أسبانيا، حيث استوطن كثيرون من الذين تجددوا من ذلك الشعب المحارب.

اَلْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يَذْهَبُ إِلَى الشَّرْقِ

"يا الله يامن خلقت السماء والأرض، تطلّع إلى هذا الشعب، شعبك الجديد، وهبهم يارب أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي، كما قد عرفتك أمم مسيحية أخرى."

الأمير الروسي ڤلاديمير (٩٥٦- ١٠١٥م.)

تجديد أمير وحشي

كان الأمير الروسي فلاديمير أمير كييف (في أوكرانيا) معروفاً بوحشيته، ويقال إنه اشترك في ذبائح بشرية، ولكن في أواخر القرن العاشر وافق على أن يصبح مسيحياً ليكون له امتياز الزواج من أخت الإمبراطور البيزنطي، فأصبح الأمير إنساناً آخر ، فألغى عقوبة الإعدام وهدم الأصنام وبنى كنائس وأصبحت المسيحية ديانة الدولة في بلاد واسعة امتدت شمالاً حتى بحر البلطيق، وشرقاً إلى روسيا وساعدت ترجمات الكتاب المقدس إلى اللغة السلاڤية على انتشار المسيحية بسرعة.

وراء الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية كانت توجد منطقة صغيرة جداً أصبحت أول مملكة مسيحية في العالم، وهي أرمينية، فهذه الأمة المحصورة تقع إلى الشرق مما يعرف الآن بتركيا، وإلى الشمال من إيران. وعلى الأقل قبل أن يعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية، بقرن ويجعلها الديانة الرسمية في ٣١٣م، كان ملك أرمينية وأعضاء من حاشيته قد أصبحوا مسيحيين، وبدأ الشعب يحذون حذوهم.

وكانت إحدى المشكلات الكبرى للشعب الأرميني المسيحي هي الكتاب المقدس، لأنهم ظلوا قرناً من الزمان بدون أن يكون لديهم الكتاب المقدس بلغتهم القومية. كان بعض الشعب يتكلمون اليونانية والسريانية، وبخاصة في القرى التي كان يمر بها السائحون. فكانت النسخ اليونانية والسريانية من الكتاب المقدس تستخدم في العبادة لدرجة أن بدأت اليونانية والسريانية أن تعتبرا لغتين مسيحيتين.

وقد خلق هذا مشكلتين دينية وسياسية. فكانت المشكلة دينية لأن كثيرين من الشعب، وبخاصة المقيمين خارج القرى، لم يكونوا يستخدمون هاتين اللغتين الأجنبيتين ولم يكونوا يستطيعون فهم الكتابات المسيحية عندما تُقرأ.. وكانت مشكلة سياسية لأنه إذ أصبحت هاتان اللغتان شيئاً فشيئاً مسيحيتين، فسيبدأ الناس بالتدريج يهجرون لغتهم الأرمينية إلى اللغات الأجنبية المسيحية، وكانت هذه خطوة للابتعاد عن الوعي القومي والذوبان في ثقافات أخرى.

كتاب مقدس أرميني

كان هناك حل للمشكلتين، وهو ترجمته كتاب مقدس باللغة الأرمينية. ولكن للأسف، كما كان الحال في كثير من الممالك الشرقية خارج الإمبراطورية الرومانية، لم تكن للأرمينيين لغة مكتوبة بل منطوقة فقط. ويبدو من الواضح أنه في عصور أقدم، كانت لهم لغة مكتوبة ولكنها لم تعد معروفة.

وفي نحو ٤٠٤م. قرر راهب أرميني اسمه مصروب كان قد درس اللغات الكلاسيكية، أن يبتكر أبجدية يستطيع بها أن يترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الأرمينية. وبمباركة من أسقف الكنيسة الأرمينية وكذلك من الملك بدأ مصروب عمله. ففي خلال السنة التالية وضع أبجدية من ٣٦ حرفاً متخذاً من الأبجدية اليونانية المكونة من ٢٤ حرفاً نموذجاً له. وبهذه الأبجدية الجديدة



هذه الصورة الجلدية تبين قديسين موجودة في كنيسة من القرن الحادي عشر في جورجيا. فقبل ذلك بسبعمائة سنة، جاء أحد العبيد حاملاً المسيحية إلى هذه المملكة عندما نجح في تجديد الملك مصروب، وهذا الملك بدوره ابتكر أبجدية لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الجورچيانية.

استطاع مصروب أن يسجل الألفاظ الأرمينية المنطوقة بكلمات مكتوبة.

وشرع مصروب في ترجمة العهدين القديم والجديد، وهي عملية استغرقت نحو خمس سنوات بمساعدة فريق من المترجمين، وأخذ مصروب على عاتقه جزءاً كبيراً من العمل: العهد الجديد كله وكذلك سفر الأمثال. وليس واضحاً أي الوثائق استخدمها في الترجمة. ويرى بعض العلماء الآن أنهم استخدموا نسخاً سريانية. ومهما كانت اللغة التي استخدمها المترجمون مرجعاً أساسياً لهم فقد قرر مصروب أن ينقح النسخة الأرمينية التي أنتجوها. فأرسل بعض رفاقه للبحث في الخارج عن نسخ أخرى من الكتاب المقدس، فعادوا بمخطوطات يونانية استخدمها مصروب لتنقيح النسخة التي انتجوها وما عمله مصروب سُميّ «ملكة الترجمات»، وهو وصف يدل على أمرين، الأول هو أن اللغويين يعتبرونه عملاً ممتازاً. وثانياً يقول المؤرخون إنه بوضع لغة مكتوبة للأرمينيين، ساعد مصروب عى توحيد الأمة كما يمكن للكة أن تفعل.

وفي السنين التي تلت ذلك بدأ مصروب في إنشاء مدارس لتعليم الناس كيف يقرأون الأرمينية وكيف يكتبونها. كما قاد الكنيسة أيضاً في وضع كتب للطقوس الدينية مثل طقوس فريضة المعمودية والشركة والزواج والرسالة والجنائز.

أبجديتان أخرياتان

سارت المسيحية على نفس النهج في الممالك المجاورة لأرمينية في الشمال (جورجيا) وفي الشرق (ألبانيا القوقازية فيما يعرف الآن بأذربيجان) ففي جورجيا، كان عبد أسير في نحو ٣٣٠ قد جعل الملك يعتنق المسيحية وقد تبعت الأمة مثال الملك، وكانت ألبانيا القوقازية المسيحية في ذلك الوقت كما يتضح بالكنائس القائمة والتي بُنيت في تلك الحقبة.

ومن العجب أن مصروب نفسه هو الذي ابتكر الأبجديتين لهاتين المملكتين. ففي أثناء رحلاته للكرازة في جورجيا، ابتكر مصروب أبجدية من ثمانية وثلاثين حرفاً لترجمة الكتاب المقدس وطقوس الكنيسة إلى اللغة الجورجانية. ومع أنه من غير المعروف يقيناً متى بدأ العمل في الترجمة ومن قام بالعمل، فإن الكتاب المقدس استند إلى أبجدية مصروب. وبينما كان مصروب في الستينيات من عمره، ذهب إلى ألبانيا القوفازية حيث ابتكر أبجدية ثالثة استخدمت في ترجمة الكتاب المقدس للألبانية. ومات مصروب في ٤٤٠م. وهو في نحو الثمانين من العمر وترك وراءه ليس الأبجديات الثلاث، والكتاب المقدس الأرميني وكتب الطقوس فحسب، بل ترك أيضاً مجموعة من التفسيرات الكتابية، وترجمات لكتابات آباء الكنيسة ومجموعة من الترانيم.

والآن ما زال موطنون في جورجيا يستخدمون الكتاب المقدس بلغتهم القومية، وكذلك يفعل الأرمينيون. أما الكتاب المقدس الألباني فلم يصل إلينا، إذا اختفى باختفاء الكنيسة الألبانية. في أثناء الغزو الإسلامي في القرن السادس. وبانتشار الإسلام في الشرق الأوسط، انتقلت المسيحية شمالاً آخذة معها الكتاب المقدس إلى ما يعرف الآن بأوربا الوسطى وروسيا.

كيرلس وميثوديوس

«لقد جاء إلينا كثيرون من المسيحيين. فنرجوكم أن ترسلوا لنا شخصاً كفئاً لتعليمنا كل الحق» كان هذا هو الالتماس الذي أرسله أمير مورافيا (سلوفاكيا الآن) في خطاب كُتِب في ٨٦٢ م. لقادة الكنيسة في القسطنطينية. كان مرسلون ألمانيون يعملون في هذه البلاد التي تتكلم اللغة السلافية، ولكن كان نجاحهم قليلاً. فكانوا يؤدون طقوس الكنيسة وقراءة الكتاب المقدس باللاتينية، وهي لغة لا يفهمها غالبية السلافيين.

فأرسل إليهم الأخوان كيرلس وميثوديوس وكانا كاهنين متعلمين تعليماً عالياً، من تسالونيكي باليونان، فابتكر كيرلس أبجدية سلافية وبدأ في ترجمة الكتاب المقدس وبعض الطقوس الكنسية إلى اللغة القومية، وقد أحب الشعب أن يعبدوا بلغتهم. ولكن المرسلين الألمان عارضوا ذلك وتمسكوا بالرأي التقليدي قائلين حيث أنه قد كتب فوق صليب الرب يسوع باللغات العبرية واليونانية واللاتينية فيجب أن تكون هذه اللغات الثلاث فقط هي التي تستخدم في الكنيسة..

فرفع الألمان الأمر للبابا الذي انحاز للأخوين. وفي التماس آخر لبابا آخر بعد ذلك، كان الرد عليه هو: إننا نستحسن الحروف السلافية التي اخترعها كيرلس التي يُرفع فيها الحمد لله... لأن الذي خلق اللغات الرئيسية الثلاث: العبرية واليونانية واللاتينية، خلق اللغات الأخرى لحمده ومجده.

ومات كيرلس مريضاً وهو في الثانية والأربعين من عمره، ولكن أخاه أكمل الكتاب المقدس السلافي. وبعد موت ميثوديوس بخمس عشرة سنة حرَّم بابا جديد استخدام اللغة السلافية في الكنيسة وأجبر أتباع الأخوين أن يغادروا البلاد، فتبددوا في كل بلاد أوربا الشرقية حاملين معهم لغتهم السلافية وكتابهم المقدس وطقوسهم إلى كثير من الأقطار المجاورة بما فيها ما يعرف الآن ببلغاريا يوغوسلافيا ورومانيا وروسيا. لقد وضع الأخوان المرسلان أساس الكنيسة في أوربا السلافية.



عندما حرم البابا استخدام اللغة السلافية في العبادة في مورافيا هاجر كثيرون من المسيحيين الذين يتكلمون اللغة السلافية، إلى الأقاليم المجاورة آخذين معهم كتبهم المقدسة باللغة السلافية.



أيقونة بلغارية للقديس كيرلس والقديس ميثوديوس الكاهنين السلافيين اللذين ترجما الكتاب المقدس إلى اللغة السلافية للشعوب في المناطق التي تسمى الآن جمهورية التشيك وسلوفاكيا والبوسنة والهرسك وكرواتيا، ويوغوسلافيا وبلغاريا ورومانيا وروسيا.

الصُّوفِيُّونَ والرُّهْبَانُ والْكِتَابُ المُقَدَّسُ

"لنقف ونرتل المزامير بطريقة تجعل قلوبنا في توافق مع أصواتنا".

قاعدة القديس بندكت

صورة من القرن الخامس عشر من كتاب المزامير. الملك هنري السابع ملك انجلترا تبين الرهبان في أماكنهم في أثناء العبادة

لقد اعتزل النسَّاك الأولون – بمن فيهم من كانوا وقت چيروم وأوغسطينوس– بكامل إرادتهم المجتمع، وذهبوا إلى الصحراء أو بعض المناطق النائية المنعزلة، وعاشوا حياة الصلاة والصوم، في محاولة لتكريس نفوسهم لكلمة الله كما هي معلنة في الكتاب المقدس. وكان القليلون من أولئك الرجال والنساء يمتلكون كتباً مقدسة، وأقلية منهم هم الذين كانوا يعرفون القراءة، ولكنهم كانوا يتلون فصولاً من الكتاب المقدس من الذاكرة. وبعد ذلك عندما بدأ هؤلاء النساك أن يجتمعوا معاً ويتركوا الصحراء إلى الأديرة، أخذت حياتهم صورة أكثر تنظيماً وأصبحت الكلمة المكتوبة أكثر أهمية.

وكانت القواعد الموضوعة للرهبان لكي يعيشوا بمقتضاها، مؤسسة على القاعدة التي وضعها الناسك المصري باخوميوس في القرن الرابع. وكانت أكثر القواعد تأثيراً في الكنيسة الغربية هي التي كتبها بندكت النرسي، رئيس الدير الإيطالي العظيم في مونت كامينو نحو ٥٧٥م. وما زالت قاعدة بندكت التي تشدد على حياة العمل والصلاة، نافذة حتى اليوم في صيغتها الأصلية، وفي عشرات الصور المتغيرة من الرهبان والراهبات.

حياة راهب

بناء على قاعدة بندكت، وصورها المتعددة، عاش الرجال معاً في شركة متعهدين بالخضوع التام لرئيس الدير أو رأس الدير الذي كان ينتخبه الرهبان. وكان الرهبان في ساعات يومهم، ينقسمون بين العمل والصلاة. وكان في الكثير من الأديرة يعول الرهبان أنفسهم بالزراعة ، فكان غالبية الرهبان يصرفون ساعات العمل في الحقول، وكان يُعين آخرون لإدارة شئون الدير اليومية فيعملون كطباخين أو حمالين، أو لدق الأجراس. وفي بعض الأديرة كان الرهبان يقومون بصنع الخمور. ومهما كان يفعل الراهب، كان يفعله لمجد الله، وكانوا يعتبرون عملهم نوعاً من الصلاة.

وكانت الصلاة الرسمية على صورتين: خاصة ومشتركة فكان الرهبان كل يوم يخصصون وقتاً للصلاة الخاصة والتي كانت تضمن قراءات في روح الصلاة. وكانت صيغة الصلاة الخاصة والنصوص التي تخصص للقراءة المقدسة، كانت تترك لكل راهب على حده. أما صلواتهم المشتركة فكانت تتركز على ما كان يسمى «القداس السماوي»، الذي كان بندكت يسميه «عمل الله»، كما كان يعرف باسم «قداس الساعات» لأن ترانيمه وصلواته والكتابات المقدسة كانت ترنم، وترتل وتُقرأ في ساعات معينة كل يوم.

وكانت كل ساعة تشتمل على صلوات وقراءات من الكتاب المقدس وبخاصة من المزامير. وعادة كان الرهبان يرتلون المئة وخمسين مزموراً كلها في مدة أسبوع. وكانت هناك أيضاً صلوات لأجل الكنيسة والمجتمع

الطريقة السماوية: طريقة لقراءة الكتاب المقدس

كأي شيء آخر في حياتهم. كانت القراءة عند الرهبان صورة للصلاة. فقد خصص بندكت في قاعدته عدة ساعات يومياً للقراءة المقدسة، مستخدماً طريقة تسمى «القراءة السماوية» وهي صورة للصلاة التأملية كان فيها يقرأ الراهب بعناية وببطء فصلاً من الكتاب المقدس، أو أي كتابات مسيحية، ثم يركز تفكيره على معانيها في حياته. فلم تكن مجرد قراءة للمعرفة. فبينما ينشغل الراهب في القراءة السماوية، كان المنتظر من الراهب أن يفهم سبب وكيفية الحياة المسيحية لكي يستطيع التجاوب مع ما يطلبه الله منه. وحيث كان التأمل البسيط صعباً أن يواصله كان الراهب يقرأ ليثير تفكيره الروحي، حيث أن النص يعرض أفكاراً معينة جديرة بالاعتبار. والتأمل يشغل الفكر والخيال والعاطفة والرغبة، وهكذا يشغل الإنسان كله، ليس الفكر وحده.. فعندما يتأمل في حياة الرب يسوع كما هي معلنة في الأناجيل - وهي موضوع محبوب - يستطيع الراهب أن يفهم بصورة أفضل مدى عمق محبة المسيح للجنس البشري ويبدأ أن يفهم كيف أنه هو نفسه يمكن أن يصبح أكثر شبهاً بالمسيح.

ولأجل احتياجات الجيران المحيطين بهم. وفي الحقيقة، في بعض الأحيان كان الرهبان يأخذون على عواتقهم التزامات الصلاة والتكفير التي يهملها المسيحيون الأكثر رخاوة.

فكانت تخصص ثماني ساعات لهذا القداس السماوي. فقبل الفجر بكثير كان الرهبان يستيقظون، ويذهبون إلى الكنيسة ويرتلون الصلوات، ويصنعون للقراءات المحددة للساعة وتسمى صلاة الفجر. ثم ينامون مرة أخرى، ويعودون قبيل الفجر لصلاة الضحى. وبعد ذلك كان الرهبان يصرفون وقتاً في دراسة المزامير والقراءات المستخدمة في القداس. ثم يرجعون إلى الكنيسة ليرتلوا الترتيلة الأولى (فكانت تعتبر الساعة الأولى من اليوم). ثم يتناول الرهبان طعام الإفطار ويبدأون عملهم اليومي ثم يكفون عن العمل لصلاة الساعة الثالثة (منتصف الصباح) ثم يكرسون وقتاً أكثر للقراءة . ثم يعودون مرة أخرى إلى الكنيسة لصلاة الساعة السادسة (الظهر) تعقبها وجبة، يسمح لهم بعدها بالراحة أو القراءة بهدوء إلى العصر. فتبدأ فترة أخرى من العمل تنتهي بالمغرب. وقبيل الرجوع، كان الرهبان يرتلون الساعة الأخيرة، وبعد اتمامها لم يكن مسموحاً لهم بالكلام مطلقاً، فيبدأون الفترة اليومية التي كانت تعرف بالصمت الكبير، وكان هذا الصمت يستمر حتى تراتيل الضحى في ساعات قبيل الفجر من اليوم التالي.

حفظ الكتب المقدسة

لأنهم كانوا في حاجة إلى كتب لقراءاتهم الخاصة، ولتلاوة القداس، كان بعض الرهبان يُخصِّصُون لنسخ المخطوطات للاستخدام في الدير، بينما كان يعمل باقي الرهبان في الحقول أو في المطبخ. وكان أولئك الرهبان ينكبّون على النصوص المقدسة ويبذلون الجهد في نسخ ما يريدون على صفحات رقوق جديدة. فنسخوا المزامير (سفر المزامير) لاستخدامه في ترتيل القداس، والأناجيل، وأحياناً كل الكتاب المقدس. وعلاوة على ذلك نسخوا سير القديسين والقديسات، والمواعظ والشروحات الكتابية. وكانت غالبية هذه المخطوطات تحفظ لاستخدامها في الدير، ولكن أيضاً قام الرهبان بنسخ مخطوطات للسادة الأثرياء.

"نؤمن بأن الله حاضر في كل مكان. وأن عيني الرب تراقبان الصالح والطالح (أمر ١٥: ٣) ولكن بلا أدنى شك يجب أن نؤمن أن هذا حق بصورة خاصة عندما نؤدي القداس الإلهي."
قاعدة القديس بندكت



صورة للقديس بندكت يصلي مع رهبانه (بريشة صودوما - من القرن السادس عشر)

وبسبب الوقت والعمل الشاق الذي كان يقتضيهما نسخ المخطوطة، كانت كتب الدير تعتبر أثمن ممتلكاته المكنوزة وبعض الأديرة الكبيرة كانت تفتخر في الأزمنة التالية بمكتباتها الفريدة التي حُفِظَت فيها هذه الكنوز، مع أن هذه المكتبات عادة لم تكن تحتوي إلا مئات قليلة من الكتب. وكثيراً ما كانت هذه المكتبات تُزود برفوف بين أقوال مكونة من صومعات أو خلايا، يستطيع الرهبان أن يجلسوا فيها ويقرأوا. وكانت تزود هذه الصوامع برفوف (كثيراً ما كانت رفين أو ثلاثة أرفف) يمكن أن تحمل عدة كتب في وقت واحد.

ومع أن رجالاً وسيدات من العلمانيين، قاموا أيضاً بنسخ مخطوطات في الفترة المتأخرة من العصور الوسطى، فإن غالبية هذا العمل قام به الرهبان تحدوهم الجدية البالغة. وبالنسبة للعناية العظيمة التي كانوا يراونها، فقد حُفظت الكتب المقدسة خلال القرون الطويلة، ونستطيع الآن أن نثق أن كلمة الله قد وصلتنا في صورتها الصحيحة الكاملة.

قاعدة قائمة على الكتاب المقدس

تمتلـيء قاعـدة القديس بندكت بآيات من الكتاب المقدس. فقلما يذكر بندكت نقطة بدون تأييدها من الكتاب المقدس.

حَيَاةُ كَاتِبٍ فِي الدَّيْرِ

"إذا أخذ أحد هذا الكتاب فليمت موتاً، بل ليُقلَى في مقلاة، وليصبه المرض السائد أو الحمى، ولينكسر بالعجلة ويُشنق"

(ملحوظة الكاتب في نهاية مخطوطة).

لم تكن حياة الكاتب في الدير سهلة، فبين الأوقات التي كانت تستلزمها الصلوات المفروضة والقراءات الروحية، كان يصرف ساعات طويلة في تجهيز صفحات الرقوق، وعمل أقلامه وحبره ثم يعكف على نسخ النصوص بهمة. ولم تكن ظروف العمل جيدة فكان الكاتب يصرف ساعات طويلة وهو جالس القرفصاء ويحدق بعينيه في المخطوطة التي كان ينسخها. وكان في الشتاء يعمل في البرد القارص، فكان إيقاد النار للتدفئة ممنوعاً لأن الرقوق التي كانوا يكتبون عليها، كانت سريعة الالتهاب وأغلى من أن تحرق، فكانت راحة الكاتب أمراً ثانوياً بالنسبة لحفظ المخطوطات.

وكان الكاتب يعمل تحت رقابة عين المشرف الذي كان عادة يحدد النصوص التي على الراهب أن ينسخها وكانت عينه لا تتحول عن الراهب في أثناء العمل ليتأكد من أنه لم يكسر أي قاعدة من القواعد المفروضة على الكتَّاب. فالكاتب الذي تتسخ منه صفحة من الرقوق يتعرض للعقاب فقد أفسد مادة من مواد الكتابة، وكذلك من يأخذ رقوق كاتب آخر. وكان عقاب مخالفة القواعد هي حرمانه من المكافأة، أو فرض واجبات إضافية عليه عقاباً له، وكان عدد هذه المخالفات يحدد نوع العقاب الذي يتضمن فرض صلوات أكثر أو فرض عمل إضافي. وفي حالة الأخطاء الكبيرة مثل الإهمال في العمل، كان الكاتب لا يُعطى له من الطعام سوى الخبز والماء فقط.

الاستعداد

ومتى تحدد للكاتب النص الذي عليه أن ينسخه، كان يبدأ عمله بتجهيز الرق وأدوات الكتابة، وكانت الرقوق يقوم بعملها الرهبان أنفسهم. هذا إذا كان ديرهم نفسه يقوم بتربية الحيوانات، أو كان يحصل على الرقوق ممن يحترفون صناعة الرقوق، كان الراهب يجهز الرق بأن يشذبه ليصبح في الحجم المطلوب وكان عليه تنعيم سطحه بحجر الخفاف ثم تدليكه بالطباشير لإزالة أي أثر للزيت. وكان الهدف من هذه العملية أن لا يسيل الحبر. ثم يقوم الكاتب بتسطير الصفحة لتكون كتابة على خطوط مستقيمة فالخطوط الأفقية كانت تساعد الراهب على استقامة خطوط كتابته، والخطوط الرأسية كانت تحدد الحاشية، وخطوط أخرى لتحديد المساحات للرسومات والزخارف التي يجب أن تضاف فيما بعد.

وكان على الرهبان أن يقوموا بعمل الأقلام والحبر. ولكي يعمل الراهب قلما، كان عليه أن يختار ريشة جافة وصلبة، كان يفضل أن تكون من أوزة أو بطة. ثم يستخدم سكيناً حادة لتحديد سن الريشة، ليخلق سناً

الكتاب المقدس في أجزاء

قبل القرن الثالث عشر كانت الكتب المقدسة الكاملة نادرة إذ كان نسخها يستغرق وقتاً طويلاً، وتستلزم مصاريف ضخمة، ولا يصلح إلا للقراءة منه موضوعاً على مقرأة. لذلك كانت تنسخ أجزاء منه وتخاط معاً، مثل أسفار التوراة الخمسة، والمزامير، والأنبيـــاء، وبخاصـة الأناجيل. وفي القرن الثالث عشر ظهرت كتب مقدسة مكتوبة بإحكام وقابلة للحمل. وسرعان ما انتشرت.

ألكوين تلميذ شرلمان

كان الراهب الأنجلوسكوني ألكوين تلميذاً نابهاً وكاتباً ماهراً ومجدداً في مجال التعليم في عصر شرلمان. ولد في يورك في نحو ٧٣٥م. وتوفى في تور في فرنسا في ٨٠٤م. وفي ٧٦٧م. أصبح رئيساً للمدرسة الأسقفية في يورك في انجلترا حيث كان قد تعلم هو نفسه. وبينما كان في رحلة إلى روما في ٧٨٠م. قابل شرلمان الذي أقنعه بأن ينضم إلى حاشيته في بارما في السنة التالية. وهناك نظم ألكوين برامج التعليم كان كاتباً وفير الانتاج، فألف كتباً في النحو والرياضة والفلسفة والدين. كما كتب الشعر، وأكثر من ٣٠٠ رسالة منها الكثير إلى شرلمان. وعلاوة على ذلك نقح قداس الكنيسة الفرنسية، وكتب تفاسير كتابية، ونسخة من الفولجاتا.

وفي ٧٩٦م. عيَّن شرلمان ألكوين رئيساً لدير القديس مارتن في تورز بفرنسا. وهناك أشرف على حجرة النساخ فجعل منها أكثر الأماكن انتاجاً في أوربا، وأحد الأسباب لزيادة الانتاج هو اختراع أسلوب جديد لكتابة الحروف، إذ كانت المخطوطات القديمة تكتب بحروف كبيرة (Capital Letters). وكانت هذه الحروف لا تتصل بالحروف التي قبلها أو التي بعدها، مما كان يضطر معه الكاتب أن يرفع قلمه بعد كتابة كل حرف، مما يبطيء الكتابة ويستغرق مساحة أكبر، فيؤدي إلى ضخامة المخطوطة مما يستنفد رقوقاً أكثر، وكانت غالية الثمن. في القرن الثامن قبل ذلك استخدم أسلوب جديد لكتابة الحروف بحجم صغير وقد أوصى ألكوين باستخدامه بعد أن هذَّب الحروف. وفي هذا النوع من الكتابة، أصبحت الحروف متصلة، وكان يمكن للكاتب أن يواصل الكتابة دون الاضطرار للتوقف لرفع يده والبدء من جديد مع كل حرف. وسرعان ما أصبحت هذه الطريقة للكتابة هي القاعدة المتبعة في كل أوربا.

مدبباً، ثم يجعله منبسطاً قليلاً، ويعمل شقاً في الوسط. وكانت النتيجة أن يصبح شبيهاً بسن قلم الحبر في الوقت الحاضر أو الأقلام التي يستخدمها الخطاط. ولم تكن هذه الأقلام تحتفظ بشكلها طويلاً في الاستخدام، فكان يلزم تحديدها باستمرار وقال أحدهم إنه على الكاتب أن يجهز ما بين ٦٠ - ١٠٠ قلم يومياً.

كانت هناك طرق كثيرة لصنع الحبر. وكان أكثرها استخداماً لعمل الحبر الأسود، وبخاصة في القرون الأولى هي خلط الفحم النباتي أو النساج مع صمغ نباتي أو عصير نبات. أما الحبر الأحمر فكان يصنع من الزنجفر أو كبريتيد الزئبق الذي كان يوجد كثيراً في العروق البركانية في الصخور البركانية. وكان هذا الحبر يستخدم في عناوين الأصحاحات، أو الألقاب أو الأسماء، أي عبارات ليست جزءاً من النص.. ولأنها كانت تكتب بهذا اللون الأحمر، كانت هذه المواد الإضافية تسمى «روبركس» (من الكلمة اللاتينية التي تعني الأحمر). وكانت الأحبار توضع في أوعية أو قرون لاستخدامها.

نسخ مخطوطة

عندما كان الراهب مستعداً للبدء في عملية النسخ. كان يصنع إحدى صفحات الرقوق المجهزة على السطح الذي سيكتب عليه وبجانبها النص الأصلي الذي سينقل عنه كما كان يضع خيطاً مربوطاً به ثقل، فوق الصفحة التي ينقل عنها لحفظ الصفحة مبسوطة أمامه. وكان الكاتب عادة يجلس أمام مكتب مائل لأن المكتب المائل يساعده على جعل قلمه عامودياً على صفحة الرق الذي يكتب عليه، ثم ينكب على عمله وينسخ بعناية النص الذي ينقل عنه. وكان يمسك القلم بيد، وبسكين في اليد الأخرى، ليستخدم السكين في تحديد سن القلم كلما لزم ذلك، وأيضاً لمحو أي خطأ يمكن أن يحدث.

وكان نسخ النصوص عملاً مضنياً شاقاً على العينين وعلى عضلات الرقبة والظهر. وكان الكاتب يعمل ببطء ليتأكد من الدقة في عمله، لأن أي خطأ يقع منه، يمكن أن يسجله أي ناسخ آخر في المستقبل ينقل عنه. كما كان هذا العمل من الراهب عمل تكريس إذ أنه كان يؤمن أن ما يكتبه إنما هي كلمة الله التي يجب أن تنقل بكل دقة.

وبعد أن يستكمل الكاتب عمله، كان يراجعه بكل عناية ويُصوِّب أي أخطاء. والصفحة التي تكون بها أخطاء هامة، كانت تُعاد كتابتها. والكلمات التي تكررت كتابتها كان يمكن شطبها أو يوضع تحتها خط من النقط أو توضع بين حروف الكلمة اللاتينية «ڤاكات» أي «باطل». التي تدل على أن كل ما بين «ڤا» و «كات» يجب تجاهله.. والكلمات أو العبارات التي سقطت في الكتابة، كان يمكن أن تكتب في الحاشية أو تحشر فوق المكان المخصص لها.

ولم تكن التصويبات هي الوحيدة التي تكتب في الحاشية. بل كثيراً ما كان الكاتب يضيف ملحوظات على النص، بل وأحياناً ملحوظات شخصية كثيراً ما تكون اعتراضات. وفي بعض الحالات كانت تسجل بعض اللعنات على أي شخص يسبب أي ضرر أو يسرق أو يتلف المخطوطة التي تعب في نسخها. وفي النهاية كانت المخطوطة الكاملة تمثل جزءاً هاماً من عمل حياته، كما كانت صلاته الشخصية حمداً لله. والدقة المتناهية التي بَدَت في المخطوطات القديمة تبين كيف كان الرهبان الكتبة يُقدِّرون عملهم، فقد كان لهم كل الحق في الافتخار به.

حفظ النص

لم تكن النصوص الكتابية هي فقط التي عُنِيَ الرهبان بنسخها، ولكنهم حفظوا أيضاً تفاسير كتابية وكتابات دينية أخرى. بل وكتابات علمانية.

جزء من رسم فرنسي من القرن الثالث عشر يبين كاتباً ورسَّامًا.

الرُّسُومَاتُ وَالزَّخْرَفَةُ فِي المَخْطُوطَاتِ

لم يكن بالمخطوطات المسيحية المبكرة أي رسومات بل كلمات فقط. ومع أن هذه المخطوطات كانت جميلة في ذاتها، لكنها بشكل ما كانت مملة للقارىء الذي لم يكن عالماً متضلعاً. ولكي يجتذب الكُتَّاب القاريء، بدأ الكُتَّاب بإضافة عناصر مرئية جذابة، وبمرور الوقت أصبحت هذه العناصر أكثر وضوحاً وجاذبية، بل أن بعضهم استخدم رقائق من الذهب (ونادراً جداً من الفضة) لتجميل الصفحة.. والضوء المنعكس عن صفائح الذهب أو الفضة كان يضفي جمالاً ولمعاناً على الصفحة، ولذلك أصبحت المخطوطات المحلاة بالذهب أو الفضة تسمى «الزخرفة» وفي البداية كانت المخطوات المحلاة بالذهب أو بالفضة هي التي يطلق عليها «المزخرفة»، ولكن الآن يطلق هذا الاسم على أي مخطوطة مزخرفة بإسراف.

تطور الزخرفة

أول كتاب به رسومات كان على لفائف مصرية من البردي من الألف الثانية قبل الميلاد، أو ربما أقدم من ذلك.. وأشهر هذه اللفائف هو كتاب الموتى مع ما به من صور الجنائز ومناظر الدينونة. ولم تصل إلينا أي كتب مزخرفة بعد ذلك حتى القرن الثاني الميلادي حين اشتملت المخطوطات اليونانية والرومانية على مناظر مرتبة تاريخياً وتتخلل النص.. وكانت هذه المناظر محاطة بشكل ما بإطار، وكثيراً ما كانت تملأ الصفحة كلها.

هذه المخطوطة الكتابية المصورة من أواخر القرن الثالث عشر تبين القواعد التي كانت تستخدم للإرشاد عند كتابة النص

بدأ المسيحيون في زخرفة مخطوطاتهم في القرن الرابع وقد عكست المخطوطات المبكرة شيئاً من العناصر الموجودة في المخطوطات الرومانية، وأحد هذه العناصر وضع صورة المؤلف في بداية كل كتاب وانتقل هذا إلى كتب الأناجيل.. فكانت صورة البشير توضع على الصفحة الأولى من كل إنجيل، وهو أمر ظل متبعاً طوال تاريخ الزخرفة.. وبمرور الوقت تنوعت أساليب الزخرفة وأصبحت أدق وتدرجت من عناصر زخرفية دقيقة إلى رسومات تملأ كل الصفحة، بل كانت الحواشي أحياناً تمتليء برسومات رائعة أو مناظر من الكتاب المقدس .

ثم في القرنين السادس والسابع تدهور فن زخرفة المخطوطات عندما زحفت القبائل الجرمانية البربرية من الشمال وغزت الكثير من مناطق أوربا وقضت على حضارتهم. ولكن ظلت أيرلندا وشمالي انجلترا تمارس بل وتطور فن الزخرفة إذ لم تتأثر بهذه الغزوات.

وفي أواخر القرن الثامن ازدهر مرة أخرى فن زخرفة الكتب في شمالي فرنسا وغربي ألمانيا، كجزء من النهضة الثقافية التي بدأها الإمبراطور شارلمان الذي شجع ازدهار الثقافة في بلاطه إذ استدعى العلماء من الجزر البريطانية ومن كل أوربا. واستمرت النهضة في القرن التاسع على يد خلفاء شارلمان. وفي أثناء هذه المدة ظهت سلسلة من مخطوطات الأناجيل الفاخرة بها صور البشيرين، وصور حروف كبيرة شديدة الزخرفة (أول حرف في الكتاب أو في جزء منه).

وفي القرون التي تلت ذلك في حقبة شرلمان وخلفائه استمرت زخرفة المخطوطات وتطورت مكتسبة خواص ثقافات البلاد والعصور التي نشأت فيها. وفي القرن الثالث عشر كانت الزخرفة يقوم بها في الغالب فنانون علمانيون يعملون لحساب تجار الكتب أو الأفراد المقتدرين. وبعد اختراع المطبعة في القرن الخامس عشر افسحت المخطوطات المزخرفة بالتدريج المجال للكتب المطبوعة والصور المحفورة على الأكليشهات.

الأدوات والمواد المستخدمة في الزخرفة

الفنان الذي كان يعمل في رسومات واضحة كان يبحث عن أجود أنواع الرقوق لإظهار عمله على أحسن حال. ولأن هذه الرقوق كانت غالية الثمن في صنعها أو في شرائها، كانوا يقومون أحياناً برسم ما يريدون على قطع صغيرة من الرقوق الجيدة ثم يلصقونها في مكانها في المخطوطة المكتوبة على رق من نوع أقل جودة.

وللأسف أن هذه الرقع كثيراً ما تمزقت وضاعت. والفنانون الذين جاءوا بعد ذلك، رسموا على صفحات كاملة، أدخلوها بعد ذلك إلى المخطوطات الكاملة..

وكانت مجموعة من أقلام مصنوعة باليد مع السكين بالغة الأهمية إذ هي أدوات الفنان الرئيسية.. كما كان يلزمه مرقم حاد الطرف من المعدن أو من العظم. وفي العصور المتأخرة كان يلزمه نوع من أقلام الجرافيت، لتخطيط الرسومات. وعلاوة على الحبر الأسود، كان يلزمه أحبار من ألوان مختلفة.. وكانت الأصباغ اللازمة لهذه الألوان تأتي من مصادر متنوعة، التي كان يحصل عليها الراهب عادة من الصيدلية على شكل مسحوق

صفحة من مخطوطة مزخرفة تظهر شاول ومعركة جبل جلبوع

يخلطه ببيضَة أو أي مادة لزجة أخرى. أما الحبر الأحمر فكان يصنع من كبريتيد الزئبق أو أحياناً من خشب برازيلي، والأخضر من الزنجار (صدأ النحاس) أو من المالكيت. أما الحبر الأصفر فكان يصنع من الزعفران، والأبيض من الرصاص الأبيض، والأزرق فكان يصنع من اللازورد أو بذور نبات الكروزافورا. ولكن أجود أنواع اللون الأزرق فكان يصنع من اللازورد الذي لا يوجد طبيعياً إلا في أفغانستان.

وإذ كانت الصفحة ستحتوي على الذهب فكان على الفنان أن يصنع ورقته الذهبية بطرق درهم ذهب حتى يصير صحائف رقيقة جداً مثل رقة اللون الذي سيستخدمه فيما بعد وكانت الأوراق الذهبية من الرقة والخفة لدرجة أنها كانت تتطاير إذ تنفس شخص نحوها. وكان يمكن عمل أكثر من مائة صفحة تبلغ مساحتها عدداً قليلاً من البوصات المربعة من درهم ذهب واحد، وكانت تلصق الورقة الذهبية في المكان المعين بنوع من الغراء كان يصنع من بياض البيض. وأخيراً كان يلزم وجود آلة مصنوعة من صخر ناعم لتلميع الذهب حتى يومض.

تزيين الصفحة

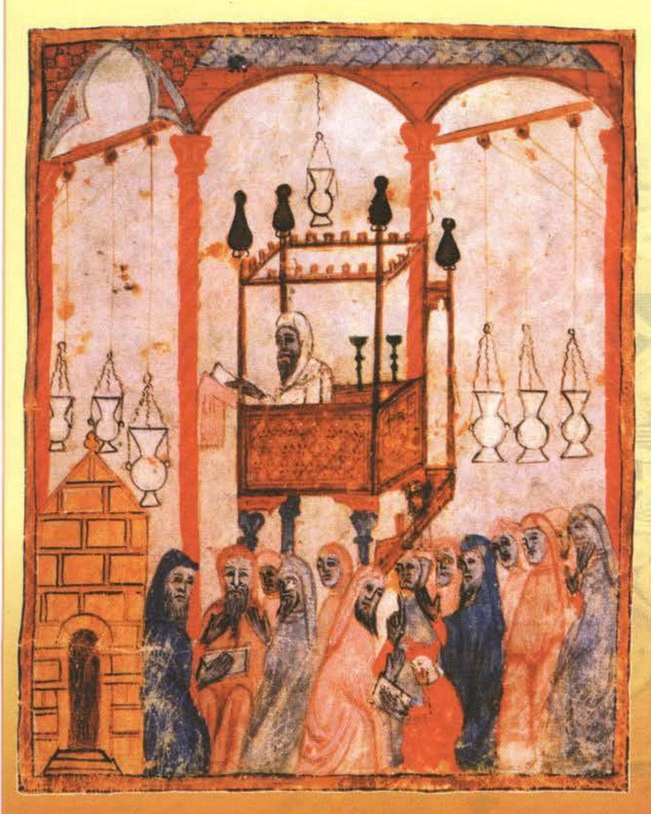
ما عدا في حالة التزيين البسيط جدًّا لمخطوطة، فإنه من النادر جداً أن يكون نفس الشخص مسئولاً عن كتابة النص وتزيين المخطوطة، فكان المعتاد أن يقوم أفضل الفنانين بالدير برسم أهم الرسومات بينما يقوم أحد المساعدين بالأجزاء الأخرى.

إذ كان بالمخطوطة رسومات هندسية في الحاشية، فكان يقوم بها رسام أخصائي في هذاالنوع من الرسم

الزخارف اليهودية

لقد تأخرت الزخارف اليهودية في الظهور؛ لأن شريعة موسى منعت تزيين التوراة (وهي الكتب الخمسة الأولى في الكتاب المقدس)، وقد تردد اليهود في استخدام الزخارف في أي كتابات أخرى. ولكن، بعد مرور بعض الوقت، بدأ اليهود في استخدام الزخارف في بعض الكتابات (من غير مخطوطات أسفار التوراة التي يتم قرأتها في المجامع)، وبحلول القرن الـ ١٣، زادت زخارف المخطوطات اليهودية وصارت منظمة أكثر في أماكن عديدة من أوربا إلى شمال أفريقيا والشرق الأدنى. وصارت الأسفار المقدسة – فيما عدا أسفار التوراة – حتى تلك التي تأخذ شكل لفيفة، مليئة بالزخارف، خاصة لفائف سفر أستير.

تنوعت طرز الزخارف بحسب المكان، غير أن معظمها كان يشترك في مظاهر عامة. فقد ركزت الزخارف المبكرة على بعض الملامح الموجودة في مقدس الهيكل، مثل السرج (الشمعدان ذو السبعة رؤوس). وتابوت العهد أو لمدخل الهيكل. وسريعاً بدأت التفاسير الكتابية في أوربا في تصوير بعض الرموز ومن بينها بعض الرموز الكتابية، كما في مخطوطات أستير، ومع هذا فقد أحجم اليهود عن تصوير الشخصيات البشرية، معتقدين أن هذا يعد انتهاكاً للوصية الأولى. وقد ظهرت في بعض المخطوطات شخصيات بشرية، ولكن كان لهم رؤوس طيور أو حيوانات أخرى. وكان الله يُرمز له بشعاع ضوء أو يد ممدودة. وحيث أن اللغة العبرية ليست بها حروف كبيرة (Capital Letters)، فبدلاً من زخرفة الحروف الأولى في مخطوطاتهم، فإن الفنانين اليهود زينوا الكلمة الافتتاحية الأولى من النص بأكملها.



صورة من كتاب الهاجادا (كتاباً يستخدم في أثناء وجبة الفصح اليهودي لتذكر الرواية قصة خروج بني إسرائيل من مصر) للاحتفال بهذه الذكرى داخل أحد المجامع.

على أن يترك مساحة لفنان آخر لرسم أشكال البشرية أو الحيوانية. كما أن لصق الأوراق الذهبية كان يقوم به غالباً فنان مختص. وأحياناً كان يقوم فنان واحد برسم كل الصفحة تاركاً إضافة الألوان لآخرين.

وكانت الخطوة الأولى في التزيين هي عمل مسودة للرسم المطلوب في حدود المساحة التي تركها الناسخ الذي كتب النص. وكان يقوم فنان آخر بتحديد الرسم باستخدام مرقم حاد، ثم يقوم بتحديده بخط مجعد بقلم حبر رفيع، ثم يقوم بتلميع المساحة داخل الرسم لإعدادها للتزيين.

وإذا كان التزيين يستلزم وضع ورقة ذهبية، فكانت توضع في هذه الخطوة. إذ أن تلميع الذهب قد يفسد الألوان إذا كانت قد تم وضعها قبلاً. وكان الفنان يضع طبقة رقيقة من بياض البيض على المساحة التي ستغطى بالذهب ليجعلها تلتصق بالصفحة، ثم يقطع قطعة من الورق الذهبي بالحجم المطلوب ويلتقطها بحرص بفرشاة مسطحة أو بيد فرشاة مبللة، ويضعها في مكانها المحدد بالصفحة. ومتى تم وضع الورقة الذهبية في مكانها كان يقوم الفنان بتلميعها بآلة خاصة لكي يظهر بريق الذهب، ثم يثبتها في مكانها. وأخيراً يقوم الفنان بتحديد مساحة الذهب بالحبر لإخفاء أي نتوءات، ولتحديد الرسم بدقة.

والخطوة الكبرى النهائية في التزيين كانت إضافة اللون. فإذا كان العمل يقوم به عدد من الفنانين، كان كبير الفنانين أو الناسخ أحياناً يحدد الألوان المطلوبة بوضع علامة أو نقطة من اللون المطلوب. وكان الفنان يقوم بإضافة الألوان لوناً واحداً في وقت واحد، وطبقة بعد طبقة لخلق درجات مختلفة. وأحياناً كان الفنان في أثناء انتظاره لطبقة الحبر أو اللون أن تجف، ينتقل إلى صفحة أخر ثم يعود إلى الصفحة الأولى بعد أن تكون قد جفت، وبعد أن تكون كل الألوان قد تمت إضافتها، كان الفنان يحدد الرسم بالحبر الأبيض.

وعندما ينتهي الفنان من كل عمله، كانت الصفحة تخرج من بين يديه كاملة الاتقان. ولم يكن العمل الفني يزين الصفحة ويجذب القاريء إلى النص. بل كان يريح نفس كل من يتطلع إليها، وبطريقة جميلة كانت تزين كلمة الله.

تبين الصور زخارف حرف A التي تحتوي على صورة لوليمة بيلشاصر من سفر دانيال من الكتاب المقدس بوتشستر من منتصف القرن الثاني عشر.



الحرف B في بداية مزمور من ديرش سوبن في جنوب النمسا.

أَغْلِفَةٌ ثَمِينَةٌ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

الكتب المقدسة من العصور الوسطى وعصر النهضة لم تكن في العادة محزمة أو مغلفة، فقد كان الناس يدفعون مبالغ أكبر لهذا الغرض، فقد كانوا يأخذون الكتاب من محل المطبعة إلى محل التجليد الذي كان يوجد أحياناً في مدينة أخرى.

وبعض الكتب المقدسة لم تكن مُغلَّفة إطلاقاً بل كانت تحزم في غلاف لوقايتها، مثل غلاف من الجلد يحزم بخيط. والبعض الآخر كانّ يخاط بدقة لتكوين كتب محزومة جيداً مغلفة بغلاف جامد من الجلد جيد الزخرفة مطعم بتماثيل من العاج أو بصفائح من الذهب مرصعة في شريط ومحاطة بجواهر، وكانت كمية الزخرفة تتوقف على ميزانية صاحب الكتاب ومهارة الفنان، وللكثيرين من الأغنياء لم تكن التكاليف مشكلة، فلم يكونوا يريدون أقل من أفضل غلاف ممكن ليحتوي كلمة الله.

غلاف مزخرف لإنجيل، وهو خاص بالأميرة مرجريت قون أنهالت (التي توفيت في ١٥٣٠م).



وقد تقدم فن تغليف الكتب في الأديرة المصرية في القرن الثاني الميلادي، فكان الرهبان يأخذون أوراق البردي أو الرقوق المطوية ويخيطونها معاً ثم يضعون الحزمة المخيطة في غلاف من الورق المقوى المغلف بالجد ويربطونها معاً كما نضع نحن حزمة من الأوراق في ملف من الكرتون ونحزمه بشريط من المطاط.

وفي العصور الوسطى تقدم فن تجليد الكتب حتى أصبح فناً رفيعاً تجلى في إنتاج كتب كانت مفخرة أصحابها، كما أنها الآن مفخرة المتاحف ومن يقتنونها، وبدأ الرهبان والفنانون بعد ذلك في عملية طي أوراق الكتاب المقدس بالترتيب، ثم خياطتها معاً، وكانت أطراف الخيوط تربط أحياناً بألواح من الخشب توفر الحماية للكتاب.

وما وصل إلينا من هذه الكتب يبين أن الأغلفة الخشبية كانت تزين بالعديد من الطرق فالصفحات الخارجية من الغلاف الخشبي كانت تزخرف بنحت الرسومات في الخشب. وكانت الغالبية تُغلَّف بجلد ناعم منقوش عليه بنماذج مثيرة، وأشكال زهرية أو غيرها من الفنون. وبعض الأغلفة كانت تُطعم بصفائح عاجية منقوش عليها مناظر كتابية، مثل منظر الصلب، والبعض الآخر مغشى برقائق الذهب أو الفضة أو النحاس، والبعض الآخر كان يُكسى بقماش مطرز. وكثيراً ما كان الفنانون يجمعون بين أساليب مختلفة، مثل وضع منظر عاجي في إطار يبرق من الألوان الثمينة والحجارة الكريمة المتلألئة.

وكانت العائلات المالكة والأثرياء يوصون بعمل كتب مقدسة فاخرة مثل هذه، ويهدونها للكنائس والأديرة. وكانت هذه الكنوز تُخزن غالباً في مخزن الكنيسة مع الأشياء الثمينة الأخرى مثل الأواني المقدسة وكانت لا تُخرج إلا للخدمة، وحتى في مثل ذلك كانت الكتب المقدسة تربط بسلاسل إلى الأعمدة حتى لا يهرب أحد بها.

وفي القرن السادس عشر عندما دخلت المطبعة إلى المشهد وانتجت كتباً أكثر بتكلفة أقل، بدأ الناس ذوي الدخول القليلة في شراء الكتب. وعادة لم يكونوا يستطيعون اقتناء الكتب ذات الأغلفة الأنيقة الفنية، فأصبحت الأغلفة أبسط وأخف وأكثر عملية، فلم تعد الكتب المقدسة مصدر حلية بل أصبحت على الأكثر مصدراً للإرشاد والوحي.



هذا الغلاف الرائع لكتاب مقدس قوطي إيطالي يبين حادثة الصلب. والأرجح أنه عُمِل لأحد الأثرياء المسيحيين، ويمكن أن يكون قد وهب لإحدى الكنائس أو الأديرة لاستخدامه في أثناء الخدمات.

وُصُولُ الكِتَابِ المُقَدَّسِ إِلَى بِرِيطَانِيَا

"لن يقدموا الذبائح الحيوانية للشيطان فيما بعد."

البابا جريجوري في حديثه للبعثة التي أرسلها لتبشير بريطانيا.

كتاب مقدس للمعركة

وهي نسخة أيرلندية للمزامير من القرن السادس وهي من أقدم مخطوطات الكتاب المقدس من الجزائر البريطانية. وكان يسمى «كتاب المعركة، لأنه يقال إن قبيلة «دونل» قد حملته للمعركة ثلاث مرات لتحثهم على النصر.

هناك أسطورة من العصور الوسطى تقول إن المسيحية وصلت إلى الجزائر البريطانية عندما جاء يوسف الرامي الذي دفن جسد الرب يسوع في إرسالية لتبشير الأهالي، وتضيف الأسطورة أن يوسف أحضر معه الكأس المقدسة التي استخدمها الرب يسوع في العشاء الأخير. ولكن للأسف ليس هناك ما يؤيد شيئاً من ذلك.

صورة للبابا جريجوري (٥٤٠- ٦٠٤م.) الذي أرسل بعثة تتكون من أربعين راهباً لبريطانيا على شريحة من العاج

وهناك قصة أخرى لعلها أصدق ذكرها الراهب المؤرخ الإنجليزي لتاريخ الكنيسة الإنجليزية والشعب الإنجليزي والمعروف بدقته وهو المؤرخ «بيد» الذي قال إن المسيحية وصلت في ١٥٦م. بعد نحو قرن من غزو الرومان لها. فقد كتب لوكيوس أحد الملوك الإنجليزيين إلى أسقف روما طالباً أن يصبح مسيحياً بتوجيه منه. والظاهر أن الملك أراد أن يكون تجديده بإرشاد من أعلى سلطة رسمية في الكنيسة (فقد أصبح أساقفة روما يعرفون بالباباوات) وفي القرن الرابع استطاع العالم چيروم الذي ترجم الكتاب المقدس أن يقول إن بريطانيا مع روما وغالبا (فرنسا) وأفريقيا وفارس والشرق والهند يعبدون مسيحاً واحداً.

عندما غادرتها المسيحية

وللأسف الشديد، كما جاءت المسيحية إلى بريطانيا مع الرومان، فإنها غادرتها معهم أيضاً على الأقل إلى مدى بعيد. فقد استدعت روما جيوشها للدفاع عن الإمبراطورية ضد الغزاة. لقد شغلت الجيوش الرومانية المساحة الجنوبية الشرقية من الجزيرة البريطانية (الآن انجلترا وويلز) لحماية البريطانيين من الغزاة في الشمال والغرب فيما يُعرف الآن بأيرلندا واسكتلندا.

"لقد رأيت رب الجنود ممداً وقد غطت الظلمة بغيومها جثة الرب."

من قصيدة «حلم الصليب» الأنجلوسكسونية.

كتابان مقدسان من بريطانيا

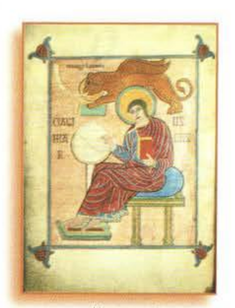
لقد جاء كتابان مقدسان من أشهر الكتب المقدسة القديمة من الجزر البريطانية، وهما كتاب «كلز» وأناجيل لندرفان.

وكتاب كلز: «هو مجموعة من الأناجيل الأربعة مصورة بسخاء يحتمل أنها من عمل رهبان أيرلنديين أو اسكتلنديين خلال القرن الثامن، ويحتوي على بعض أجمل الخطوط من العصور الوسطى، فعلى كل صفحة تقريباً مع النص توجد صور تفصيلية، وكثيراً ما توجد حروف مزخرفة وصور حيوانات وأشخاص، وتعكس الصور أسلوب الفن في أيرلنده وفي اسكتلندا وأعالي انجلترا في العصور الوسطى. وللأسف ما أعطاه الرهبان من اهتمام للأعمال الفنية لم يمتد للنص اللاتيني الذي يمتليء بالأخطاء.

وأناجيل لندزفارن نسخة جميلة مصورة للأناجيل الأربعة مكتوبة باللاتينية في نحو عام ٧٠٠ لتخليد ذكرى أسقف سابق لندزفارن وهي جزيرة صغيرة جداً إلى الشمال الشرقي من ساحل إنجلترا.

وتوجد بهذا الكتاب ٢٥٩ صفحة، كل منها من الرق من أجود أنواع جلود الحيوانات.

وأضيفت إلى الكتاب ملحوظة بعد نحو ٢٥٠ عام تقول إن الكتاب قد تم نسخه وزخرفته بمعرفة «إيدفرث» الذي كان أسقفاً للندزفارن من ٦٩٨ م. إلى أن مات في ٧٢١م. ولكن كتابة النص وكذلك الزخرفة في الكثير من الصور التفصيلية التي تحذو إلى حد بعيد حذو النماذج الانجلوسكسونة، والأيرلندية قد تكون عمل فريق من الرهبان الإنجليز ربما تحت إشراف إيدفرث في دير لندزفارن. وقد ترجم النص اللاتيني إلى اللغة الانجلوسكسونية في القرن العاشر وقد كتب الترجمة كلمة فوق الكلمة الأصلية في كل سطر. وهذه هي أول ترجمة معروفة للأناجيل إلى اللغة الإنجليزية بأي شكل من أشكالها.



صورة لمرقس البشير من نسخة أناجيل لندزفارن التي نسخها وزينها الأسقف ايدفريث أسقف لندزفارن في نحو بداية القرن الثامن.

ولكن انسحاب روما الفجائي ترك بريطانيا بدون دفاع لحمايتها. فاستغاث البريطونيون في ٤٤٩م. بالقبائل الجرمانية الثلاث أو الأوربية الشمالية المشهورة بقدراتها الحربية: القوط مع الأنجلو والسكسون (الأنجلوسكسون). وقد اثبتوا شهرتهم إذ طرد أولئك المحاربون الشرسون المهاجمين، ولكنهم انقلبوا على البريطانيين. وقال «بيد» إن المخلِّصين الأُول قبضوا بشدة على كل الجزيرة تقريباً وفرضوا ثقافتهم ولغتهم وديانتهم الاسكندنافية على البريطون الذين كانوا يتكلمون اللاتينية ويحبون المسيح.

وبعد حوالي ١٥٠ سنة قرر البابا جريجوري أن يرسل مرسلين إليهم، وتقول أسطورة أنه عندما رأى البابا جريجوري أولاداً شقر ذوي البشرة بيضاء في مزاد للعبيد وسأل عنهم، قيل له إنهم أنجليز، فأجاب بل وهم «أنجلز» (أي ملائكة)، فأرسل جريجوري فريقاً من نحو أربعين راهباً إلى بريطانيا مع كمية من الكتب كان فيها على الأرجح نسخة لاتينية للكتاب المقدس.

ويقول «بيد» إن الرهبان «بدأوا بتقليد أسلوب حياة الرسل» يبشرون ويصلون ويحيون حياة بسيطة ونجحت إرساليتهم نجاحاً باهراً، ربما ما ساعدهم حقيقة أن زوجة الحاكم القوطي إيثبرت ملك كنت، كانت فعلاً مسيحية تستخدم أسقفاً كمرشد ديني شخصي لها. ونجح الرهبان في تجديد الملك الذي تبعه الآلاف من القوط والأنجلوسكسون، وأعطوا الرهبان منزلاً في كانتربري، وأصبح قائدهم أوغسطين أول رئيس أساقفة لكانتربري.

بدايات الكتاب المقدس في بريطانيا

سيظل موضوع كيف ومتى ظهر الكتاب المقدس في الجزر البريطانية أمراً مجهولاً، فقد ظل الرهبان المسيحيون يخدمون في أيرلندا وفي أجزاء من استكتلندا دون أن يزعجهم الأنجلوسكسون الذين لم يستطيعوا أن يهزموهم. والأرجح أنه كان مع أولئك الرهبان نسخ من الكتابات المسيحية المقدسة من الحركة المسيحية المبكرة في بريطانيا.

وفي ٥٩٧م. أرسل البابا جريجوري إرساليته وفي خلال ٧٥ سنة تمت ترجمة جزء من الكتاب المقدس اللاتيني إلى الأنجلوسكسونية، وهي لهجة إنجليزية تعرف بالإنجليزية القديمة. بدأ هذا في القرن السابع بترنيمة، فبناء على «بيد» رأى راعي بقر أمِّي يُدعى كادمون أن يغنى عن بداية الخلائق، فكانت النتيجة ترنيمة في مدح الله لأجل الخليقة. وإذ تأثر الرهبان بالترنيمة، علموا كادمون قصصاً من الكتاب المقدس، وحوَّلها إلى قصائد باللغة الأنجلوسكسونية وغناها بالموسيقى.

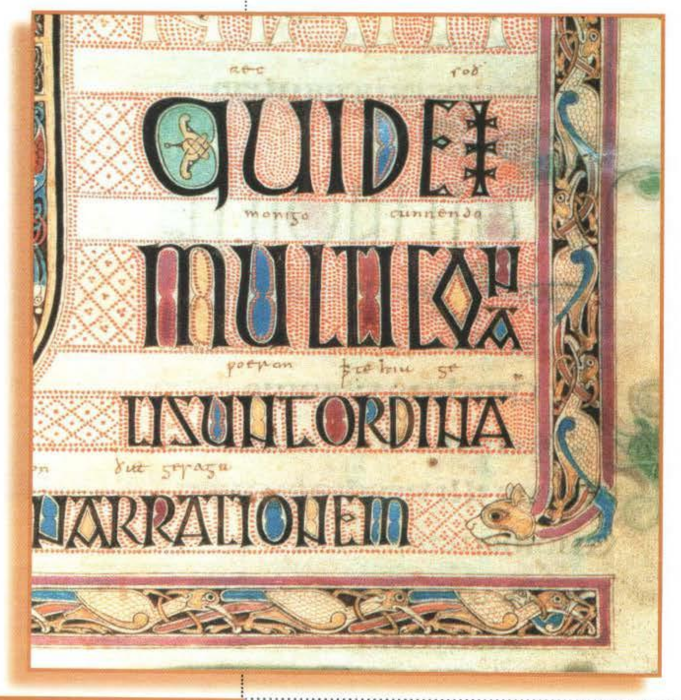
وفي *هذا الوقت* بدأت تظهر ملحوظات وترجمات على النص الرئيسي في الكتب المقدسة اللاتينية. وقد ساعد هذا الكهنة في بريطانيا حيث أن اللغة اللاتينية، لغة الإمبراطورية الرومانية المحتضرة، كانت قد ذوت، ولم يعد سوى القليلين من الكهنة في الجزر البريطانية يفهمونها.

ومع أنه حتى القرن الرابع عشر لم يكن الكتاب المقدس قد تُرجم بأكمله إلى اللغة الإنجليزية، فقد كانت هناك الكثير من الترجمات القديمة لأجزاء من الكتاب المقدس للهجات إنجليزية قديمة. فيقال إن الملك ألفريد الأكبر في القرن التاسع قد ترجم أجزاء من سفر الخروج والمزامير وأعمال الرسل إلى اللغة الأنجلوسكسونية، وأدخل أجزاء من الشريعة الكتابية في قانون مملكته. وبعد نحو قرن، قام راهب إنجليزي اسمه إيلفريك بعمل ترجمة مختصرة للأسفار السبعة الأولى من العهد القديم، وبعد ذلك بوقت قصير قام عالِم مجهول بترجمة الأناجيل.

وفي الوقت الذي غزا فيه النورمان انجلترا في ١٠٦٦م. فرضوا اللغة الفرنسية على شعب الجزر البريطانية وقام علماء الكتاب المقدس بجهد واضح في ترجمة الكتاب المقدس إلى لغتهم.

كانت انجلترا بلاد الانجلو

في أوائل القرن الخامس غزت قبائل من شاملي أوربا، وبخاصة الانجلو والسكسون أو الأنجلوسكسون الجزيرة التي كان الرومان قد أطلقوا عليها «بريطانيا» واستقروا هناك. وقد حكم هؤلاء الغزاة جزءاً من الجزيرة فأصبحت هذه المنطقة تعرف باسم أرض الأنجلو أو «إنجلند» (England).



صورة لصفحة مزخرفة في بداية إنجيل لوقا في مجموعة أناجيل لندزفارن.

اَلرُّهبَانُ الأَيرلَندِيُّونَ يَترُكُونَ بَصَمَاتِهِم

انقاذ المدنية

بالإضافة إلى النصوص الكتابية والشروحات، نسخ الكتَّاب الأيرلنديون كتابات غَالِيَّة (فرنسية) وإغريقية أيضاً ورومانية كلاسيكية، التي كانت قد كادت تختفي في أوربا تحت حكم البرابرة. ويعتقد الكاتب المعاصر «توماس كاهيل» أنه بنسخ هذه الكتابات الدنيوية حفظ أولئك الرهبان كتابات أدبية عظيمة كان يمكن أن تفقد تماماً بالنسبة لنا نهائياً. ويعتقد كاهيل أن الأيرلنديين أنقذوا المدنية.

ما بين القرنين الخامس والثامن اجتاحت أوربا القبائل الجرمانية المتبربرة، ودمرت الكثير من المخطوطات ونجحت في محو الحضارة الأوربية محواً يكاد يكون كاملاً، ولكن لم يمس ذلك الأيرلنديين وواصل الرهبان الأيرلنديون نسخهم للنصوص الكتابية وغيرها من الكتابات اللاهوتية والدنيوية.

تحوُّل أيرلندا إلى المسيحية

عندما بدأ البرابرة يغزون أوربا الغربية، كانت أيرلندا ما زالت أرضاً ريفية للمزارعين والمحاربين لا يعرفون القراءة أو الكتابة رغم أنه كان لديهم تراث شفهي قوي من الأدب، ولكن عندئذ في نحو ٤٠١م. أُسر شاب بريتوني اسمه «باترك» وأخذ عبداً إلى أيرلندا. وبعد ذلك بست سنوات هرب باترك وذهب إلى غَالِيَّة (فرنسا حالياً) التي كانت قد وقعت فعلاً في قبضة البرابرة فدرس في أحد الأديرة هناك، وبخاصة الكتب المقدسة وعاد إلى أيرلندا كمرسل، وطول التسعة والعشرين السنة التالية نجح في هداية غالبية أيرلندا، وفي بناء العديد من الكنائس والأديرة. وفي السنوات التي تلت وفاته، بنيت أديرة أكثر وأصبحت مراكز للتعليم. وفي هذه الأديرة تعلم الأيرلنديون القراءة.

وفي القرن الذي أعقب باتريك، ذهب راهب أيرلندي

كولومبا وتراثه

كان كولومبا رجلاً ذا عزيمة جبارة، فكان دائماً ينجز ما يشرع فيه، بل وكثيراً ما أنجز أكثر مما أراد. وُلد كولومبا في أيرلندا في ٥٢١م. من عائلة شريفة وربما كانت لديه فرصة لأن يكون ملكاً، ولكنه عوضاً عن ذلك أصبح راهباً، ولكن كانت لديه محبة شديدة للكتب وقد جلب عليه هذا المتاعب. فعندما سمع أن معلمه السابق فنيان عنده نسخة أيرلندا الأولى من ترجمة چيروم اللاتينية للمزامير «استعارها» بدون إذن ونسخها فغضب فنيان وشكا كولومبا للمحكمة مطالباً بالأصل وكذلك بالنسخة، فاستجاب القاضي لطلب فنيان قائلاً: لكل بقرة عجلها، ولكل كتاب نسخته.

ولأن كولومبا كان أرستقراطياً تماماً، صمد أمام هذا الألم. ولكن حالما قُتل أحد رجاله بأمر من الملك، جمع كولومبا جيشاً وسار لمحاربة الملك وكسب الحرب وقتل ٣٠٠١ من رجال الملك، ولم يخسر هو إلا شخصاً واحداً من جيشه، واستعاد نسخة المزامير.

ولأن الرهبان كانوا ممنوعين من حمل السلاح، عُزل كولومبا بعض الوقت، ثم أوقع عليه عقاب شديد. فكان يجب عليه أن يترك أيرلندا ويخلص نفوساً بعدد الذين قتلوا في حربه مع الملك.. وإذ دفعه عزمه على تنفيذ عقوبته، قام كولومبا مع اثني عشر رجلاً آخرين في ٥٦٤م. (بعد نحو قرن من موت باتريك) وأبحروا إلى جزيرة إيونا بعيداً عن الشاطيء، فيما يعرف الآن باسكتلندا، وهناك بنى ديراً سرعان ما اشتهر كمركز للتعليم. وفي إيونا تم تأليف «كتاب الكلت».. كما عمل كولومبا على تجديد الاسكتلنديين وغيرهم، وتقاطر من جَدِّدَهم إلى إيونا. وعندما امتلأ الدير تماماً (١٥٠ راهباً) أرسل كولومبا بعض الرهبان لتأسيس دير آخر، ثم آخر، حتى بلغ عدد الأديرة التي أسسها ٦٠ ديراً عندما مات في ٥٩٧م. في كل جهات أسكتلندا تؤدي الخدمة لأكثر من الـ ٣٠٠١ الذين خرج لتبشيرهم.

صورة للصفحة الأولى من كتاب سان أدومان، بها قائمة من الأساقفة. وكان أدومان (٧٢٦ - ٧٠٤م.) رئيساً لدير إيونا.

مغمر هو كولومبا إلى اسكتلندا حيث أسس العديد من الأديرة وهدى الأهالي. واقتداء به ذهب رهبان آخرون إلى شمالي انجلترا حيث بشروا الإنجليز وبنوا أديرة. وهذه الأديرة التي أسسها الأيرلنديون لم تصبح ملاجيء للأهالي المحليين فقط، بل وللكثيرين من الرهبان الأجانب الذين هربوا من البرابرة في أوربا. وقد ساعد الرهبان، الأوربيون الذين كانوا يعرفون تماماً أساليب الكنيسة الرومانية، على رفع مستوى التعليم للأيرلنديين وجيرانهم بينما تشربوا هم أنفسهم بالكثير من ثقافة أيرلندا.

ابتكار أسلوب جديد

طوال القرنين السادس والسابع، بذل رهبان أيرلنده واسكتلندا وشمالي انجلترا غاية الجهد في نسخ المخطوطات في أديرتهم العديدة. وفي تلك الأثناء كان مثل هذا العمل قد توقف في أوربا حيث نسخت مخطوطات قليلة إلى عصر الإمبراطور شارلمان في القرن الثامن. ولكن الكتاب الأنجلو أيرلنديين لم يكتفوا بتقليد أخوتهم الأوربيين، بل ابتكروا تغييرات في أسلوب الكتابة وفي الزخرفة. وأصبح أسوب مخطوطاتهم يعرف باسم «الجزيري» أي أنه ينتمي إلى جزيرة) لأنه من ابتكار الجزر البريطانية.

وفي القرن السابع طوَّر الرهبان الأنجلو ايرلنديون أسلوبهم في الكتابة المسمى الحرف الكبير الجزيري الذي يظهر في «كتاب الكلت». وأهم جانب من هذه الكتابة مازال معنا اليوم لفصل الكلمات في النص، فإلى ذلك الوقت كل الكلمات كانت تختلط معاً مما يجعل من الصعب قراءتها. فقبل ظهور هذا الأسلوب في الكتابة، كان على الرهبان أن يقرأوا النصوص التي ينسخونها بصوت مسموع ليفهموها، ولذلك كانوا يتذمرون عادة وهم يعملون. ولكن بعد ابتكار فصل الكلمات لم تعد القراءة بصوت مسموع ضرورية وأصبح على الرهبان أن يعملوا في سكوت تام.

والزخرفة في المخطوطات الجزيرية تتميز بالأشكال الزخرفية أكثر مما بصور الأحداث، وكانت صفحة من الزخرفة الخالصة تسبق النص تسمى صفحة المقدمة، وحروف كبيرة بأطرها، وأحياناً مع الأرضية من الرق، كانت تمتليء بزخارف معقدة كثيفة. وكانت الزخرفة تتكون من أشكال لولبية متشابكة مملوءة بالعقد وحيوانات مجدولة، وكانت هذه الأشكال مبنية على أساس أشكال معدنية من الأنجلوسكون والكلت، والتي كانت بدورها منقولة عن نقوش حجرية موجودة في القبور في وادي بوين ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد في عصر قدماء الاسكتلنديين.

وأول تحفة للزخرفة الجزيرية من القرن السابع في الكتاب الأيرلندي «دورو» الذي يحتوي على منمنمات وصفحات المقدمة. كما توجد صور للبشيرين الأربعة مبنية على نماذج مسيحية من عهد سابق ولكن محورة على النموذج الجزيري، في أناجيل «لندزفارن». وقد بلغت أوجهاً في الكتاب المسرف في زخرفته، من القرن الثامن، «كتاب الكلز» الذي به صور للقصص بالإضافة إلى صور الأشخاص.

بمرور الزمن، بدأ الرهبان الأنجلو أيرلنديون في الارتحال خارج الجزر البريطانية، وكانوا يأخذون كتبهم معهم حيثما ذهبوا، وهكذا انتشر فن نسخ المخطوطات وزخرفتها في أوربا حيث كثيراً ما كانت تنسخ النماذج الأيرلندية وهكذا تداخل الأسلوب الجزيري في الأسلوب الأقدم في المخطوطات الأوربية. وما يدعو للسخرية أنه في الوقت الذي نهضت فيه الثقافة الأووبية في عهد شارلمان، تعرضت أيرلندا لغزو الفايكنج، وكان على الأيرلنديين أن يبادروا إلى إخفاء بعض مخطوطاتهم الثمينة، بما فيها كتاب الكلز وأناجيل لندزفارن.

أكواخ كخلايا النحل

لم تكن الأديرة الأيرلندية الأولى مباني متسعة مثل التي في أوربا، بل كانت تتكون من أكواخ مثل خلايا النحل، أو صوامع، صومعة لكل راهب. كما كان بها كنيسة وحجرة للطعام مشتركة ومطبخ. وكانت الأديرة الأكبر تشتمل على مبان أخرى لازمة لأعمال الزراعة، وربما حجرة للنسَّاخ ومكتبة. ولكن كان الرهبان ينسخون المخطوطات أيضاً في صوامعهم أو حتى في الخارج.



صورة لجزء من صفحة مزخرفة من كتاب «دورو» الأيرلندي من القرن السابع.

كُتُبٌ مُقَدَّسَةٌ لِأُورُبَّا

«أتمنى أن يترجم الكتاب المقدس إلى كل اللغات، فأتوق إلى أن أرى الفلاح في حقله يتغنى به وهو يسوق المحراث»

ديسيديريوس إرامس
(العالِم الهولندي
١٤٦٦- ١٥٣٦م.)

في الوقت الذي كان فيه عَالِم الكنيسة چيروم يجول في العالم لكي يترجم الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية، وهي اللغة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، كانت الإمبراطورية الرومانية تلفَظ أنفاسها الأخيرة. أنهى جيروم عمله حوالي عام ٤٠٥م. وفي ذلك الوقت من التاريخ، كانت اللاتينية هي اللغة المثالية في أوربا. إذا كانت هي اللغة الملائمة للكتابات الأدبية كما كانت مفهومة على نطاق واسع، خاصة بين سكان المدن.

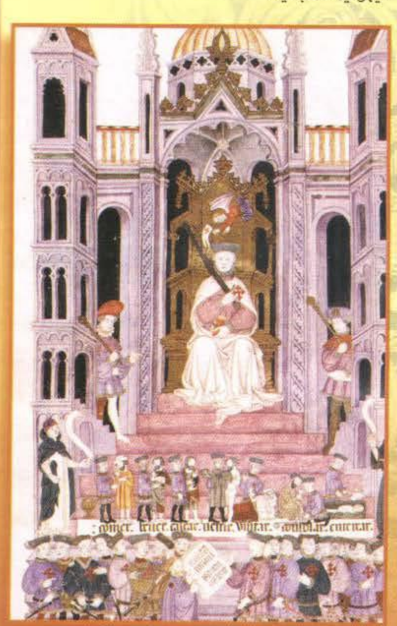
وبعد ذلك بخمس سنوات اكتسحت قبائل محاربة روما وانتهت الامبراطورية بنهاية القرن، ولكن ظلت اللاتينية قائمة عدة قرون كما فعلت اليونانية من قبل. ومع أن عدد الناس الذين كانوا يتكلمون اللاتينية أخذ في التناقص، فإن اللاتينية ظلت هي اللغة المفضلة بالنسبة للكنيسة وللكتاب المقدس. وللأسف كان معنى هذا أنه بمُضِيِّ الوقت كان الناس يستمعون لقراءة الكتاب المقدس في خدمات الكنيسة دون أن يفهموا كلمة

ألبا - الكتاب المقدس اليهودي المسيحي

عندما اكتسحت أسبانيا مشاعر العداء لليهود في أوائل القرن الرابع عشر، نادى أحد رجال الكنيسة بفكرة تشجيع التفاهم بين المسيحيين واليهود، فطلب دون لويس دي چوزمان من الربي اليهودي موسى أرّاجل أن يترجم العهد القديم العبري إلى الأسبانية الكاستليانية، وهي كانت اللغة الشائعة في ذلك العصر، إذ كانت الترجمة الأسبانية القديمة من القرن الحادي عشر يصعب فهمها، فكانت الحاجة ماسة إلى ترجمة جديدة. ولكن كانت هناك حاجة أيضاً لتهدئة التوترات الدينية، ورأى چوزمان أن هذا المشروع قد يقوم بذلك إذا أدخل الربى شرحاً لمساعدة المسيحين على فهم وجهة النظر اليهودية عن حياة الإيمان.

ولكن الربى اعتذر قائلاً إنه يخشى أن الفكر اليهودي في العهد القديم يختلف كثيراً عن الفكر المسيحي، فيشتعل الاحتكاك ويسفر كثيراً عن الفكر المسيحي، فيشتعل الاحتكاك ويسفر عن توتر أشد، ولكن جوزمان استطاع أن يقنع الربي بالموافقة وعين له راهبين للعمل معه. وكانت نتيجة هذا التعاون تحفة فنية مزخرفة بثلثمائة وأربع وثلاثين صورة ومملوءة بالشرح المنقول عن حكمة المعلمين اليهود القدماء.

وللأسف لم يحقق الكتاب هدف چوزمان. فقد أُكمل في ١٤٣٠ وتعرض للنقد من علماء الكنيسة لمدة سنين عديدة، على الأرجح إلى ١٤٣٣م. ثم تعرض لفحص من علماء الكنيسة في كل مكان مما أدى إلى جدل عام. وفي ١٤٩٢ أُجبر يهود أسبانيا على اعتناق المسيحية أو مغادرة البلاد. ولا يظهر اسم الربي (المعلم) أرّاجل بين أسماء الذين تجددوا. وقد اختفى هذا الكتاب المقدس إلى أن ظهر في ١٦٢٢م. في مكتبة القصر الأسباني لدوق ألبا. وفي ١٩٢٢م، أمر دوق ألبا بنسخ ٥٠٠ نسخة من كتاب ألبا المقدس وأهداها للملك اعترافاً بالخدمات اليهودية لأسبانيا.



صورة لصفحة من كتاب ألبا وفيها المترجم وهو الربي موسى أراجل يعرض الكتاب المقدس أمام السيد لويز دي چوزمان الذي فوضه بترجمته

واحدة. وأخيراً أصبح الكهنة قليلي التعليم، لا يفهمون الكلمات التي يقرأونها من الكتاب المقدس، أو يرددونها في القداسات.

لتوصيل رسالة الله في هذه الحقبة الجديدة، كانت الأمم في حاجة إلى وجود كتب مقدسة في لغاتها القومية وبداية القرن السابع بدأ الأوربيون يترجمون – على الأقل، أجزاءً من الكتاب المقدس وبخاصة الأناجيل والمزامير إلى لغاتهم. فترجمة الكتاب المقدس كله كان عملاً ضخماً، ولا توجد نسخ معروفة منه في أي لغة أوروبية قبل القرن الثالث عشر.

ففي البداية خطا المترجمون خطوات صغيرة جداً، فاستطاعوا أن يترجموا الكتاب المقدس اللاتيني، ثم أضافوا فوق كل سطر ملاحظات يسميها العلماء «الشروح»، وكانت ملاحظات تفسيرية، ولكنها كثيراً ما كانت كلمة بكلمة ، أي ترجمات حرفية للنص اللاتيني.

الكتب المقدسة في الألمانية والفرنسية

في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر، بدأ راهب وعالم ألماني اسمه نوتكر لابيو، الذي كان يتقن اللغة اللاتينية والألمانية، في ترجمة بعض الكتابات اللاتينية لطلبته. وبين الكتب الكثيرة التي ترجمها، كان سفر المزامير الذي ما زال موجوداً، وسفر أيوب الذي قال لابيو أنه أخذ منه خمس سنوات لاستكماله ولكنه فُقد. وفي كلا السفرين، كتب لابيو جزءاً من الكتاب المقدس باللاتينية وأردفه بترجمته الألمانية مع بعض تعليقاته على الفصل.

وكانت الكتب المقدسة تستغرق وقتاً طويلاً وتستلزم أموالاً لنسخها، ولذلك فغالبية الناس لم يكونوا يمتلكون نسخة منها، فاعتمد الناس على سمع مقتطفات منها عند قراءتها في خدمات الكنائس وبعض الجماعات المتدنية (رواد حركة الإصلاح) قالوا إن هذا لا يكفي لأن قادة الكنيسة كانوا يقرأون فقط الفصول التي تؤيد آراءهم. وبداية القرن الثاني عشر بدأت جماعات مثل البيهارديين والبجومنيين في ألمانيا والأقاليم المجاورة، مع الولدنسين في فرنسا، يحثون المسيحيين على قراءة الكتاب المقدس لأنفسهم.

وفجأة أصبحت ترجمات الكتاب المقدس مطلوبة بشدة، ومما يدعو للدهشة أن الكثيرين من قادة الكنيسة لم يُسعدهم هذا، فقد خشوا أن تظهر الهرطقات في الترجمات أو أن لا يعرف الناس أن يفسروا ما يقرأون تفسيراً صحيحاً. وكان هذا أمراً خطيراً، حتى إنه في ١١٩٩م. أمر البابا أنسنت الثالث بفحص ترجمات الكتب المقدسة، وختم أمره بالقول إن الرغبة في فهم الأسفار المقدسة ومحاولة تشجيع الآخرين على العيش بحسب تعاليمها، هو أمر في الحقيقة مستحق للمديح،



لوحة من القرن الثالث عشر تصور البابا أنسنت الثالث (١١٦١ – ١٢١٦م.)، الذي أعلن أنه من المقبول ترجمة الكتاب المقدس إلى لغات عامة الناس بدلاً من اللغة اللاتينية، والتي كانت لغة تحتضر. وقد تعرض هذا الإعلان للرفض من قِبَل الكثير من قادة الكنيسة خَوفاً من ظهور الهرطقات في الترجمات الجديدة، أو ربما سوف يسيء الناس فهم ما يقرأونه.

ولكن بعد ذلك بثلاثين سنة، أمر مجمع من الأساقفة في فرنسا بأن أعضاء الاكليروس فقط هم الذين يمكنهم أن يمتلكوا الكتاب المقدس مهما كنت اللغة المكتوب بها. وعلى الفور بعد انعقاد هذا المجمع، أظهر الملك لويس التاسع (القديس لويس) ملك فرنسا شعوره من نحو هذا الأمر، فأمر بترجمة الكتاب المقدس إلى الفرنسية، فجمع العلماء ترجمات مختلفة واستكملوا نسخة فرنسية، ولكن غالبية قادة الكنيسة لم يتفقوا مع الملك، فظلت ترجمات الكتاب المقدس قضية للنقاش على مدى قرون.

كتب مقدسة للأسبان والإيطاليين

كانت الكنيسة الأسبانية مشهورة بعدم تسامحها وبمحاكم التفتيش القمعية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فكانت عيونها مفتوحة على أي نشاط ديني يمكن أن يعتبر هرطوقياً، بما في ذلك ترجمة الكتاب المقدس مما كان يُنظَر إليها على أنها قد تتيح للمترجمين حرية غير مسبوقة للتعبير عن تفسيراتهم للأسفار المقدسة.

ومع ذلك فإن اليهود بدأوا في ترجمة كتابهم العبري إلى اللغة الأسبانية منذ القرن الثاني عشر، وبعد ذلك بنحو مائة سنة، أخذ المسيحيين في ترجمة العهد الجديد، ليس من الأصل اليوناني بل من ترجمة چيروم اللاتينية (الڤولجاتا).

ولم يكن للإيطاليين كتب مقدسة بلغتهم حتى منتصف القرن الثالث عشر، وقد يبدو هذا غريباً حيث أن روما كانت المحور الدولي للثقافة المسيحية، ولكن لعل الإيطاليين لم يكونوا في حاجة إلى الكتاب المقدس قبل ذلك بكثير، لأن اللهجات الإيطالية القديمة كانت شبيهة باللاتينية التي كانت اللغة الوطنية لهذه الأمة، فحتى الفقراء كانوا يفهمون قراءة الكتاب المقدس باللاتينية والقداسات. وعندما بدأ الإيطاليون بالتدريج يتكلمون اللغة التوسكانية والبندقية، قام العلماء بمَدِّهم بترجمات للكتاب المقدس بهذه اللهجات.

وفي نهاية العصور الوسطى، بعد مضي ألف عام من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر، كان الكتاب المقدس كله قد ترجم إلى كثير من اللغات الأوربية الهامة.

اَلْعِبَادَةُ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى

"لتُقرأ الأناجيل كخِتم لكل أسفار الكتاب المقدس وليُصغ الناس إليها وهم وقوف على أقدامهم لأنها الأخبار الطيبة للخلاص لكل الجنس البشري"

قوانين عـــداي

القـــرن الثالث

الصلوات الرسمية للكنيسة

كـانـــت الصلـــوات الرسمية للكنيسة وطقوس الكنيسة تُشكِّل ما يُعرف بالقدَّاسات بينها من الصلوات الخاصة. وتشمل الطقوس خدمة الأفخارستيـا والصلوات والطقوس المستخدمة في الأسـرار الأخـرى وخدمة الساعات.

في الأيام الأولى للكنيسة، عندما كانت المسيحية غير معترَف بها من الدولة، كانت هناك اتصالات قليلة بين المجتمعات المسيحية، ولم تكن هناك صورة موحدة للعبادة. ومع أن أسس القراءة من الكتاب المقدس وخدمة الأفخارستيا كانت عامة، فإن القراءات والصلوات كانت تختلف اختلافاً شاسعاً. وبعد أن أصدر الإمبراطور قسطنطين قراره باعتبار المسيحية الدين الرسمي للدولة، في ٣١٣م، أصبحت العبادة المسيحية الدين الرسمي للدولة، في ٣١٣م. أصبحت العبادة المسيحية علنية تجري في الأماكن القضاء وغيرها من الساحات مثل الهياكل الوثنية التي تحولت إلى معابد مسيحية، كما أنهم سعوا نحو صورة موحدة للعبادة.

دورة الفصول

قد تركز جزء من إصلاح العبادة على دورة الفصول التي تركزت على الأحداث الكبرى في حياة الرب يسوع. وأول هذه الفصول هو عيد القيامة الذي يرجع إلى الكنيسة الأولى، وقد احتفل المسيحيون الأوائل بالصلب والقيامة في نفس اليوم، ولكن قبل مضي زمن طويل، ابتدأوا في الاحتفال بيوم الصلب منفصلاً في يوم الجمعة السابق لأحد القيامة. وفي نحو ذلك الوقت، بدأ الاحتفال بالعشاء الأخير، الذي كان يشمل عملية غسل الأرجل كما غسل الرب يسوع أرجل تلاميذه.

وبحلول القرن الرابع عندما لم يعد المسيحيون يخشون الإضطهاد. وبدأ الحجاج يزورون الأراضي المقدسة ويعيدون تمثيل الأحداث التي أدت إلى القيامة، ويصف أحد الحجاج من القرن الرابع الاحتفال بالأسبوع المقدس (الأسبوع الذي ينتهي بأحد القيامة) في أورشليم. وقد أصبح الأسبوع المقدس بعد ذلك جزءاً من الأعياد المسيحية، فهو يبدأ بأحد السعف احتفالاً بدخول الرب يسوع الانتصاري إلى أورشليم، ثم خميس العهد الذي تم فيه العشاء الأخير، ثم يوم الجمعة تذكاراً للصلب وينتهي بالاحتفال بقيامة الرب يسوع يوم أحد القيامة. وكان الاحتفال بقيامة المسيح يمتد لمدة خمسين يوماً حيث ينتهي بيوم الخمسين الذي يحتفل فيه بحلول الروح القدس على تلاميذ يسوع.

ولأن عيد القيامة كان عيداً عظيماً، فكانت تسبقه فترة طويلة من الصوم والاستعداد له. وفي الأيام الأولى كانت هذه الفترة تتراوح بين أيام قليلة إلى أسابيع قليلة ثم في القرن الرابع أصبحت أربعين يوماً (مع استبعاد أيام الآحاد) تذكاراً لصوم الرب يسوع أربعين يوماً في البرية. وفي القرن الرابع استخدموا الأربعين يوماً في إعداد الشباب للمعمودية في يوم أحد القيامة (ولو أن هذه الممارسة تضاءلت في القرون التالية عندما أصبحت معمودية الأطفال هي الشائعة). وقد ركزت القراءات خلال هذه الفترة التي كانوا يسمونها الصيام الكبير وكانت تركز على الصلوات والصيام والاستعداد للمعمودية.

لم تصلنا أخبار عن الاحتفال بعيد الميلاد (الكريسماس) في الكنيسة الأولى، ولكن الأرجح أن الاحتفـــال بعيـــد الميلاد بدأ في القرن الثالث. ففي ٣٣٦ م. كـان المسيحيـــون في رومـا يحتفلون بالكريسماس في يوم ٢٥ ديسمبر (عوضاً عن عيد وثني هو عيد ميلاد

كتب للعبادة

كانت الكتب المقدسة الكاملة غالية الثمن جداً، ولم تكن تستعمل في الكنائس بكثرة، فكان استخدامها يكاد يكون قاصراً على ممارسة سر الأفخارستيا، ولذلك قسَّموا الكتاب المقدس إلى أجزاء منفصلة، تشتمل على الأناجيل الأربعة بالغة الأهمية، وسفر المزامير للقراءة والترنيم في خدمة الإفخارستيا أو غيرها من الأسرار، ومنتخبات من الأسفار الأخرى بالكتاب المقدس التي كانت تستخدم في العبادة. وبعد ذلك جُمعت كل المنتخبات التي كانت تستخدم في العبادة، في كتب القراءات. وهذه الكتب كانت تختلف في بساطتها أو تزيينها بحسب رغبة الشخص الذي كلَّف بكتابته وبحسب قدرته على الدفع وكان يختلف أيضاً في المحتوى ولكنه عموماً كان يتضمن عدة عناصر ثابتة. فهذه الكتب كانت تبدأ بتقويم للسنة الكنسية وبعض المقتطفات من الأناجيل ولمحات من ساعات العذراء، ومجموعة من المزامير ونصوص أخرى مخصصة للقديسة والدة الرب يسوع. وبعض هذه الكتب تضمنت أيضاً صلوات لأجل الموتى.

مخطوطة بها صورة لميلاد المسيح من كتاب الساعات لتشارلس الخامس.



إله الشمس) وانتشرت هذه الممارسة في العالم المسيحي، وكانت القراءات لخدمات العبادة في فترة الكريسماس تتركز على ميلاد الرب يسوع وطفولته.

ولعل حفظ أيام الأحاد الأربعة السابقة لعيد الميلاد قد بدأ في خلال القرن الرابع في أسبانيا، حيث كانت تستخدمه كفترة استعداد للشباب الذين كانوا سيعتمدون في فترة الكريسماس، كما كان يُستَخدم الصيام الكبير استعداداً في عيد القيامة. وبعد ذلك شاع حفظ الأحاد الأربعة السابقة لعيد الميلاد، في كل الكنيسة الغربية وكانت تحفظ كفترة للصيام والصلاة، وكانت القراءات في خدمات العبادة تتركز على مجيء الرب يسوع سواء كطفل في بيت لحم أو مجيئه في آخر الأيام.

وكانت الأوقات بين هذه المناسبات تعتبر أزمنة عادية لأنها لم تكن تحتوي على الفصول المتميزة المذكورة بعاليه. وكانت القراءات في هذه الأوقات تُختار بحيث تشتمل على الكثير من العهد الجديد على مدار السنة بقدر الإمكان.

نظام العبادة

كان كل يوم يحتفل فيه بالأفخارستيا، يبدأ بصلوات تمهيدية وموكب من الكهنة إلى المذبح، ثم يقوم أحد القراء، غالباً أحد الشمامسة بقراءة قطعتين متقطفتين من الكتاب المقدس للشعب.

وكانت القراءة الأولى من العهد القديم أو من أحد أسفار العهد الجديد من غير الأناجيل، والقراءة الثانية كانت من أحد الأناجيل، وكانت القراءة الأولى تختار لبيان أن مجيء الرب يسوع سبق أن تنبأ عنه الأنبياء أو لتدعيم موضوع موجود في قراءة الإنجيل في ذلك اليوم. وبعد قراءة الإنجيل كان الكاهن يلقي عظة فيقول للشعب كيف يجب عليهم أن يطبقوا ما قد سمعوه على حياتهم كل يوم. وكان التناول من الأفخارستيا يتم بعد العظة، ثم يبارك الكاهن الشعب ويصرفهم إلى بيوتهم.

وفي العصور الوسطى، لم يكن الشخص العادي يستطيع القراءة، ولم يكن يسمع الكتاب المقدس إلا في الكنيسة، وحتى ذلك قَلّ بمرور الزمن. ومع أن الشعب في الكنيسة لعب دوراً كبيراً في العبادة في الأزمنة المبكرة، فإنهم حرموا من ذلك في العصور الوسطى، فبمرور الزمن قل الاهتمام بقراءة الكلمة، فقد ارتدى الكاهن ثياباً غريبة وقام بحركات طقسية (مأخوذة عن ثقافات أقدم) وردد معظم صلوات الخدمة لنفسه وظهره نحو الجمهور. ومما زاد الطين بلة، كانت كل الخدمة وكثيراً ما كانت العظة أيضاً تلقى باللاتينية، التي لم تعد لغة عامة الشعب. واستمر هذا الوضع إلى زمن الإصلاح عندما أصلح كل البروتستانت والكاثوليك خدمات العبادة، فجمعوا مرة أخرى بين كل الجماعة والكهنة في عبادة الله.

صورة من القرن الرابع من كتاب مصور يبين اجتماعاً في أثناء العبادة، مأخوذة عن تاريخ ملك انجلترا رتشارد الثاني.

صورة من كتاب إنجليزي من ١٤٣٥م. يبين جماعة من الرهبان في أثناء الخدمة



اَلْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ فِي الْمَسْرَحِ

أدان القادة المسيحيون الأوائل التمثيل وذلك لسبب وجيه، فقد كانت التمثيليات الرومانية في معظم الأحيان خليعة غير مهذبة مخلوطة بالدنس. وكان الناس الذين يتوقون للقصص المسلية التي تمجد القتل والزنا وغير ذلك من الموبقات كانوا يمكنهم أن يجدوا بغيتهم في المسرح الروماني.

وظل المسيحيون بعيدين، وعلى مدى قرون استبعدوا المسرح من الكنيسة، ولكن في القرن العاشر، بدأ المسرح يأخذ طريقه إلى الكنيسة تدريجياً، وكانت له نتائجه المدهشة في تنشيط الكنائس.

إضافة التمثيلية للكنيسة

كانت الكنيسة في حاجة لشيء ينهض الجموع الخاملة، قد كان الكثيرون من العابدين خاملين لأنهم لم يفهموا اللاتينية، ومع ذلك فقد سارت الكنيسة حسب التقليد بإقامة الطقوس مثل القداس، باللغة اللاتينية وما عمله الكهنة لتنشيط القداس كان فإن طقساً للشركة (يسمى أيضاً الأفخارستيا أو عشاء الرب) كان القصد منه أن يساعد المسيحيين على تذكر الثمن الفادح الذي دفعه الرب يسوع لخلاص البشرية. يبدو أنه كان البذرة الأولى للمسرح. فعندما كان الكاهن يرفع الخبز وكأس الخمر، اللذين يمثلان جسد المسيح المكسور ودمه المسفوك، كان الكثيرون يتأثرون جداً. ربما لم يكونوا قد فهموا الكلمات التي نطق بها الكاهن، ولكنهم فهموا أن المسيح تألم لأجلهم.

وبمرور الوقت أضافت الموسيقى إلى تمثيل الطقوس على جوقات المغنين والآلات الموسيقية مما يعزز خدمة العبادة. ومنذ بدايات القرن الخامس، خطت بعض الكنائس خطوة أخرى نحو التمثيل والمسرح فأصبحت تشمل مناظر حية لتصوير القصص الكتابية مثلما في ولادة أو موت الرب يسوع. فكان الناس يرتدون ثياباً معينة، ويقفون في هدوء وكأنهم في مشهد ولادة، بينما كان فريق الترنيم أو الكاهن يجري مراسم العبادة.

وتطورت هذه المشاهد إلى مسرحيات قصيرة. وأقدم مسرحية معروفة هي عن القيامة وقد حفظها الرهبان البندكتيون في انجلترا لاستخدامها في صباح يوم القيامة في أواخر القرن العاشر. وتظهر ترجمة المسرحية في النص المحفوظ، وما زال هناك أكثر من ٤٠٠ نسخة منها موجودة.

وكانت المسرحية باللغة اللاتينية مما يعني أن العابدين لم يكونوا يفهمون الحديث، ولكنهم كانوا يعرفون القصة التي ترويها. وكانوا يستطيعون متابعتها كما يتابع الناس الآن أوبرا تنشد بلغة أجنبية، وكان العابدون يتجاوبون بحماس شديد حتى ظهرت مسرحيات لأيام أخرى هامة في أيام الكنيسة مثل عيد الميلاد ويوم الخمسين (يوم أن ملأ الروح القدس التلاميذ). كما قدمت مسرحيات عن حياة الرب يسوع وشخصيات أخرى في الكتاب المقدس، وإن كانت أيضاً باللاتينية. ومع ذلك اشتهرت المسرحيات جدًا حتى إنها انتشرت في أكثر أجزاء أوربا. وقام الاكليروس بكل الأدوار، وكانت المسرحيات تُقدم عادة في الكنيسة. وبمرور الوقت، لم تعد الكنيسة تسع كل الشعب الذي كان يريد أن يشاهد المسرحيات، فانتقلت المسرحيات من الكنيسة إلى الساحات خارجها.

أول مسرحية كتابية

كان قبر يسوع الفارغ هو أول مسرحية كتابية معروفة، وقد حفظ الرهبان في وتشبستر في انجلترا هذه المسرحية القصيرة- بكاملها مع توجيهات المسرح في نحو ٩٦٥م. وإذا كانوا يمثلونها في صباح يوم القيامة، فكانوا يسمونها Quem Quaertis? وهي العبارة اللاتينية لأول عبارة من المسرحية: «من تطلبين؟» وإليك تلخيص لها:

عندما يتم ترديد الدرس الثالث، يستعد أربعة من الرهبان، فيتقدم واحد منهم يرتدي ثوباً طويلاً أبيض إلى المكان الذي يمثل القبر ويجلس في هدوء ممسكاً بغصن نخيل. وعندما يتم إنشاد الجواب الثالث، ليدخل الثلاثة الآخرون وهم يرتدون ثياباً ملونة بلا أكمام فوق ثياب بيضاء وهم يحملون مجامر مملوءة بخور متقد. ويجب أن يتقدموا إلى القبر مترددين وكأنهم يبحثون عن شيء. وكل هذا لتمثيل الملاك الذي كان جالساً في القبر عندما جاءت النساء بالحنوط لدهن جسد يسوع.

وعندما يرى الجالس الثلاثة الآخرين يقتربون، يبدأ في الغناء بصوت شجي لطيف: **من تطلبون في القبر يا أتباع المسيح؟** فيجيب الثلاثة بصوت واحد: **يسوع الناصري الذي صُلب، يا سكان السماء.**

ويقول ملاك للآخرين: **ليس هو ههنا. لقد قام كما قال. اذهبوا وقولوا للآخرين إنه قام من الأموات.**

فيدعو الملاك الثلاثة: **تعالوا وانظروا المكان.**

ويقف الملاك ويرفع الستار الذي كان يلف جسد يسوع، ليريهم أنه ليس هناك. وإذ يرى الثلاثة ذلك، يضعون مجامرهم في القبر، ويمسكون بالكتان ويرفعونه أمام المتقدم منهم (أحد الرهبان القادة) ليثبت أن الرب قد قام، ولم يعد ملفوفاً به.

ويرنم الثلاثة: **لقد قام الرب من القبر.**

عندئذ يضع الثلاثة الكتان على المذبح. ويبتهج المتقدم مع الثلاثة بأن يبدأ يرنم: **نحمدك يا الله!** وعندما يرنمون هذه الترنيمة، تدق كل أجراس الكنيسة مع أنغام الترنيمة.



وفي عصر شكسبير كانت الكنيسة تحدد يوماً في السنة لتقديم سلسلة من ٢٥ إلى خمسين مسرحيـــة مؤسسة على قصص الكتاب المقدس ويجرى تمثيلها على عوامات، وكل مسرحية كانت تُعرض عادة في عدة مواقع في كل المدينة. والمسرح الذي تجره الخيل في الصـورة المرافقـة من رسـم د. ڤان ألسوت (١٦١٥م.) وكـــان مسرحـاً لمسرحية الميلاد.

مسرحيات على عجلات

وفي القرن الرابع عشر ابتكرت الكنيسة فكرة بارعة لاستخدام المسرحيات لتعليم سكان المدن عن الكتاب المقدس بلغاتهم الخاصة. وكانت الكنيسة تحدد يوماً كل سنة لتمثيل سلسلة من المسرحيات يتم عرضها على عوَّامات عالية كن يمكن نقلها من مكان في المدينة إلى مكان آخر. وكان يوجد غالباً من ٢٥ إلى ٥٠ مسرحية تغطي قصص الكتاب مثل الخليقة، قتل قايين لهابيل، لدانيآل في جب الأسود، مولد الرب يسوع، ويوم الدينونة. وكانت تخصص مسرحية واحدة لكل عوامة، فكان سطح العوامة يستخدم كمسرح أما السطح السفلي فكان يغطى بستائر ويستخدم حجرة للملابس.

وكان المشاهدون يتجمعون في إحدى النقاط التي ترسو فيها العوامات مثل ميدان المدينة، ويشاهدون تمثيلية عقب الأخرى وكانت تقدم حسب ترتيب وجودها في الكتاب المقدس. وكانت المسرحيات ترتب بعناية لحفظ سريانها جاريا. وكان هذا هاماً بخاصة في يورك في انجلترا حيث كانت تعرض نحو ٥٧ مسرحية في يوم واحد، كل منها في اثني عشر موقعاً. وكانت التمثيليات كثيراً ما تعرض في الصيف عندما يطول النهار. ولكن المشاعل والمصابيح كانت تسمح باستمرار بعض المسرحيات في الليل.

ومجرد حجم المسرحيات كان يعني أن الكنيسة كانت في حاجة إلى عدد أكثر من الاكليروس للقيام بالتمثيل، وتكاليف المسرحيات أدت إلى قيام نقابات ترعى المسرحيات بالارتباط مع أعمالهم. ففي يورك قامت شركة من شركات بناء السفن بتقديم مسرحية عن نوح والفلك. وقد تخرج بعض النتائج عن دائرة التحكم فيها أحياناً، ففي مشهد الطوفان قد تُغرق المياه المشاهدين الذين لم يكونوا يعلمون أنهم في منطقة يتناثر إليها الماء، أو أن يتعرض المكان للحريق، أو أن الممثل الذي يقوم بدور المسيح يتعرض للأذى.

الجموع تتقاطر على المدينة

وكثيراً ما كانت تعرض المسرحيات في عيد «جسد المسيح» الذي كان يقع عادة في يونيو. فكانت الناس تأتي من كل ناحية بين القرى المجاورة ومن الريف وكذلك من المدن والأقطار البعيدة، فتصبح حالة عيد في أثناء ما أصبح أكثر أيام السنة انشغالاً وأكثرها كسباً. وقد جاء في سجلات إحدى المدن أن المسرحيات كانت لمجد الله بشدة ولفائدة المدينة واتساعها.

وفي أواخر القرن الخامس عشر يبدو أن المسرحيات كانت قد حققت الغرض منها، فالكثير منها أصبح مسلياً أكثر منه تعليمياً، وقد أضافوا أشياء ليست في الكتاب المقدس، مثل تمثيل الشيطان بذيل يُشد استهزاء به، بينما كانت الجموع تنفجر في الضحك. كما أن المسرحيات بدأت تركز أكثر على العذراء مريم والقديسين، وهو ما انتقده المصلحون البروتستانت باعتباره «وثنياً». ونتيجة لذلك أصبحت المسرحيات الكنسية نادرة جداً، وملأت المسرحيات العالمية الفراغ، مما أدى إلى ظهور أعظم كُتّاب المسرحيات على مدى العصور، وهو وليم شكسبير الذي بدأ كتابة مسرحياته في تلك اللحظة من التاريخ.

مسرحيات الآلام

مسرحيـات الآلام التي تعرض الآن التي تروي قصـة آلام الرب يسـوع وموته وقيامته ماهي إلا بقية من المسرحيات الكتابية التي اشتهرت في العصور الوسطى.

الكِتَابُ المُقَدَّسُ يَدْخُلُ إلَى الكُلِّيَّةِ

"إنني أؤمن لكي أفهم!"

أنسلم عالِم وقائد كنسي

(نحو ١٠٣٣– ١١٠٩م.)

فتحت الكنيسة الطريق للتعليم في العصور الوسطى وأسست الجامعات الأولى، لتعلم الطلبة كيف يستخدمون الكتاب المقدس لفهم العالم.

فقبل القرن الثاني عشر، كانت الطريق الوحيدة أمام أي شخص في أوربا الغربية لكي يحصل على تعليم رسمي، هو أن يحضر فصولاً في أديرة أو في المدارس الكنسية التي كان يقوم بالتدريس فيها الرهبان والكهنة. ولكن في أثناء ذلك القرن بالغ الأهمية، ظهرت نهضة في الإيمان والتعليم، ناتجة جزئياً لأن فترة غزوات الفايكنج وغيرهم قد حل محلها زمن من السلام والتجارة والنجاح. فكان أمام المتطلع إلى العالم الوقت والوسائل للدراسة وقد ساعدتهم الكنيسة بتوسيع نظامها التعليمي.

فكان في إمكان الأولاد تحت سن الثالثة – وكانوا في الغالب من الأولاد – أن يذهبوا إلى ما أصبح يُعرف باسم مدارس النحو، وهناك كانوا يدرسون النحو والرياضات وغيرها من العلوم الأساسية – والذين أرادوا مواصلة دراساتهم – وكانوا أساساً أولاداً ما بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة – كان هناك تعليم متقدم فيما أصبح يعرف بالجامعات التي قامت في المدن الكبرى. ومن أول الجامعات كانت جامعات باريس. مع جامعة اكسفورد في انجلترا، وبولونا في إيطاليا وحيث أن البداية كانت في كنيسة أو دير، فليس من المستغرب أن يعتبر علم اللاهوت أحد أهم العلوم التي تدرس في الجامعة. وكان الطلبة أيضاً يدرسون المنطق والخطابة وغيرها من العلوم. وبمرور الوقت أصبح في إمكان الطلبة أن يواصلوا الدراسة إلى الدكتوراة في القانون والطب واللاهوت مع اعتبار أن اللاهوت «ملك العلوم».

الديانة والعلم

قد يبدو غريباً أن يعتبر اللاهوت علماً، ولكنه كان أمراً مقبولاً تماماً عند الكهنة الذن كانوا يقومون بالتعليم فعلماء العصور الوسطى المسيحيون كانوا يطلبون العلم سواء جاء من العالم الطبيعي أو بوحي إلهي في الكتاب المقدس، ففي اعتبارهم لم يكن هناك فرق بين المقدس والدنيوي. فالله هو رب الكل. فأي شخص متعلم في ذلك العصر، كان يتدرب على التفكير بأساليب مسيحية وأن يرى العالم بعيون مسيحية.

ونبعت من هذا النوع من التفكير حركة سميث «السكولاستية». فكان الطلبة يُشجَّعون على طلب العلم والحق، ولكنهم كانوا يُشجَّعون على البحث خارج الكتاب المقدس والإيمان المسيحي، كان الإيمان والكتاب المقدس هامين، ولكنهما لم يكونا المصدرين الوحيدين. فبالإضافة إلى ذلك، كان عليهم أن يستخدموا قواهم العقلية التي منحها لهم الله.

ولعل أعظم تحدٍ واجهته السكولاستية، هو كيفية تناول استكشاف بعض أعمال أرسطو الكبرى، وهو فيلسوف يوناني اشتهر بأبحاثه العميقة في المنطق، ولكن أحياناً اصطدمت تعاليمه بالكتاب المقدس. وبشكل عام كان العلماء المسيحيون يستخدمون ما كان يبدو معقولاً لهم، وأسقطوا أي تعاليم لأرسطو كانت تتعارض مع الكتاب المقدس.

فمثلاً قال أرسطو إن الكون لا بداية له ولا نهاية، ولكن الكتاب المقدس يقول إن الله خلقه من لا شيء، ويوماً ما سيدمره ليصنع سماء جديدة وأرضاً جديدة. وأجاب توما الأكويني الذي كان يُعلِّم في باريس في خلال القرن الثاني عشر، بأن العقل وحده له حدوده وأن الإيمان هو الذي أدى به إلى قبول الكتاب المقدس. وقال توما الأكويني إن الإيمان والعقل يكمل أحدهما الآخر، فالاثنان ليسا متعارضين.

ومع ذلك كان لأرسطو تأثير كبير في السكولاستية. فكتابات الفيلسوف



صورة لمدرسة القديس توما الأكويني من عمل فرا أنجيلكو. كان القديس توما الأكويني (١٢٢٥– ١٢٧٤م.) فيلسوفاً إيطالياً ولاهوتياً، كان يُطلق عليه أحياناً أمير السكولاستية. وقد علَّم تلاميذه في جامعة باريس أن العقل والإيمان ليسا عدوين بل حليفين يمكن أن يقوداهم إلى الحق.

تقسيم الكتاب المقدس إلى أصحاحات وآيات

الكتب المقدسة الآن مقسمة إلى أصحاحات وآيات، ولكن هذا ليس الصورة التي كتبت عليها. فهذا التقسيم حدث بعد كتابتها بفترة طويلة، وحدث ذلك أساساً لمساعدة العلماء على العثور على الفصول التي كانوا يبحثون عنها.

وحدث التقسيم إلى أصحاحات في أوائل القرن الثاني عشر، عندما فعل ذلك محاضر في جامعة باريس اسمه ستيفن لانجتون الذي عُيِّن بعد ذلك رئيس أساقفة كانتربري، وأحد مؤلفي العهد الأعظم (الماجناكارتا)، لقد أنشأ بكل تأكيد أدة عظيمة لدراسة الكتاب المقدس. وخلال القرنين التاليين، بدأ آخرون في استخدام أسلوبه في نسخ جديدة من الكتاب المقدس في اللاتينية كما في لغات أخرى.

وفي خلال عقود قليلة، قُسِّمت الأصحاحات، ولكن باستخدام الحروف بدلاً من ترقيم الآيات. والأرجح أن نفس العالم الذي وضع أول فهرس أبجدي معروف للكتاب المقدس، وهو الكاردينال هوجو أسقف كنيسة سانت تشير في فرنسا، قد قسم غالبية الأصحاحات إلى سبعة أقسام ورقمها بالحروف من A إلى G. والأصحاحات القصيرة كما في بعض المزامير لم تستلزم استخدام كل الحروف السبعة.

وبدأ ترقيم الآيات في نحو ١٤٤٠م. عندما قام ربي (معلم) يهودي اسمه اسحق ناثان، بإضافتها إلى الكتاب المقدس اليهودي وهكذا استطاع أن يخرج فهرساً عبرياً. أما تقسيم العهد الجديد كما هو لدينا الآن فقد قام به عالم مسيحي اسمه روبرت استفانوس (أو روبرت أشتاين، اسمه في الفرنسية) الذي نشر في ١٥٥١م. نسخة يونانية ولاتينية للعهد الجديد. وبعد ذلك بأربع سنوات، نشر اشتاين أول كتاب مقدس كامل مقسم إلى أصحاحات وآيات.

ثور أخرس

لأن توما الأكويني كان رزيناً، كان الطلبة زملاؤه في الجامعة يسمونه «الثور الأخرس» ولكن أحد مدرسيه تنبأ قائلاً: إن هذا الثور سيملأ العالم في يوم من الأيام بخواره.

اليوناني عن المنطق وضعت بعض الطرق الأساسية للبحث السكولاستي، ولعل أهمها كان تمريناً مدرسياً يسمى أصول المنطق. كان الطلبة يستخدمون فيه الحوار كوسيلة للفصل بين الحق والخطأ، فمثلاً كان المدرس يثير سؤالاً لاهوتياً من أحد المصادر كالكتاب المقدس أو أحد الشروحات أو أمر بابوي. وكان الحوار الذي يعقب ذلك محاولة لإيجاد جواب مبني على العقل. فقد أعطى أرسطو السكولاستية الأدوات الفلسفية لاستخراج المقدس والدنيوي، بينما في نفس الوقت يفتح الباب لعالم جديد من الأسئلة.

العلماء يعملون

بهذا الاتجاه المنفتح نحو التعلم، بدأ العلماء التعمق بحثاً عن إجابات لأسئلتهم. وأصبح الانشغال بالترجمات اللاتينية فقط للكتاب المقدس يعتبر غير كاف، فأفضل العلماء أرادوا أن يقرأوا الكتاب المقدس في اللغة الأصلية: العبرية واليونانية، وما إن حل القرن الثالث عشر إلا وكانت كل الجامعات الكبرى فيها أقسام بها فصول لكلتا اللغتين.

كما بدأ أساتذة الجامعات يفحصون عدداً كبيراً من الكتب لإلقاء الضوء على الكتاب المقدس، والشروحات على بعض الكتب المنتخبة عن الكتاب المقدس، والأطالس والأبحاث عن نباتات وحيوانات بلاد الكتاب المقدس.. وفي ١٢٣٠م. أصدر أحد العلماء أول فهرس معروف للكتاب المقدس اللاتيني. والفهرس هو قائمة بالكلمات في الكتاب المقدس مرتبة ترتيباً أبجدياً، وأين يمكن وجودها. كان هذا أمراً مساعداً بخاصة للعلماء الذين كانوا يدرسون بعض المواضيع الكتابية، مثل «الدنيوية» والذين كانوا يريدون قراءة كل فصول الكتاب المقدس التي تظهر فيها الكلمة.

وكان من أهم هذه الكتب هو كتاب الأكويني «ملخص علم اللاهوت» (١٢٦٧- ١٢٧٣م.) وهو كتاب من ثلاثة أجزاء عن الله والحياة الأدبية للبشر والمسيح، وفي هذه المحاولة الخالدة، وضع اللاهوتي الإيطالي قاعدة عقلانية للأسرار في الكتاب المقدس، مبيناً أن الإيمان والعقل طريقان متكاملان لفهم العالم. ونظراته المتعمقة تعد نماذج تهدي كثيرين من العلماء المسيحيين حتى اليوم. ولكن الجزء الثالث من مؤلفه هذا لم يكتمل. وقال الأكويني بعد اختبار روحي: كل ما كتبته إنما هو كقشة بجانب الأشياء التي أعلنت لي. ولم يكتب شيئاً أكثر.



فرنسيس: إنجيل حي

مشهد الميلاد عند فرنسس

في مدينة جريشيو في ١٢٢٣، ثم في ١٢٢٤م. أقام فرنسيس مذوداً في أثناء قداس نصف الليل ليمثل مولد الرب يسوع كما هو موصوف في إنجيلي متى ولوقا ورجا بهذه الطريقة أن يبين المحبة التي عند الله لنا جميعاً بأن يصبح طفلاً ضعيفاً واستمر تقليد مشهد ولادة الرب يسوع ومازال مستمراً حتى

لم تكن الكنيسة في أفضل حالاتها في ختام القرن الثاني عشر، بل كانت في الواقع في حالة أدبية يرثى لها، فالكهنة الذين نذروا التبتل كانوا يعيشون جهاراً مع نساء، وآخرون كانوا يتنافسون على مراكز القوة في الكنيسة ويدفعون الرشوة للحصول عليها. وكان الأساقفة يعيشون في قصور تحيط بها مظاهر الثراء، فلم يكن شيء من قيم الإنجيل ظاهراً. وكان أفراد قليلون يدعون للإصلاح، ولكن سرعان ما خفتت أصواتهم. وفي هذا الجو قام رجل بسيط هو فرنسيس الأسيسي بمفرده بمحاولة إصلاح الكنيسة بقوة مثاله لا غير.

شاب متدين

ولد فرنسيس برزدون في أسيسي، في أومريا (في وسط إيطاليا) في ١١٨٢م. وكان أبوه بيترو تاجر ملابس غنياً كان يرجو أن يواصل فرنسيس القيام بنفس التجارة. وعندما أصبح في سن مناسبة أخذه أبوه بيترو في رحلاته السنوية إلى تشامبان وبروڤنس في فرنسا لاستحضار بضاعة لبيعها في أسيسي. وفي بروڤنتس أغرم فرنسيس بأغاني التروبادور، التي تروي قصص الفرسان في دروع لامعة والسيدات اللواتي أحبوهن... وأثبت فرنسيس أنه رجل أعمال ضعيف لأنه كان ممتلئاً بالأحلام أن يصبح هو نفسه فارساً، ولأنه أصبح المركز الذي تلتف حوله مجموعة من الشباب الذين كرسوا نفوسهم للحفلات وكان يمولهم فرنسيس.

وفي ١٢٠٢م. ذهب فرنسيس إلى الحرب في المدينة المجاورة، مدينة بروجيا. ولكنه وقع في الأسر وصرف سنة في السجن. وعندما أطلق سراحه كان مريضاً جداً، ولكن ما أن استرد صحته حتى عاد إلى حياته حياة الحفلات والعبث. ثم في ١٢٠٤م. كانت له فرصة أن يحارب في جيش البابا في أبوليو، وجهز فرنسيس نفسه بنبلة من الدروع بالغة الأناقة جعلت رفقاءه يبتسمون ولكن في أول ليلة بعيداً عن أسيسي، حلم فرنسيس حلماً غريباً، قيل له فيه أن يخدم السيد لا الخادم. فاضطرب وعاد إلى أسيسي حيث عاش حياة أكثر صرامة.

وفي العام التالي حين كان يصلي في كنيسة سان دامبانو، جاءه صوت من الصليب يقول: «رمم بيتي» ففي البداية أخذ فرنسيس الرسالة حرفياً، فاشترى المواد وبدأ في ترميم الكنيسة. ولكنه لأنه كان قد باع بعض أقمشة أبيه لتمويل الترميمات، غضب بيترو، وإذ لم يستطع فرنسيس أن يهدئ غضبه خلع فرنسيس ثيابه ووقف عارياً في الميدان العام، وأنكر أباه الأرضي لأجل أبيه السماوي وبدأ يحيا حياة الفقر المدقع.

فرح كامل

كان فرنسيس يؤمن بالضحك والأغاني، وكان دائماً فرحاً حتى في وقت موته. ولكن هذه الفكرة عن الفرح ذهبت إلى أبعد مما يفتكره غالبية الناس، لأن فرح فرنسيس الكامل كاد أن يكون مثل يسوع. وعندما ناقش هذه الفكرة مع الأخ ليو في إحدى الليالي وهما على الطريق، قال فرنسيس إنه حتى وإن كان كل أخوته كاملين، فلن يكون هذا فرحاً كاملاً. على أية حال قال فرنسيس: إذا وصل هو وليو إلى البيت في هذا الليل العاصف البارد الذي يتهاطل فيه الثلج، ورفض البواب أن يفتح لهما قائلاً لهما إنهما محتالان ولصوص لصندوق الفقراء، فإذا قبلا هذا بدون شكوى، فسيكون هذا فرحاً كاملاً.. وإذا أُجبروا على البقاء في الخارج كل الليل يعانيان من الجوع، ومع ذلك لم يشكوا، فسيكون هذا فرحاً كاملاً. وإذا أصرا وقرعا على الباب مرة أخرى ولم يشكوا، فسبهما البواب وصفعهما أو قال لهما أن يذهبا إلى المستشفى، وظلا مبتهجين ومتضعين، فسيكون هذا فرحاً كاملاً. وإذا أسيء إليهما أكثر من هذا، وقبلا كل شيء بتفكيرهم في آلام المسيح، فسيكون هذا فرحاً كاملاً فبالنسبة لفرنسيس كان مثل هذا الرفض من إخوته شبيهاً برفض المسيح من تلاميذه في الليل السابقة لموته. فإن تعرضه للرفض مثلما رُفِضَ الرب يسوع، فهذا معناه أنه أصبح مثل يسوع، وهذا هو الفرح الكامل.

وبالنسبة لفرنسيس أصبحت السيدة المحبوبة في أغاني التوربادور، التي كان ما زال يحبها، هي السيدة فقر.

مسيح ثانٍ

كان يسوع كما تصوره الأناجيل، هو كل شيء لفرنسيس، وبذل فرنسيس كل ما يستطيع ليحاكيه. كان فرنسيس متأثراً بشكل خاص بما قاله الرب يسوع للشاب الغني: «إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء وتعال اتبعني» (مت ١٩: ٢١). ورفض فرنسيس أن يحتفظ بأي ممتلكات شخصية، فكان يتجول حافياً، ولا يلبس سوى رداء خشن بسيط، وكان يتسول فضلات الطعام في الشوارع. وفي البداية كان الناس يهزأون به، ولكن بعد ذلك اكتسب احترامهم حيث أبدى قداسة في كل ما كان يفعله.

وسرعان ما جذب حوله أتباعاً، وعندما أصبح هناك ١٢ منهم، أطلق عليهم فرنسيس الإخوة الأصاغر وكتب لهم قاعدة على أساس الأناجيل. ثم سافر إلى روما وطلب من البابا انسنت الثالث موافقته فرفض أولاً، ولكن سرعان ما أسره فرنسيس تماماً، فوافق أخيراً على القاعدة.

وانتشرت شهرته كالنار في الهشيم، وانضم إلى نظامه المئات ثم الآلاف من الرجال. وفي ١٢٠٩م. أسس فرنسيس نظاماً ثانياً للنساء مع كلير وهي شابة من أسيسي، ونجح هذا النظام وأصبح يُعرف بالكليرات الفقيرات. وأخيراً في نحو ١٢٢١م. كتب فرنسيس قاعدة لنظام ثالث من الرجال والنساء من العلمانيين، ممن لم يكونوا يستطيعون أن يتركوا عائلاتهم ليعيشوا في حياة مشتركة. وأصبح هذا النظام واسع الشهرة جداً بل وضم ملوكاً وملكات في أعضائه ولأن أعضاء هذا النظام الثالث رفضوا الذهاب إلى الحرب، فقد ساعدوا على تآكل سلطة أمراء العصور الوسطى مما أدى إلى سقوط النظام الإقطاعي.

وإذ كان فرنسيس يضع الإنجيل دائماً نصب عينيه، إرتحل مسافات طويلة وهو مسرور، ليبشر بمحبة يسوع ومحبة الواحد للآخر، بل لقد ارتحل إلى مصر في أثناء الحملة الصليبية الخامسة في محاولة لهداية السلطان الذي أطلقه بلطف سالماً دون أي أذى. لقد شابه فرنسيس الرب يسوع إلى حد بعيد حتى كما نراه في الأناجيل حتى أصبح يُعرف باسم «المسيح الآخر»، ولم يكن من الممكن تجاهل تعاليمه ومثاله حتى من الكهنة الفاسدين الذين أجبروا على أن يُصلحوا طرقهم وهكذا يصلحون الكنيسة. كان فرنسيس يريد أن يشعر بكل شيء تألم به الرب يسوع. ويوما ما في ١٢٢٤م. بينما كان يصلي ظهرت جروح الرب يسوع المصلوب، على جسده. وقد احتمل بفرح ألم هذه الجروح حتى مماته.

كان فرنسيس مُغرماً جداً بالطبيعة وبكل شيء خلقه الله. وهو اشتهر بتبشيره للطيور، ويعرف عنه أنه استأنس حيوانات مفترسة.

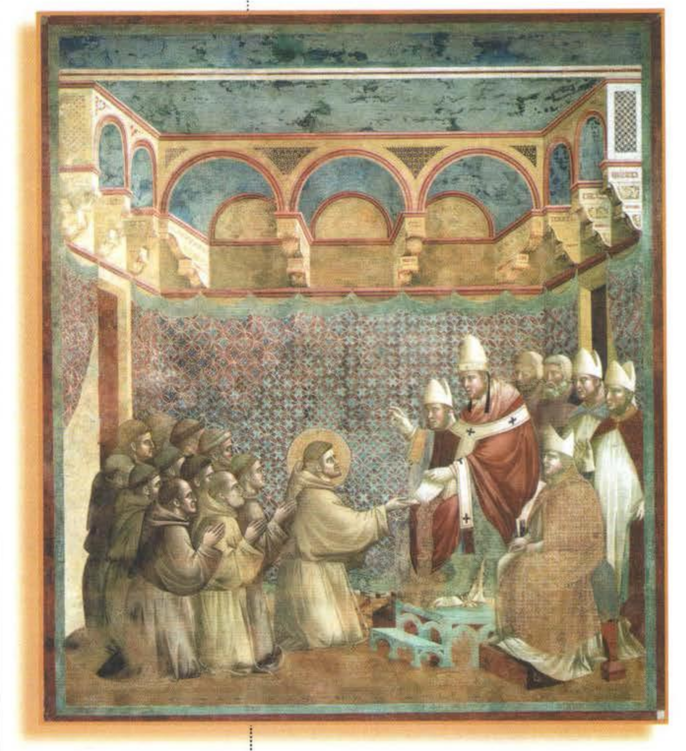
ويقال إنه في يوم من الأيام نقل دودة من وسط طريق حتى لا تسحقها الأقدام، في السنوات الأخيرة من حياته.. كتب فرنسيس ترنيمة حمد لأجل كل خلائق الله. وأقنع رهبانه أن يرنموها عندما يخرجون للتبشير.

هذا النشيد «للأخ شمس» يرى ويمدح كل عناصر الطبيعة كإخوة وأخوات لفرنسيس. وبعد ذلك بقليل، قبل مماته، أضاف إليها عدداً يرحب «بأخته الموت» ليكن لك كل المديح يا سيدي، من خلال الأخت الموت، الذي من أحضانها لا يمكن لكائن فان أن يهرب.

ويل للذين يموتون في خطية مميتة.
وسعداء أولئك الذين تجدهم يفعلون مشيئتك!
فالموت الثاني لا يستطيع أن يؤذيهم.
احمدوا وباركوا ربي وقدموا له التشكرات
اخدموه بتواضع عظيم.

وتوفي فرنسيس في ٣ أكتوبر ١٢٢٦م. وهو محاط بأتباعه.

"عندما أعطاني الله بعض الإخوة الرهبان، لم يكن هناك أحد ليقول لي ماذا علي أن أفعل، ولكن العلي نفسه جعل من الواضح جدًّا لي أن عليّ أن أحيا حياة الإنجيل".
فرنسيس الأسيسي



صورة للبابا إنسنت الثالث يوافق على القاعدة الفرنسسكانية بريشة جيتو دي بوندور (نحو ١٢٦٧ - ١٣٣٧ م.)

حُمَّى آخِرِ الزَّمَانِ

صورة تنين له سبعة رؤوس من كتاب صور بريشة يواقيم من فيور، وهو راهب إيطالي من القرن الثاني عشر تنبأ بأن النهاية قريبة وقال إن الوحش في (رؤ ١٢) ١٢ يمثل سبعة من القادة، وكان يعتقد أن القرن السادس يمثل القائد صلاح الدين الذي استولى على أورشليم، وأن ضد المسيح سيكون القرن السابع.

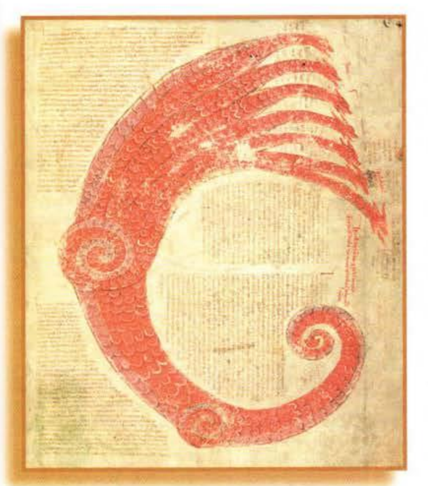
في العصور الوسطى، كان الاعتقاد بأن نهاية العالم قد اقتربت، إذ كان هذا ما قاله عدد متزايد من الرهبان والكهنة بدأ مع أواخر أيام الألف سنة الأولى، واستمر على مدى عدة قرون بعد ذلك، وقد أدى هذا إلى إحساس متزايد بالقلق بين الجماهير، وإلى انتشار اضطهاد اليهود الذين كان بعض المسيحيين يظنون أنهم سيكونون جنوداً لضد المسيح، وتحمساً للحملات الصليبية التي كانت تهدف إلى إعادة الاستيلاء على الأراضي المقدسة والحرب بين الأغنياء والفقراء في محاولة لإقامة ملكوت إلهي على الأرض.

ولتأييد دعاواهم، استخدم رجال الدين علم التنجيم بحجة أن الكتاب المقدس يقول إنه في الأيام الأخيرة ستكون علامات في السموات (أع ٢: ١٩). وأشار آخرون إلى الكوارث على الأرض التي يتنبأ عنها الكتاب المقدس حروب وزلازل وأوبئة مثل الموت الأسود، وهو الطاعون الذي بدأ في القرن الرابع عشر، ويقدر عدد من قتلهم بنحو ثلث الأوربيين الغربيين.

وكثيرون من رجال الدين عكسوا التقليد الكنسي قديم العهد في تفسير الأسفار الرؤوية في الكتاب المقدس، مثل سفري الرؤيا ودانيآل، ففسروها رمزياً عوضاً عن تفسيرها حرفياً. وفي القرن الرابع استطاع أوغسطينوس أن يحول الكنيسة عن انشغالها بالتفسير الحرفي للرؤيا باقناع القادة بأن النبوات كانت طريقة مجازية لتصوير الصراع الروحي الذي نواجهه جميعاً بين الخير والشر. ولكن عدداً متزايداً من قادة الكنيسة في العصور الوسطى لم يوافق علي ذلك.

راهب له رؤيا

ولعل الشخص الوحيد الذي رفع أكثر من أي شخص آخر حُمَّى الرؤى، كان راهباً إيطالياً اسمه يواقيم من فيور (نحو ١١٣٢م. - ١٢٠٢م.) فبعد اجتهاد لمدة شهور عديدة في محاولة لفهم سفر الرؤيا، قال إنه استيقظ في صباح يوم أحد عيد القيامة ببصيرة روحية. وقال إن تاريخ العالم يقع في ثلاث حقب متداخلة، حقبة لكل أقنوم من أقانيم اللاهوت تبلغ ٤٢ جيلاً. وكان العهد القديم هو زمن الآب، وكان العهد الجديد هو زمن الابن، وهو زمن أعلن فيه الكثير من حكمة الله التي كانت مخبوءة.. ومع ذلك فالزمن الآتي هو حقبة اليوتوبيا (المثالية) حقبة الروح



القدس، التي قال عنها يواقيم إنها ستبدأ ما بين ١٢٠٠، ١٢٦٠م. وتنتهي بمجيء ضد المسيح.

وقال يواقيم إن التنين ذا السبعة الرؤوس المذكور في (رؤ ١٢) يمثل سبعة قادة. وقال إن صلاح الدين الذي استولى على أورشليم من الصليبيين في ١١٨٧م. هو الرأس السادس، وأن ضد المسيح سيكون السابع، ومع أن يواقيم عاش وحيداً في دير فوق قمة جبل، أصبح هو المشير النبوي للباباوات في العقدين الأخيرين من حياته. وقد توقف رتشارد قلب الأسد ملك انجلترا، وهو في طريقه لمحاولة الاستيلاء على أورشليم من يد صلاح الدين، ليسأل يواقيم عما يمكن أن يحدث. وتقول إحدى الروايات إن يواقيم تنبأ بالانتصار، ولكن بعض العلماء يقولون إن يواقيم كان على الأرجح غامضاً في كلامه بدرجة تسمح بالفشل الذي حدث. فقد حارب رتشارد صلاح الدين دون الوصول إلى نتيجة حاسمة مما اضطره لعقد هدنة ظلت بها أورشليم في يد المسلمين.

تصوير اليهود بأنهم أضداد للمسيح

كثيراً ما كان يُصوَّر اليهود على أنهم شعب مضاد للمسيح وبأنهم أضداد للمسيح بالمعنى الأوسع، مما جعلهم منطقياً حلفاء لضد المسيح الآتي، وأعداء طبيعيين للمسيحيين المتمسكين بسفر الرؤيا. ونتيجة لذلك، كثيراً ما كان اليهود يتعرضون للاضطهاد، بل وكثيراً ما طُردوا من أقطار مختلفة بما فيها أسبانيا وألمانيا.

كتاب مصور لراهبة عن نهاية الزمان

في منتصف القرن الثاني عشر كتبت راهبة ألمانية اسمها هلدجارد من بنين، كتاباً مصوراً تصويراً جميلاً عن مناظر آخر الزمان، قالت إنه وصلها وهي في عمر ٤٢ سنة وعنوانه «سكفياس» ومعناها «اعرف طريق الرب» ويغطي الكتاب التاريخ المقدس من الخليقة إلى نهاية الأزمنة. وإحدى أشهر صور الكتاب تصور مولد ضد المسيح على شكل رأس بشع للكنيسة. وفي نفس الصورة، وضع نفس هذا الرأس بين ساقي شخص ملكي يطفو فوق الأرض، لتصوير الاعتقاد بأن ضد المسيح سيحاول إثبات ألوهيته بالصعود إلى السماء.

ضد المسيح في سنة ١٠٠٠م.

في نهاية الألف السنة المسيحية الأولى، في نحو ٩٥٠م. طلبت الملكة جربرا ملكة فرنسا من راهب فرنسي اسمه أدسو أن يعطيها تفاصيل عن ضد المسيح. وإليك هنا مقتطفات من خطابه رداً على ذلك، وقد لخص الكثير من المعتقدات الشائعة:

سيولد ضد المسيح من الشعب اليهودي

ففي بداية الحمل به، سيدخل الشيطان رحم أمه .. مثلما حل الروح القدس على أم ربنا يسوع المسيح.

سيكون لضد المسيح سحرته ومشعوذوه وعرافوه وساحراته، الذين بأمر من الشيطان سيرفعونه ويعلمونه كل شر وهرطقة وحرفة شريرة.

سيأتي إلى أورشليم وسيذبح، بوسائل تعذيب متنوعة، كل المسيحيين الذين لا يستطيع أن يحولهم عن المسيحية. وسيهاجم الأماكن التي سار فيها الرب يسوع المسيح.

وسيعطي الذين يؤمنون به ثروات ضخمة. والذين لا يستطيع أن يغريهم بالهدايا، سيغلب عليهم بالرعب، والذين لا يستطيع أن يتغلب عليهم بالرعب سيخدعهم بالعلامات والمعجزات. والذين لا يستطيع خداعهم بالمعجزات، سيعذبهم بقسوة وسيقتلهم. وسيختن نفسه ويقول لليهود، أنا هو المسيح الموعود به لكم، وفي ذلك الوقت سيتقاطر اليهود إليه، على اعتقاد أنهم يقبلون الله، بينما هم في الحقيقة يقبلون الشيطان.

وسيُقتَل ضد المسيح هذا على جبل الزيتون في خيمته وعلى عرشه.

وبعد أن يُقتَل ضد المسيح، لن تحدث الدينونة فوراً، فسيمنح الرب المؤمنين السابقين، أربعين يوماً للتوبة. لأنهم قد ضلوا بفعل ضد المسيح.

تفصيل نهاية الجنس البشري بريشة لوقا سجنوريللي (نحو ١٤٤١ - ١٥٧٣م.) من لوحة جصية من كاتدرائية أوفيتو في إيطاليا.



صورة لمعركة بالقرب من ليجنتز هزم فيها المغول الفرسان البولنديين والألمان، مما جعل كثيرين من المسيحيين يخشون أن جوج وماجوج المذكورين في سفر الرؤيا قد جاءوا. نقشها ماثياوس مريان (١٦٣٠م.)

وقد اضطهد اليهود اضطهاداً كاسحاً في فرنكفورت في ١٢٤١م. وهي السنة التي غزا فيها المغول أوربا الشرقية. وفي أثناء انتشار الوباء الأسود (الطاعون)، أُتهم اليهود بأنهم سمموا المياه، فقُتِل منهم أعداد كبيرة.

ولم يقتصر العنف من المسيحيين ضد اليهود والمسلمين، بل في بعض الأحيان حارب المسيحيون مسيحيين مثلهم، فمثلاً في أثناء ثورة الفلاحين على الأغنياء في انجلترا في ١٣٨١م. وفي ألمانيا بعد ذلك بنحو ١٥٠ سنة، كان أحد قادة الثورة الألمانية، خادماً اسمه توماس مُنذر (أو مُنتذر)، وقد أقنع الكثيرين من الفلاحين بأن الأغنياء هم الأشرار الذي تنبأ عن هلاكهم سفر الرؤيا، وأنه من الممكن خلق مجتمع صالح - أي سماء على الأرض.



توماس منذر (١٤٩٠- ١٥٢٥م.) وهو خادم قاد الفلاحين في ثورة كارثية. نقش ملون من ١٦٠٨م. بريشة كريستوفر ڤان سيكم.

وفي معركة حاسمة في فرانكين هاوزن في ١٥ مايو ١٥٢٥م. اجتمع نحو ٨٠٠٠ فلاح غير مسلحين جيداً، على سفح جبل خارج إحدى المدن واصطفوا ضد جيش متحالف من عدة أمراء ألمان. وقبل بدء المعركة، ألقى مُنذر خطاباً حماسياً، مؤكداً لقومه بأن المسيح سيتدخل، وأن الناس سيمسكون بالرصاص وقنابل المدافع في أكمامهم. وتقول إحدى الروايات إن الأمراء حاولوا أن يتفاوضوا للخروج من المعركة، ولكن ظهر قوس قزح في الجو، مما أثار الفلاحين، إذ كان علم منذر كان عليه قوس قزح، الذي كان علامة الوعد الذي أعطاه الله لنوح، مما جعل الفرسان يشنون هجومهم فذبحوا ٥٠٠٠ من الفلاحين. ووجد منذر مختبئاً تحت فراش، وأخيراً قطعت رأسه.

"الآن هو وقت الحصاد. وقد عينني الله لهذه المهمة. لقد حددت منجلي"
(توماس منذر)

الرعب في نصف الليل

في ٣١ ديسمبر ٩٩٩م. نهاية الألف سنة الأولى من التاريخ المسيحي، ارتعب جمع حاشد من الحجاج في كنيسة القديس بطرس في روما، عندما رأس البابا سلفستر الثاني، ما كان يرى الكثيرون أنه آخر قداس قبل نهاية العالم.

اَلْكِتَابُ اُلْمُقَدَّسُ لِمَلِك

لم يكن (*Bible moralisée*) مجرد هدية تليق بملك، بل كان مُعدًّا لملك. فهذا الكتاب المقدس الفاخر كان كتاباً فخماً من الفصول الكتابية وتفسيره ومزين بنحو ٥٠٠٠ صورة. وكل صفحة كان بها زخرفة ذهبية. والكتاب الأصلي، الذي نسخت منه صور أشخاص ملكيين آخرين، الأرجح أنه كـــان قد كتب فيمـا بين ١٢٢٦م. -١٢٤٠م. وأُهدي للملك لويس التاسع، ملك فرنسا الصغير، فقد كان لويس كاثوليكياً مخلصاً لذلك فلابد أنه قد رحب بالهدية. وفي الواقع كان شخصاً روحانياً جدًّا حتى أنه أُعلِن قديساً بعد موته. وفي أثناء حياته كان عضواً في النظام الثالث للقديس فرنسيس، وبعد الموت أصبح القديس الشفيع للنظام. وكان القصد من الكتاب هو التعليم، ولابد أن لويس كان تلميذاً نابهاً.

تصميم الكتاب

كل صفحة من صفحات الكتاب المذهبة، كانت على نفس النمط، فهي تمثل أربعة فصول من الكتاب المقدس (أو الأبوكريفا) بما في ذلك النص وتعليق موجز. وكلا النص الكتابي والتعليق مزينة بصور موضوعة في أطر دائرية. وكل هذا مرتب في عمودين. ويظهر الفصل الكتابي الأول في الركن الأعلى الشمالي من الصفحة مع الصورة المرافقة إلى يمينه. والتعليق على الفصل والصورة المرافقة يظهران تحته مباشرة. وفصل ثان مع التعليق عليه وصورة تملأ نهاية العمود الأول ويحتوي العمود الأيمن على فصلين كتابيين آخرين مع التعليق عليهما والصور المرافقة بنفس الترتيب كما في العمود الأول.

طبيعة التعليقات

وطبيعة التعليقات والصور المرافقة لها، هي ما يجعل هذا الكتاب المقدس (*Bible moralisée*) الموجه أخلاقياً فريداً في زمانه. وبعامة كانت التعليقات في العصور الوسطى، كانت نصوص العهد القديم تُربط بنصوص العهد الجديد لبيان كيف أن العهد الجديد يتمم العهد القديم. وكثيراً ما تبرهن أن النبوات تنبأت عن مجيء الرب يسوع أو عن حادثة في حياته. وفي مرات أخرى نرى الشخصيات أو القصص على أنها صور سابقة أو رموز للرب يسوع أو أقواله أو أفعاله. مثلاً استعداد إبراهيم للتضحية بابنه إسحق، نراه رمزاً لاستعداد الله الآب أن يجعل الرب يسوع يموت لأجل خطايانا. التعليقات في الكتاب المقدس الموجه أخلاقياً من الجانب الآخر، تتجاهل أي موازيات من العهد الجديد، وتفسر الكتاب المقدس بناء على الأزمنة

كتاب مصور أكثر تواضعاً

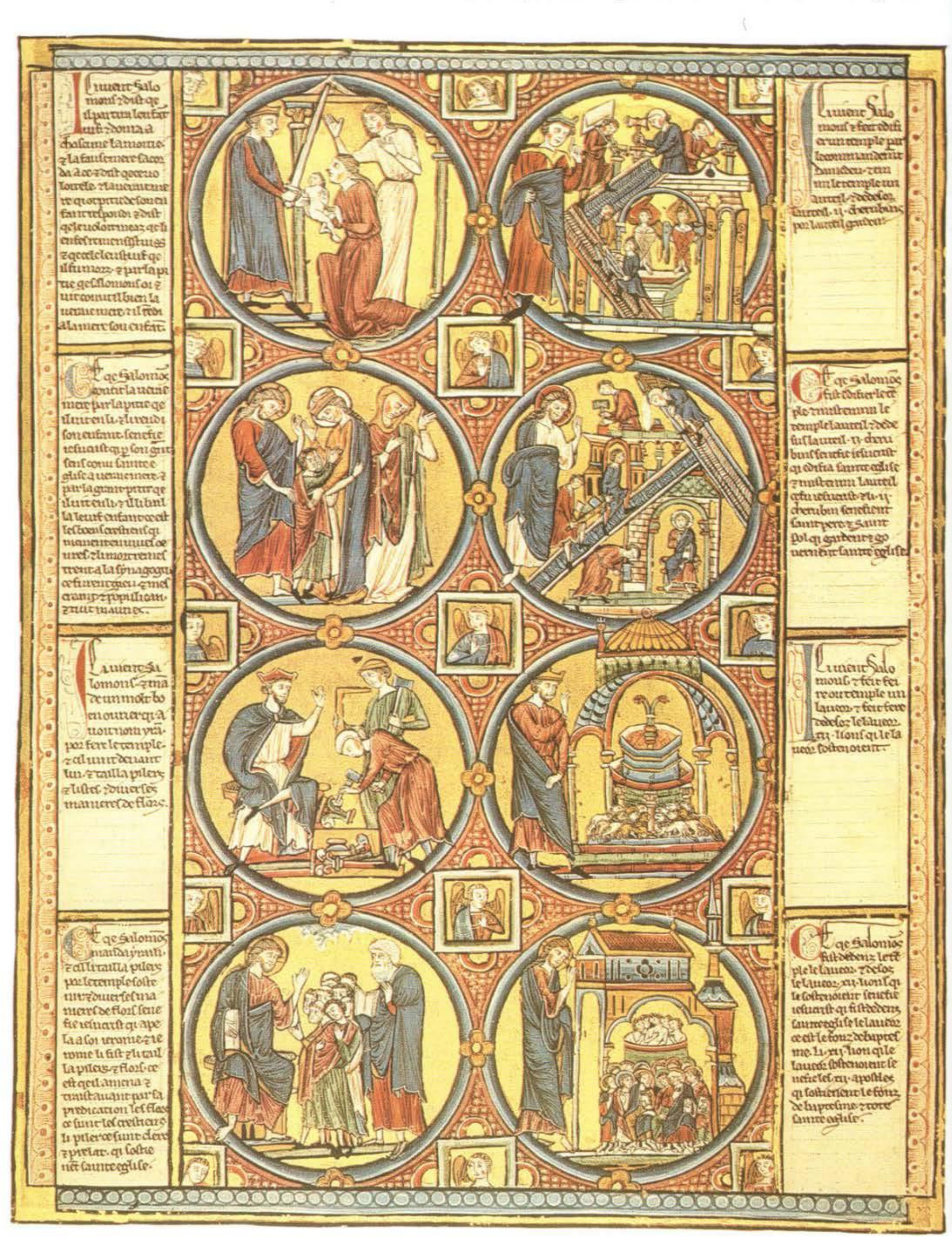
لم يكن الملوك هم فقط المسيحيين الذين لهم كتب مقدسة مصورة، فقد كان هناك كتاب أبسط جداً وبه صور كتابية لتعليم الآداب المسيحية، هو «مرآة الخلاص البشري»، في اللغة اللاتينية (*Speculum humanae Salvationis*) والأرجح أنه من عمل لودلف السكسوني في أوائل القرن الرابع عشر، وكل فصل من فصول الكتاب وهي أكثر من أربعين فصلاً تصور مشهداً واحداً من العهد الجديد، ومعها ثلاثة مشاهد تتنبأ أو تؤدي إلى حادثة من العهد الجديد. وعلى خلاف الكتب المقدسة المصورة الأخرى، التي تجمع ما بين مناظر العهد الجديد ومناظر العهد القديم أو (في حالة الكتاب *Bible moralisée*) مع مشاهد معاصرة فإن كتاب «مرآة الخلاص البشري» يستخدم أيضاً مشاهد من التاريخ والأسطورة – سواء مسيحية أو وثنية – ومثال لهذه الأحداث التي من خارج الكتاب المقدس، هو موت كوبرس آخر ملوك أثينا، الذي تجاوبا مع نبوة أحد الأنبياء الوثنيين، ضحى بنفسه لكي ينقذ شعبه من الهزيمة أمام الدوريين، توقعاً لموت الرب يسوع على الصليب من أجل خطايا الجميع. والنقطة الجوهرية في «مرآة الخلاص البشري»، هي أن كل التاريخ يعلن خطة الله للبشرية.

إغراء اليهودية

مع أن الكثيرين من الأشرار المصورين في (*Bible moralisée*) إلا أن عـدداً كبيراً يبدو أنهم يهود إذ تظهر صورهم باللحى والقبعات المستدقة الرأس. ويبدو أن التوجه لهذا الكتاب يدل على أن الأساليب والثقافة اليهودية كانت جذابة عند المسيحيين، ولذلك فهي خطيرة إذ تجذبهم بعيداً عن إيمانهم بالمسيح. ولعل تفوق عدد الأشرار من اليهود في الكتاب قد زادت من معاداة السامية مما قلل من المستوى الأخلاقي لهذا الكتاب.

في الصفحة المقابلة: غـلاف ذهبـي مـن (Bible moradissée)، والذي أُنجز بين عامي (١٢٢٦ - ١٢٤٠). وما جعله مستفرداً في ذلك الوقت أن كل مقطع من مقاطع الكتاب الأربعة في هذه الصفحة كان يوجد بأسفله تعليق مرتبط بالحياة المعاصرة في العصور الوسطى، وكل الفقرات والتعليقات كانت مزينة من اليسار واليمين.

المعاصرة، وبدلاً من التركيز فقط على العصور الكتابية، فإنهم يبرزون كيف أن الكتاب المقدس، يصور مقدماً ما يحيط بهم (العصور الوسطى) من الأحوال الاجتماعية، وهكذا يعطي تعليمات أدبية وثيقة الصلة بعصر القارئ. ويستكملون هذا باستخدام المجاز، فتستخدم شخصيات العهد القديم أو الأوضاع في العهد القديم، لبيان كيف أن رجال ونساء العصور الوسطى يتممون أو يهملون واجباتهم المسيحية.



كُتُبٌ مَطْبُوعَةٌ مِنْ كُتَلٍ خَشَبِيَّةٍ

قبل أن تطبع الكتب بقوالب متحركة، كانت تطبع في قوالب غير متحركة، إذ كانت تنحت في حجم الصفحة في كتل من خشب جيد. وكانت الكلمات والصور تنحت بعناية في الخشب، وكانت تستخدم كقالب لانتاج مجلدات تسمى «كتب الكتل»

كثيراً ما بدأت العملية بفنان رسم الصور وكتب النص بيده، ثم كان هذا يُعطي لقاطع مسئول عن حفر الكلمات والصور في الكتل الخشبية المستوية. وكانت كل صفحة من الكتاب يجب أن تحفر في كتلة منفصلة.

ثم بعد ذلك كانت الكتلة تُدهن الحبر وتُغطى بصفحة من الورق، فعندما تلامس السطور البارزة على الخشبة إلى الورقة، ينتقل الرسم الذي على الخشبة إلى الورقة. ولكي يتأكد من أن الصفحة قد انتقلت بكاملها، كان يدلك وجه الورقة بأداة للصقل مستديرة التي كثيراً ما كانت تبدو كملعقة. وطريقة أخرى أن يستخدم آلة ضاغطة تضغط الخشبة والورقة معاً.

ولم يكن العامل يستطيع أن يرفع الصفحة ويضع صورة أخرى على الظهر دون أن يفسد الصورة الأمامية. لذلك كان عمال الطباعة يلصقون صفحتين معاً بالغراء حتى لا يكون هناك جانب على بياض، أو يجلدون الكتب والصفحات البيضاء متجاورة جنباً إلى جنب، وهكذا يجد القاريء صفحتين مطبوعتين وبعدهما صفحتين على بياض وكانت الصور تشبه الرسومات من أسود وأبيض، ولكن في أحيان كثيرة كانت تُلَّون بعد ذلك باليد لتجعل الكتب أكثر جاذبية.

تقدير قليل وأجر كبير

الفنانون الموهوبون الذين نحتوا الصور في الكتل الخشبية لم ينالوا عادة يستحقونه من تقدير، فقد ذهب الكثير من التقدير إلى الفنان الذي رسم الصور أولاً، أما قاطعوا الأخشاب فكثيراً ما كانوا عمالاً مجهولين، ولكنهم عى أية حال كان لهم اعتبار كبير في عالم الكتب في أيامهم، وكانوا عادة ينالون أجوراً جيدة.

طباعة الكتل الخشبية: فيه كان يجب نحت كل الصور والكتابة على كتل خشبية، وتغطى بالحبر ثم يضغط بها على الورق.

الحافز المالي

راجت الكتب المطبوعة عن كتل خشبية، لأنها كانت أرخص من المخطوطات المنسوخة باليد. ومع أن النحت في الخشب لملء كتاب كان يستغرق وقتاً طويلاً، ولكن

صناعة الورق

اخترع الصينيون الورق. وتقول إحدى الأساطير إن خصياً في حاشية الإمبراطور هو الذي بدأ العملية في ١٠٥م. مستخدماً لحاء شجر التوت. وأقدم ورق موجود الآن صُنع من خرق في نحو ١٥٠م.

وكانت صناعة الورق سرّاً احتفظ به الصينيون على مدى نحو ٥٠٠ سنة، مما ضمن لهم احتكاره. ولصناعة الورق، جمعوا مواداً مصنوعة من ألياف يمكن أن تنحل بالماء، مثل اللحاء والقش والأوراق والخرق. وكانت هذه الأشياء توضع في وعاء كبير وتطرق لكي تنفصل الألياف. ثم تنقع في الماء حتى تصبح الألياف معلقة في المحلول. ثم يغمس صانع الورق قالباً بحجم الصفحة في الوعاء. وقاع القالب عبارة عن شبكة من النسيج فيتساقط منها الماء، ولكن الألياف تبقى مكونة طبقة رقيقة على شكل الصفحة، ثم توضع هذه الصفحة في معصرة لطرد الماء الباقي، ثم تعلق في الهواء الطلق لتجف.

وأخذ العرب سر صناعة الورق عن الصينيين أسرى الحرب، ونقلوه إلى الشعوب الأخرى باتساع دولتهم وأول مصنع لصناعة الورق في أوربا تم إنشاؤه في أسبانيا في نحو ١١٥٠م. ومن هناك انتشرت صناعة الورق في كل أوربا. وفي البداية قاوم الأوربيون الفكرة لأنها جاءت من المغاربة (المسلمين). كما أن معظم الورق كان من صنف رديء، ولكن في زمن طبع الكتب بالكتل الخشبية ثم بمطبعة جوتنبرج، كان صُناع الورق قد اتقنوا صناعتهم، فالصفحات في كثير من الكتب من ذلك القرن ظلت محتفظة بأشكالها ونصاعتها.

أي قالب خشبي متقن الصنع كان يمكن أن يستخدم في طبع عشرات الآلاف من الكتب، وكانت المبيعات الضخمة تجعل العمل مجدياً.

كما كانت لدى عامل الطباعة المرونة لاختزان الأخشاب المنحوتة، وإخراجها عندما يريد أحد الزبائن نسخة أو أكثر، ومع عدم وفرة الورق، كان أمراً عظيماً أن تكون هناك مرونة لطبع العدد المطلوب، وكانت هذه ميزة للقوالب الخشبية على الحروف المعدنية في آلات الطباعة التي اخترعها جوتنبرج، فبعد انجاز العمل بالحروف المعنية، كان على عامل المطبعة أن يفصل الحروف لإعادة استخدامها لأعمال أخرى.

لذلك كان طبع عدد قليل من النسخ أمراً غير اقتصادي. وبالرغم من فوائد تكنولوجيا طبع الكتب باستخدام الكتل الخشبية، فإنها سرعان ما حلت محلها طباعة الكتب بالحرف المنفصلة، وقد ظهرت الطريقتان في وقت واحد تقريباً في القرن الرابع عشر، رغم أن الكتل الخشبية المنحوتة استخدمت من قبل لطبع أوراق اللعب، ونماذج للمصانع، وأخيراً للكتب. وقد تركزت طباعة الكتب بهذه الطريقة في ألمانيا أساساً وبلاد الأراضي المنخفضة المجاورة لألمانيا وكانت فترة ذروة الإنتاج بهذه الطريقة من ١٥٥٠ حتى ١٥٧٥م.

كتاب مقدس للأميين

لعل أشهر كتاب مقدس طبع بطريقة الكتل الخشبية كان «الكتاب المقدس للفقراء». وفي الحقيقة لم يكن كتاباً مقدساً إذ أنه لم يشتمل إلا على مقتطفات محدودة من الكتاب المقدس، كما أنه لم يهدف إلى الفقراء، فغالبيتهم لم يكونوا يستطيعون القراءة. وعوضاً عن ذلك كان الكتاب أشبه بوسيلة تساعد الكاهن الذي يخدم الفقراء بإمداده بثروة من المشاهد الكتابية على شكل صور.

ويندهش الناس الآن عندما يفتحون أحد الكتب التي يزيد عددها عن ١٢٠ نسخة ما زالت موجودة أو أجزاء منها، من شكل الكتاب. فالصور والنص لا يتبعان الترتيب الكتابي، بل الكتاب مرتب حسب الموضوعات ليدعم تفسيرًا قديماً للكتاب المقدس يسمى التفسير الرمزي. والذي فيه كان الخدام يُعلِّمون أن الكثير من قصص العهد القديم كانت رموزًا أو ظلالًا للرب يسوع.

وهكذا نجد في مركز إحدى الصفحات، صورة للملاك جبرائيل يخبر العذراء مريم بأنها ستلد يسوع. إلى جوار هذه الصورة نجد صورتين متباعدتين من العهد القديم، إحداهما صورة للحية وهي تجرب حواء، والأخرى لجدعون وهو يلبس دروعه ويصلي إلى الله.

وعلى نفس الصفحة توجد أربعة اقتباسات قصيرة من العهد القديم: (إش ٧: ١٤) (نبوة أن العذراء ستحبل وتلد ابناً سيدعى اسمه عمانوئيل)، و (مز ٧١: ٦) (تسبحة لله لأنه يمنحنا حياة)، و (حز ٤٤: ٢) (نبوة عن رجوع الله إلى الهيكل) و (إر ٣١: ٢٢) (نبوة عن أن الله قد خلق شيئاً حديثاً في الأرض).

وفي الصفحة التالية صورة لمولد الرب يسوع، ومعها مشاهد من معجزتين من معجزات العهد القديم: موسى عند العليقة المتقدة، وعصا هارون التي أفرخت. وبجوار هذه، أربع مقتطفات قصيرة من الأنبياء. ففي الكتاب ما بين ٣٠ ، ٤٠ صفحة مصورة في هذا الكتاب تختلف ما بين نسخة وأخرى.

ومن المستحيل معرفة متى كُتِبَ هذا الكتاب، فالورق المستخدم في نسخة هولندية يرجع إلى ما بين ١٤٦٠ – ١٤٧٠م. ولكن هذا كان عندما انتشرت صناعة الورق. ولكن الطباعة بالكتل الخشبية المنحوتة يمكن أن تكون قد ظهرت قبل ذلك لسنولت عديدة.

تلعب الصور دوراً بارزاً في «الكتاب المقدس للفقراء» كما يظهر على هذه الصفحة من نسخة نشرت في القرن الرابع عشر في ما يعرف الآن بألمانيا. وهذا الكتاب ليس في الحقيقة كتاباً مقدساً كما نعرفه، فكل صفحة مجموعة من الصور المتقاربة. كثيراً ما يكون القصد منها إظهار كيف أن قصص العهد القديم كانت ظلالاً لحياة الرب يسوع وخدمته، فعلى هذه الصفحة الملكة إيزابل تتآمر على قتل النبي إيليا (إلى اليسار)، والملك نبوخذ نصر يطلب موت دانيآل (إلى اليمين. وفي الوسط، صورة للرب يسوع أمام بيلاطس الذي أمر بصلبه.



٤- كِتَابُ حَرَكَةِ الْإِصْلَاحِ

لمقابلة مقاومة الكنيسة، قام عدد من الأمم بترجمة الكتاب المقدَّس إلى لغة شعوبها. وفي أثناء حركة الإصلاح، والثورة الدينية التي حدثت في القرن السادس عشر، التي شقت الكنيسة إلى كاثوليكية وبروتستانتية. حاول البروتستانت أن يجعلوا الكتاب المقدس مُتَاحاً لكلِّ المسيحيين. فقد رأوا أن الكتاب المقدَّس هو صَوْتُ الله على الأرض وليس الكنيسة.

وكان الوقت ملائماً تماماً لأنَّ حركة الإصلاح اكتسبت دفعة قوية بالاختراع الألماني لآلة الطباعة، فحركات الإصلاح السابقة لم تنجح لأنه لم تَكن ثمة وسيلة لنشر الرسالة بسرعة. ولكن آلة الطباعة قد غيَّرت ذلك.

وقد أدت حركة الإصلاح إلى قيام كثيرين من مُترجمي الكتاب المقدس العظام، ومن أهم هذه الترجمات ترجمة لُوثر الألمانية، وترجمة الملك چيمس الإنجليزية، بل إن الكاثوليك قاموا أيضاً بترجمة الكتاب المقدس للإنجليزية. بل حتى هنود أمريكا أصبح لديهم الكتاب المقدس بلغتهم.





مارتن لوثر ومؤيدوه في مواجهة البابا ليو العاشر مع رهبان ولاهوتيين بابويين

(صورة محفورة في الخشب من ١٥٦٨م.).

وِيكْلِفُ وَكِتَابُهُ الْمُقَدَّسُ

"يتعلم الإنجليز شريعة المسيح بصورة أفضل بالإنجليزية، فقد سمع موسى ناموس الله بلغته، وكذلك تلاميذ المسيح."
جون ويكلف (١٣٣٠- ١٣٨٤)

لقد أثار جون ويكلف أستاذ جامعة أكسفورد الذي قام بأول ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس، عاصفة من الاضطراب في الكنيسة، حتى أنه بعد ٤٣ سنة من وفاته، أمر قادة الكنيسة باستخراج عظامه وحرقها حتى أصبحت رماداً أذروه في النهر.

وهذه الخاتمة غير المنتظرة، نتجت عن بداية غير محتملة. لقد ولد ويكلف في نحو ١٣٣٠م. في مزرعة للأغنام، في أعماق المنطقة الخلفية من انجلترا، على بعد نحو ١٢٥ كيلو متر إلى الشمال من لندن. ولو أنه ظل هناك مكتفياً بما حصل عليه من تعليم من كاهن كنيسته، فلربما لم يسمع العالم عنه مطلقاً. ولكنه في السادسة عشرة من عمره ترك بلدته ليواصل دراسته في جامعة أكسفورد، وهناك انضم بعد ذلك إلى الأساتذة فيها واكتسب شهرته كأذكى لاهوتي في أعظم وأشهر جامعة في انجلترا.



صورة لصفحة من أول كتاب مقدس في الإنجليزية الذي أشرف على ترجمته جون ويكلف في أواخر ١٣٠٠م

نقد الكنيسة

عندما درس ويكلف الكتاب المقدس، أصبح يؤمن بأن الكثيرين من القادة في الكنيسة لا يمارسون ما يقوله الكتاب المقدس فجاهر برأيه وبخاصة في العقد الأخير من حياته، وفي محاضراته وعظاته وكتاباته قاد ويكلف حملة ضخمة على الكنيسة ممهداً الطريق لحركة الإصلاح التي قامت بعد ذلك بقرن.

وعندما طلبت الكنيسة الكاثوليكية معونة مالية من انجلترا، تلك الأمة التي كانت تكافح للحصول على أموال لمقاومة هجوماً فرنسياً محتملاً، فنصح ويكلف البرلمان بعدم الموافقة، بحجة أن الكنيسة أغنى من ذلك، وقال إن المسيح دعا تلاميذه للفقر وليس للثراء، وفي الواقع كانت ثروة الكهنة تقدر بثلث ثروة الأمة.

بل إن ويكلف انتقد البابا نفسه، عندما كان أوربان وكليمنت يدعي كل منها أنه البابا، ويعزل كل منهما الآخر، ودعا أوربان إلى الحرب، أجاب ويكلف: «كيف يجرؤ أن يجعل من علامة الصليب (التي هي علامة السلام والرحمة والمحبة) راية تؤدي بنا إلى قتل الرجال المسيحيين، محبة في كاهنين مزيفين! وقال ويكلف إن البابا ليس صوت الله على الأرض، بل الكتاب المقدس هو صوته. وأضاف أن البابا قد لا يكون بين المختارين للسماء. كما أن ويكلف رفض تعليم الاستحالة الذي يقول إنه في أثناء القداس يتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه. وقال ويكلف إن هذا التعليم ليس في الكتاب المقدس.

بدأ ويكلف يدعو إلى ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس، ترجمة تحل محل النسخة اللاتينية. التي لا يمكن أن يقرأها سوى المتعلمين جيداً من الكهنة إذ يجب أن يفهم عامة الشعب الإيمان. وحيث أن تعاليم إيماننا موجودة في الكتاب المقدس، فيجب أن يكون لدى المؤمنين الكتاب المقدس بلغة يفهمونها جيداً.

قراءات من كتاب ويكلف المقدس

كانت ثمة ثلاث لهجات رئيسية في إنجلترا في عصر ويكلف، وقد اختار أتباعه أن يترجموا الكتاب المقدس اللاتيني إلى لهجة ميدلاند التي كانت تنتشر فيما حول لندن. وقد ساعدت ترجمته على توحيد اللغة الإنجليزية. ويذكر هنا بعض المقتطفات من فصلين مشهورين من كتاب ويكلف المقدس، ومقارنتها مع نفس الفصلين في نسخة الملك جيمس التي ترجمت بعد ذلك بأكثر من قرنين: (يو ٣: ١٦، ١كو ١٣: ١)

Forsothe God so louede the world, that he gaf his oon bigetun sone, that ech man that bileueth in to him perische not, but haue euerlastynge lyf.

For God so loved the world, that he gave his only begotten Son, that whosoever believeth in him should not perish, but have everlasting life.
JOHN 3: 16

If speke with tungis of men and aungels, sothli i have not charite, I am maad as bras sownnynge, or a symbal tynkynge.

Though I speak with the tongues of men and of angels, and have not charity, I am become as sounding brass, or a tinkling cymbal.
1 CORINTHANS 13:1

لعل ويكلف لم يترجم الكثير من أي شيء بالمرة من الكتاب المقدس الذي يحمل اسمه، ولكنه على الأقل، كان هو القوة الدافعة وراء المشروع. فقام اتباع ويكلف اعتماداً على الفولجاتا اللاتينية، بانتاج ترجمتين إنجليزيتين. كانت الأولى نسخة للجيب أكملت في نحو ١٣٨٢م. وتذكر نسخة – ما زالت موجودة – أن أحد أتباع ويكلف، نيقولا من هيرفورد قد ترجم العهد القديم، ولا يذكر اسم مترجم العهد الجديد، ولكنه يفترض تقليدياً أنه ويكلف نفسه. على أية حال يشك كثيرون من العلماء في أنه كان لويكلف يد مباشرة في هذا العمل لأن العمل الكامل كان أكثر تكلفاً من الاقتباسات الكتابية التي استخدمها ويكلف في مواعظه... وكانت الترجمة صعبة في قراءتها لأنها كانت ترجمة حرفية من اللاتينية. وصدرت ترجمة منقحة وأسهل للقارىء، بعد ذلك بعقد من السنين، بعد وفاة ويكلف، قام بترجمتها جون بورڤي صديق ويكلف وسكرتيره.

فوض ويكلف فريقاً من أتباعه، أطلق عليهم أخيراً الاسم المحتقر «اللولارديين» (أو المغمغمين) ليكونوا خداماً

IOANNES WICLEFVS ANGLVS.
Quanta fuit rabies odijque potentia Vestri,
Pontifices olim, carnificesque truces!
Ossa inhumata diu vobis inuisa virorum
Sanctorum, requie non potuere frui?
Cum priuilegio.

متجولين يقرأون الكتاب المقدس ويقدمون تعاليمه للشعب في كل البلاد.

وقد عارض قادة الكنيسة بشدة الكتاب المقدس الإنجليزي. وقد لخص هنري نيتون، وهو كاتب كاثوليكي في ذلك الوقت، موقف الكنيسة:

لقد سلم المسيح إنجيله للاكليروس ومعلمي الكنيسة المتعملين حتى يمكنهم تقديمه للعامة. ولكن ويكلف بترجمته للكتاب المقدس جعله في يد الجموع، شائعاً للجميع، ومتاحاً للعامة بل وحتى للنساء القادرات على القراءة... وهكذا ألقى الإنجيل إلى الخنازير... وجوهرة الإكليروس تحولت إلى لعبة للعامة.

وقد أصدر أحد البابوات خمسة أوامر بابوية (رسائل رسمية) يأمر فيها بإلقاء القبض على ويكلف، واستدعاه اثنان من الباباوات إلى روما، وقدمته الكنيسة الكاثوليكية في إنجلترا للمحاكمة ثلاث مرات، ولكن أصدقاؤه قدموا له الحماية ولم يتهم في حياته بالهرطقة.

وقد ندمت الكنيسة على ذلك، وفي ١٤٢٨م.بأمر من البابا استخرج جثمانه، ويقول المؤرخ البريطاني توماس فولر الذي كتب بعد ذلك بنحو مائتي سنة، يصف ما حدث بعد ذلك:

«أحرقوا عظامه حتى صارت رماداً وألقوا بها في مجرى جدول سريع الجريان، ثم ألقى بها الجدول في نهير، والنهير إلى نهر، ومنه إلى البحر، ومن البحر إلى المحيط. وهكذا أصبح رماد عظام ويكلف رمزاً لتعليمه الذي انتشر الآن في كل العالم.

المصلح الديني
چون ويكلف
(نحو ١٣٨٠– ١٣٨٤)
كان يدرس الفلسفة في جامعة أكسفورد، وأصبح القوة الدافعة وراء أول كتاب مقدس باللغة الإنجليزية.

نظرة مترفعة

استُدعِيَ ويكلف إلى لندن في ١٣٧٧ للإجابة عن اتهاماته بالهرطقة. وقد وصف أحد الكتّاب في عصره مظهره الجسماني فقال: شخص طويل نحيف يغطيه ثوب خفيف طويل ذو لون أسود يضمه حزام إلى جسده، ويزين رأسه لحية غزيرة تكشف عن ملامح حادة، والعين صافية وحادة، والشفتان مغلقتان بإحكام رمزاً للعزيمة، الرجل كله يبدو إنساناً جاداً مترفعاً ذا أنفة وعلى خلق.

"ليس البابا هو الخليفة الحقيقي لبطرس. فإذا كان جشعاً فهو إذاً نائب يهوذا الأسخريوطي."

چون هس التشيكي

لم يكن چون ويكلف أول من تحدى الكنيسة وانتقد البابا لأجل ثرائه وإساءة استخدام السلطة، كما لم يكن الأخير، فقد بدأت حركة الدعوة للعودة إلى حياة الفقر الأسيزي قبل عصر ويكلف، بل وقبل ولادة فرنسيس الأسيزي.

أرنولد من بريشيا ووالدو

في ثلاثينات القرن الحادي عشر، هاجم بشدة، أرنولد رئيس دير في بريشيا لومباردي (في شمالي إيطاليا) رذيلة الجشع التي كانت شائعة بين رجال الكهنوت واعتبر هذه الرذيلة نتيجة لمحاولة الكنيسة لحكم العالم، ودعا إلى إصلاح الكنيسة، وحث قادة الكنيسة أن يعطوا كل ثروتهم للدولة وأن يرجعوا إلى قيم الإنجيل، فيجب أن يعيشوا في فقر وأن يقتسموا ممتلكاتهم القليلة كما فعل الرسل في الأيام الأولى للكنيسة، كما توصف في سفر أعمال الرسل. هذه الدعوة للعودة لحياة الرسل، أو الحياة الرسولية، كانت إحدى الدعوات العديدة التي ظهرت في القرون التالية. على أية حال لم يكتف أرنولد أن يرجو التغيير سلمياً، بل قام بجرأة بمساندة مجلس الشيوخ الروماني بكل قوته في رفضه لسلطة البابوات الزمانية. وقد شُنِق بعد ذلك وأحرقت جثته، وألقى رماده في نهر التيبر.

وكان الشخص التالي في الدعوة إلى العودة إلى الحياة الرسولية هو بيتر والدو (أو ڤالدس) وكان تاجراً غنياً من ليون في فرنسا. ففي ١١٧٠م. أو بعدها بقليل، تجدد والدو عندما سمع أحد الوعاظ في الشارع يروي قصة سان ألكسس، أحد شرفاء الرومان، الذي أعطى كل ثروته للفقراء وعاش حياة الشحاذين، راجياً أن يحظى بالسعادة الحقيقية في الحياة الأخرى.

وعندما تحدث والدو مع أحد الكهنة عن تأثير قصة سان ألكسس عليه، اقتبس الكاهن قصة الإنجيل التي

صورة من القرن التاسع عشر لبيتر والدو مؤسس الولدنسيين

المتضعون

ترجع من بين الجماعات المسيحية الأخرى التي رغبت في العيش حياة الرسل كانت جماعة المتضعون (Humiliati). إذ عاشوا في حالة من الفقر الاختياري، وارتبطوا معاً وتعهدوا على عيش حياة الصلاة والعمل الشاق. ونظير أرنولد، الذي جاء قبلهم، جاء معظم جماعة المتضعين من منطقة لومباردي في شمالي إيطاليا، وقد عاشوا في جماعتهم حياة بسيطة وكرسوا أنفسهم لرعاية المرضى والفقراء. لكنهم أيضاً شعروا بالتزام بالوعظ، وهذا دفع بهم للصدام مع السلطات في الكنيسة، الذين أصروا على أن رجال الكهنوت وحدهم لديهم الحق في الوعظ. وبسبب إصرار المتضعين وتمسكهم بالوعظ، تعرضوا للإدانة على عصيانهم للكنيسة في مجمع ڤيرونا سنة ١١٨٤م.

غير أن المتضعين كانوا أقل جريء وتحدي عن والدو وأرنولد، وفي سنة ١٢٠١م.كان البابا أنسنت الثالث، اعترف وأقر بالكامل بأسلوب حياة المتضعين وقبلهم في الكنيسة. بل أنه حتى أعطاهم تصريحاً بالوعظ، وساعدهم على تجنب القضايا اللاهوتية المعقدة والاكتفاء ببساطة بدعوة سامعيهم للعيش حياة مسيحية سليمة. وعلى عكس الولدنيين احترم المتضعين سلطة الكنيسة وفي المقابل سمحت لهم الكنيسة بالتواجد والاستمرار.

لقد نجح فرنسيس الأسيسي حيث فشل الآخرون، لأنه لم يتجرأ على الكنيسة، بل في المقابل سعى لتطبيق قواعده الثلاث. لقد نجح في تحويل وتطوير الكنيسة ببطء من خلال مثاله، بينما هاج غيره في وجه الكنيسة، فأشعلوا غيظ الكنيسة وجعلوها ترفضهم. لكن المتضعين اتخذوا موقفاً وسطاً، فاستطاعوا الاستمرار حتى القرن السادس عشر. وفي ذلك الوقت، وقعت الجماعة في نفس الأخطاء التي هربت منها في نشأتها. فصارت الجماعة غنية جداً. وفي سنة ١٥٧١م. عندما حاول رجل الكنيسة تشارلز بورومو إصلاح الجماعة، هاجموه، وهذا أدى إلى توقف وموت الجماعة نهائياً.

يقول فيها الرب يسوع للشاب الغني: «إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني» (مت ١٩: ٢١). وعلى الفور نقل والدو ثروته إلى زوجته، وأودع ابنته أحد الأديرة. ولأنه لم يكن يستطيع قراءة اللغة اللاتينية ترجمت له بعض أجزاء الكتاب المقدس إلى الفرنسية، فحفظ عن ظهر قلب أجزاء كبيرة منها، وبدأ يحيا شحاذاً يمارس أعمال الخير، وينادي بأن على كل المسيحيين أن يقلدوا المسيح بأن يعيشوا في فقر.

وسرعان ما جمع والدو حوله أتباعاً أصبحوا يعرفون باسم «المساكين في الروح». ومتمثلاً بالرب يسوع في الأناجيل، أرسل أتباعه اثنين اثنين لتعليم الكتاب المقدس.. وفي ١٦٧٠ أمر رئيس أساقفة ليون والدو أن يكف عن دعوته، ولكنه رفض. وبعد ذلك بسنتين ذهب إلى روما ليستأنف الأمر عند البابا ألكسندر الثالث. فوافق البابا على أسلوب حياة الولدنسيين، ولكنه لم يوافق على ترجمة الكتاب المقدس وقام العلمانيين بالكرازة، وبحنكة أعطى الولدنسيين التصريح بالكرازة، على شرط أن يدعوهم لذلك الأسقف المحلي. وحيث أن هذا لم يكن محتملاً أن يحدث، فلم يكن مسموحاً للولدنسيين أن يكرزوا.

رفض والدو الخضوع لهذا الأمر وظل يرسل أتباعه للكرازة. ففرز الولدنسيون، وفي ١١٨٤م. أدانهم مجمع فيرنا كعنيدين (عصاة). ولكن حتى هذه الإدانة الرسمية فشلت في إيقافهم. وتوفي والدو فيما بين ١٢٠٥م. - ١٢١٨م. ولكن بعد موته، واصل أتباعه عملهم، وكثيراً ما كانوا يدافعون عن آراء كانت تعتبرها الكنيسة هرطوقية وفي أثناء حركة الإصلاح كوَّن الولدنسيون كنيستهم الخاصة التي لا تزال موجودة إلى اليوم.

چون هس

كان جان هس فلاحاً من بوهيميا، ترك عائلته ليدرس، وأصبح كاهنا وعالماً بارزاً. واشتهر بكرازته باللغة التشيكية، في كنيسة بيت لحم في براغ. وبينما كان في براغ اكتشف كتابات جون ويكلف، ووجد نفسه على إتفاق تام مع المصلح. ومن ذلك الوقت فصاعداً أدمج آراء ويكلف في مواعظه، متمسكاً بأنه يجب أن يكون الكتاب المقدس هو المرجع الأعلى للمسيحيين وليست الكنيسة، كما أنه مع ويكلف هاجم حق الكنيسة في أن تكون لها ممتلكاتها الخاصة، لا أن تعيش حسب قيم الإنجيل.

وفي البداية كان رئيس أساقفة براغ يسند هس، ولكن بعد ذلك أثارت مواعظه العنيفة ضد فساد الكهنة العداء. وفي ١٤٠٧م. شجبت روما تعاليمه، وصدر الأمر لرئيس أساقفة براغ أن يمنع هس من الوعظ. ولكن هس كان في حماية الإمبراطور الذي عينه رئيساً للجامعة في براج التي كانت تؤيد ويكلف بشدة. وفي ١٤١٠م. أمر البابا اسكندر الخامس بحرق كل كتب ويكلف وحاول أن يمنع هس من الوعظ. ولكن هس كان في حماية الإمبراطور وفي ١٤١٤م. ذهب هس إلى مجمع كنستانس مع تعهد بالأمان من الإمبراطور، وفي المجمع في السنة التالية أُلقي في السجن برغم تعهد الأمان، وقُدِّم للمحاكمة، حيث أتهم بالهرطقة وقاموا بحرقه. وقد جعل منه استشهاده بطلاً عظيماً في بوهيميا وقد حارب أتباعه (الهسيون) أحزاب دينية أخرى كثيرة في بوهيميا على مدى سنين بعد ذلك، بل وانضموا إلى الولدنسيين في حروبهم.

الأطفال الروحيون

كان قادة الكنيسة يمنعون الشعب بقوة من قراءة الكتاب المقدس. وحتى الباباوات من ذوي العقول المعتدلة أمثال البابا أنسنت الثالث، وهو أعظم الباباوات في عصره، كان مقتنعاً بهذا الرأي. فقد رأى أنه من الأفضل أن يُترَك التفسير الكتابي للاهوتيين المتعلمين، واعتبر شعب الكنيسة أطفالاً لا يمكنهم سوى هضم اللبن فقط وليس الأطعمة الصلبة الموجودة في الكتاب المقدس.



صورة چون هس يُحرَق، من كتاب «تاريخ أورليش من ريتشنال»

النَّهضَةُ المَسِيحِيَّةُ

"ما الفائدة من الرش بالماء المقدس من الخارج إذا كنت قذراً من الداخل!"
إرازمس لاهوتي هولندي
(نحو ١٤٦٦ - ١٥٣٦م.)



البابا يوليوس الثاني
(١٤٤٣ - ١٥١٣م.)
لجمع المال لإشباع شهيته النهمة، باع وظائف الكنيسة وصكوك الغفران، مما دفع الكثيرين في الكنيسة إلى المطالبة بالإصلاح وهذه الصورة للبابا يوليوس بريش رافائيل (١٤٨٣ - ١٥٢٠م.).

إذا كنت تبتغي إغاظة أحد الكهنة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، كان يكفي أن يذكر أحدهم عبارة «الحركة الإنسانية»، وهو اسم حركة أدبية ظهرت في عصر التنوير أو النهضة. فكان قادة الكنيسة الذين تشبعت عقولهم بالتقليد، يشعرون بأنهم مهددون من هؤلاء المسيحيين، دعاة الإنسانية، وكان هذا مفهوماً حيث أن دعاة الإنسانية أجبروا على استخدام الحكمة البشرية والعلم في إعادة تقييم وإصلاح المسيحية.

ومع أن الجامعات قد بدأت على اعتبار أنها مدارس كنسية تؤكد على الديانة والفلسفة، إلا أنها بعد ذلك بدأت تهتم بمواضيع أقل روحانية: مثل الآداب الكلاسيكية والتاريخ واللغات القديمة وأراد علماء الإنسانية المسيحيون أن يستخدموا ما اكتشفوه في دراساتهم للكلاسيكيات في تقويم كل الانحرافات التي يعلم بها ويمارسها كثيرون في الكنيسة.

انحراف الكنيسة الصالحة

قرر العلماء أنه الوقت المناسب للدعوة للإصلاح في الكنيسة، بل إن المواطنين العاديين كانوا يرون أن الكنيسة قد أصبحت عدوًا لهم، فقد أصبحت الكنيسة مؤسسة معادية، منصرفة إلى جمع الثروة والحفاظ على نفوذها بأي ثمن. وكان أحد الأمور التي أدت إلى ازدياد التمرد ضد الكنيسة هو اختيار الكنيسة لرودريجو بورجيا بابا لها، وكان بورجيا كاهناً له عشرة أبناء غير شرعيين واتخذ لنفسه اسم البابا ألكسندر السادس، وقد اشتهر بالثراء والفساد وسفك الدماء. ويقول البعض إنه مات بسم كان قد أعده لأحد كاردينالاته.

وكان خليفته يوليوس الثاني يمتلك أحلاماً تناسب يوليوس قيصر. فقد ألبس هذا البابا جنوده دروعاً فضية وشرع في تأمين مملكته على الأرض. ومثل سابقيه اكتشف طرقاً جديدة لجمع المال، لتمويل حروبه ومشروعات البناء الضخمة. فخلق وظائف إدارية جديدة باعها لمن يدفع أكثر. كما باع صكوك غفران لتقصير أو إلغاء الفترة التي يقضيها الشخص في المطهر (وهو مكان مؤقت للعقاب بناء على التعليم الكاثوليكي، حيث كانت نفوس الناس الأتقياء تتطهر للدخول إلى السماء) وهكذا تسرع في إرسال مشتري الصكوك أو من يحبه المشتري إلى السماء.

إرازمس... الابن غير الشرعي لأحد الكهنة

ترجع كان أول شخص استطاع تجميع ونشر العهد الجديد بلغته الأصلية هو دسيدريوس إرزمس، وهو الابن غير الشرعي لكاهن هولندي وأبنة أحد الأطباء. كبر إرزمس وأصبح رجل دين فصيح ولكنه قبل ذلك أُلقِيَ به إلى أحد الأديرة عندما توفي والداه.

قال إرازمس أن البستاني الذي وضعه في الدير كان يؤمن بأن الإمساك بالفتيان الصغار وإدخالهم إلى الدير يعد بمثابة «تقديم ذبيحة مقبولة لله». ومع هذا فقد ظل إرزمس فترة كافية حتى تم رسامته كاهناً في عمر ٢٦ سنة. لكنه كبر وهو يكره حياة الرهبنة، والقوانين الصارمة واللاهوتيين ذوي العقول الجامدة المغلقة. وأراد أن يسافر، وأن تتاح له فرصة الدراسة الكاديمية، لكنه في الوقت نفسه أراد أن يظل في الرهبنة الأغسطينية.

قدم أسقف فرنسي الفرصة له للخروج والانطلاق إذ أخذه ليعمل معه في تمويل دراسته اللاهوتية في باريس. وبدأ إرازمس من هناك عمله في الكتابة والسفر إلي معظم دول أوربا. وعلى الرغم من شكواه المستمرة من تردي حالته الصحية، إلا أنه بدا منقاداً برغبة في البحث عن أفضل العقول اللاهوتية في عصره، والدراسة معهم. وهذا ما دفعه للذهاب إلى انجلترا ست مرات، على الرغم مما وصفه من سوء معاشرتهم وبربريتهم والأجواء غير المرحبة. وهناك، ألهمه العلماء إلى تعلم اللغة اليونانية التي كُتِبَ بها العهد الجديد. والنتيجة كانت أكثر أعماله المميزة والخالدة وهو العهد الجديد باللغة اليونانية.

كتب إرزمس العديد من المقالات والنقد للكنيسة وشجع مارتن لوثر وغيره من المصلحين على عمل نفس الشيء. وقد دعم إرازمس لوثر، لكنه تخلى عنه حينما رأى أن الكنيسة بدأت في الانقسام. وعندما رأى عدم التسامح والضغينة من الجانبين كتب إرزمس إلى مارتن لوثر قائلاً: هل لم أرى ذلك، كلا لقد شعرت بذلك بنفسي، لكني لم يكن باستطاعتي أبداً أن أصادق أي شخص يقول إن اللاهوتيين يمكن أن يصابوا بالجنون إلى هذه الدرجة.



وقد رأى العلماء الذين يدرسون اللغات الأصلية للكتاب المقدس أنه لا مبرر إطلاقاً لهذه الممارسات. بل في الحقيقة بدأوا ينادون بأن قروناً من سوء الفهم للكتاب المقدس قد أدت إلى التعاليم المنحرفة، والطقوس التي لا جدوى منها، والسلوك الفاضح. ولإصلاح الأخطاء رجعوا طلباً للإرشاد إلى المصادر الأصلية للإيمان المسيحي الأصيل، المخطوطات العبرية القديمة، والمخطوطات اليونانية بدلاً من الترجمة اللاتينية التي تستخدمها الكنيسة.

تنقيح ترجمة الكتاب المقدس

كان أول دعاة الإنسانية الذي يذكر التاريخ أنه أول من صوَّب الأخطاء الموجودة في الترجمة اللاتينية (الڤولجاتا) هو «لورنزو ڤالا» عالم من إيطاليا التي بدأت منها الحركة الإنسانية. فكتب في ١٤٥٥م. «حواشي على العهد الجديد»، وهو عمل أغضب اللاهوتيين المحافظين، ولكنه ألهم العالِم الذي أصبح أمير فلسفة الإنسانية، وهو العالم الهولندي إرزمس.

كان إرزمس في نحو الأربعين من العمر عندما وقع في يده عمل ڤالا في ١٥٠٤م. وقد تأثر به جداً حتى أعاد طبعه في السنة التالية وبدأ في كتابة مقطوعات من تأليفه - قصصاً ومقالات ومقطوعات - تهدف في غالبيتها إلى تصويب عيوب داخل الكنيسة. فقد أراد الإصلاح، وليس الثورة، ومع ذلك فإنه يتجنب التقليل من شأن البابا. ففي إحدى مقطوعاته، قال عن البابا يوليوس الثاني إنه مُنع من دخول الجنة بواسطة بطرس أول البابوات.

وكان أعظم ما كتب إرزمس تأثيراً هو نسخته اليونانية الأولى للعهد الجديد التي نشرت في ١٥١٦م. وقد استعان فيها بمخطوطات يونانية كانت قد اكتشفت حديثاً. ثم أضاف إلى كتابه هذا نسخة مصوبة من ترجمة الڤولجاتا اللاتينية، وقد كان ذلك مصدر مسرة لكثيرين من العلماء رفقائه. وبعد ذلك بسنتين، نشر طبعة ثانية، استبدل فيها الڤولجاتا اللاتينية، بترجمته اللاتينية، ولكنه أثار الكثير من النقد لترجمته، بسبب بعض الأخطاء الواضحة. حتى إنه عندما أعاد طبع الكتاب في ١٥٢٧ استبدل ترجمته اللاتينية بالڤولجاتا بعد تصويبها.

وقد أثارت بعض تصويباته للنسخة اللاتينية أسئلة خطيرة عن الطقوس الكنسية. ففي (مر ١: ١٥) تذكر النسخة اللاتينية الرسمية أن الرب يسوع قال:

«اصنعوا كفارة، وآمنوا بالانجيل»، ولكن إرزمس اقتبس هذا القول هكذا: «توبوا (احزنوا) وآمنوا بالانجيل». وإذا كان إرزمس على صواب، فلا حاجة بالمسيحيين للذهاب للاعتراف والقيام بأعمال الكفارة لتقديم ترضية لله عن خطاياهم.

ولم يتأثر حماة التقليد الكنسي، ولم يستريحوا بهذا التعليل الإنساني، بأن نسخة أكثر دقة من الكتاب المقدس، لابد أن تنتج مسيحيين أفضل.

ومع أن إرازمس لم يكن يريد أبداً ثورة لاهوتية إذ بعد ذلك قاوم التغييرات الجذرية التي طالب بها مارتن لوثر إلا أن إرزمس أعد المسرح. فباقتباسه قولاً مشهوراً في دوائر الكنيسة في القرن الخامس عشر، وضع إرزمس البيضة التي فقست على يد لوثر.

إلى اليمين:

إرازمس

(نحو ١٤٦٦- ١٥٣٦م.)

بولس في صندوق

«أنا لا أدينكم لتوقير رماد بولس، هذا ما كتبه إرازمس في ١٥٠٤، ولكن إذا أهملتم صورته الحية، التي تتكلم في رسائله، فإن تكريمكم لا يتفق مع العقل. فأنتم تهتمون اهتماماً عظيماً ببقايا من جسده موضوعة في صندوق موضوع في ضريح، أفلا تعجبون بكل أقوال بولس التي

صورة صفحة من العهد الجديد من ترجمة إرازمس إلى اللاتينية واليونانية، نشر في ١٥١٦م.

ΚΑΤΑ ΜΑΤΘΑΙΟΝ.

SECVNDVM MATTHAEVM. 45

non fuit ſic. Dico autem uobis, quod quicunq; diuerterit ab uxore ſua, niſi ob fornicationem, & aliam duxerit, is committit adulterium. Et qui repudiatā duxerit, adulterium committit. Dicunt ei diſcipuli eius. Si ad iſtum modum habet cauſa hominis cum uxore, non expedit contrahere matrimonium. Qui dixit illis. Non omnes capaces ſunt huius dicti, ſed ij quibus datum eſt. Sunt enim eunuchi qui de matris utero ſic nati ſūt. Et ſunt eunuchi qui facti ſūt eunuchi ab hominibus, & ſunt eunuchi qui ſeipſos caſtrauerunt propter regnum cœlorū. Qui poteſt capere capiat. Tunc oblati ſunt ei puelli, ut manus eis imponeret & oraret. Diſcipuli autem increpabāt eos. Ieſus uero ait eis. Sinite puellos, ne prohibeatis eos ad me uenire, taliū eſt enim regnum cœlorū. Et cum impoſuiſſet eis manus, abijt illinc. Et ecce unus accedens ait illi, Magiſter bone, quid boni faciā, ut habeā uitā æternā? Qui dixit ei. Cur me uocas bonū? Nullus eſt bonus, niſi unus, nempe deus. Q; ſi uis ad uitā ingredi, ſerua mandata. Dicit illi. Quæ? Ieſus aūt dixit. Nō homicidiū facies. Non cōmittes adulteriū. Nō facies furtū. Nō falſum teſtimoniū dices. Honora patrē tuū & matrē, & diliges proximū tuū, ut teipſum. Dicit illi adoleſcēs. Omnia hæc ſeruaui a iuuentute mea, quid adhuc mihi deeſt? Ait illi Ieſus. Si uis perfectus eſſe, uade uende quæ habes, & da pauperibus, & habebis theſaurum in cœlo, & ueni ſequere me. Cum audiſſet autem adoleſcens ſermonem, abijt triſtis. Erat enim habens poſſeſſiones multas. Ieſus autem dixit diſcipulis ſuis. Amen

اَلْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ فِي الْمَطْبَعَةِ

معاش كنسي

قرر رئيس أساقفة مينز معاشاً (لجوتنبرج مخترع المطبعة) ابتداء من يناير ١٤٦٥م. قبل ثلاث سنوات من وفاته. والأرجح أن هذا كان اعترافاً منه بعطائه للكنيسة بطبع الكتاب المقدس والوثائق الدينية. وقد وفر له المعاش الحبوب والنبيذ والثياب، وأعفاه من دفع بعض الضرائب.

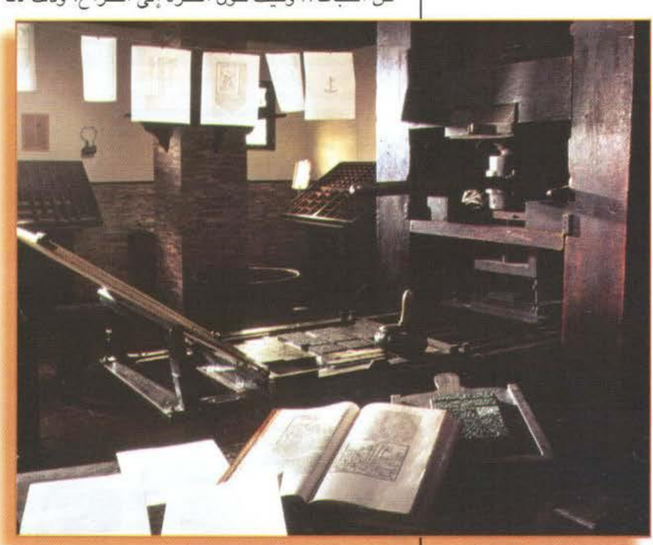
إعادة تكون أول مطبعة التي اخترعها جوهان جوتنبرج فيما بين ١٣٩٧ - ١٤٠٠م. ففي المقدمة بعض نسخ من كتاب من تلك الفترة، مع قوالب الطباعة. وفي الخلف معلقة صفحات تبين كيف كان جوتنبرج يجفف الصفحات التي كانت مبتلة بالحبر.

لعلنا إذا نظرنا إلى الشخصيات الرئيسية التي ساهمت في صناعة الثورة الدينية فسنجد رجلاً ألمانياً يشتغل بصناعة المعادن ولكنه لم يكتف بمهنة العائلة، هذا الرجل شارك مارتن لوثر في الثورة الدينية التي قسمت الكنيسة إلى كاثوليكية وبروتستانتية، وكان اسمه جوهان جوتنبرج، فكان رائد الطباعة الحديثة في العالم.

فقبل قرن من لوثر، أشعل جون ويكلف وجان هس شرارات الاصلاح، ولكن لم تنتشر النيران، ولكن رسالة لوثر للاصلاح سرعان ما اكتسحت ألمانيا، وانتقلت إلى أمم أخرى في أوربا وظلت تنمو. والفرق الأساسي بين لوثر ومن حاولوا الإصلاح قبله، وهو أن لوثر استفاد من الاختراع الجديد لجوتنبرج، لفن الطباعة، فقد استطاع لوثر أن ينشر رسالته بأقل التكاليف في كتب وكتيبات ويوزعها على مئات الآلاف من الناس. والأهم أنه استطاع أن ينشر الكتاب المقدس بلغة شعبه، حتى استطاعوا أن يروا بأنفسهم أن كثيرين من قادة الكنيسة كانوا يشوهون رسالة الكتاب المقدس.

تجارب سرية

ما أقل ما يُعرف عن كيف وصل جوتنبرج إلى فكرته عن الطباعة؟! وكيف حوَّل الفكرة إلى اختراع؟ وذلك لأنه مثل الكثير من الاختراعات، كان سرًا مكتومًا. لقد نشأ جوتنبرج في مينز في ألمانيا بالقرب من الحدود الغربية مع فرنسا. وكان يكسب ما كان يعتبر على الأرجح دخلاً مريحاً في مهنة الأسرة كصائغ يعمل في المعادن الثمينة، فيحولها إلى نقود، ومجوهرات وغير ذلك. ولكن في أوائل الثلاثينات من القرن الخامس عشر، عندما كان في نحو الأربعين من عمره، ترك ألمانيا مع نزاع مرير من نقابات العمال وزعماء الشعب في مينز، وانتقل نحو مائة كيلو متر (نحو ٦٥ ميلاً) إلى الجنوب الغربي، إلى مدينة ستراسبورج الفرنسية قرب الحدود الألمانية.



فن الطباعة

لقد صنع جوتنبرج حروف الطباعة بواسطة قطع الحروف يدوياً ويشكلها في هياكل معدنية ثم يضغطها في معدن لين مثل النحاس، وربما يحتاج إلى مساعدة مطرقة لتثبيت الحروف. بعد ذلك يملأ الفراغات بين الحروف بمعدن قوي مكون من مزيج من المعادن مثل الحديد والقصدير.

ولبناء الصفحة، كان عامل المطبعة يحفر الحروف من الصندوق، ويرتبها في إطار معدني، ويغلق الإطار حتى تتجمع الحروف معاً بإحكام، وقد يبدو أنه من الصعب إجراء أي مراجعة لغوية بعد صف الحروف، لأن كل الحروف تبدو معكوسة أو مقلوبة، مثل صورة المرآة، غير أن عمال الطباعة سرعان ما تطورت لديهم القدرة على الفحص الدقيق لهذه الحروف المقلوبة.

بعد ذلك كان يتم وضع الحبر على الحروف بواسطة استخدام أداة لفرد الحبر تشبه الكرة. وبعد تجهيز لوح الطباعة يقوم عامل المطبعة بوضع ورقة رطبة في ذراع الطابعة، لأن الأوراق الرطبة تحتفظ بالحبر أفضل من الأوراق الجافة. وبعد ذلك يتم الضغط بواسطة لولب عمودي ضخم بحيث يضغط الذراع الذي يحمل الورقة فلابد أن يحدث ذلك بسرعة قبل أن تجف الورقة. ويمكن لعاملي مطبعة طباعة ٢٥٠ ورقة في الساعة.

بعد ذلك تترك الأوراق حتى تجف، ثم يتم ترتيبها الترتيب الصحيح ثم تُربط معاً. وعادة ما كانت عمليتي الربط والتجميع تحدثان في مكان آخر.

وهناك كما يقول الكثيرون من المؤرخين، انشغل في إجراء تجارب سرية مكلفة، في الطباعة. ولا يوجد سجل مكتوب عما حدث، سوى تلميحات قليلة من قضية رفعت ضد جوتنبرج، وقد شهد الشهود أن نجاراً قد أقرضه أموالاً لعمل مطبعة خشبية تتحرك بلولب، وأمده أحد الصاغة بمواد للطباعة «للفن الجديد». وقد أقام القضية ورثة شريك جوتنبرج، الذي كان قد مات فقد أردوا أن يكون لهم نصيبهم في الصفقة، ومع أنهم خسروا القضية، قد انكشف سر جوتنبرج عن الاختراع الجديد.

ويظن المؤرخون أنه بمعونة أحد كتبة باريس المتعلمين، بيتر سكوفر، رسم جوتنبرج وقطع الحروف المعدنية التي سيستخدمها لإنتاج مطبوعات تبدو وكأنها مخطوطات مكتوبة باليد. وهنا أيضاً على الأرجح نقح جوتنبرج كل عملية الطباعة، بما في ذلك تكوين عجينة من الحبر الغليظ (لعله كان يتكون أساساً من نوع من الزيوت وسناج الورنيش) مما يمكن أن يلتصق بالحروف المعدنية.

بداية الطباعة

عاد جوتنبرج ورفقاؤه إلى مينز في أواخر الأربعينات من القرن الخامس عشر، وأقاموا حانوتاً وكان من أول ما قام بطباعته قصيدة عن يوم الدينونة، وتقويم عن سنة ١٤٤٨م. ومما يدعو للسخرية، صكوك غفران للكنيسة.

وفي ١٤٥٠م. احتاج جوتنبرج لتعضيد مالي ربما لساعدته على شراء المواد اللازمة لطباعة ما أصبح يعرف بكتاب جوتنبرج المقدس، باستخدام ترجمة القولجاتا اللاتينية المنقحة، وكانت أفضل نسخة متاحة في ذلك الوقت، فلجأ إلى رجل ثري هو جوهان فوست، الذي أقرضه خلال السنوات العديدة التالية ١٦٠٠ جيلدر، وهو مبلغ يكفي لدفع مرتب عامل فني ماهر لمدة عشر سنوات. وفي ١٤٥٤م. عرض جوتنبرج عينات من كتابه المقدس المطبوع في معرض صناعي في ألمانيا، وأعلن أن كل المائة والثمانين نسخة التي قرر أن يطبعها لها مشترون، وقد أثار هذا دهشة عظيمة. ولكن في أواخر ١٤٥٥م. عندما كان مشروع الكتاب المقدس قد بلغ غايته، اختلف الممول وصاحب المطبعة بشدة، فأراد فوست أن يسترجع أمواله مع فوائدها مما جعل المبلغ يصل إلى نحو ٢٠٢٠ جيلدر، ووصلت القضية إلى المحكمة، وأجبر جوتنبرج على أن يعطي الدائن مطبعة وكذلك الكتاب المقدس المطبوع. وأنهى فوست ومساعد جوتنبرج، بيتر سكوفر طبع الكتاب المقدس، وتزوج سكوفر أخيراً ابنة فوست.

ومازالت توجد ثماني وأربعين نسخة من هذا الكتاب المقدس، وهو كتاب من مجلدين، بهما ١٢٨٢ صفحة وكل صفحة من عمودين، وبكل صفحة ٤٢ سطر (وهذا هو السبب في أن كثيرين من المؤرخين يطلقون عليه الكتاب المقدس ذا الاثنين والأربعين سطراً). وإحدى عشر نسخة من النسخ التي ما زالت موجودة كانت مطبوعة على رق من أجمل أنواع الرقوق من جلود الحيوانات، والسبع عشرة الباقية على ورق. وقد بذل جوتنبرج جهداً كبيراً لكي يبدو النص وكأنه مكتوب بخط اليد، فبدلاً من عمل شكل واحد من الأحرف، خلق الكثير منها لتقليد الأشكال المتنوعة التي تظهر في عمل الكتبة (فعمل ثمانية أشكال من حرف «الألف». فبلغت جملة الأحرف التي عملها ٢٧٠ حرفاً علاوة على ١٢٥ من الرموز والمختصرات.

ومع أن جوتنبرج لم يوقع على عمله، فإن الكثيرين يعتقدون أنه فتح حانوتاً آخر وطبع كتاباً مقدس من ٣٦ سطراً في الصفحة في سنة ١٤٥٨م. وسرعان ما انتشر فن الطباعة، وما أن انتهى القرن في الوقت الذي حدث فيه النزاع بين لوثر والكنيس، حتى كان هناك حانوت للطباعة في كل مدينة أوربية كبيرة تقريباً.

"لقد أوجد الله المطبعة للكرازة، فصوتها لا يستطيع البابا أيضاً أن يسكته"

چون فوكس
كتاب الشهداء

صورة صفحة من كتاب جوتنبرج المقدس، زخارف يدوية وحروف كبيرة مكتوبة باليد تبين مزامير ١-٤. والاسم غير واضح لأن جوهان جوتنبرج لم يكمل العمل بنفسه. ففي وسط العمل أخذه شريكه والممول إلى المحكمة. وأمر القاضي أن يعطي جوتنبرج كل شيء للممول لتسوية الدين. فكان الواقع هو أن الشريك والدائن هما اللذان أكملا طباعة الكتاب المقدس.



مَا بَعْدَ جُوتِنْبِرْج

على مدى التاريخ، قليل من الاختراعات انتشر بمثل السرعة التي انتشرت بها آلة الطباعة. ففي العصور القديمة، كانت تنسخ الكتب وتزخرف باليد، ولم يكن في الإمكان عمل أكثر من كتاب واحد في نفس الوقت. وقد أتاح استخدام الكتل الخشبية للناشرين طبع العديد من النسخ للكتاب المقدس نفسه، وكان العمل في حفر النص بدقة والزخرفة في الكتل الخشبية مملاً، وسيتغرق وقتاً طويلاً ويحتمل حدوث أخطاء كان يستحيل تصويبها غالباً إلا بالبدء من جديد. وبعد كل شيء، فإن الطباعة بالكتل الخشبية كانت بصورة عامة مضطربة وغير جذابة. ولكن مطبعة جوتنبرج استخدمت نماذج متحركة يمكن استخدامها مرات متعددة سواء في طبع نفس الصفحات أو طبع صفحات جديدة.

الكتب المقدسة المطبوعة قديماً

ابتداء من أواخر الخمسينات من القرن الخامس عشر تقاطر الطباعين إلى الحانوت الذي كان يمتلكه جوتنبرج سابقاً في أوجزبرج في ألمانيا ليتعلموا كيف ينشئون ويستخدمون المطابع. وبعد أن تعلموا، أقام هؤلاء الطباعون مطابعهم في كل البلاد، فسرعان ما ظهرت في إيطاليا. وأصبحت البندقية بشكل خاص مركزاً هاماً للطباعة، وفي السبعينات من القرن الخامس عشر، احتكرت كتبها السوق. وبعد ذلك انتشرت الطباعة في كل أوربا، وفي نهاية القرن كانت توجد محلات للطباعة في نحو ٢٥٠ مدينة وبلدة في أوربا.

وكانت تطبع الكتب المقدسة، مع غيرها من الكتب، بأعداد كبيرة. فقبل عام ١٥٠٠م. ظهرت أكثر من ٩٠ طبعة من الڤولجاتا اللاتينية. فطبعت في البندقية ترجمتان من الڤولجاتا في البندقية وحدها في ١٤٧١م. إحداهما بمعرفة ڤيند لينوس دي سبيرا، والأخرى بمعرفة نيقول مالرمي. وقد طُبِعَت ترجمة مالرمي عشرة مرات قبل ١٥٠٠م. وكثيراً بعد ذلك. ولكن مع أن الكتب المقدسة باللاتينية كانت هي السائدة، فإن عدداً من الكتب المقدسة. باللغات المحلية ظهرت أيضاً. وأول كتاب مقدس طُبع بعد جوتنبرج طُبِع في ستراسبورج في ١٤٦٦م. وكان بالألمانية. وظهرت طبعته الأخيرة في ١٧٧٣م. وأول ترجمة تشيكية للكتاب المقدس نقلاً عن الڤولجاتا، نُشرت في ١٤٧٥م.

وأول كتاب مقدس مطبوع بالعبرية كان سفر المزامير الذي نُشر في بولونيا في إيطاليا في ١٤٧٧م. وأول كتاب مقدس كامل بالعبرية مطبوع نشره يشوع سليمان في ١٤٨٨م. ويشتهر بدقة حروفه العبرية ورسوماته الهندسية المعقدة.

زخرفة الكتب المطبوعة

كانت الكتب الأولى المطبوعة غير مزخرفة بشكل عام، مع أن الطابع ترك مسافة لمثل هذه الأعمال لتضاف بعد الطباعة. وكثيراً ما أضاف الفنانون حروفاً ورسومات ملونة للنص بعد الطباعة، كما في الكتاب المقدس الذي نشره برنارد رتشل من بازل بسويسرا في ١٤٧٢م. وما يستدعي الملاحظة أكثر هو أن نسخة سبيرا (الترجمة الإيطالية للڤولجاتا) كانت تحتوي على حروف كبيرة مزخرفة بإسراف، وزخارف ورسومات أضافها فنان لا يعرف اسمه، يشتهر بلقب سيد الأيقونات.

حتى في السنين الأولى من الطباعة، تم عمل رسومات متعددة الألوان بالمطبعة، فمثلاً في ١٤٥٧م. اتحد جوهان فوست، الذي استولى على مطبعة جوتنبرج سداداً للدين، مع بيتر سكوفر الذي ساعد فوست في استكمال طبع كتاب جوتنبرج المقدس، لإنتاج كتاب المزامير المتقن. ففي

Eatus vir qui non abijt in əsilio impioꝝ: et in via peccatorū non stetit: ⁊ in cathedra pesti-lentie non sedit, Sed in lege domini volūtas eius: ⁊ in lege eius meditabitur die ac no-cte, Et erit tanq̄ lignū quod plātatū est

Anno dñi Millesīo-cccc-lvij-Invigilia Assūpcōis,

سفر المزامير الذي قام بطبعه في ١٤٥٧م. شركاء جوتنبرج القدامى، جوهان فوست وبيتر سكوفر، كان أول كتاب يطبع ثلاثة ألوان.

هذا الكتاب طبعت بعض الحروف المرقومة باللون الأحمر، وبعض الرسومات الخلفية يحتمل أنها حُفرت في معدن لين مثل النحاس، طبعت بالأزرق. ولإنتاج هذه الألوان الثلاثية المنفصلة (الأسود والأحمر والأزرق) كان على الطبَّاعين أن يضعوا الأوراق في المطبعة ثلاثة مرات. فبعد طباعة النص الأسود، كان عليهم أن يزيلوا تماماً اللون الأسود من الألواح وأن يضيفوا الحبر الأحمر للحروف التي يلزم لها ذلك، ويعيدوا طبع الصفحات. ثم كان عليهم تكرار العملية للون الأزرق. فكانَ عملاً يستغرق وقتاً طويلاً.

وأول كتاب مقدس طبع برسومات نشره جونثر زينر من أوجسبوبرج بألمانيا في نحو سنة ١٤٧٥م. وكان يشمل على حروف وعلى رسومات محفورة في كتل خشبية. ولكنه لم يكن ملوناً، بل كان اللون يجب أن يضاف باليد بعد شراء الكتاب. ثم ١٤٧٨م. أنتج طبَّاع ألماني هو هنرتش كونتيل كتاب كولونيا المقدس، الذي كان مصوراً بإسراف بواسطة الحفر في الكتل الخشبية ولكنه نادراً ما استخدم الألوان. وعندما كان يتم إعداد كتلة خشبية منقوشة لاستخدامها في الطباعة، كان يجب استخدامها مرات بلا عدد دون فقدان شيء من التفاصيل أو الدقة أو الوضوح. وكانت الكتل الخشبية المنقوشة تستخدم بكثرة في طبع الكتب في القرون التالية.

وفي ١٥٠٠م. أصبحت طباعة الكتب وزخرفتها بدرجة عالية من الجودة حتى إن الطباعة أصبحت السائدة في نشر الكتب. واختفى بالتدريج نسخ المخطوطات وزخرفتها باليد، الطريقة التي ازدهرت في العصور الوسطى. كانت تلك نهاية حقبة، وبداية أخرى.

مهنة بائع الكتب

ترجع تجارة الكتب إلى مصر القديمة عندما كان الكتَّاب يسجلون أقوال الخطباء والشعراء، ويبيعون النصوص المسجلة لمن يستطيع ذلك. ثم بعد ذلك في روما عندما أصبح من المألوف اقتناء مكتبات، أقام بائعو الكتب محلات في نواحي المدينة. وكانوا يضعون على الأبواب أو قوائم الأبواب قوائم بأسماء الكتب المعروضة.

وبانتشار المسيحية، أصبحت الكتب المقدسة وغيرها من الكتابات المقدسة مطلوبة، وانتشر باعة الكتب الجائلون وفي القرن الثاني عشر، لسد حاجة الجامعات، ظهر باعة الكتب الذين كانوا يعملون كمندوبين في باريس وبولونيا، وكانوا على الأرجح يعملون في أكشاك. وبالتدريج انتشروا في المدن الأخرى التي بها جامعات.

وفي القرن الرابع عشر عندما انتقل عمل نسخ وزخرفة المخطوطات من الأديرة ليصبح عمل المحترفين من عامة الشعب، ازداد عدد باعة الكتب بازدياد عدد من يعرفون القراءة والكتابة من الطبقة الوسط. وفي ١٣٠٠م. كانت باريس وحدها تفتخر بوجود ثلاثين من باعة الكتب الذين كونوا نقابة. وكثيراً ما كانوا يقيمون أكشاكهم إلى جوانب كاتدرائية المدينة. وكانوا يبيعون إلى جانب الكتب، نسخاً من الصلوات الشعبية.

وظهر نظام بيع الكتب الحديث فوراً بعد اختراع الطباعة. وكان الطبَّاعون الأوائل يبيعون كتبهم، فكان لجوتنبرج مشتري لكل نسخة من كتابه المقدس المطبوع بعد طباعته وعرض صفحات قليلة كعينة وسرعان ما استخدم أصحاب المطابع وكلاء لبيع انتاجهم. فمثلاً يقال أن أنطون كوبرجر الذي أدخل الطباعة إلى نورمبرج في ألمانيا في ١٤٧٠م. كان له عملاء لبيع كتبه في كل مدينة في البلاد المسيحية، علاوة على حوانيته الستة عشرة. ومن ذلك العهد فصاعداً، أصبحت محلات بيع الكتب مشهداً معتاداً في كل أوربا.



صورة لمحل بيع الكتب في إيطاليا في القرن الرابع عشر

لوثر وكتابه المقدس



صورة لمارتن لوثر (١٤٨٣ – ١٥٤٦م.) بريشة الشيخ لوكاس كراناتش.

"لو أن الله أراد أن أموت وأنا أظن أنني شخص موهوب، فإنه لم يكن يدعني أنهمك في ترجمة الكتاب المقدس"

مارتن لوثر – المصلح البروتستانتي (١٤٨٣ – ١٥٤٦م.)

عالم الكتاب المقدس الألماني الشهير، كان راهباً في وقت من الأوقات، وقد اشتهر لقيامه بحركة إصلاح واسعة المدى في الكنيسة، انتهت بانقسام الكنيسة إلى كاثوليكية وبروتستانتية، ولكنه أيضاً ترجم الكتاب المقدس إلى الألمانية التي ساعدت على توحيد الأمة ولغتها متعددة اللهجات. وللعجب أنه استغرق أحد عشر أسبوعاً فقط في الانتهاء من النسخة الأولى من العهد الجديد بالألمانية، وهو جزء من ترجمة الكتاب المقدس بلغة سهلة حتى مازالت نسخ منقحة منها متداولة بين الألمان اليوم.

وُلِدَ لوثر في عائلة من الفلاحين، وكان والداه يضربونه بقسوة تعتبر بمقاييس اليوم تعسفاً. وكان والده يعمل في منجم نحاس استطاع بعد ذلك أن يشتري عدة مناجم ومسابك، درت عليه دخلاً وفر له ولأسرته حياة مريحة. ومن الواضح أن أباه قد أدرك موهبة الذكاء الخارق للعادة عند ابنه، لأنه بدلاً من أن يزج به في عمل الأسرة بعد المدرسة الأولية، أرسله إلى مدرسة ثانوية، ثم إلى الجامعة حيث نال درجة البكالوريوس ثم درجة الماچستير. ومن هناك بدأ لوثر في دراسة القانون، كما كان يريد أبوه. وكان لوثر يستطيع بدرجة البكالوريوس في القانون، على توفير حياة طيبة لوالديه وأسرته الكبيرة.

سأصبح راهباً

بعد نحو شهر من وجوده في مدرسة القانون، أخذ لوثر إجازة من المدرسة للذهاب إلى بيته ربما للتشاور مع والديه عن مستقبله، وفي رحلة العودة إلى المدرسة قابلته عاصفة رعدية، فصرخ لوثر للقديسة شفيعة عمال المناجم، ساعديني يا قديسة آن! سأصبح راهباً! وبعد ذلك بعدة أسابيع دخل ديراً، وكان هذا قراراً غير تاريخ المسيحية.

وبناء على ما يستوجبه نظام الرهبنة الأوغسطينية الحازم الذي التحق به، سلَّم لهم كل ما يملك بما في ذلك عوده الأثير عنده والذي كان يجيد العزف عليه. صلى وصام وحرم نفسه، واستخدم ممارسات التقشف الشائعة عند الرهبان من ضرب نفسه، والحرمان من النوم، وبدون غطاء في الليالي الباردة، ومع ذلك لم يشعر إطلاقاً بأنه صالح بما يكفي لإرضاء الله.

فقد كتب: إن ضميري لن يؤكد لي ذلك أبداً، فكنت دائماً أشك وأقول: لم تفعل هذا على الوجه الصحيح. إنك لم تندم وتنسحق بما يكفي. لقد فاتك أن تعترف بهذا... في اعترافك.

وقد حاول مرشده الخاص، چوهان ڤون ستوبتز، الذي كان زميلاً له في الرهبنة، وعميداً للكلية اللاهوتية في جامعة وتنبرج، أن يؤكد للوثر محبة الله ورحمته، ولكنه لم ينجح وبناء عليه، يبدو من الواضح أن ستوبتز كان يرجو أن لوثر يمكنه أن يكتشف الحق بنفسه من الكتاب المقدس، فأمره أن يصبح استاذاً للكتاب المقدس في وتنبرج. فاعترض لوثر قائلاً «سيكون هذا موتاً لي»

مقتطفات من الحجج الخمس والتسعين

عندما علّق مارتن لوثر حججه الخمس والتسعين على بوابة كنيسة في ويتنبرج، كان بذلك يحتج ضد العديد من ممارسات الكنيسة الروم كاثوليكية، وتحديداً بيع صكوك الغفران. وفيما يلي عينة من هذه الحجج، والتي كان لوثر يأمل أن تؤدي إلى جدال وإصلاح داخل الكنيسة:

١– عندما قال ربنا وسيدنا يسوع المسيح: «تُب»، كان يريد أن تصير حياة المؤمن بجملتها حياة توبة.

٢– هذه الكلمة «تُب» لا يمكن أن تُفهَم على أنها تشير إلى ذبيحة التوبة، أي الاعتراف والترضية، كما يقدمها رجال الكنيسة.

٢٧– إنهم يعظون بعقائد بشرية صرفة حينما يقولون إنه بمجرد أن ترن الأموال في صندوق المال، تنطلق الروح من المطهر.

٣٢– من يعتقدون أنهم يضمنون خلاصهم بسبب حيازتهم لصكوك الغفران، سوف ينالون العقاب الأبدي، إلى جانب معلميهم...

٣٦– كل مسيحي تائب حقاً يمتلك الحق في إزالة العقوبة والذنب، حتى بدون صكوك الغفران.

٤٥– ينبغي أن يتعلم المسيحيون أن من يرى رجلاً محتاجاً ويمر دون مساعدته، ومع ذلك يعطي أمواله لدفع ثمن صكوك الغفران، فهو بذلك لا يشتري غفراناً من البابا بل غضباً من الله..

٥١– ينبغي أن يتعلم المسيحيون أن من الأفضل للبابا أن يبيع كنيسة القديس بطرس (والتي بُنيت بأموال تم جمعها من بيع صكوك لغفران) ويعطيها للفقراء الذين أجبروا على شراء صكوك الغفرن.

فأجابه ستوبنز: «حسناً، فالله لديه الكثير من العمل للرجال الأذكياء مثلك ليقوموا به في السماء».

وفي أثناء دراسة لوثر لإعداد المحاضرات والمواعظ، أسره تعليم الكتاب المقدس بأن المسيحيين يخلصون ليس بطاعة قواعد الكنيسة والاعتراف بالخطايا للكاهن أو أعمال التوبة أو أعمال الشفقة، بل يخلصون فقط بالاتكال على الله. وذكر آية واحدة بالاختصار: «البار بالإيمان يحيا» (رو ١: ١٧). واقنعته دراسته بأنه ليس عليه أن يكتسب خلاص الله، بل يلزمه أن يقبله كهبة مجانية.

السماء للبيع

جاءت بصيرة لوثر الجديدة في أسوأ وقت للكنيسة. فإسراف البابا ليو العاشر كغيره من البابوات أوقعه في أزمة مالية، وللحصول على المال، خلق البابا أكثر من ٢٠٠٠ وظيفة وباعها كما قرر بيع صكوك الغفران، وهي تصاريح للدخول للسماء، لتقصير أو إلغاء الوقت الذي كان يصرف في المطهر لأعمال التوبة عن الخطية، وكانت الحجة في بيع صكوك الغفران، هو أن الكنيسة لديها كنز روحي يتكون من أعمال الرب يسوع والرسل والقديسين، ويستطيع البابا أن يسحب من هذه الأرصدة لإطلاق سراح الناس من أعمال الندم والتكفير عن خطاياهم في فترة وجودهم في المطهر بعد الوفاة، وإرسالهم إلى السماء.

وفي ألمانيا ذهب نصف الأموال التي جُمعت إلى البابا، وذهب النصف الثاني بتصريح من البابا إلى أحد الأمراء الألمان حتى يستطيع الأمير أن يدفع الدين الباهظ الذي استدانه عند شرائه العديد من وظائف الكنيسة بما في ذلك وظيفة رئيس أساقفة مينز.

وكان البائع المتجول الذي كان يبيع صكوك الغفران في ألمانيا كان راهباً بارعاً في البيع اسمه جوهان تتزل: فكان يقول للجموع التي احتشدت حوله: اسمع لصوت أقربائك الأعزاء الذين يتوسلون إليك قائلين: «ارحمنا، ارحمنا، إننا في عذاب رهيب وتستطيع أن تنجينا بمبلغ زهيد» وكثيراً ما كان يختم مناداته بأغنية: حالما ترن نقودك في الصندوق، نفوسنا من المطهر تنطلق.

ورداً على ذلك، كتب لوثر الخمسة والتسعين حجة المشهورة ضد بيع صكوك الغفران وضد المساوىء داخل الكنيسة، وضد تعليم أن الخلاص يستلزم الاعتراف لأحد الكهنة وكذلك لأعمال التوبة.

وعلق هذه الحجج على باب كنيسة جميع القديسين في وتنبرج في ٣١ اكتوبر ١٥١٧م. راجياً أن تشمل حوارا يمكن أن يوقد شعلة مطهرة، شعلة الإصلاح، وعوضاً عن ذلك كان مصيره هو الطرد من الكنيسة الكاثوليكية.

وبعد تعليق هذه الحجج بثلاث سنوات ونصف ظن لوثر أنه سيحدث الحوار الذي يريده، دعا الإمبراطور الروماني المقدس شارل الخامس الذي قاوم طلب البابا

ظل لوثر يجهل الكتاب المقدس حتى سن العشرين

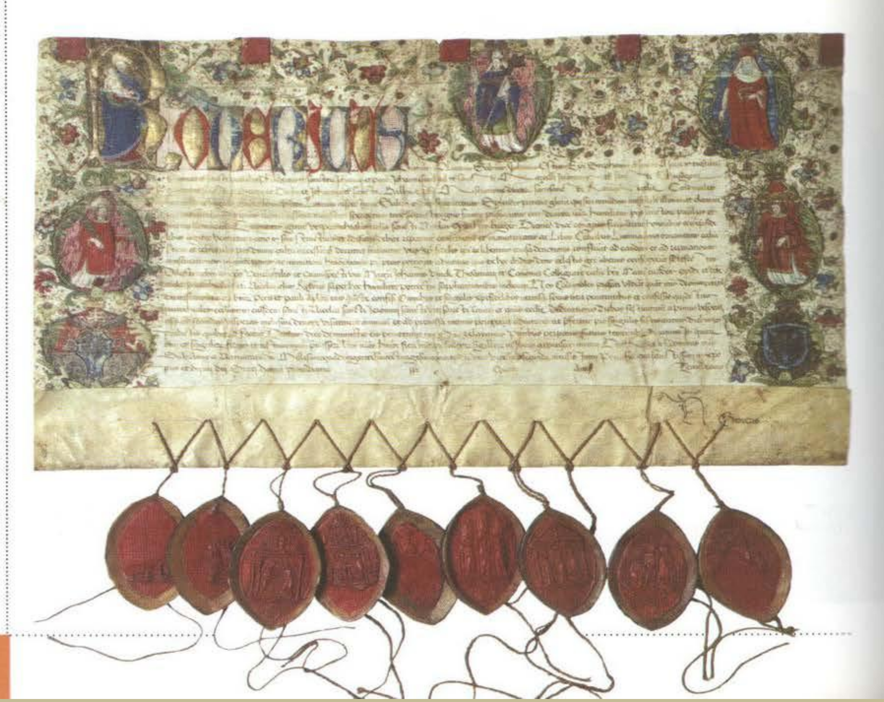
فقد قال مرة إنه إلى أن بلغ العشرين من العمر لم يكن قد رأى كتاباً مقدساً. ولكن بعد عشرين سنة أخرى لم يكن قد درس الكتاب جيداً فحسب، بل كان قد ترجم إلى الألمانية العهد الجديد وبدأ العمل في ترجمة العهد القديم.



صورة للبابا ليو العاشر (١٤٧٥- ١٥٢١م.) بريشة روفائيل. ولجمع الأموال أقر ليو بيع صكوك الغفران، وهي تذاكر روحية إلى السماء كانوا يعتقدون أنها تقصر مدة بقاء الشخص في المطهر، أو تلغيها تماماً.

"نحن الآن نجاهد في ترجمة الأنبياء إلى الألمانية، يا الله ما أصعبه وأشقه من عمل أن نُجبر هؤلاء الكتاب رغم إرادتهم على أن يتحدثوا الألمانية. ليست لديهم رغبة في أن يتخلوا عن لغتهم العبرية ليقلدوا لغتنا الألمانية البربرية. إن هذا أشبه بإجبار بلبل على أن يقلد الوقواق".

مارتن لوثر



صورة صك غفران من ١٤٨٤م. كانت ترسل مثل هذه الرسائل إلى بعض الكنائس، وكانت تمنح غفرانات جزئية لكل من يزورون الكنيسة في يوم معين من أيام الصيام، وغفرانات شاملة للذين يزورونها باستمرار ويقدمون صلوات معينة أو يقومون بفروض معينة. ومعلق بها من الأسفل أختام بابوية.

بحرق لوثر باعتباره هرطوقياً، دعا إلى اجتماع يعرف بمجمع ورمس (في مدينة ورمس في ألمانيا) وسرعان ما اكتشف لوثر أن الاجتماع ليس للحوار بالمرة، بل للمحاكمة. وإذ طلب منه أن ينكر تعاليمه، أجاب: ما لم أستطع أن أقتنع وأتعلم بالدليل القاطع من الكتاب المقدس أو بحوار صريح واضح وأسس محددة من التفكير السليم، لا يمكن أن أتراجع عنها».

وكان حكم الامبراطور: راهب واحد يقف ضد كل المسيحية على مدى ألف عام، لابد أن يكون مخطئاً. لقد قررت أن أحشد كل شيء ضد لوثر، ممالكي وسلطاتي وأصدقائي بل وجسدي ودمي ونفسي.

وكما تم الاتفاق قبل المحاكمة، وعدوا لوثر بالعودة إلى بيته بسلام، ولكن أمير منطقته لم يثق في هذا الوعد، فحيث أن لوثر أعتبر خارجاً على القانون، كان يمكن لأي شخص أن يقتله دون أن ينتظر شيئاً سوى الشكر من أناس أقوياء. ولذلك خطف الأمير لوثر وهو في طريقه إلى بيته، ووضعه في إحدى القلاع لحمايته وأعطاه هوية جديدة هي الفارس چورچ.

كتاب مقدس جديد في ١١ أسبوعاً

في خلال الشهور العشرة التي قضاها لوثر في القلعة كان يكتب، وكان بين ما كتب، كتاباً قُدِّر له أن يحول تعاليمه إلى حركة. فإذ بدأ في العمل من نسخة يونانية من العهد الجديد مما نشره العالم الهولندي إرازمس منذ خمس سنوات سابقة. فترجم لوثر العهد الجديد إلى الألمانية وأكمل ترجمته الأولى في ١١ أسبوعاً فقط.

ولعل أحد الأسباب لإتمام الترجمة بهذه السرعة هو أن لوثر رفض أن يترجمه حرفياً حسب الكلمات اليونانية، بل عوضاً عن ذلك أراد أن يُقرأ الكتاب المقدس باللغة التي يتحدث بها الألمان. وقد قال لوثر فيما بعد بينما كان يعمل في العهد القديم إن الترجمة الدقيقة هي نقل روح لغة أجنبية إلى مصطلحاتنا الألمانية. إنني أحاول أن أتكلم كما يتكلم الناس في الأسواق، ففي ترجمتي لموسى، أجعله ألمانياً حتى لا يشك أحد في أنه كان يهودياً.

وأخضع لوثر ترجمته للتنقيح بمعرفة هيئة من العلماء الموهوبين دعاهم السنهدريم على اسم المجمع

چون كالڤن
صاحب العقلية التحليلية

كان الأب اللاهوتي للكنيسة المشيخية والمعمدانية الجنوبية الكثير غيرها من الكنائس البروتستانتية هو چون كالڤن، وقد كان لاهوتياً فرنسياً أُعجِبَ به مارتن لوثر، رغم أنه لم يقابله أبداً.

لقد كان هناك أمور كثيرة مشتركة بين الإثنين، حيث أن كالڤن يعتبر ثاني أهم شخصية مُصلِحة بعد لوثر. فوالدا كليهما شجعاهما على دراسة القانون. وكلاهما كانا مفكرين بارعين. وكلاهما كانا على علاقة وثيقة بالكنيسة الكاثوليكية.

كان كالڤن يتمتع بواحدة من ألمع العقليات التحليلية في الكنيسة، والتي استفاد منها لإنتاج أول عمل لاهوتي نظامي مستند على الكتاب المقدس للبروتستانت. من أهم الأسباب التي حققت الشهرة الطاغية لكالڤن هو صياغته لعقيدة الاختيار، وهي العقيدة التي تُعلِّم بأن الله يقرر من الذي سيخلص ومن الذي لن يخلص، ولا يوجد أي شيء يمكن للإنسان أن يعمله ليغير من هذا القرار.



لوثر يدافع عن معتقداته أمام الإمبراطور الروماني شارل الخامس في مجمع ورمس في ألمانيا (١٧ - ١٩ أبريل ١٥٢١م.) وقد أدان شارل الخامس لوثر بأنه هرطوقي، رغم أنه سمح له بالعودة سالماً إلى بيته. والصورة للوثر في مجمع ورمس، بريشة أنطون ڤون ورنر (١٨٤٣ - ١٩١٥).

اليهودي العظيم في عصر الكتاب المقدس. ونشر العهد الجديد في سبتمبر ١٥٢٢م. وكان سعره يعادل تقريباً أجر عامل نموذجي في أسبوع. وكان قطعة فنية في طباعته ورسوماته والتي طبعتا بقوالب خشبية وبيع منه نحو ٥٠٠٠ نسخة في خلال الشهرين الأولين، وأكثر من ١٠٠٠٠٠ في حياة لوثر.

ثم جاء العهد القديم بعد ذلك، ولكنه استغرق ١٢ سنة لأن لوثر استخدم مجموعة متنوعة من النصوص العبرية ولم تكن له دراية قوية بالعبرية مثلما كانت له باليونانية، بالإضافة إلى أنه بذل جهداً كبيراً لفهم المواضيع التي لم تكن مألوفة له. فعندما كتب عن طقوس الذبائح، جعل جزار المدينة يُشرِّح أمامه شاة حتى يستطيع أن يدرس أجزاءها بالتفصيل.

كتب لوثر كتباً كثيرة ومقالات وأبحاثاً عملية، بل وترانيم، أشهرها هي: «إلهنا حِصنُ حَصين» ولكن أعظم خدمة قدمها للعالم هي ترجمته للكتاب المقدس وقد قال: «أود لو أن كل كتبي تتلاشى حتى لا يبقى سوى الكتابات المقدسة في الكتاب المقدس ليقرأه الناس باجتهاد وعناية».

ولعل السبب في إحساسه هذا، هو أن الكتاب المقدس- وليس الكنيسة - هو الذي أعانه على الحصول على السلام مع الله. فقد آمن لوثر بأنه في هذا الكتاب حق الله متاح لكل إنسان. فإن إنساناً بسيطاً من عامة الشعب مسلح بالكتاب المقدس، يجب أن يكون موضع ثقة أكثر من أحد البابوات أو الكاردينالات بدون كتاب مقدس.

صورة للعهد الجديد في الألمانية الذي ترجمه لوثر ويحتوي على رسومات جميلة فهذه هي الصفحة الأولى من الرسالة إلى العبرانيين، وهي من رسومات هانز سكوتلين.

Die Epistel sanct Pauli zů den Römern. I

Das Erst Capitel.



Vater schrifft

Paulus ein knecht Jesu Christi: berůffen zum Apostel/außgesündert zů predigen das Euangelion gottes (welchs er zůuor verheyssen hat/durch seine propheten /in der heyligen schrifft/võ seinem sun/der im geborn ist von dem samen David/nach dem fleysch/vnd krefftiglich erweyset ein sun gottes/* nach dem geyst der do heyliget /sint der zeyt er aufferstanden ist von den todten/nemlich/Jesus Christ vnser her/durch welchen wir haben empfangen gnad vnd Apostel ampt vnter alle heyden / dem gehorsam des glaubens auffzůrichten/vnter seinem namen/welcher jr zum teyl auch seyt/die da berůffen seind von Jhesu Christo)

* (Nach dem geyst etc.) Der geyst gottes ist gebē nach Cristus auffart / võ da an/ heiliget er die Criste vñ verkleret Christū in aller welt/das er gotes sun sey/mit aller macht / un worten/ wunder vnd zeychen.

Vber schrifft

Allen die zů Rom sind/den liebstē gottes /vñ berůffnē heyligen.

Gruß

Gnad sey mit eüch vnd fride von got vnserem vater vnnd dem herrn Jhesu Christo.

Erbietūg

Auffs erst/danck ich meinem got/durch Jesu Christ/ ewr aller halben/das man von ewrem glauben inn aller welt sagt. Dēn got ist mein zeüge/welchem ich diene iñ meynem geyst/am Euangelio von seinem sun/das ich on vnterlaß ewr gedenck/ vnd alle zeyt

a



مواقيت أحداث حركة الإصلاح

١٥١٢: مارتن لوثر يحصل على الدكتوراه في علم اللاهوت.

١٥١٥: لوثر يحاضر عن الرسالة إلى رومية منادياً بالخلاص بالإيمـــان.

١٥١٧: راهب ألماني يبدأ في بيع صكوك الغفران، تذاكر روحية إلى السماء واحتجاجاً على ذلك، يعلق لوثر حججه الخمسة والتسعين.

١٥١٩: في حوار عام يقول لوثر إن الكتاب المقدس له سلطـان أعظم مــن سلطان قادة الكنيسة.

١٥٢٠: البابا يفرز لوثر.

١٥٢١: الإمبراطور الروماني المقدس يدين لوثر كهرطوقي.

١٥٢٢: لوثر ينشر العهد الجديد بالألمانية.

١٥٢٧: تأسيس أول جامعة بروتستانتية (ماربورج - ألمانيا)

١٥٢٩: استخدام اسم بروتستانت لأول مرة.

١٥٣٤: لوثر ينشر الكتاب المقدس كاملاً بالألمانية.



الكُتبُ المُقدَّسةُ مُتعدِّدةُ اللُّغات

حِكَم الكتاب المقدس

الكتاب المقدس ممتلىء بالحكم العميقة التي لا يمكن معرفتها من مصدر آخر إلا من نبع اللغة الأصلية

مقدمة الكتاب المقدس الكومبلوتيزياني



صورة للكاردينال فرانسسكو إكزيمنز دي كيزنيروس (١٤٣٦ - ١٥١٧م.)

كانت الكنيسة بشكل عام ضد ترجمة الكتاب المقدس إلى لغات الشعب، إذ كانوا يخشون أن العامة من الرجال والنساء قد يخطئون أخطاء فادحة في تفسير ما يقرأون فيقعون في الهرطقة. فكان قادة الكنيسة على أية حال يهتمون بتحقيق أدق الصور للنصوص الكتابية، فمع أنهم كانوا قد أعلنوا أن الڤولجاتا اللاتينية التي ترجمها چيروم، هي كتابهم المقدس الرسمي، فإنهم سمحوا أن تجري عليها التنقيحات والتصويبات على مدى القرون.

وأبدت الجامعات الجديدة اهتماماً أكبر بضمان نص دقيق. ومنذ القرن الثالث عشر، بدأ العلماء في دراسة الكتاب المقدس في لغاته الأصلية (العبرية واليونانية) وبدءاً من القرن السادس عشر، بدأ طبع الكتب التي تحتوي على النصوص الكتابية باللغة الأصلية مع ترجمات قديمة، وسميت هذه الكتب بالكتب المقدسة متعددة اللغات.

أصول الكتب المقدسة متعددة اللغات

وقد بدأت فكرة نشر كتاب مقدس متعدد اللغات من الكاردينال فرانسسكو إكزيمنز، رئيس أساقفة توليدو في أسبانيا. ولعله استقى الفكرة من الكتاب المقدس السداسي (الهكسابلا) الذي صدر في القرن الثالث عشر والذي قام به أوريجانوس. ومع أن أوريجانوس نسخ النصوص الكتابية القديمة في ستة أعمدة (عمود لكل نسخة) فإنه اقتصر على نقل النصوص العبرية واليونانية، فإن الكاردينال إكزيمنز أضاف إليهما اللاتينية والآرامية.

وقد قام بوضع أول كتاب مقدس متعدد اللغات فريق من العلماء فيما بين ١٥١٤ - ١٥١٧م. (السنة التي علق فيها لوثر حججه الخمسة والتسعين على باب الكنيسة في وتنبرج). وقد عمل العلماء معاً في الجامعة التي أسسها إكزيمنز في ألكالا دي هيناوس في أسبانيا، والاسم اللاتيني لمدينة ألكالا وهو كومبلو تم إطلاقه على هذا العمل، فأصبح يعرف بالكتاب المقدس الكومبلوتيزياني.

وفي الكتاب المقدس المتعدد اللغات الكامل، طبع العهد القديم على ثلاثة أعمدة محتوياً على نصوص من العبرية الأساسية (الماسورية) والنسخة السبعينية (أقدم ترجمة يونانية للعهد القديم) والڤولجاتا اللاتينية. وبالنسبة للأسفار الخمسة الأولى (التوراة) طبعت التراجم الآرامية بحروف عبرية في أسفل كل صفحة مع

الرجل الذي وراء أول كتاب متعدد اللغات

فرانسسكو إكزيمنز دي كيزنيروس نشأ في أسرة متواضعة ولكنه تصاعد حتى صار واحداً من قادة الكنيسة في القرن السادس عشر وكذلك أحد أبرز رجال السياسة الأقوياء. وقد تم إنجاز أول كتاب مقدس متعدد اللغات تحت قيادته. وُلِدَ إكزيمنز في أسبانيا سنة ١٤٣٦م. وكان ابناً لجامع ضرائب فقير. درس في جامعة سالمنكا ورُسِمَ كاهناً. وبعد قضائه عدة سنوات في روما، عاد إلى أسبانيا، حيث خدم أخيراً كنائب للأسقف تحت الكاردينال بدرو دي مندوزي.

وفي سنة ١٤٨٤م. على نحو غير متوقع ترك عمله ليصير فرنسيسكاني في دير للرهبان في توليدو. وبدأت حياته الصارمة تجذب الجماهير، فانتقل إلى دير منعزل، حيث عاش في هدوء وصمت. بين أن حياة العزلة لم تدم طويلاً، إذ تم تعيينه أباً لاعترافات للملكة إيزبيل ملكة أسبانيا في ١٤٩٢م. (وهي نفس السنة التي دعت فيها الملكة إيزابيل رحلات كولومبوس الاستكشافية) وسرعان ما أصبح إكزيمنز يقدم بضائع فعالة في شئون الدولة كما في الأمور الروحية. وفي ١٤٩٤م. صار رئيس الفرنسيسكان في كاستيل وفي ١٤٩٥م. نودى به أسقفاً لتوليدو، وهو أعلى منصب كنسي في أسبانيا. وفي منصبه كأسقف سعى إكزيمنز لإصلاح الحياة المسيحية بشكل عام ونجح في إصلاح النظام الفرنسيسكاني وغيره من الأنظمة الدينية.

بعد موت الملكة إيزابيل في ١٥٠٤م. غادرت الملكة فرديناند كاستيل، ولفترة صار إكزيمنز هو الحاكم الفعلي لكاستيل. وفيما بعد خدم كوصي على الملك الطفل تشارلز الخامس. ثم صار إكزيمنز كردينال في سنة ١٥٠٧م. وفي سنة ١٥٠٨م. استخدم دخله الخاص في تمويل جامعة ألكالا والتي أحضر إليها مسيرة العلماء من باريس وبولوغنا وسالمنكا. وبعد ذلك قدم التمويل والدعم والإشراف على نشر الكتاب المقدس المتعدد اللغات الكومبلوتيزياني. وتوفي سنة ١٥١٧م.

الترجمات اللاتينية لهذه التراجم الأرامية. أما نصوص العهد الجديد فقد طُبِعت على عمودين، أحدهما لليونانية الأصلية والثاني للڤولجاتا اللاتينية. وقد نشر الكتاب في ستة مجلدات، اشتمل المجلد الأخير على قوائم مختصرة بقواعد اللغة العبرية، ومعاني الكلمات العبرية والآرامية.

الترجمات التي تمّت بعد ذلك

في النصف الثاني من القرن السادس عشر نجح صاحب إحدى المطابع المغامر كريستوفر بلانتين في الحصول على الحظوة عند الملك فيليب الثاني ملك أسبانيا الذي منحه حق احتكار طبع الكتب الدينية التي توزع في أسبانيا وممتلكاتها. فأقام بلانتين مطبعة في أنتورب في فلاندرز الغربية (جزء من بلچيكا الآن) التي كانت تحتلها القوات الأسبانية في ذلك الوقت. إذ كان معجباً بالكتاب المقدس الكومبلوتيزياني متعدد اللغات، حرض فيليب على تمويل طباعة نسخة جديدة أكثر إتقاناً (ولو أن بطء فيليب في الدفع كاد يؤدي إلى إفلاس بلانتين). ولإعداد النصوص للكتاب المقدس الجديد عين الملك فيليب بنيتو أرياس مونتانو وهو لاهوتي أسباني ومتخصص في اللغات الشرقية وقد درس في ألكالا. وقد سار مونتانو على نهج إكزيمنز في عمله، ولكنه أضاف نسخة من العهد الجديد بالسريانية (لهجة آرامية كانت تستخدم في العبادة في بعض الكنائس الشرقية) مع ترجمة لاتينية للسريانية.

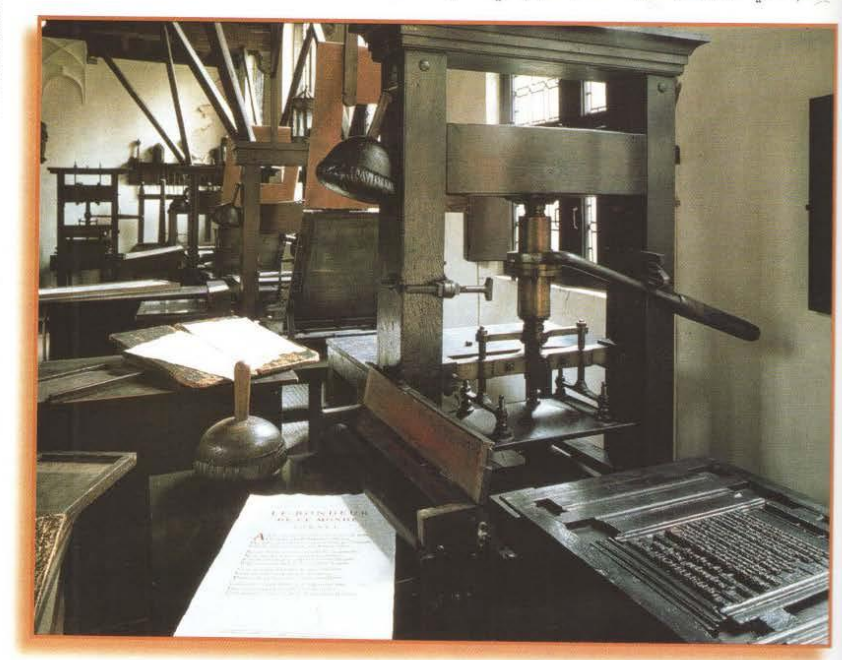
وقد نشرت نسخة أنتورب متعددة اللغات، (وهذا هو الاسم الذي كان يطلق على نسخة بلانتين) في ثمانية مجلدات فيما بين (١٥٦٩ - ١٥٧٢م.) وكانت رسومات بلانتين وطباعته الجميلة موضع إعجاب شديد. وعلى الجانب الآخر أتُهم مونتانو بالتلاعب في النصوص الكتابية، ولكنه سرعان ما أبريء من هذه الاتهامات.

وفيما بين (١٦٢٩ - ١٦٤٥م.) نشر كتاب مقدس متعدد اللغات في باريس، وهو أقل دقة في الرسم والطباعة من نسخة بلانتين، ولكن كان يشتمل على نسخ عربية للكتاب المقدس، كما على أول نسخة مطبوعة كاملة من التوراة السامرية. وكان السامريون إسرائيليين تزاوجوا مع الأشوريين بعد أن غزا الأشوريون مملكة إسرائيل الشمالية في القرن الثامن قبل الميلاد، وقد احتفظوا بنسختهم من الأسفار المقدسة. وقد عرفت النسخة السامرية لأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس (وهي الأسفار الوحيدة التي يقبلها السامريون) في أوربا قبل سنوات قليلة من بدء العمل في نسخة باريس متعددة اللغات، وهي تختلف قليلاً عن النسخة الماسورية لهذه الأسفار، وبذلك كانت لها أهميتها في دراسة تطور الكتاب المقدس.

وآخر كتاب مقدس مميز فيما يتعلق بتعدد اللغات نُشر في لندن فيما بين (١٦٥٤ - ١٦٥٧م.) في ستة مجلدات، وكان كتاب مقدس ينشره البروتستانت. وقد تم إعداده تحت إشراف العالم الإنجليزي «بريان والتن». وقد اشتمل كتاب لندن متعدد الغات نصوصاً من تسع لغات: العبرية، والآرامية، والسامرية، واليونانية، واللاتينية والحبشية والسريانية والعربية والفارسية. ويعتبر على وجه العموم أجمل كل الكتب المقدسة متعددة اللغات.

كتاب مقدس جديد متعدد اللغات

في سنة ١٥١٤م. وهي السنة نفسها التي بدأ فيها في الكتاب المقدس المتعدد اللغات الكومبلوتيزياني، كان هناك باحث إيطالي دومنيكي يدعى أغوسطينو جيوستينياني، قد بدأ العمل في الكتاب المقدس المتعدد اللغات الخاص به. وعاش حتى انتهى من سفر المزامير فقط، والذي ظهر في ١٥١٦م. وتضمن النصوص العبرية واليونانية والعربية والآرامية.



صورة لمطبعة كريستوفر بلانتين كما هي محفوظة في متحف في انتورب في بلچيكا.

تِنْدَالُ المُتَرْجِمُ الطَّرِيدُ

لم يكن تندال كاهن يحتاج إلى أكثر من مكان هادىء ليترجم الكتاب المقدس. وقد واجه وليم تندال مخاطرة غير عادية في حياته. فقد طورد في كل أوربا من عملاء سريين، وهوجم بينما كان يقوم بطباعة العهد الجديد الذي ترجمه إلى الإنجليزية في مكان تحت الأرض. وقد خطفه أحد الجواسيس وأعدم وهو في أوائل الأربعينيات من عمره بتهمة الهرطقة، وكل ذلك لأنه ترجم الكتاب المقدس إلى الإنجليزية.

لم يوافق رؤساؤه الكاثوليك على المشروع وربطوا بين ذلك وبين الحركة البروتستانتية المتنامية التي كانت تنادي بأن الكتاب المقدس وليست الكنيسة هو صوت الله على الأرض.

من كاهن إلى شريد

ومع أنه تعلَّم في أكسفورد وكمبردج، ثم عُين كاهناً، لم يكن تندال يريد شيئاً أكثر من أن يترجم الكتاب المقدس من لغاته الأصلية العبرية واليونانية، إلى الإنجليزية. وإذ كان لغوياً موهوباً، فقد بدا كفئاً للعمل. وكان قد أتقن على الأقل سبع لغات بما فيها اللغات الكتابية القديمة.

وفي ١٥٢٣م. وهو في نحو الثلاثين من عمره، ذهب إلى لندن وطلب الأذن من الأسقف كاثبرت تونستول ليبدأ في الترجمة، وكانت هذه حركة ذكية لأن الأسقف كان أحد العلماء وكان صديقاً لإرزمس اللاهوتي الهولندي الذي نشر أول طبعة للعهد الجديد باليونانية والذي كتب في المقدمة إنه يود لو أن الكتاب المقدس يترجم إلى كل لغة، ولكن تونستول رفض طلب تندال، في الغالب مخافة أن كتاباً مقدساً يمكن أن يفهمه الناس العاديون، لابد أن يشجع حركة الإصلاح التي بدأها مارتن لوثر الذي طُرد من الكنيسة، قبل ذلك بسنتين. وقد أدى هذا الرفض إلى أن يرى تندال أنه لا يوجد له مكان لترجمة العهد الجديد، ليس فقط في لندن، بل وفي كل انجلترا.

وبمساعدة مالية من أحد تجار الملابس الأغنياء، أبحر تندال من انجلترا في السنة التالية للبحث عن مكان آمن للعمل، ولم يرَ انجلترا مرة أخرى. انتقل إلى همبورج في المانيا، وما جاء شهر أغسطس ١٥٢٥م. حتى كان قد أنجز ترجمة العهد الجديد اليوناني إلى الإنجليزية. ووجد تندال أحد أصحاب المطابع في كولونيا. ولكن انقطع العمل في الطبع عندما هاجم بعض المعارضين للحركة

الإجابة على من انتقدوه

وفي إجابته لمن نقدوه من قُرَّاء ترجمته الإنجليزية للعهد الجديد، الذين كانوا يتساءلون عمَّا إذا كان من الصواب أن يتجاهلوا أمر الكنيسة بتحريم الكتاب، قدم وليم تندال التأكيدات الآتية:

يقولون لكم إن الأسفار المقدسة يجب أن تكون باللغة الأم، ولكن ذلك لأنهم يريدون أن يسوقوكم عمياناً إلى السبي.

يقولون إن الأسفار المقدسة يلزمها فكر طاهر هادىء، وإن عامة الشعب مرتبكون جداً بالأشغال العالمية لدرجة لا يستطيعون معها فهم الكتب المقدسة. وهذا السلاح يرتد إليهم، لأنه من هو أكثر انشغالاً بالأمور الدنيوية من الأساقفة (القادة الدينيين)؟

يقولون إن العامة سيفسرونه كل واحد بطريقته الخاصة، فلماذا لا يعلِّم الكهنة الشعب الطريق الصحيح؟

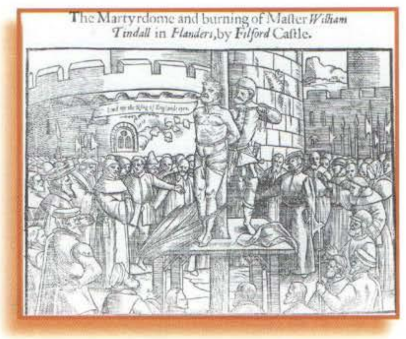
يقولون إننا في حاجة إلى دكاترة لتفسير الكتب المقدسة لأنها عسيرة جدًا، وإن هناك أخطاء حتى في كتب أوريجانس وأغسطينوس، فإذا كان الكهنة لا يعلمون الإنجيل فيجب أن يكون لدى الرجل العلماني الكتاب المقدس ويقرأه لنفسه متخذاً من الله نفسه معلماً له.

تعليقات تحريرية

أضاف وليم تندال تعليقاته البروتستانتية في الهوامش في كتابه، فمثلاً في (خر ٣٦: ٥- ٧) حيث يقول موسى للشعب إنه لا يلزمهم أن يأتوا بتقدمات أخرى لخيمة الشهادة، يكتب تندال: متى سيقول البابا «كفوا» ويمنع التقدمات لبناء كنيسة القديس بطرس؟ فقد كان بناء هذه الكنيسة التي تكلفت كثيراً على تل الفاتيكان في روما، هي التي عملت على دفع البابا لبيع صكوك الغفران.

عينة من ١٥٢٦ م. الإنجليزية

هنا كيف ترجم تندال (رو ١٢: ١) في الطبعة الأولى من العهد الجديد «لذلك أطلب إليكم أيها الإخوة بمراحم الله، أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة ومقبولة عند الله، التي هي عبادتكم العقلية له»



إذ وُجِدَ مُذنباً بالهرطقة في ١٥٣٦م. رُبط تندال إلى خازوق وخُنق بحبل، ثم أُحرق.

صورة لإعدام وليم تندال محفورة على الخشب من ١٥٦٣ م. في كتاب «أعمال وآثار» تأليف جون فوكس.

البروتستانتية المطبعة. وإذ علم تندال بمؤامراتهم، أنقذ الصفحات التي كان قد تمت طباعتها وهرب بها، وقد أنجز العمل صاحب مطبعة في مدينة ورمس التي كانت أكثر استعداداً لقبول فكرة الإصلاح، ثم هُرِّبت الستة آلاف نسخة مطبوعة إلى انجلترا في براميل الدقيق ولفائف القماش.

حرق الكتاب المقدس والمترجم

ارتعب الأسقف تونستول عندما اكتشف موضوع الكتب المقدسة، وأمر أن تُجمع كل النسخ في دائرة أبريشيته وتحرق. ورتب سرًّا أن يشتري كل الباقي من كتب تندال، قائلاً إنها كتب رديئة وسيئة، وقال لأحد التجار الذي كان يعتقد أن له اتصالات بتندال وذكر له «إنني أنوي بكل تأكيد تدميرها جميعها» وكان لهذا التاجر اتصالاته فقد كان صديقاً للمترجم، ووافق تندال أن يبيع الكتب المقدسة ويستخدم ثمنها لطبع نسخ محسَّنة والتي نشرها في (١٥٣٤، ١٥٣٥م.)

وفي ذلك الوقت كان تندال يقوم بترجمة العهد القديم، وانتهى من الأسفار الخمسة الأولى وكذلك سفر يونان وكل الأسفار من يشوع إلى أخبار الأيام الثاني، ولكنه لم يعش حتى يراها مطبوعة.

وأخذ تندال في التجوال ليتحاشى عملاء الانجليز والكنيسة، الذين أُرسلوا لإلقاء القبض عليه وبينما كان تندال في أنتورب، خدعه أحد عملاء الإنجليز الذي ادَّعى أنه يؤيد العقائد البروتستانتية الناشئة وأقنع هذا العميل تندال بأن يسيرا معاً في المدينة، ثم عندما دخلا ممراً ضيقاً أشار هذا العمل لجنديين فقبضا على تندال وساقاه إلى سجن الولاية بالقرب من بروكسل والتي كانت تبعد نحو ٢٥ كيلو متراً (١٦ ميل).

وفي أثناء وجوده في السجن لمدة سنة ونصف كتب خطاباً يبدو بصورة مدهشة شبيهاً بإحدى رسالتي الرسول بولس إلى تيموثاوس. خطاباً يشير إلى أنه كان ما زال يعمل في ترجمته للعهد القديم. وكان الخطاب مكتوباً باللاتينية ومرسلاً إلى شخص في السلطة لم يذكر اسمه:

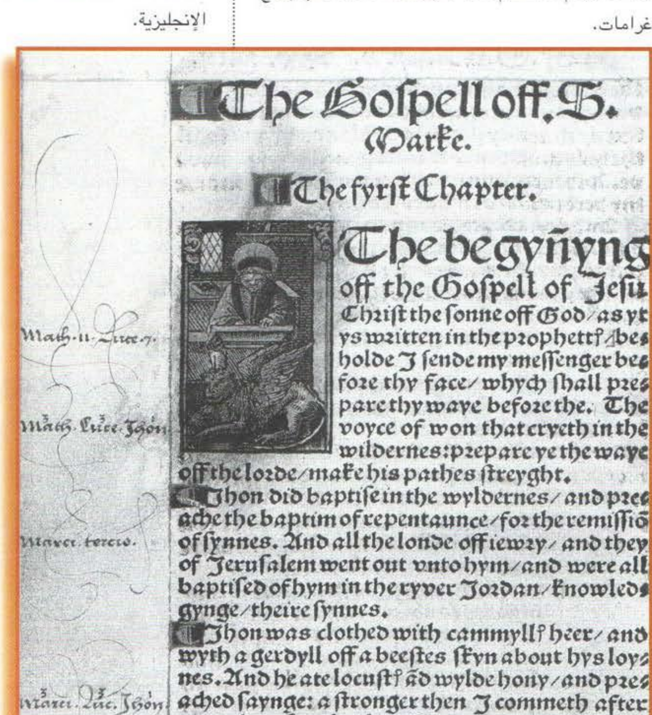
«ألتمس من سيادتكم .... أن تطلب من الضابط المسئول أن يتكرم بأن يرسل لي من أمتعتي التي لديه، غطاء للرأس أدفأ لأنني أعاني جداً من البرد الشديد في رأسي... ومعطفاً أدفأ أيضاً لأن الذي لدى خفيف جداً، وقطعة من قماش لأرفع بها غطاء ساقي.. ولكن أهم كل شيء ألتمس... أن يصلني كتابي المقدس العبري، وكتاب النحو العبري والقاموس العبري. حتى يمكنني أن أصرف وقتي في تلك الدراسة.»

وقد حوكم تندال ليس فقط لنشره العهد الجديد بالإنجليزية، بل أيضاً لمعتقداته المشابهة لمعتقدات لوثر. فالمقدمات والحواشي في كتابه المقدس كشفت أفكاره اللاهوتية. فقد نادى بالخلاص بالإيمان وليس بالكنيسة وأنكر وجود المطهر، كما جاهر بأن العذراء مريم والقديسين لا يشفعون فينا ولا يجب أن نصلي لهم.

وفي أغسطس سنة ١٥٣٦م. حُكِمَ على تندال بالهرطقة، وبعد ذلك بشهرين، رُبط بسلاسل إلى عمود خشبي وقام أحد الجلادين بخنقه علناً بحبل، ثم أحرق جثته. وكانت كلماته الأخيرة: «يارب افتح عيني ملك انجلترا» ولكن بينما كان تندال يموت كانت انجلترا تتغير فإذ لم يستطع الملك هنري الثامن أن يحصل على موافقة البابا على تطليقه لزوجته كاترين التي من أرجون (بقرته الأسبانية) بدأ ينسحب من الكنيسة الكاثوليكية.

وبعد سنة من موت تندال، انتشرت الكتب المقدسة المبنية إلى حد كبير على ترجمته، في انجلترا بموافقة الملك. وفي خلال سنتين تشجعت كل الأبروشيات للحصول على نسخة لشعبها. وفي خلال خمس سنوات والكنائس لم تستخدم هذه الترجمة فكانت تعاقب بدفع غرامات.

"إذا أبقاني الله في الحياة لسنوات قليلة، سأجعل الولد الذي يسوق المحراث، يعرف من الكتاب المقدس أكثر مما تعرفون"
وليم تندال في حديثه للكهنة
(نحو ١٤٩٤ - ١٥٣٦)


The Gospell off S. Marke.
The fyrst Chapter.
The begynnyng off the Gospell of Jesu Christ the sonne off God/ as yt ys written in the prophettes/ beholde I sende my messenger before thy face/ whych shall prepare thy waye before the. The voyce of won that cryeth in the wildernes: prepare ye the waye off the lorde/ make his pathes streyght.
Jhon did baptise in the wyldernes/ and preache the baptim of repentaunce/ for the remissio of synnes. And all the londe off iewry/ and they of Jerusalem went out vnto hym/ and were all baptised of hym in the ryver Jordan/ knowledgynge/ theire synnes.
Jhon was clothed with cammylls heer/ and wyth a gerdyll off a beestes skyn about hys loynes. And he ate locustes and wylde hony/ and preached sayinge: a stronger then I commeth after me/ whos shue latchett I am not worthy to stoupe doune and vnlose. I have baptised you with water: but he shall baptise you with the holy goost.
And yt cam to passe in those dayes/ that Jesus

الصفحة الأولى من إنجيل مرقس من ترجمة تندال الإنجليزية.

اَلْكُتِبُ الْمُقَدَّسَةُ مِنْ عَصْرِ الإصْلاَحِ

"ليس لأحد شركة مع المسيح إلا الذين قد حصلوا على المعرفة الصحيحة له من الإنجيل".
جون كالڤن، في كتابه «مبادىء الديانة المسيحية»

عندما نشر مارتن لوثر ترجمته الألمانية للكتاب المقدس، خلق موجة عارمة من نشر الكتب الجديدة. ومع أن الكتاب المقدس ظل ينشر في لغاته الأصلية، فإن الكتب المقدسة بلغات الشعب طفت على السطح في كل أوربا.

ترجمات من كل ناحية للكتاب المقدس

بالنظر إلى نجاح ترجمة لوثر للكتاب المقدس، وفشل الكنيسة في الحيلولة دون انتشارها، أخرج الكاثوليك ترجماتهم الألمانية، ومما يدعو للسخرية كانت هذه الترجمات مبنية إلى حد بعيد على ترجمة لوثر. فأولى هذه الترجمات التي قام بها هيرونيموس إمسر، كانت مجرد جعل ترجمة لوثر أقرب إلى الڤولجاتا اللاتينية. وكانت الثانية تنقيحاً لترجمة إمسر بمعرفة جوهان دايتنبرر الذي استخدم ترجمة لوثر للعهد القديم، وترجمة قام بها الأنابابتست (وهم جماعة بروتستانتية أصولية) وكتاب مقدس كان قد نشر في زيورخ في ١٥٢٩م. وأصبحت نسخة دايتنبرجر هي الكتاب المقدس الأساسي للكاثوليك في الألمانية.

وقد حفزت حركة الإصلاح على ظهور عدد من ترجمات الكتاب المقدس إلى اللغة الهولندية، أهمها هو الذي نشره چاكوب ڤان ليسفلدت في ١٥٢٦م. وقد انتشرت هذه الترجمة حتى إنه في ١٥٤٨م. نشر الكاثوليك ترجمتهم الهولندية للكتاب المقدس.

وفي نفس الوقت بعد نشر العهد الجديد للوثر نشرت ترجمة للعهد الجديد إلى اللغة الدانمركية بناء على طلب الملك المخلوع كريستيان الأولى في ١٥٥٠م. ثم نشر كتاب مقدس كامل بناء على أمر الملك كريستيان الثاني. وتم تنقيحه في ١٥٨٩م. ومرة أخرى في ١٦٣٣م.

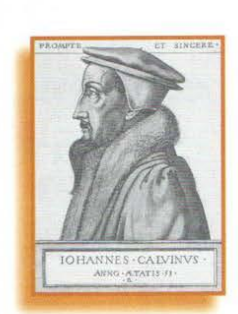
وبعد حصول السويد على استقلالها من الدانمرك في أوائل القرن السادس عشر، نشرت السويد العهد الجديد مبنياً على ترجمة لوثر والڤولجاتا والعهد الجديد اليوناني الذي ترجمه العالم الهولندي ديزيدريوس إرازمس، ثم صدر أول كتاب مقدس رسمي كامل في ١٥٤١م. ونشرت أيسلند العهد الجديد مبنياً على الڤولجاتا ولوثر في ١٥٤٠م. وكتاباً مقدسًا كاملاً في ١٥٨٤م.

وفي بولندا تمت ترجمة العهد الجديد من الأصل اليوناني، بمعرفة العالِم اللوثري چان في ١٥٥٣م. ثم تمت ترجمة الكتاب المقدس كل في «برست» من اللغات الأصلية في ١٥٦٣م. ثم تم تنقيح ترجمة برست لأجل الموحدين، ومع ذلك تم تنقيحها مرة أخرى في كتاب دانزج المقدس في ١٦٣٢م. الذي أصبح الكتاب المقدس الرسمي لكل الكنائس الإنجيلية في بولندا.

وظهر العهد الجديد(الصربي – الكرواتي) في ١٥٦٢– ١٥٦٣م. لأن اللغتين الصربية والكرواتية متماثلتان فكان المطلوب ترجمة واحدة. ولكن حيث أنهما كانتا تستخدمان أبجديتين مختلفتين كان عليهما أن ينشرا نسختين منفصلتين بالجلاجولسية والكيرلسية، ولانتشار اللوثرية، نشر كتاب مقدس كامل باللغة السلاڤية في ١٥٨٤م. للولايات التي تتكلم السلافية في النمسا. ثم ترجم العهد الجديد للغة المجرية من اليونانية في ١٥٤١م. ولكن احتلال الأتراك ومعارضة الكاثوليك أديا إلى توقف طباعة الكتب المقدسة باللغة المجرية. وأول كتاب مقدس بهذه اللغة لم ينشر إلا في ١٥٩٠م. عندما أصبح هو الكتاب المقدس لكنيسة البروتستانتية في المجر.

وفي أسبانيا منعت محاكم التفتيش نشر الكتاب المقدس بلغة الشعب، ولذلك لم تنشر كتب مقدسة بالأسبانية إلا في القرن الثامن عشر. أما الأمور في البرتغال فكانت أفضل قليلاً، فنشر بها العهد الجديد فقط في ١٦٨١م. وأول كتاب مقدس كامل بالبرتغالية لم يظهر حتى ١٧٤٨– ١٧٥٣م. وأول كتاب مقدس بروتستانتي بالإيطالية قام به عالم باليونانية والعبرية چيوڤاني دايوداتي، وقد نشر في چنيف في ١٦٠٧م. وتم تنقيحه في ١٦٤١م. وطبع مراراً كثيرة.

ومع أن فرنسا أساساً بلد كاثوليكي، فإنها أصدرت عدداً من الكتب المقدسة بالفرنسية كانت متأثرة بالعهد الجديد الذي نشرته حركة الإصلاح، والأرجح أنه كان من عمل المصلح چاك ليفيڤز دياتلس، وقد نشر في باريس في ١٥٢٣م. وظهر عهد قديم فرنساوي في أنتورب في ١٥٢٨م. ونُشر العهدان معاً في كتاب انتورب المقدس في ١٥٣٠م. وفي ١٥٣٥م. أعدت نسخة بروتستانتية حقيقية بمعرفة بيير روبرت المعروف بامس أوليڤتان، وقد تم تنقيحه مراراً عديدة. فقد نقحه المصلح جون كالڤن



المُصلح البروتستانتي
چون كالڤن
(١٥٠٥ – ١٥٦٤م).
لوحة من القرن الرابع عشر

في ١٥٤٦م. ثم عالِم الطباعة الفرنسي روبرت إشتين في ١٥٥٣م. ورداً على ذلك نشر الكاثوليك نسخة جديدة معروفة بالكتاب المقدس *اللوفاني* في ١٥٥٠م.

جعل قراءة الكتاب المقدس ميسورة

في أوائل أيام الطباعة، كان من الصعب في أحيان كثيرة قراءة الكتاب المقدس بسهولة في زمن معقول وذلك بسبب الرتابة والحروف المطموسة لطبعها بالكتل الخشبية، كما أنه بشكل عام كان الكتاب المقدس كله يطبع بدون فواصل بين الأصحاحات أو بفواصل صغيرة، بل وبين الأسفار نفسها وبالتدريج تم عمل بعض التحسينات.

كان قد تم عمل إشارات تدل على بداية الأصحاحات منذ البداية باستخدام حروف كبيرة في بداية كل أصحاح، سواء مزخرفة أو بدون زخرفة. وفي بعض الأحيان كان يوضع رقم الأصحاح منفصلاً في نهاية السطر الأول من الأصحاح أو فوقه مباشرة. ولم تكن الآيات منفصلة أو مُرقَّمة، ولو أن بعض الكتب المقدسة الأولى طبعت بها حروف كبيرة في الهوامش كل ١٠ سطراً أو نحو ذلك، ولكن هذه الحروف ظهرت في أماكن مختلفة بناء على حجم الصفحات وحجم الحروف.

وفي بدايات القرن السادس عشر بدأ طبع العناوين التي تحدد الأسفار في أسفل الصفحة، كما أضيفت فواصل تفصل بين العهدين القديم والجديد. وبعد ذلك تم عمل فواصل بين الأسفار، ثم بين الأصحاحات. ثم استبدلت الحروف السوداء الثقيلة المستخدمة في أقدم الكتب طباعة، بحروف أخف وأيسر في قراءتها تعرف بالحروف الرومانية، ومع أنها استخدمت في بعض الكتب المقدسة اللاتينية الإيطالية الأقدم عهداً، فإن هذه الحروف الرومانية أصبحت هي العلامة القياسية بعد ١٥١٦م. عندما استخدمها إرازمس في ترجمته للعهد الجديد. كما أدخل إرازمس استخدام ترقيم الصفحات.

ولعل أهم ابتكار هو الذي قام به الطابع الإيطالي الفرنسي روبرت إشتين في كتاب مقدس باللغة الفرنسية طبعه في چنيف في ١٥٥٣م. حيث فصل بين الآيات ورقمها في كل أصحاح. وفي ١٥٢٨م. قام الدومنيكاني الإيطالي سانتي باچنيني - أحد أهم علماء الكتاب المقدس الكاثوليك في عصره، بترقيم الآيات في كتابه المقدس اللاتيني ولكن لم يستمر أسلوب باچنيني في ترقيم الآيات، بينما استمر أسلوب إشتين، وكان عوناً عظيماً للمبشرين والعلماء فقد استطاعوا الإشارة إلى فصول الكتاب بأرقام الأصحاحات والآيات مما سهَّل على الآخرين العثور على الآيات التي يبحثون عنها. ومازالت أرقام الآيات التي وضعها إشتين تستخدم إلى اليوم.

وكان أكثر الكتب المقدسة التي يسهل استخدامها للقارىء العادي في العصور المبكرة، هو الكتاب المقدس الفرنسي الذي ظهر في چنيف في ١٥٥٩م. فكان كل سفر في هذا الكتاب يبدأ بمقدمة في الصفحة التي كانت تنقسم إلى عمودين. وكان لكل أصحاح مقدمة بها ملخص لمحتوياته وملحوظات كثيرة تملأ الهوامش سواء تختص بالنص نفسه أو المعنى اللاهوتي الذي وراءه. ومطبوع في مقدمة الكتاب المقدس ملخص روبرت إشتين للتعليم المسيحي ومقالة كالڤن أن «المسيح هو غاية الناموس»، التي ظهرت أولاً كمقدمة للعهد الجديد في كتاب أوليڤتان الفرنسي في ١٥٣٥م. كما احتوى الكتاب المقدس الفرنسي المطبوع في چنيف على خرائط ورسومات وفهرس. وكانت هذه النسخة الممتازة هي التي اقتربت جداً من كتبنا المقدسة الحديثة.

روبرت إشتين صاحب المطبعة

أحد أشهر من قاموا بطباعة الكتاب المقدس في عصره، كان روبرت إشتين (استفانوس في اللاتيني)، فقد كان أبوه هنري إشتين قد أسس مطبعة في باريس في ١٥٠٢م. وروبرت الذي ولد في السنة التالية، تعلم مهنة الطباعة من أبيه مباشرة، وقد واصل روبرت المهنة. وفي ١٥٢٦م. نشر كتباً مقدسة كاملة باللاتينية مبنية على الڤولجاتا في ١٥٢٨م.، ١٥٣٢م.، ١٥٤٠م.، وفي أثناء نفس المدة، نشر إشتين قاموساً لاتينياً سرعان ما أصبح هو القاموس القياسي.

وفي ١٥٣٩م. عَيَّن الملك فرنسس الأول، إشتين ليطبع كل كتبه في اللاتينية والعبرية، ثم في اليونانية أيضاً. وقد أعد إشتين الطبعات الأولى من الكثير من الكلاسيكيات اليونانية واللاتينية التي كان منها طبعة ممتازة لأعمال الشاعر الروماني ڤرچيل. كما طبع أعمال الكتَّاب المسيحين الأوائل، وكتباً مقدسة أخرى، ولكن الحواشي في كتبه المقدسة خلقت امتعاضاً بسبب ما فيها من أفكار بروتستانتية.

وبسبب هجوم العلماء الكاثوليك (في جامعة السوربون في باريس)، انتقل إشتين إلى چنيف وهناك أصبح كالڤنيا. ونشر في ١٥٥١م. عهداً جديداً أدخل فيه نظام تقسيم الأصحاحات إلى آيات مرقومة وهو النظام الذي ما زال مستخدماً حتى الآن، ثم بعد ذلك نشر إشتين كتابات المصلح چون كالڤن «مبادىء الديانة المسيحية»، ومات في ١٥٥٩م.

قراءة الكتاب المقدس بالنسبة للكاثوليكي العادي

مع أن البروتستانت منذ البداية وجدوا تشجيعاً على أن يجعلوا الكتاب المقدس مركز حياتهم، فإن الكاثوليكي العادي لم يجد مثل هذا التشجيع حتى القرن العشرين. ولكن الآن يُشجع كل الكاثوليك على قراءة الكتاب المقدس ودراسته، وتوجد كل الكنائس فصول لقراءة الكتاب المقدس وتفسيره.

رَدٌّ كاثوليكيٌّ

"يجب ألا يجرؤ أحد على تفسير الكتاب المقدس بطريقة تتعارض مع ما أجمع عليه الآباء، حتى إذا لم يكن القصد من هذا التفسير النشر"
قرار مجمع ترنت



صورة للبابا بولس الثالث (١٤٦٨ - ١٥٤٩م.) بريشة تتيان

سبعة أسرار

تقبل الكنيسة الكاثوليكية سبعة أسرار تعتقد أنها ضرورية للخلاص، حتى وإن لم تكن كل الأسرار ضرورية لكل شخص، وهذه الأسرار هي: المعمودية، التثبيت، الأفخارستيا. الاعتراف للكاهن لغفران الخطايا، مسحة المرضى، تعيين الشمامسة والكهنة والأساقفة، الزواج.

رد كاثوليكي

وإذ رأت الكنيسة الكاثوليكية انتشار البروتستانتية اضطرت إلى فحص نفسها والاعتراف بأخطائها والقيام بالإصلاحات اللازمة. فدعا كثيرون من الكاثوليك إلى مجمع كنسي عام لبحث هذه القضايا، ولكن عندما طلب الإمبراطور شارل الخامس من البابا كليمنت السابع دعوة هذا المجلس، رفض البابا لأنه خشي أن مثل هذا المجمع قد يطمع في السيطرة على الكنيسة ويصدر قرارات تحد من سلطة البابا ودخله. وإذ كان خليفته البابا بولس الثالث يخشى حدوث نفس هذه الأمور، حاول أن يقوم بإصلاحات من نفسه، ولكنه تحت ضغط من الإمبراطور شارل الخامس، قَبِلَ أخيراً أن يدعو مجمعاً، وبعد بدايات قليلة زائفة، افتتح المجمع في ترنت في شمالي إيطاليا في ديسمبر ١٥٤٥م. واستمر مع فترتي انقطاع طويلتين إلى ديسمبر ١٥٦٣م.

الردود على العقائد البروتستانتية

في الجلسة الخامسة والعشرين لمجمع ترنت أعاد التأكيد على الكثير من العقائد الكاثوليكية والممارسات القديمة ودان التعاليم البروتستانتية التي تتعارض مع الآراء الكاثوليكية. وأول كل شيء أعاد المجمع التأكيد على أن أساس الإيمان موجود في العقيدة النيقية (التي صدرت عن مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية في القرن الرابع) ثم واصل المجمع قراراته برفض تعليم مارتن لوثر عن التبرير بالإيمان، مُصرًا على أن الأعمال الصالحة تزيد النعمة وضرورية للخلاص.

البروتستانت والأبوكريفا

في وقت الإصلاح، انقسمت الآراء بشأن تضمين كتابات الأبوكريفا في قانونية العهد القديم. فقد أعلن الكاثوليك في مجمع ترنت أن هذه الكتابات تعتبر جزءاً من قانونية الكتاب المقدس. لكن البروتستانت كان لهم رأي مختلف.

في ترجمة لوثر العظيمة للكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية، قام لوثر بتجميع كل الأسفار الأبوكريفية ووضعها بين العهد القديم والعهد الجديد. ومع أنه لم يُعرِّف بوضوح حدود الأسفار القانونية للعهد القديم، إلا أن لوثر بذلك كان يشير إلى أن الأبوكريفا جزء مستقل ومنفصل عن الكتابات المقدسة.

غير أن هناك مصلحين قدامى آخرين وافقوا عليها. ففي الكتاب المقدس الخاص بمدينة زيورخ لسنة ١٥٢٩م. والكتاب المقدس الإنجليزي لمدينة جنيف سنة ١٥٦٠م. قام المحررون البروتستانت بفصل الأبوكريفا عن بقية الكتاب المقدس ووضعوا لها عناوين خاصة. ورغم أنهم لم يرفضوا هذه الأعمال كلياً، وقد كانت تستخدم على نطاق واسع وقتها في الكنيسة طوال قرون، لكنهم لم يتعاملوا معها باعتبارها كتباً مساوية في القيمة لأسفار الكتاب المقدس القانونية.

وفي السنوات التالية، حدثت محاولات لحذف الأبوكريفا من الكتب المقدسة الخاصة بالبروتستانت، لكن هذه الجهود باءت بالفشل. غير أن كتابات الأبوكريفا تجمعت بشكل منفصل في إقرار الإيمان الجليكاني لسنة ١٥٥٩م. وإقرار الإيمان الإنجليكاني لسنة ١٥٦٣م. لكن إقرار الإيمان البيورتاني كان أقل تسامحاً، حيث أكد أن الأبوكريفا ذات سمة علمانية محضة.

الكتب المقدسة الخاصة بالحركة المصلحة، بما فيها الطبعة الأولى لترجمة الملك جيمس، فصلت الأبوكريفا عن الأسفار المقبولة في نوع من الملاحق. وفي طبعة سنة ١٦٢٩م. من ترجمة الملك جيمس أخرجتها تماماً من الكتاب المقدس. لكن عملية طباعتها بشكل منفصل ظلت قائمة. ولكن في سنة ١٨٢٥م. نجحت لجنة أدنبره في دار الكتاب المقدس البريطاني والأجنبي أن تقنع قادة الدار بالتوقف عن تضمين الأبوكريفا ضمن الكتب المقدسة التي يحملها المرسلون إلى «الوثنيين». وخلال المائة سنة التالية تعرضت الأبوكريفا للتجاهل التام والحذف من الكتب المقدسة البروتستانتية، غير أن الكثير من الكتب المقدسة الآن، ومن ضمنها الترجمة القياسية المنقحة الجديدة (NRSV) تستخدم الأبوكريفا ولكن بشكل منفصل.

وصُرف وقت طويل في بحث موضوع الأسرار المقدسة وأعاد المجمع التأكيد بأن المسيح قد وضع سبعة أسرار، معارضاً بذلك رأي البروتستانت الذي ادَّعى أن المعمودية والافخارستيا فقط هما اللذان لهما أساس في الكتاب المقدس. وعلاوة على ذلك أقر بأن وجود يسوع في الافخارستيا أمر حقيقي وليس رمزياً، رغم إدعاء بعض البروتستانت عكس ذلك. وقرب نهاية المجمع، صدرت قرارات تبرر وجود المطهر، والاستشفاع بالقديسين في الصلاة، واكرام ذخائر القديسين وصورهم. ومع أن لوثر وقف بشدة ضد صكوك الغفران، أعلن المجمع بأنها صحيحة ولها فاعليتها، وعلى أية حال حثوا على الاعتدال، ومنعوا أخذ أي أموال لمنح صكوك الغفران.

قرارات مجمع ترنت بشأن الكتاب المقدس

صدرت القرارات الخاصة بالكتاب المقدس في الانعقاد الرابع في ١٥٤٦م. ففي مقابل التعليم اللوثري أن مصدر الحق المسيحي لا يوجد إلا في الكتاب المقدس فقط، تمسك المجمع بصحة التقليد أيضاً وقال:

> فبإتباع مثال الآباء، فإن الكنيسة الكاثوليكية تقبل وتحترم بنفس الولاء والاحترام كل أسفار العهدين القديم والجديد.. مع كل التقاليد الخاصة بالإيمان والأعمال باعتبارها صادرة عن فم المسيح أو موحاة بالروح القدس، ومحفوظة بصورة متواصلة في الكنيسة الكاثوليكية.

وهذه التقاليد – محل النقاش – كانت تغطي مجموعة كبيرة متنوعة من الموضوعات التي من المعتقد بأنها جاءت لنا من الرسل، بما في ذلك تعليم الكنيسة عن الأسرار والسلطة العليا للبابا.

ويعدد نفس القرار أسفار الكتاب المقدس المقبولة عند الكنيسة الكاثوليكية، وهي تشمل الكتب التي يعتبرها البروتستانت كتباً أبوكريفية توجد في الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية القديمة للأسفار العبرية) ولكنها لا توجد في الكتاب المقدس العبري المعترف به (النص الماسوري). وفي القرن الرابع، كان چيروم في الفولجاتا هو أول من أطلق على هذه الأسفار وصف الأبوكريفا، مع ملاحظة أنها يجب ألا تعتبر جزءاً من أسفار العهد القديم القانونية. على أية حال، على توالي القرون، نُسيت تحفظات چيروم، وبدا استخدام هذه الأسفار في الخدمة العامة في الكنيسة. فأعلن مجمع ترنت لذلك أنها أسفار قانونية، ومازالت إلي اليوم هكذا عند الكاثوليك.

وفي قرار آخر، أطلق المجمع على الڤولجاتا أنها النص المعترف به للكتاب المقدس. ولأنه قد احتفظت به الكنيسة كل هذه القرون، فيجب استخدامه في كل القرارات العامة، والمجادلات والمواعظ والتفاسير. كما تضمن هذا القرار إعلان أن الكنيسة الكاثوليكية هي المفسر الشرعي الوحيد للأسفار المقدسة، لمنع العقول غير المسئولة من تشويه معاني كلمة الله. ولكن مع اعتبار أن الڤولجاتا هي الكتاب المقدس الرسمي للكنيسة، فإن المجمع أيضاً اعترف بأن بها نقائص، بمطالبته بإعادة طبعها على أصح صورة ممكنة. وبعد انتهاء المجمع، بدأ العلماء في تنقيح الڤولجاتا، وقد نشرت النسخة المنقحة تحت إشراف البابا كليمنت الثامن في ١٥٩٢م. وهذه الڤولجاتا الكليمنتية ظلت النسخة اللاتينية الرسمية للكتاب المقدس منذ ذلك الوقت حتى الآن.

الكليات الكاتدرائية

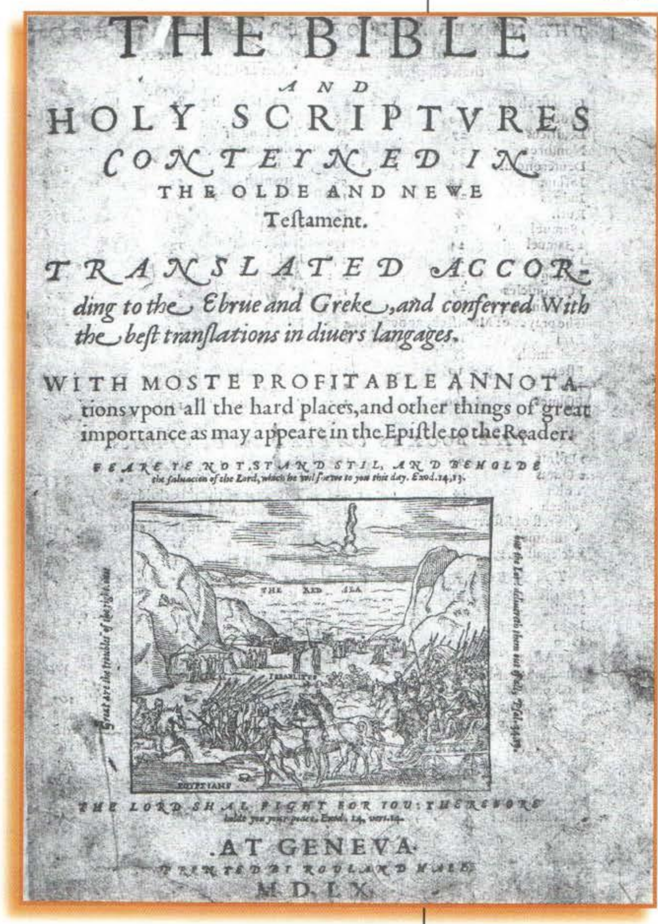
من بين القرارات الأخرى، قرر المجمع أن كل أسقف يرأس كلية خاصة في كاتدرائية لتدريب الشباب لأجل الكهنوت. فحتى ذلك الوقت كان المتقدمون ليكونوا كهنة مسئولين هم أنفسهم عن تعليمهم. وأطلقوا على هذه الكليات الجديدة «الحلقات الدراسية» ومازالت مستخدمة إلى الآن.



صورة جصية لمجمع ترنت في الفاتيكان بروما. (١٥١٢م.)

كُتُبٌ مُقَدَّسَةٌ مِنَ المَنْفَى

كان القرن السادس عشر حقبة من الجيشان في انجلترا. ففي ١٥٣٤م. خرج الملك هنري الثامن على الكنيسة الكاثوليكية عندما رفض البابا الاعتراف بطلاقه من «كاترين التي من أرجون». وزواجه الثاني من «حنة بولين». وقد اتخذ هنري في باقي أيام ملكه، نوعاً من البروتستانتية التي تمسكت بطقوس العبادة. وعندما توفي في ١٥٤٧م. خلفه ابنه إدوارد السادس الذي كان ما زال ولداً. وفي خلال حكمه الذي استمر ست سنوات، قام إدوارد بعدد من الإصلاحات مع بقائه داخل التقليد البروتستانتي، ولكن خلفته في ١٥٥٣م. أخته غير الشقيقة ماري الأولى التي أعادت الاعتراف بالكاثوليكية ديناً للدولة. وعندما توفيت ماري في ١٥٥٨م. خلفتها اليزابث الأولى، التي أعلنت الكنيسة الكاثوليكية عدم شرعيتها لأن الكنيسة لم تقبل مطلقاً زواج هنري من أمها حنة بولين، ومن ثم أعادت إليزابيث الاعتراف بالبروتستانتية ديانة للدولة.



THE BIBLE
AND
HOLY SCRIPTVRES
CONTEYNED IN
THE OLDE AND NEWE
Testament.
TRANSLATED ACCORding to the Ebrue and Greke, and conferred With the best translations in diuers langages.
WITH MOSTE PROFITABLE ANNOTAtions vpon all the hard places, and other things of great importance as may appeare in the Epistle to the Reader.
FEARE YE NOT, STAND STIL, AND BEHOLDE the saluacion of the Lord, which he wil shewe to you this day. Exod. 14, 13.
THE LORD SHAL FIGHT FOR YOU: THEREFORE holde you your peace. Exod. 14, vers. 14.
AT GENEVA.
PRINTED BY ROULAND HALL.
M. D. LX.

صورة الصفحة الأول من الكتاب المقدس الذي صدر في جنيف في ١٥٦٠م. وهو الكتاب المقدس في عهد شكسبير وملتون والأثير عند البيورتان.

كتاب جنيف المقدس للبروتستانت

لقد هاجمت الملكة ماري البروتستانت في انجلترا بشراسة حتى أصبحت تُعرَف باسم ماري الدموية. وللنجاة بحياتهم هرب كثيرون من علماء البروتستانت من انجترا إلى جنيف بسويسرا، حيث اجتمعوا معاً تحت زعامة چون نوكس المصلح الاسكتلندي الذي كان راعياً لكنيسة إنجليزية هناك. كانت الملكة ماري قد منعت نشر الكتب المقدسة الانجليزية في حكمها، لذلك قرر البروتستانت المنفيون إعداد كتابهم الخاص.

وترك العمل الترجمة أساساً لوليم وتنجهام الذي كان استاذاً في اكسفورد، ونشرت نسخته من العهد الجديد في جنيف في ١٥٥٧م. وعندما توفيت ماري، وجلست على العرش اليزابيث الأولى البروتستانتية، عاد كثيرون من المنفيون الإنجليز إلى وطنهم، ولكن وتنجهام ظل في جنيف لاستكمال عمله. وقد نشر العهد القديم هناك في ١٥٦٠م.

ولم ينشر الكتاب المقدس الذي ترجمه وتنجهام في جنيف إلا في ١٥٧٦م. ولكن انتقلت نسخ كثيرة من جنيف وأصبح الكتاب ناجحاً جدًا، حتى إن شهرته غطت شهرة الكتاب المقدس العظيم فقد وضعت نسخة في كل كنيسة في إنجلترا بأمر ملكي. وكان الكتاب المقدس الجنيفي (المترجم في جنيف) محكماً، وغير مكلف نسبياً كما اشتمل على ملامح جعلت من السهل قراءته، إذ احتوى خطوطاً واضحة، وترقيماً للآيات، وصوراً حية وخرائط، وملحوظات ومقدمات. كما أنه كان أفضل ترجمة إنجليزية في ذلك الوقت.

وظل الكتاب المقدس الجنيفي شهيراً حتى بعد نشر نسخة الملك چيمس. فقد كان الكتاب المقدس الذي استخدمه أشهر الكُتَّاب العظام في القرن السابع عشر بمن فيهم شكسبير وبنيان وملتون، ونقله البيورتان إلي المستعمرات الإنجليزية في أمريكا.

الكتاب المقدس للكاثوليك في دواي ريمس

وكما هرب العلماء البروتستانت من انجلترا في أثناء حكم ماري، هرب العلماء الكاثوليك من الحكم الصارم لإليزابيث البروتستانتية، واستقروا أولاً في دواي (التي كانت وقتئذ جزء من الفلاندرز، ولكنها أصبحت فيما بعد جزءاً من فرنسا) وأسسوا هناك كلية إنجليزية تحت إشراف وليم ألن، أحد أساتذة أكسفورد، ثم عين كاردينالاً بعد ذلك أخيراً.

كتب مقدسة إنجليزية أخرى

بالإضافة إلى الكتب المقدسة التي ترجمت في المنفى، ظهر عدد من الكتب المقدسة الأخرى في أثناء حكم هنرى الثامن واليزابث الأولى. وكان الأول من ترجمة مايلز كوفردال الذي عمل مع وليم تندال في ترجمات العهد القديم. وإذ لم يكن يعرف ما يكفي من العبرية أو اليونانية، اعتمد كوفردال على الفولجاتا اللاتينية وعلى ترجمات بمعرفة لوثر وتندال وغيرهم. وكان أثر الكتاب المقدس ترجمة كوفردال محدوداً، فكان الكتاب المقدس المسمى كتاب متى الذي طبع في ١٥٣٧م. أنجح وكان قد حرره چون روجرز، أحد أصدقاء تندال، ومع أنه نشر الكتاب المقدس باسم توماس متى، فإن روجرز لم يترجم الكتاب المقدس من جديد، ولكنه استخدم العهد الجديد ترجمة تندال، والجزء الذي ترجمه تندال من العهد القديم. أما في باقي الأجزاء فاستخدم ترجمة كوفردال وهنري فيلز وتوماس كروموبل، واقنع الملك بالموافقة على هذا الكتاب. ثم في ١٥٣٨م. دعا هنري كهنة لإصدار كتاب مقدس ذي حجم كبير يمكن وضعه في الكنائس ليقرأه الشعب. وقد رُفضت كتاب متى لهذا الغرض أن الكثير من الملحوظات التي به عكست بروتستانتية أصيلة لم تكن مقبولة. وبناء عليه عين كروموبل كوفردال لتنقيح كتاب متى وموَّل المشروع بنفسه.. وكانت النتيجة أن ظهر الكتاب المقدس العظيم، وسمي كذلك بالنسبة لحجمه الذي كان أكثر من ٢٥ سنتميتراً (١٤ بوصة) في الطول.

وبعد ذلك في عهد اليزابيث الأولى ظهرت في انجلترا نسخ من كتاب جنيف المقدس الجديد، ونجح نجاحاً باهراً، ولكن بالنسبة للنغمة البيورتاني فيه، سعى رجال الكنيسة المحافظون أن يعدوا ترجمة أكثر قبولاً مبنية أساساً على «الكتاب المقدس العظيم» وسُلم العمل إلى ستة عشر عالماً غالبيتهم من الأساقفة، وكانت النتيجة هي «كتاب الأساقفة المقدس» الذي نشر في ١٥٦٨م. وثبت أنه أدنى قيمة من نسخة جنيف، كانت بعض الترجمات ممتازة ولكن بعضها الآخر لم تكن كذلك، فمثلاً بدلا من «ارم خبزك على وجه المياه» ترجمها «كتاب الأساقفة» (كتاب بيشوب المقدس) «ضع خبزك على الوجوه المبتلة» وهكذا سرعان ما ترك كتاب بيشوب المقدس ميدان الشهرة لكتاب جنيف المقدس.

وفي ١٥٧٨م. منح ألن تصريحاً بإعداد ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس لمواجهة التحريفات التي ضلل بها الهراطقة «جميع رجال الريف تقريباً» وقام بالترجمة جريجوري مارتن، وهو عالم آخر من علماء أكسفورد، بينما قام ألن وزميل آخر هو رتشارد برستو بمراجعة وتنقيح ترجمة مارتن.

وفي ١٥٨٢م. نُشرت الترجمة الجديدة للعهد الجديد في ريمس في فرنسا التي انتقلت إليها الكلية مؤقتاً. على أية حال لم يصدر العهد القديم ربما لصعوبات مالية، إلا في ١٦٠٩م، حيث نشر في دواي.

ويصر المترجمون على القول في المقدمة بأنهم قد تبعوا فقط الڤولجاتا اللاتينية التي أقرتها الكنيسة، مع أنه من الواضح أنهم استعانوا بالنصوص اليونانية والعبرية بل من الترجمات الهرطوقية التي أدانوها وبخاصة كتاب جنيف المقدس. كما يقولون لنا إنهم جعلوا ترجمتهم حرفية بقدر الإمكان. وعلاوة على ذلك فإننا نفترض أننا بقدر المتاح خففنا من الأقوال أو العبارات، ولكن دينياً حفظناها كلمة بكلمة، ونقطة بنقطة خوفاً من الزلل أو حصر المعنى الذي يقصده الروح القدس حسب هوانا.

والترجمة في غالبيتها ممتازة، ولكن بسبب تحري الأمانة للنص جاء عدد من التعبيرات الغريبة، وأصبح بعض هذه التعبيرات جزءاً من اللغة الإنجليزية بما في ذلك الكلمات التي تعني ظهور، وشخصية ويبشر، وفريسة. وكلمات أخرى ظلت بلا حل رموزها، وجاءت الصلاة الربانية في إنجيل متى: «أعطنا اليوم خبزنا ذي المادة الخارقة للعادة» وبمضي الوقت استبدلت بعض هذه التعبيرات ولكن ليست عبارة «الخبز الخارق للعادة».

وظل الكتاب المقدس الذي صدر في دواي ريمس الترجمة الإنجليزية الرسمية للكاثوليك حتى القرن العشرين، وتعرض للهجوم وللدفاع بعنف. فقد ادعى البروتستانت أن المترجمين قد «طمسوا» اللغة عن عمد حتى لا تُفهَم. وفي ١٥٨٧م. في الليلة التي أُعدمت فيها ماري ستيوارت لاتهامها بالتآمر ضد اليزابث الأولى، حلفت ببراءتها على كتاب مقدس من ترجمة دواي، وعندما ذكر أمير كنت البروتستانتي أنها حلفت يميناً لا يُعتد به على كتاب زائف، أجابت هل تظن سيادتكم أن حلفي يكون أفضل إذا حلفت على ترجمة لا أؤمن بها؟»

چون فوكس

كان أحد البروتستانت الذين هربوا إلى أوربا في أثناء حكم الملكة ماري الأولى، چون فوكس، فبعد تقابله مع اللاجئين من البروتستانت، كتب فوكس كتاباً يعرف عادة باسم «كتاب فوكس عن الشهداء» الذين يستخدم لغة بسيطة لوصف الآلام الرهيبة التي وقعت على ضحايا اضطهاد الملكة ماري، ورغم ما به من مبالغة، فإن الكتاب اشتهر جداً.



صورة للملكة ماري ملكة انجلترا من ١٥٥٣ – ١٥٥٨م. التي شجعت الكاثوليكية واضهدت البروتستانت – بريشة ماستر جون (١٥٤٤م).



صورة اليزابيث ملكة انجلترا من ١٥٥٨م. – ١٦٠٣م. التي شجعت البروتستانتية واضطهدت الكاثوليك – بريشة نيقولاس هليارد (نحو ١٥٧٥– ١٥٨٠م.)

تَرْجَمَةُ الْمَلِكِ جيمس

"إنه أنبل أثر للنثر الانجليزي"
جون لفنجستون لويس
أستاذ اللغة الإنجليزية بهاڤارد في وصفه لترجمة الملك جيمس للكتاب المقدس



صورة للملك جيمس الأول ملك انجلترا (١٥٦٦ - ١٦٢٥) الذي هيأ أفضل علماء انجلترا للقيام بترجمة جديدة للكتاب المقدس إلى الإنجليزية - (بريشة بول ڤان سومر)

عندما أصبح جيمس السادس ملك اسكتلندا ملكاً على انجلترا باسم جيمس الأول في ١٦٠٣م. قُدِّم له التماس موقع عليه من ألف من البيوريتان.

لم يكونوا سعداء بكنيسة انجلترا ولا بكلتا الترجمتين المنتشرتين للكتاب المقدس بالإنجليزية، فقالوا إن الكنيسة يجب أن تُطهر من كل ما تركته الكاثوليكية من آثار مثل وظائف الأساقفة والملابس الكهنوتية والتمسك الشديد بالطقوس. فقد قال البيوريتان إن كتاب جنيف المقدس وكتاب بيشوب غير صحيحين تماماً.

وكان جيمس يحب كنيسة انجلترا كما كانت وكان يحب قادتها وطقوسها وبخاصة وصفها للملك بأنه المدافع عن الإيمان حيث أن جيمس كان يؤمن بأن مشيئة الله هي التي جعلته يملك. ولكن جيمس وافق البيوريتان في أمر واحد، وهو ترجمة جديدة للكتاب المقدس. فلم يكن البيوريتان يحبون كتاب بيشوب المقدس وهو الذي كان مفضلاً للقراءة في الكنيسة، لأنه لم يكن بروتستانتياً تماماً، ومن الناحية الأخرى لم يكن جيمس يحب كتاب جنيف المقدس الذي كان أشهر كتاب عند الشعب والأرجح أنه كان الترجمة التي استمد منها شكسبير ما جاء في رواياته... فتعليقاته كانت بروتستانتية أكثر من اللازم، علاوة على أنها لا تبدي احتراماً كافياً للملوك، فمثلاً في تعليق في الحاشية على الخروج، ذكر أن القابلتين في زمن الطفل موسى كانتا على صواب في عصيان أمر الملك بقتل كل المواليد من الذكور، وتعليق آخر على أخبار الأيام الثاني ١٥، ينتقد الملك آسا لأنه لم يقتل أمه لعبادتها الأوثان.

الملك جيمس يدعو إلى اجتماع

في يناير ١٦٠٤م. في السنة الأولى لجلوسه على العرش، دعا الملك جيمس إلى اجتماع لتقييم حالة الكنيسة في انجلترا، فاجتمع بناء على أمر الملك في قصر هامبتون أساقفة كنيسة انجلترا وخدامها والأساتذة مع أربعة من قادة كنيسة البيوريتان، وكان الغرض من الاجتماع كما أوضحه جيمس «لتقرير أمور يدَّعون أنها ناقصة في الكنيسة».

ولكن المجمع أُعتُبِرَ فشلاً ذريعاً بالنسبة للبيوريتان، فلم يحصلوا على الإصلاحات البروتستانتية التي يريدونها. بل في الواقع قال الملك جيمس إنه من الأفضل لهم أن يتقبلوا الكنيسة كما هي أو يطردهم من البلاد. شيء واحد حصل عليه البيوريتان، وهو موافقة الملك على ترجمة جديدة للكتاب المقدس.

قال الملك جيمس إنه يفضل ترجمة دقيقة تحل محل الترجمات الانجليزية الأخرى، وتصبح هي الترجمة الوحيدة التي تُقرأ في الكنيسة، وأراد أن يتم العمل بأفضل علماء الكتاب المقدس وعلماء اللغات. ولم يشأ أن تضاف أية تعليقات في الهوامش.

وبدأ العمل في تلك السنة. وكتب الملك إلى رتشارد بانكروفت أسقف لندن بأنه قد اختار ٥٤ رجلاً لهذا المشروع، ولو أن المعروف أن ٤٧ فقط هم الذين اشتركوا فيه وكانوا يمثلون كنيسة انجلترا (الإنجليكانية) والبيوريتان، وتم تقسيمهم إلى ست مجموعات من المترجمين يعملون في ثلاثة مدن في جنوبي انجلترا، فمجموعتان عملتا في أكسفورد، ومجموعتان في كمبردج، ومجموعتان في وستمنستر في لندن حالياً. ففي أكسفورد ترجمت مجموعة من سبعة رجال من إشعياء إلى ملاخي، بينما قامت مجموعة من ثمانية رجال بترجمة الأناجيل وأعمال الرسل والرؤيا. وفي كمبردج قام ثمانية بترجمة من أخبار الأيام الأولى إلى الجامعة، بينما قام سبعة آخرون بترجمة أسفار الأبوكريفا. وفي وستمنستر أسند إلى عشر رجال ترجمة من التكوين إلى ملوك الثاني، وإلى ثمانية ترجمة من رومية إلى يهوذا، وبعد أن أنهت كل مجموعة عملها كان ما عملته تقوم بمراجعته لجنة من ١٢ عالماً تتكون من اثنين من كل مجموعة من مجموعات الترجمة.

وكانت ثمة ١٥ قاعدة عامة تحكم سير عمل المترجمين. كان من أهم هذه القواعد:

* يجب أن تسير الترجمة الجديدة على نهج كتاب بيشوب المقدس بقدر ما يمكن، فكان على العلماء أن يقوموا بالتغييرات اللازمة فقط لتحقيق الدقة.

* كان للمترجمين الحرية للاستعانة بالترجمات

الأخرى في محاولة لاكتشاف أفضل الطرق للتعبير عن الرسالة الموجودة في اللغات الأصلية للكتاب المقدس.

* يجب ألا تكون ثمة أي تعليقات في الهوامش إلا تلك اللازمة لتوضيح الكلمات العبرية واليونانية أو للإشارة إلى فصول كتابية أخرى لها علاقة بالموضوع.

* يجب على المترجمين الاحتفاظ بالمراكز الكنسية التقليدية بدلاً من استبدالها بالعبارات التي يفضلها الكثيرون من البروتستانت، فمثلاً كان على المترجمين أن يستخدموا كلمة «كاهن» بدلاً من كلمة «شيخ» و «كنيسة» بدلاً من «اجتماع».

كتاب مقدس جديد في ١٦١١م.

استغرق كل فريق نحو ثلاث سنوات لإنجاز ما أوكل إليهم من العمل. وكانوا أحياناً يعملون على انفراد وأحياناً كمؤتمر، كما صرفت ثلاث سنوات أخرى في المراجعة والتنقيح، فقد كان المترجمون شديدي التدقيق ولم يقدموا أي اعتذارات لاهتمامهم الشديد بالدقة في عملهم على حساب السرعة.

«إننا لا نستنكف أن نراجع ما قد عملناه وقد قالوا شارحين فيما بعد: وأن نعيد إلى السندان ما سبق أن طرقناه، وقد استخدمنا مساعدات عظيمة متى كانت لازمة، ولم نخش لوماً للإبطاء».

وكانت نتيجة هذا العمل المرهق رسالة سوداء طولها ٤١ سنتيمتراً (١٦ بوصة) وعرضها ٢٧ سنتيمتراً (١٠,٥ بوصة) نشرت في لندن في ١٦١١م.

وكتب المترجمون المقدمة: «لم نفكر منذ البداية أننا سنحتاج إلى القيام بترجمة جديدة» لأنهم اعتمدوا بشدة على ترجمات سابقة. وقالوا إنهم بكل بساطة قد استعانوا بترجمات جيدة كثيرة ليخرجوا بترجمة رئيسية جيدة وحيدة.

وقد قدم المترجمون للرجل الذي أمر بالقيام بهذا المشروع: «إلى صاحب المقام الرفيع والأمير القوي چيمس بنعمة الله ملك بريطانيا العظمى وفرنسا وأيرلندا، والمدافع عن الإيمان». وقد سميت هذه الترجمة باسم الملك. كما أصبحت الترجمة تعرف باسم الترجمة المعترف بها أو المصرح بها، مع أنه لا يوجد الآن دليل على أن الملك سبق أن وضع ختم موافقته معلناً أن هذه الترجمة هي الكتاب المقدس الرسمي لانجلترا. ولكنه على أية حال سمح بنشره.

خطأ لم يتم تصويبه

ظهرت ترجمة الملك چيمس في طبعاتها الأولى وبها أخطاء مطبعية، وقد تم تداركها وتصويبها في الطبعات التالية. ولكن من بين الأخطاء التي لم يتم تصويبها حتى الآن عبارة «ينجذبون للبعوضة» بدلاً من «يصفون عن البعوضة» (مت ٢٣: ٢٤)



صورة للملك چيمس في مجلس اللوردات في ١٦٠٥م. وكان في السنة السابقة أمر الملك بترجمة الكتاب المقدس للإنجليزية ترجمة دقيقة أصبحت تُعرف بترجمة الملك چيمس.

الناقدون والمؤيدون

لم يرحب الجميع فوراً بترجمة الملك چيمس، بل في الحقيقة ظل الكتاب المقدس الذي نشر في چنيف، والذي أراد الملك چيمس بكل قواه أن تحل ترجمته محله، ظل يعاد طبعه على مدى أكثر من ٣٠ سنة، فكثيرون من البيوريتان كانوا يفضلون نسخة چنيف الواضحة بروتستانتيتها وفي ١٦٤٣م. طبعت مقتطفات منه في الكتاب المقدس للجيب لأجل الجنود الذي نشر من أجل جيش القائد البيوريتاني أو لڤركرومويل. كما كان كتاب چنيف وليس كتاب الملك چيمس، هو الذي كان يحمله البيوريتان معهم إلى العالم الجديد في أمريكا.

وكان أحد العلماء في ذلك العصر، عنيفاً بصورة خاصة في نقده لترجمة الملك چيمس، وهو هيوز براوتن، وهو أستاذ مشهور، وقد طالب بترجمة جديدة، والذي أزعجه أن الملك لم يعينه للمساعدة في المشروع فقد كتب براوتن خطاباً للقصر: كنت أفضل أن تمزقني إرباً إرباً الخيل المتوحشة عن أن تفرض مثل هذه الترجمة على الكنائس المسكينة، إن الترجمة الجديدة تضايقني، وأود أن تحرق.

ورغم ناقديه، فما جاءت نهاية القرن السابع عشر

عبارات شائعة من الكتاب المقدس

كثير من الكلمات والعبارات التي تستخدمها الآن مأخوذة من الكتاب المقدس ترجمة الملك چيمس، وإليك عينة منها:

«الإنسان لا يحيا بالخبز وحده» (تث ٨: ٣)

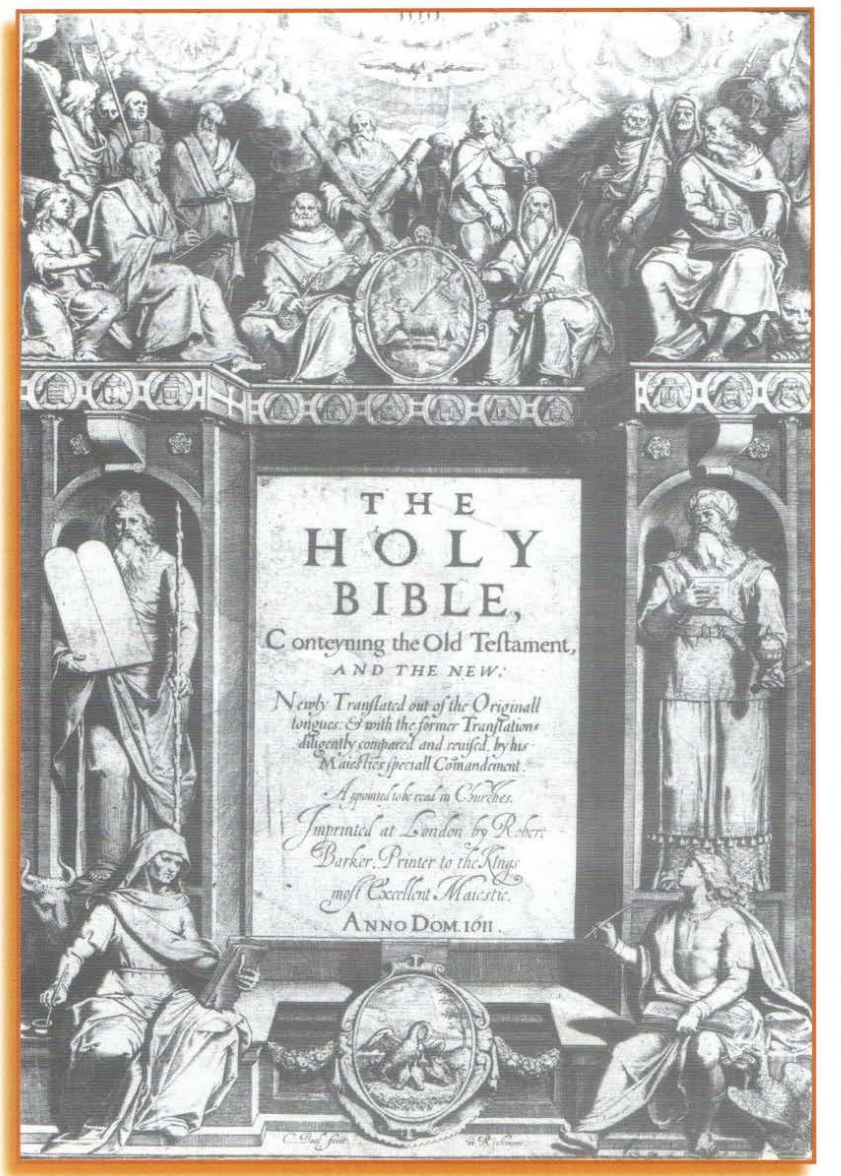
«جلد أسناني» (أي ١٩: ٥)

«لا يأخذ شيئاً من تعبه» (جا ٥: ١٥)

«هل يغير النمر رقطه؟» (إر ١٣: ٢٣)

سامري صالح (لو ١٠: ٢٩-٣٧)

«أعمى يقود أعمى» (مت ١٥: ١٤)


THE HOLY BIBLE,
Conteyning the Old Testament, AND THE NEW:
Newly Translated out of the Originall tongues: & with the former Translations diligently compared and reuised, by his Maiesties speciall Comandement.
Appointed to be read in Churches.
Imprinted at London by Robert Barker, Printer to the Kings most Excellent Maiestie.
ANNO DOM. 1611.

الصفحة الأولى من غلاف الكتاب المقدس «ترجمة الملك چيمس» (١٦١١م.) ومسجل عليها أن هذه الترجمة تمت بأمر من الملك باستخدام اللغات الأصلية مع الترجمات الأخرى. وهذه الترجمة الجديدة تقرر أن تُقرأ في الكنائس».

الكتاب المقدس الانجليزي المتغير

يقول كثيرون من العلماء إن ترجمة الملك جيمس لم تكن جديدة تماماً بل تنقيحاً لترجمات إنجليزية أقدم عهداً، ويقارنون بين أربع ترجمات لمزمور ٢٣، صدرت في ١٣٨٨، ١٥٦٠، ١٥٦٨، ١٦١١م.

The Lord gouerneth me, and no thing schal faile to me.
in the place of pasture there he bath set me.
He nurshide me on the watir of refreischyng.
WYCLIFFE BIBLE, 1388 EDITION

The Lord is my shepherd, I shal not want.
He maketh me to rest in grene pasture
& Leadeth me by the stil waters.
GENEVA BIBLE, 1560

God is my sheephearde, therfore I can lacke nothing.
he wyll cause me to repose my selfe in pasture full of grass,
and he wyll leade me vnto calme waters.
BISHOPS' BIBLE, 1568

The lord is my shepheard, I shall not want.
He maketh me to lie downe in green pastures:
he leadeth me beside the still waters.
KING JAMES VERSION, 1611

حتى أصبحت ترجمة الملك جيمس هي الكتاب المقدس للشعب الناطق بالإنجليزية. وكما قال الكاهن الكاثوليكي ألكسندر سيدس في ١٧٩٢م. لو أن الدقة والأمانة والعناية القصوى للاحتفاظ بالنص، يُفترض أن تكوِّن صفات الترجمة الممتازة فإن هذه الترجمة من بين كل الترجمات، يجب أن تعتبر بشكل عام أفضل الترجمات.

وقد نقحت ترجمة الملك جيمس في الطبعات التالية لتصويب الأخطاء، وكثيراً ما أصبحت هذه الترجمات المنقحة هي المعيار الجديد. وفي ١٦٢٩م. أسقطت ترجمة الملك جيمس الأسفار الأبوكريفية، وقد استمر هذا الأمر لأنه خفض ثمن الكتاب المقدس بحذف الجزء الذي يعتبر غير موثوق به.

وعلى مدى السنين جعلت اللغة الأنيقة والنثر المُسجَّع من ترجمة الملك جيمس للكتاب المقدس، متعة في قراءته أو سماعه يقرأ، كما جعل من السهل حفظ الآيات عن ظهر قلب، وبدون أي تعليقات في الهوامش. وقد سمح هذا الكتاب بتنوع التفسيرات مما جذب أتباعاً كثيرين من بروتستانت وكذلك من الكاثوليك.

ولقد مرت أكثر من ٢٥٠ سنة قبل محاولة استبدالها بترجمة جديدة هي الترجمة الإنجليزية المنقحة (١٨٨١م. – ١٨٨٥م.). ومن هذه الترجمة جاءت ترجمة أمريكية أطلق عليها اسم الترجمة الأمريكية القياسية (١٩٠١م.) وتبعتها الترجمة القياسية المنقحة (١٩٥٢م.) ثم الترجمة القياسية المنقحة الجديدة (١٩٨٩م.).

ومثل هذه التنقيحات كانت ضرورية لأن اللغة تتغير باستمرار. وبمضي الزمن أصبحت ترجمة الملك جيمس من الصعب فهمها، مثلها مثل كتابات وليم شكسبير من نفس الزمن. فلعل الأرجح أن القارىء العادي الآن لا يستطيع أن يفهم عبارة: «منعت شروق الصبح» (مز ١١٩: ١٤٧) كما جاءت في ترجمة الملك جيمس والتي تعني «أنني استيقظت قبل انبلاج الفجر» ومع ذلك فلترجمة الملك جيمس تأثير لا يُصدق على اللغة الإنجليزية، فكثير من أكثر العبارات شيوعاً جاءت من هذه الترجمة للكتاب المقدس: مثل: «الثمرة المحرمة» (تك ٢: ١٧) «وبلغوا نهاية حكمتهم» (مز ١٠٧: ٢٧)، «والميل الثاني» (مت ٥: ٤١).

وبمضي الزمن يقول بعض العلماء إن ترجمة الملك جيمس ستصبح أخيراً قطعة تاريخية مثل الترجمة ترجمة جنيف وترجمة بيشوب، قديمة جداً لغالبية الناس لدرجة تستعصى على الفهم. ويحذر آخرون من أنه كانت هناك محاولات كثيرة لدفن ترجمة الملك جيمس، ولكن إعلان وفاتها كان سابقاً لأوانه، فبعد صدورها بأربعة قرون، ما زالت تطبع منها نسخ جديدة وتباع.



كان لترجمة الملك جيمس ناقدون كثيرون، فكثيرون من البيوريتان يفضلون بشدة ترجمة جنيف لأنها أقوى بروتستانتية، وقد أخذوها معهم إلى العالم الجديد في أمريكا مفضلين لها عن ترجمة الملك جيمس. وهذه صورة لوصول الآباء المهاجرين إلى أمريكا في ١٦٢٠م. بريشة جورج هنري بوغتن (١٨٣٣ – ١٩٠٥م.)

تأمُّلاتٌ شِعْرِيَّةٌ

"في الأسفار المقدسة نفسها، يوجد نفس هذا التلاعب بالألفاظ كما في أفضل الكتابات للقدماء، وفي أفضل الأجزاء الجميلة لشكسبير"
صموئيل كولبردج
شاعر وناقد

من البداية أوحى الكتاب المقدس بقصائد شعرية بعيدة عن الدين. ففي أوائل العصور الوسطى كانت غالبية هذه القصائد باللاتينية ولكن ما أن جاء القرن السابع حتى بدأت تظهر قصائد بلغة «الشعب»، وحيث أن غالبية المسيحيين لم يكونوا قادرين على قراءة اللاتينية (وهي اللغة التي طبعت بها غالبية الكتب المقدسة) فإن هذا الشعر ساعد على انتشار رسالة كلمة الله. واستخدام الشعراء الذين جاءوا بعد ذلك الكتاب المقدس لرسم الشخصيات، بالإشارة إلى استخدامهم أو إساءة استخدامهم للكتاب، أو بنقد وجهات النظر المختلفة.

شعر العصور الوسطى

وحالما بدأت الكتابة الأدبية بلغة انجلترا (الإنجليزية القديمة أو الأنجلوسكونية)، بدأت تظهر القصائد التي استلهمت أفكارها من الكتاب المقدس والأرجح أن أولاها كانت ترنيمة في تعظيم الخليقة من تأليف كايدمون، وهو راع يجهل القراءة والكتابة من النصف الثاني من القرن السابع. وأفضل قصائد تلك الفترة كانت «حلم الصليب»، التي فيها يحلم الشاعر بأن صليب المسيح يتحدث إليه فيقول له ماذا كان شكله ليحمل ابن الله يسوع المسيح الذي يصوره كبطل أنجلوسكسوني نموذجي.

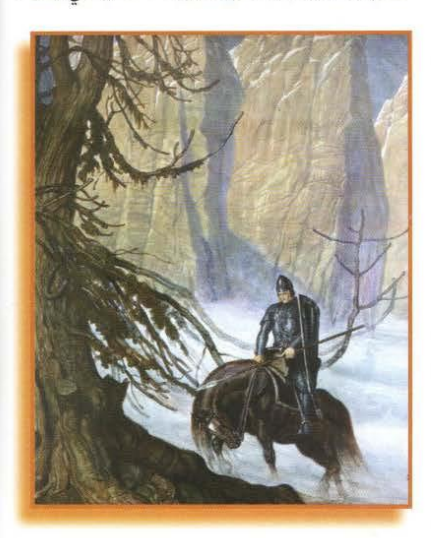
كما كانت أشياء كثيرة في الكتاب المقدس توحي للشعراء بكتابة القصائد الشعرية، ففي ١١٧٥م. كتب الشاعر الفرنسي كريتيان قصيدة «برسڤال» وهي قصيدة قصصية طويلة عن فرسان المائدة المستديرة بقيادة الملك أرثر في بحثهم عن الكأس المقدسة، وهي الكأس التي شرب منها الرب يسوع في العشاء الأخير، والتي تعطرت بدم جنبه المطعون على الصليب. وفي نهاية القصيدة، يُكافأ برسيڤال برؤية الكأس المقدسة لأن قلبه طاهر.

كما أن القصائد الساخرة استخدمت الكتاب المقدس كما يتضح في قصص كانتربري التي كتبها الشاعر الإنجليزي چيوفري سوسر في أواخر القرن الرابع عشر، وفي أحد المواقف المثيرة، تمزح زوجة باث على المرأة السامرية على البئر في الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا. ولكي تبرر أزواجها الكثيرين، تقول إن المرأة التي عند البئر كان لها خمسة أزواج ثم تعترف بأنها لا تعرف ما قصده الرب يسوع بقوله إن زوج السامرية الذي كان معها في ذلك الحين لم يكن زوجها.

الشعر في حركة الإصلاح

أول قصيدة نموذجية في حركة الإصلاح كانت قصيدة الشاعر الإيطالي دانتي: الكوميديا الإلهية التي استكملت في ١٣٢١م. ففي هذه الملحمة التي استغرقت ثلاثة مجلدات، يقطع الشاعر جولة في الجحيم والمطهر والسماء، وبالقصيدة تلميحات كثيرة إلى الكتاب المقدس في المجلدات الثلاثة، وتظهر شخصيات من الكتاب المقدس في الكتب الثلاثة، فمثلاً في الجحيم يرى دانتي يهوذا في مخالب الشيطان في أعماق الجحيم المتجمدة. وبين الأشخاص الذين في المطهر ميكال التي احتقرت زوجها الملك داود لأنه رقص أمام تابوت العهد، والفردوس مملوء بالأناس الصالحين المذكورين في الكتاب المقدس بمن فيهم آدم وحواء، بل وراحاب زانية أريحا التي خبأت الجاسوسين الإسرائيليين عن شعبها.

وفي القرن السادس عشر، يقوم الشاعر الإنجليزي سير إدموند سبنسر في مقطوعته رقم ٦٨ باستخدام الكتاب المقدس للإغراء، فيستغرق ١٢ سطراً في وصف



في حوالي ١٢١٠م. كتب الشاعر الألماني ڤولفرام فون إشبنباخ ملحمة شعرية بعنوان: «برسيڤال» وبعد مرور قرون، تحولت ملحمة إشبنباخ إلى أوبرا لريتشارد فاجنر. وهنا لوحة تصور البطل بريشة فرانس شتاسمان.

قيافا في الجحيم

في الجحيم، في الجزء الأول من الكوميديا الإلهية يقوم الشاعر الروماني ڤرچيل بإرشاد دانتي في جولة في الجحيم، ومن الشخصيات الكتابية التي يراها دانتي معذبة هناك، قيافا رئيس الكهنة، الذي نصح السندريم (المجمع اليهودي) بقتل يسوع ليتحاشوا غضب الرومان، قائلاً «إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها» (يو ١١: ٥٠). عندما رأى دانتي قيافا في الجحيم، كان يخاطب اثنين من إخوة جوبيتر، ولكنه كف عن كلامه معهما في منتصف الجملة. «أيها الإخوة، إن شركم... ! بدأت ولكنني توقفت، فقد رأيت شخصاً مصلوباً بثلاثة خوازيق على الأرض، وعندما رآني أخذ ينوح وهو يتلوى، وكان الأخ كاتالان يرى هذا ويقول: «أنت تتعجب منه. لقد نصح الفريسيين بأنه «خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب». إنه معلق الآن عارياً في عرض الطريق كما ترى، وعليه أن يحمل حمل كل واحد يمر، وحماه أيضاً يتألم مثله في الهاوية وكل ذلك المجلس الذي يدين له اليهود بمحنهم. استطعت أن أرى فرچيل مذهولاً من رؤية نفس مطروحة على صليب في الحمأة منفياً إلى الأبد»

«القسم الثامن عشر من الملحمة»

عظمة محبة المسيح لنا بموته على الصليب، وتنتهي المقطوعة ببيتين من الشعر يدعو فيهما الشاعر محبوبته لممارسة الحب حيث أن الرب قد علَّم أن المحبة صالحة.

ومسرحيات شكسبير مملوءة بلغة الكتاب المقدس فقد استخدم شكسبير الكتاب المقدس لأغراضه، فمثلاً في تاجر البندقية يشير الوغد اليهودي شيلوك إلى خداع يعقوب لحميه لابان (تك ٣٠: ٢٥– ٣٣). كما يرفض أن يتناول الغذاء مع مسيحيين لأنهم يأكلون لحم الخنزير (الممنوع عند اليهود) مذكراً إياهم بأن الرب يسوع طرد الشيطان إلى قطيع الخنازير (مت ٨: ٣٢). واستخدام شكسبير للغة الكتابية واضح جداً في قصة «أنطونيو وكليوبترا» المملوءة بالإشارات إلى سفر الرؤيا، فمثلاً يصف كليوبترا بأنها الزانية العظيمة في سفر الرؤيا ١٧، أنطونيو نفسه يصف مشاعره من نحو كليوبترا بأنها «السماء جديدة» (رؤ ٢١: ١).

في الوقت الذي أنهى فيه شكسبير دوره، بدأ كاتبان عظيمان من كُتَّاب الروايات يظهران في أوربا، وهما الكاتب الفرنسي راسين الذي كتب «أستير» في ١٦٨٩م. والتي بناها على أساس سفر أستير الكتابي، وفي ١٦٩١م. كتب «عثليا» القصة الموجودة في (٢مل ١١: ١– ١٦) عن عثليا التي قتلت ١٢ أميراً من بيت داود لتجلس هي على العرش. وتعتبر رواية عثليا هذه أكمل نموذج للتراچيديا الفرنسية الكلاسيكية. وقرب نهاية حياته كتب الروائي الأسباني بدرو كالديرون عدداً من المسرحيات مُركزاً على بُطْلِ الحياة وفراغها بناء على ما جاء في سفر الجامعة الكتابي.

وفي دراما «مصارعات شمشون» يركز الشاعر الإنجليزي البيوريتاني چون ميلتون، الذي أصبح أعمى وهو في سن ٤٣، على شمشون الأسير الذي قلعوا عينيه المذكور في سفر القضاة، ويستخدم عَمَى شمشون ليتأمل المذكور في عماه هو. وفي «الفردوس المفقود» يذكر ميلتون قصة السقوط كما هي في سفر التكوين، ولكنه يتوسع في القصة مضيفاً إليها أشياء أخرى من بينها قصة سفر الملاك لوسيفر وأتباعه، وهي غير مذكورة في الكتاب المقدس، ولكن ما يشار إليها في (رؤ ١٢: ٧– ٩)، (لو ١٠: ١٨)، وقد حول ميلتون القصة في سفر التكوين إلى ملحمة على مثال ملاحم هوميروس وڤرچيل. فهي لذلك تعتبر إحدى روائع الأدب الإنجليزي.

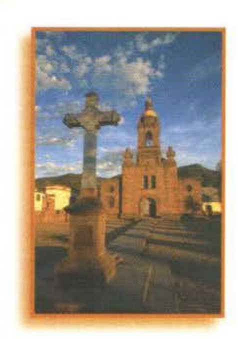
مصادر ميلتون

مع أن قصيدة ميلتون ترجع إلى الوراء إلى الخليقة وتتنبأ عن الفداء، فإن القصة في ملحمة ميلتون العظيمة «الفردوس المفقود» تحكي أساساً قصة سقوط آدم وحواء الموجودة في الإصحاح الثالث من سفر التكوين. ولكن بينما يروي سفر التكوين القصة في ٢٥ آية فقط، فإن ميلتون يتوسع في الموضوع حتى إنه يكتب ١٠٥٦٥ بيتاً من الشعر. غير أن ملتون قد استعان بمصدر آخر به صورة لما قاله وهو كتاب «أخنوخ الأول» والذي يعد من الكتابات اليهودية المزورة.



هذا المشهد من الطبقة الثامنة في الجحيم، من الجزء الأول من «الكوميديا الإلهية» لدانتي، وهو يظهر العذاب في قاع الجحيم. والصورة من نحو (١٤٣٨ – ١٤٤٤م.)

الْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ فِي الْعَالَمِ الْجَدِيدِ



صورة لمبنى إرسالية بناها المرسلون المسيحيون بالقرب من خليج النحاس في المكسيك في ١٦٨٠م. ومن هناك عمل المرسلون على نشر رسالة الإنجيل لهنود أمريكا.

عندما أبحر أوائل المستكشفين الأوربيين إلى العالم الجديد في أمريكا الشمالية والجنوبية أخذوا معهم المسيحية والمرسلين المسيحيين، وبعد ذلك عندما بدأ الأوربيون يستقرون في العالم الجديد، أحضروا معهم كتبهم المقدسة. وقام البعض منهم بترجمة كتب مقدسة لجيرانهم من الهنود.

إرساليات للعالم الجديد

بعد أن أبحر كريستوفر كولمبس تحت رعاية ملكة أسبانيا التقية إيزابل، واكتشف عالماً جديداً في ١٤٩٢م. فكر في تحويل الشعب الذي وجده هناك إلى المسيحية، وقد أطلق عليهم اسم الهنود، وبناء على ذلك في رحلته الثانية في ١٤٩٣م. أحضر معه راهباً بندكتياً وخمسة كهنة لتبشير الهنود وغالبية المستكشفين الأوربيين الذين تبعوا كولمبس إلى الأجزاء المختلفة من العالم الجديد حذوا حذوه.

وابتداء من ١٥٢٤م. بعد أن تجدد الأرتيك في المكسيك بالقوة على يد هرنان كورتز، أسس جماعة من المرسلين الفرنسسكان يعرفون بالرسل الاثني عشر نحو ٤٠٠ إرسالية في المكسيك وبعد ذلك بنوا آلاف الكنائس هناك. وفي ١٥٣٩م. أقاموا مطبعة، والأرجح أنها كانت أول مطبعة في العالم الجديد- وأصدروا كتباً تحتوي على أسئلة وأجوبة كتابية وغيرها من الكتب. ولأن الكنيسة الكاثوليكية لم تكن تشجع نشر الكتب المقدسة بين الشعب، فلم تطبع الإرساليات الكاثوليكية أية كتب مقدسة.

وفيما بين ١٥٣١م. و ١٥٣٥م. هزم فرنسسكو بيزارو الأسباني قبائل الإنكا في بيرو، وكان يساعده مرسل دومنيكاني هو ڤيسنت دي ڤالڤرد. وعندما اتصل ڤالڤرد بامبراطور الإنكا أتاهوالبا وطلب منه أن يخضع لبيزارو، طلب منه الإمبراطور الدليل على سلطانه، فأجابه المرسل بأن سلمه نسخة من الكتاب المقدس. ولعدم درايته بأهمية الكتاب ألقى أتاهوالبا بالكتاب إلى الأرض مما أفزع الجيوش الأسبانية الذين انبروا للفتك بالآلاف من الهنود الحاضرين. وسرعان ما شرع مرسلون آخرون لتجديد الإنكا، وأسست إرسالية دومينيكية أول جامعة في الأمريكتين في ليما.

وبدءاً من عام ١٥٤٩م. عمل الجزويت البرتغاليون على تجديد هنود البرازيل حيث أسسوا إرساليات في مناطق داخلية معادية. وأسس الجزويت الأسبان أول إرساليتهم في بارجواي في ١٥٦٨م. وأقاموا قرى مسيحية منظمة للهنود. ومع أنهم لم يمدوهم بكتب مقدسة، إلا أن المرسلون قدموا لهم الرسالة بالكلام كما حدث في أقدم العصور.

وحل الهولنديون في جوانا في ١٥٨٠م. وتبعهم الفرنسيون والإنجليز، كما استقر الهولنديون أيضاً في جزائر الهند الغربية وفي الأرض المنخفضة الجديدة (وهي الآن ولاية نيويورك) حيث أسسوا الكنيسة الهولندية المصلحة، وعملوا مع الهنود في الأراضي المنخفضة الجديدة إلى أن تولى الإنجليز أمر الإرساليات في أوائل القرن الثامن عشر.

وقد جاء المستكشفون الفرنسيون والأسبان بالمرسلين الفرنسسكان والجزويت والدومينكان إلى مختلف جهات أمريكا الشمالية أيضاً، وأسسوا إرساليات في فلوريدا وتكساس والجنوب الغربي، وعلى طول نهر المسسبي وفي ١٦١٥م. جاء مرسلون من الرهبان المتأملين من أتباع القديس فرنسيس من الفرنسيين إلى ولاية كويبك الجديدة في كندا وحاولوا أن يحولوا الهنود إلى المسيحية، ولكن المرسلين ظلوا بعيدين عن الشعب فلم يكن لهم تأثير. وفي ١٦٢٥م. جاء جزويت فرنسيون إلى كويبك وتشبهوا ببعض أساليب الهنود في محاولاتهم الوصول



صور لمرسلين من الدومنيكان الذين وصلوا إلى العالم الجديد من أسبانيا لتوصيل الإنجيل إلى الهنود، حيث نرى أحد الرهبان يعمد بعض الهنود الذين تجددوا.

جون إليوت الرسول للهنود

كان أول شخص ينشر كتاباً مقدساً في العالم الجديد هو جون إليوت، وكان قد ولد في ودفورد في هيرت فورد شير في انجلترا ١٦٣١م. أبحر إلى بوستن، وفي السنة التالية أصبح راعياً لكنيسة في بوكسبري المجاورة، وبتعضيد من كنيسته وبعض رفقائه من الخدام، بدأ إليوت التبشير للهنود المحليين. وفي ١٦٥٠م. أقنع بعض الهنود بالانتقال إلى مدينة جديدة تسمى مدينة «صلوات» حيث بنوا بيوتاً على الطراز الأوربي وسكنوا فيها واعتنقوا قوانين كتابية. وكان إليوت يمد الهنود بالطعام والثياب، بينما كانوا هم يقومون بزراعة الحدائق وتربية الماشية ويتعلمون الإنجليزية وبعض الحرف والكتاب المقدس، وعندما أصبحوا على استعداد، اعتمدوا كمسيحيين.

وفي هذه الأثناء عاد إليوت إلى انجلترا وحظي إليوت بالإعجاب لعمله حتى أنه تكونت منظمة جديدة لتمويل مجهوداته. وكانت هذه الجماعة لنشر الإنجيل في انجلترا الجديدة والأجزاء المجاورة في أمريكا الشمالية، أول جمعية من جمعيات عديدة من المرسلين. وفي ١٦٥٤م. نشر إليوت كتاب أسئلة وأجوبة كتابية بلغة الهنود الذين تحت رعايته. وأتبع ذلك في ١٦٥٨م. بترجمة كل الكتاب المقدس. وما جاءت سنة ١٦٧٤م. حتى كان إليوت قد أقام ١٤ «مدينة صلاة» كانت تأوي ٤٠٠٠ هندي متجدد. غير أنه في السنة التالية نشبت الحرب بين المستعمرين والهنود، ولأن هنود إليوت رفضوا أن يحاربوا، فإنهم تعرضوا للاضطهاد من كلا الجانبين، وكادوا أن يمحوا. وحاول إليوت بعد ذلك إحياء المدن بل وأعد نسخة جديدة من الكتاب المقدس في ١٦٨٥م. ولكن دون أن ينجح نجاحه السابق. وتوفي في ١٦٩٠م.

جون إليوت يكرز للهنود.

إليهم وتعليمهم مبادىء الإنجيل بالكرازة والمثال. وقد نجحوا جزئياً، ولكن كثيرين من الهنود تمسكوا بعقائدهم القديمة. وعندما انتشر وباء وعمد الجزويت المحتضرين لام الهنود الجزويت لأنهم تسببوا في الوباء، وعذبوا عدداً من الجزويت وقتلوهم.

الكتب المقدسة في المستعمرات الإنجليزية

كان البيوريتان الإنجليز الذين استقروا في ماساشوستس في أوائل القرن السابع عشر قد جاءوا بكتبهم المقدسة معهم. وكان غالبية المهاجرين الأوائل يفضلون كتاب جنيف المقدس، ولكن في ١٧٠٠م. كان جميعهم يستخدمون نسخة الملك جيمس التي كانت قد أصبحت الكتاب المقدس البروتستانتي في الإنجليزية. ولسوء الحظ كانت نسخة الملك جيمس، حقوق طبعها محفوظة ولم يكن يمكن طبعها إلا بالمطبعة الخاصة بها أو في مطبعتي جامعتي أكسفورد وكامبردج، مما منع البيوريتان من طبع نسخهم وكان يلزمهم أن يستوردوها.

وعندما تأسست جامعة هارڤارد في ١٦٣٦م. أنشئت فيها مطبعة في ساحتها إذ بدا من المناسب أن يكون أول كتاب يطبع في المستعمرة هو الكتاب المقدس، فصدر قرار بنشر نسخة جديدة من المزامير، فقام ثلاثة علماء من البيوريتان هم رتشارد مانر، وجون إليوت وتوماس ولد بعمل ترجمة جديدة للمزامير من الأصل العبري رغم أنهم أدركوا أن ترجمتهم كانت تنقصها الأناقة، ولكنهم أصروا على أنها كانت أمينة للأصل، وهكذا تمت ترجمة

كل سفر المزامير نظماً إلى الإنجليزية وأصبحت تعرف باسم كتاب مزامير باي، وطبع في هارڤارد في ١٦٤٠.

أول كتاب مقدس كامل طبع في أمريكا الشمالية باللهجة الهندية، كان قد أعده المرسل جون إليوت بلغة هنود ماساشوستس، وهي لهجة من لهجات الهنود لم تكن قد كُتِبَت من قبل فكان على إليوت أن يخترع لها أسلوباً مناسباً للكتابة.

وفي ترجمته هذه لم يحاول أن يكون حرفياً بل بالحري بذل كل جهده لجعل النص الكتابي مفهوماً عند الهنود، فمثلاً ترجم مثل العذارى العشر (مت ٢٥: ١- ١٢) إلى عشر رجال عفيفين، لأن الهنود كانوا يعتبرون العفاف فضيلة مطلوبة من الرجال وليس من النساء. وظهر العهد الجديد في سنة ١٦٦١م. ثم كل الكتاب المقدس في ١٦٦٣م.

وفي السنوات التي تلت ذلك، تمت ترجمة الكتاب المقدس إلى لهجات هندية أخرى في كل أمريكا الشمالية ولكن لم تنشر كُتب مقدس باللغات الأوربية في المستعمرات حتى ١٧٤٣م. حين نشر كريستوفر سوير وهو مهاجر ألماني نسخة من ترجمة مارتن لوثر في مدينة ألمانية من ضواحي فيلادلفيا. وعندما قامت الثورة الأمريكية، اعتبر أصحاب المطابع الأمريكيون أن علاقاتهم بانجلترا قد انقطعت وبدأوا في طباعة نسخة الملك جيمس وفي الأمة الجديدة في الولايات المتحدة، نشرت الكتب المقدسة في ترجمات عديدة بدون أي قيود.

"يا ليتني كنت أستطيع أن أخاطب الهنود بلغتهم، فنفسي المتعطشة تشتاق أن تصل رسالة الخلاص لأذان هؤلاء الناس الحمر"
چاسون لي مرسل لأوريجون

كتب مقدسة لتعليم القراءة

كثيراً ما استخدم الأمريكيون الكتاب المقدس لتعليم أولادهم كيف يقرون فكل كتاب من هذه الكتب الأولية كان كل حرف فيها يصدر بيتاً من الشعر عن موضوع كتابي مع رسم بسيط فكان البيت من الشعر عن حرف «أ» كان «بسقوط آدم سقط الجميع» وهي عبارة مسجوعة في الإنجليزية. وكانت الكتب المدرسية تحتوي على قصص من الكتاب المقدس، وفي القرن الثامن عشر كثيراً ما كانت الفتيات الصغيرات يكتبن أعداداً من الكتاب بشغل الإبرة.

٥- اَلْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيْثِ

خِلاَل المائتي عَامِ الماضية أو نحو ذلك، استطاع المرسلون بمعونة المُتَرجمين وجمعيات توزيع الكتاب المقدس أن ينشروا الكتاب المقدس في كلِّ نواحي العالم، فما تزال الإرسالية تعمل، وما زال العلماء يواصلون تطوير وسائل جديدة وأساليب جديدة لدراسة الكتاب المقدس، وتحديد ما قَصَدَ الكُتَّابُ الأصليون أن يوصلوه للعالم. والآن هناك ترجمات جديدة بلا عدد للكتاب المقدس يتم نشرها في محاولة لفهم أفضل لمعاني الكتاب المقدس والتعبير عنها بلغات العصر الحاضر. وحيثما تنتشر رسالة الكتاب المقدس، ينتشر معها تأثيره على مجالات عديدة واسعة الانتشار مثل القانون والآداب والمسرح.



صورة من فيلم سيسل ديميل ١٩٢٧م. «ملك الملوك» حيث نرى الرب يسوع (الذي يمثله هـ. ب. وارنر) يخاطب بطرس في العشاء الأخير.

حَرَكَةُ التَّنْوِيرِ تُعَتِّمُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ

"لتكن لك الشجاعة لاستخدام عقلك"
إيمانويل كانط



صورة لڤولتير
(١٦٩٤- ١٧٧٨م.)
الكاتب الفرنسي الذي كان في مقدمة حركة التنوير.

ملحمة كتابية ألمانية

على عكس الموقف السلبي لكثيرين من المفكرين في عصره، حاول الشاعر الألماني فريدريك جوتليب كلوبستوك أن يخلق ملحمة ألمانية كتابية نظير أسلوب رائعة ملتون الإنجليزية مستمداً مادته من العهد الجديد والفردوس المفقود لملتون، قدم كلوبستوك رائعته «المسيا» التي تصور آلام وموت وقيامة وتتويج يسوع المسيح. التي نشرت في ١٧٧٣م. وبصورة منقحة في ١٨٠٠م. وللأسف حيث نجح ملتون، لم يقابل كلوبستوك إلا نجاحاً متوسطاً.

في القرن الثامن عشر، في أثناء الفترة المعروفة بالتنوير، رفع شأن العقل البشري فوق كل شيء آخر حتى لقد ظُن أنه يحد الله نفسه. ففي القرن السابع عشر قال الفلاسفة والعلماء مثل جاليليو جاليلي وسير اسحق نيوتن إن الكون تحكمه قوانين طبيعية. وقال فلاسفة القرن الثامن عشر إنهم يستطيعون معرفة تحركات الطبيعة بالملاحظة الدقيقة واستخدام العقل.

وكان منهم الفيلسوف الإسكتلندي داڤيد هيوم والفيلسوف الألماني إيمانويل كانط والكتّاب الفرنسيون چان چاك روسو وڤولتير ودينس ديدرو. وقد ذهب ديدرو إلى حد بعيد فألف موسوعة كبيرة غطت كل مجالات المعرفة. وقد استنتج عدد من مفكري التنوير أنه حيث أن الكون تحكمه قوانين دقيقة، فالله نفسه يجب أن يلتزم بهذه القوانين مما يؤدي إلى محدودية قدرته. وادعى البعض أنه منذ خلق الكون قد تجنب الله أي اتصال بالبشر، وعليه فالإعلان الموجود في الكتاب المقدس إنما هو خيال. وفي روايته الساخرة كانديد ١٧٥٩م. يعتبر ڤولتير كل اللاهوت الكتابي إفلاساً.

التشكيك في الكتاب المقدس

بالنسبة لمن لم يرفضوا الكتاب المقدس كلية، فإن حكم العقل أثر بشدة في تفسيرهم له. فقد تعرض عدد من العناصر للتشكيك.

المعجزات الموصوفة في الكتاب، قيل إنها خرق للنظام الذي وضعه الله للخليقة، فبذلت محاولات لتفسيرها بأساليب أدبية، فمثلاً عندما طلب يشوع أن تقف الشمس (يش ١٠: ١٢، ١٣) كان يعبر بعبارات شعرية عن أمله في هزيمة العدو قبل حلول الظلام، وهذا هو ما حدث.. فالشمس لم تقف حرفياً. ومعجزات أخرى نظر إليها على أنها مبالغات لظواهر طبيعية وهكذا. فالمن الذي وجده موسى وبنوا إسرائيل في البرية (خر ١٦: ٤) لم يكن خبزاً حقيقياً من السماء بل مادة سكرية أفرزتها الحشرات التي تنخر في لحاء أشجار البرية.

والنبوات التي أنبأت بدقة عن المستقبل أو صورت مقدماً مجيء الرب يسوع كانت هي أيضاً موضع تساؤل ففي عالم منظم كان لا يمكن أن يحدث هذا كما أدعى مفكروا حركة التنوير، ورداً عليهم اعتقد أحد المؤمنين هو توماس شيرلوك أن النبوة لها معنيان: أحدهما هو ما قصده النبي نفسه وتفسير آخر يفرضه الله يفهم فقط بعد أن تتم النبوة، فمثلاً عندما يتنبأ إشعياء أن امرأة صغيرة (التي يمكن ترجمتها في اليونانية إلى عذراء) ستلد ابناً يدعى اسمه عمانوئيل (إش ٧: ١٤) فهو يشير إلى فتاة كانت في أيامه، لعلها امرأة الملك ولكن في أوقات العهد الجديد، يبرز معنى الله الأعمق، فنعرف أن المرأة هي العذراء مريم والطفل هو يسوع.

والدراسات الچيولوچية دلت على أن الأرض أقدم جداً مما يدل عليه الكتاب المقدس، وأن الكائنات الحية ظهرت على الأرض على مدى حقبة طويلة من الزمن فلم تخلق في يوم واحد كما يذكر سفر التكوين (وقد حسب رئيس أساقفة أيرلندا أن الخليقة حدثت في سنة ٤٠٠٤ ق.م.، ولكن الدليل الملاحظ هو أن الأرض أقدم جداً من ذلك). وبناء على ذلك رأى بعضهم أن قصة التكوين أسطورة وليست تاريخية، قد أثار ذلك ضجة من الاحتجاج من المسيحيين التقليديين، لأنه وإن كان الكثيرون في القرن الثامن عشر قد تحولوا عن إيمانهم، فإن كثيرون آخر تمسكوا بأشد حماسة.

الدراسات التعبدية للكتاب المقدس

وقد أدى رد الفعل ضد أفكار أصحاب المذهب العقلي عن الكتاب المقدس، إلى انتشار التقوى في ألمانيا. وقد بدأ هذه الحركة في ١٦٧٧م. خادم لوثري هو فيليب چاكوب سبنر بنشر مجموعة من ستة اقتراحات لاستعادة الديانة الحقيقية. وقد دعا سبنر إلى زيادة في ممارسة التقوى مشدداً على الدراسة المكثفة للأسفار الإلهية لتنشيط العبادة الشخصية. وسرعان ما انتشر تأثير هذه الحركة في أوربا وأمريكا.

وقد تأثر بسبنر بشدة العالم اللوثري الألماني چوهانس ألبرخت بنجل، فنشر تفاسير قوية للعهد الجديد، أعجب بها بشدة جون وسلي مؤسس حركة الميثودست. وفيما بين ١٧٠٨، ١٧١٢م. نشر الخادم المشيخي متى هنري تفاسير كتابية هادفة وقد أراد هنري تفاسيره أن يزود القارىء العام بأفكار كتابية وصور تضفي معنى على

حياته الشخصية. وقد تبنى جون وسلي أفكار هنري في مذكراته على العهد الجديد التي نشرت في ١٧٥٤، ١٧٦٥م.

ولتقريب هذه الأفكار للشعب، ظهرت مجموعات صغيرة للدراسة في كل العالم الغربي، وكان سبنر قد أسس من قبل دوائر تعبدية للصلاة وقراءة الكتاب المقدس كانت تجتمع في بيته. وفي ١٧٢٩م. نظم جون وسلي ما سمي فيما بعد النادي المقدس كان أعضاؤه يسعون نحو تعميق إيمانهم الشخصي واعتمدوا بشدة على قراءات من الكتاب المقدس، وقد تفرع عن النادي المقدس عدد من الجماعات في كل انجلترا وأمريكا في محاولة للهروب من التفسير العلمي للكتاب المقدس الذي شجع الأفكار العقلانية، فكانت جماعات كثيرة من المتمسكين بالتقاليد تجتمع للدراسة الخاصة دون تدخل اللاهوتيين المدربين.

وظهرت حركات أخرى كرد فعل لآراء حركة التنوير بالنسبة للدين والكتاب المقدس، ففي المستعمرات الأمريكية فيما بين ١٧٢٠، ١٧٤٠م. انتشرت حركة دينية معروفة باسم اليقظة العظيمة في كل البلاد فجال المبشر چورچ هويتفيلد في كل المستعمرات وكرز لجموع حاشدة حتى كان عليهم أن يجتمعوا في الحقول المفتوحة، وكان هويتفيلد يثير عواطف سامعيه. مشدداً على أهوال الناموس بالنسبة للخطاة، وعلى الميلاد الجديد في يسوع المسيح. وفي نفس الوقت حاول چوناثان إدواردز وهو مبشر لا طائفي أن يساعد الذين كانوا يسمعونه في اجتماعات نهضة أن يفصلوا بين أعمال الروح القدس الحقيقية من الزائفة. وكان مبشرو النهضة موضوع انتقاد بحق من قادة الكنيسة لتشجيعهم العواطف المتطرفة والأوهام الدينية الخطرة.

وقد أدى تنوع الآراء الواسع عن الدين والكتاب المقدس إلى زيادة التسامح. وفي القرن التاسع عشر، ظهرت موجة جديدة من الاهتمام الشعبي بالكتاب المقدس، وتحول المفهم البيوريتاني الأقدم للكتاب المقدس، إلى نوع جديد من البروتستانتية التي شجعت بشدة التفسير المحافظ للكتاب المقدس. كما وجد علماء القرن التاسع عشر طرقاً جديدة لدراسة الكتاب المقدس تجاوباً مع الموضوعات التي أثارها مفكرو حركة التنوير، وهكذا تناقص تشاؤم آراء حركة التنوير عن الكتاب المقدس.

باخ وهاندل والكتاب المقدس

إذ تأثر الموسيقار اللوثري الألماني چوهان سبستيان باخ بحركة التقوى القوية التي بدأها چوهانس ألبرخت بنجل، ألف العديد من القطع الموسيقية المبنية على الكتاب المقدس، تتكون من مئات من القصص الموسيقية الغنائية (كنتاتات) لتؤدى في الخدمات الكنسية. وكانت هذه القطع تشتمل على نصوص كتابية أو مقتطفات أو تلميحات إلى فصول من الكتاب المقدس كانت تقرأ في الكنيسة في ذلك الوقت بألحان شجية توحي بوجهات نظر شخصية على الفصول الكتابية.. كما ألف قطعتين طويلتين عن آلام المسيح بحسب ما جاء في إنجيل متى، وآلام المسيح كما جاءت في إنجيل يوحنا. وفي هذه القطع الموسيقية يقرأ أحدهم النص الكامل من الإنجيل بتلحين معين وكانت كلها ألحان عاطفية جداً حيث كان باخ يؤمن أن الموسيقى تجد تجاوباً قوياً من عامة الشعب فما أحس به المؤلف الموسيقي، سيحس به المنشد وهكذا ينتقل نفس الإحساس للسامع.

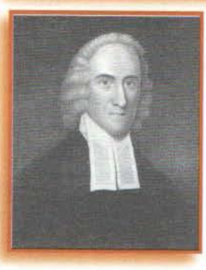
كما كتب المؤلف الموسيقي الإنجليزي چورج فردريك هاندل عدداً كبيراً من القطع المبنية على أجزاء كتابية، ورائعته هي «المسيا» التي تتناول حياة المسيح من أول النبوات عن مجيئه إلى قيامته، فكانت أشبه بكنتاتا ممتدة في شكلها ولكن كل النص (حتى في اللَّحْن) مأخوذ من الكتاب المقدس، وبخاصة من إشعياء والمزامير والأناجيل ورسائل الرسول بولس. و «المسيا» تشتمل على أنغام عاطفية كثيرة وألحان رائعة وبخاصة لحن هللويا الشهير وعلاوة على المسيا ألف هاندل موشحات عن شخصيات كتابية أخرى، ولكن كان معظمها في أشكال درامية أكثر ما في «المسيا» فكانت أشبه بالتمثيليات الموسيقية، وتشمل هذه شمشون، يشوع، أستير، إسرائيل في مصر وشاول.



(١٧٠٣ - ١٧٩١م.)

چون وسلي

مؤسس حركة الميثودست يكرز وهو واقف على قبر أبيه. وكان النادي المقدس الذي أسسه وسلي يركز على قراءة الكتاب المقدس كوسيلة لتعميق الإيمان الشخصي.



چوناثان إدواردز

(١٧٠٣ - ١٧٥٨م.)

الذي كان رجل دين أمريكياً بارزاً ولاهوتياً كبيراً. ففي أثناء اليقظة العظيمة، ظهر إدواردز كبطل الديانة الإنجيلية وكرز بالحاجة إلى «الميلاد الجديد» كما عمل كمرسل للهنود في ستوكردج في ماساشوستش وعمل أيضاً رئيساً لكلية برنستون.

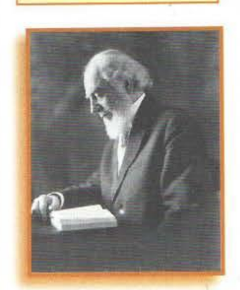
اَلْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ

ترجمة طبيب

كان غالبية المترجمين إما علماء الكتاب أو مرسلين تعلموا لهذا الغرض بخاصة. غير أن هناك استثناءً واضحاً لهذا وهو ب. ج. بتلهيم وهو مسيحي مجري من أصل يهودي كان يعمل طبيباً في جزائر رايوكو، وهي سلسلة جزر يابانية تشمل أوكيناوا. وقد ترجم بتلهيم العهد الجديد إلى اللهجة اليابانية المحلية، ثم بعد ذلك نقح هذه الترجمة بمساعدة المواطنين الذين يتكلمون اليابانية لكي يصيغها باللغة اليابانية الرسمية المعروفة.

قبل برايل

في ١٨٣٦م. أصدر ملجأ المكفوفين في نيويورك العهد الجديد بحروف بارزة. وقد ظهرت هذه قبل ظهور طريقة برايل بنحو عشرين سنة.



صورة لتشارلس تيز رسل (١٨٥٢ - ١٩١٦م.) مؤسس شهود يهوه.

تميَّز القَرن التاسع عشر باهتمام متجدد بالكتاب المقدس فنقحت الترجمات القديمة، وصدرت ترجمات جديدة، وظهرت كتب مقدسة في كثير من اللغات لتستخدمها الطوائف المختلفة أو المسيحيون من العامة.

الكتب المقدسة في أوربا

في بداية القرن التاسع عشر كان الكتاب المقدس قد ترجم إلى ٤٨ لغة أوربية منها أهم لغات القارة ما عدا الروسية. ولذلك كان معظم العمل في الترجمة في السنوات التالية مكرساً لتنقيح الترجمات السابقة وفي بعض الحالات، تم عمل ترجمات جديدة، وبدا ذلك ضرورياً لأن لغة الترجمات القديمة كانت قد أصبحت مهجورة. ولكن الناس الذين كانوا يستخدمون تلك الكتب لم يكونوا يريدون أن تتغير بل كانوا يفضلون أن يروا ترجمات جديدة يمكن استخدامها مع الترجمات القديمة. بالإضافة إلى أن النسخ المنقحة من الكتاب المقدس في اللغات الأصلية استدعت ترجمات جديدة لتتماشى مع آخر ما اكتشفه العلماء.

بدأت أول ترجمة للغة أوربية بترجمة كاملة للكتاب المقدس إلى اللغة الغالية وهي لغة كان يتكلمها بعض الناس في إسكتلندا، ثم إلى اللسان الأيرلندي وكان يسمى أيضاً باللغة الغالية. وقد نشر الكتاب المقدس الإسكتلندي في ١٨٠١م.

وقد نشرت أول كتب مقدسة باللغة الروسية في القرن التاسع عشر، فإلى ذلك الوقت كانت الكتب المقدس الروسية نسخاً من الترجمة القديمة التي قام بها كيرلس وميثوديوس في القرن التاسع. فقد ظلت هذه الترجمة السلافية تستخدم في الكنيسة زمناً طويلاً بعد أن بطل استخدام الشعب لهذه اللغة، وذلك مثلما ظلت اللاتينية اللغة المستخدمة في الكنيسة الكاثوليكية. ثم في ١٨١٥م. نشرت رسالة الرسول بولس إلى رومية في اللغتين السلافية القديمة والروسية، ثم نشر العهد الجديد في ١٨٢١ والعهد القديم في ١٨٦٧ وظهر أول كتاب مقدس كامل في اللغة الروسية في ١٨٧٧م. ولو أنه يعرف بطبعة ١٨٧٦م.

وفي تلك الأثناء شرع الموحدون فيما يعتقدون أنه «تصويب» الكتاب المقدس، فالموحدون الذين يرفضون التعلم بالثالوث ولاهوت يسوع، كانت لهم أصولهم في حركة الإصلاح. وقد نشأوا أولاً كجماعة منظمة في القرنين السادس عشر والسابع عشر في بولندا والمجر وانجلترا وسرعان ما انتشروا إلى أجزاء أخرى من العالم. وفي القرن التاسع عشر بدأ الموحدون في القيام بترجمات خاصة بهم للكتاب المقدس لكي يستعيدوا روح النصوص الكتابية الأصلية، وفي نفس الوقت يطهرون الكتاب المقدس مما كانوا يعتبرونه خطأ. إذ كانوا يعتبرون كل النصوص الكتابية التي تؤيد مفهوم الثالوث والتعاليم

شهود يهوه

تكونت الحركة الواسعة المعروفة الآن باسم «شهود يهوه» في الثمانينات من القرن التاسع عشر بمعرفة المبشر العلماني الأمريكية تشارلز تيز رسل باسم جمعية برج المراقبة للكتاب المقدس والنبذ. وأدعى رسل أن يسوع المسيح، رجل كامل، قد رجع بصورة غير منظورة للعالم في ١٨٧٨م. للإعداد للكوت الله التي سيعلن بعد موقعة هرمجدون في ١٩١٤م. وحث رسل كل الناس على دراسة الكتاب المقدس، وليحذر أكثر عدد يمكنه من الناس من نهاية الزمن الوشيكة، حتى يمكنهم أن ينجو من الدينونة الأولى، حينما يملك يسوع على العالم لمدة ألف عام، والدينونة الثانية عندما يؤخذ ١٤٤٠٠٠ فقط من كل التاريخ البشري إلى السماء. وقد استنتج رسل هذه الملاحظات من تفسيره الخاص لسفر الرؤيا. وبعد ١٩١٤م. عندما لم تقع معركة هرمجدون كما كان رسل قد تنبأ، أعاد تفسير النبوات. وقد مات رسل في ١٩١٦م. فحوَّل خليفته ج. ف. رزرفورد بسرعة الحركة إلى حركة ثيوقراطية مكرسة للحق وطلب التسليم التام من كل أعضائها. وبعد ذلك في أواخر القرن العشرين، ركز شهود يهوده على العمل المرسلي وعملوا بنشاط حتى كانوا ينتقلون من منزل إلى آخر ليوزعوا نسخاً من مجلاتهم المؤسسة على تلك لتعاليم: «برج المراقبة» وكان للحركة ترجماتها الخاصة للكتاب المقدس التي تشدد على الاستعداد لنهاية الزمن، ويوجد نحو أربعة ملايين من شهود يهوه في نحو ٢٠٠ دول في العالم.

الأخرى التي لا يوافقون عليها، إنها زائفة، مدعين بأنها أضيفت إلى الكتاب في أزمنة متأخرة، بوساطة النساخ.

وفي ١٨٠٨م. نشر الموحد الانجليزي توماس بلشام «نسخة معدلة» ثم أعد أبينير كنيلاند نسخة أمريكية للعهد الجديد. بناها على كتاب بلشام، ولكنه أضاف إليها تصويبات أكثر. ونشر كنيلاند العهد الجديد باليونانية والإنجليزية في ١٨٢٣م. على أمل تصويب بعض الأخطاء الشنيعة الموجودة في الكنيسة المسيحية الآن. وظهر عدد كبير من ترجمات الموحدين خلال القرن التاسع عشر.

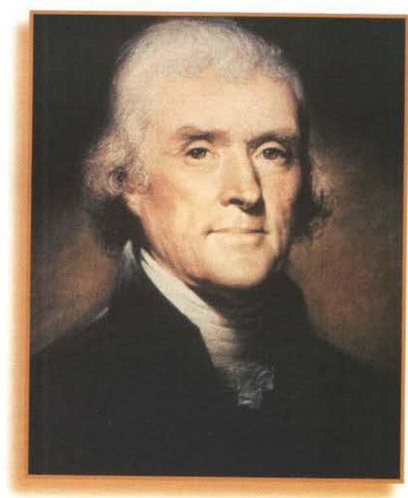
الكتب المقدسة في أمريكا الشمالية

لأن سكان أمريكا اللاتينية كانت غالبيتهم الساحقة من الكاثوليك، حدثت ترجمات محدودة للكتاب المقدس، لأن الكنيسة الكاثوليكية لم تكن تشجع ذلك. وخلال القرن التاسع عشر ترجم المرسلون وغيرهم أجزاء من الكتاب المقدس إلى ١٢ لهجة هندية. وتمت ترجمة كاملة للعهد الجديد إلى السرانانية وهي لهجة كان يستخدمها الهنود السود في المنطقة الساحلية من جيانا الهولندية (المعروفة الآن بسيرينام)

وفي الأمة التي كانت قد تكونت حديثاً في الولايات المتحدة، كان نسخة الملك چيمس هي الكتاب المقدس المفضل عند غالبية المسيحيين. وفي الحقيقة كان يحظى باحترام شديد حتى أن المسيحيين الأمريكيين رفضوا نسخة جديدة منه كانت قد صوبت فيما بعض الأخطاء التي زحفت إلى الترجمة خلال السنين. ومع ذلك ظهرت ترجمات عديدة للكتاب المقدس، كانت إحداها بمعرفة تشارلس تومسون سكرتير الكونجرس الأمريكي الثاني (١٧٧٥ - ١٧٨١م.). وبعد أن فقد التعضيد السياسي، عكف تومسون للتغلب على مرارته، على ترجمة الكتاب المقدس. وفي ترجمته التي نشرت في ١٨٠٨م. حاول أن يحتفظ بروح ومعنى النصوص الأصلية مع محاولة توضيحها للقارىء في عصره.

وفي اتجاه آخر، قال چوزيف سميث وهو شاب من الميرافينيويورك، إنه رأى الملاك يدعى موروني الذي أراه كتاباً مفقوداً منذ زمن طويل ذكر زيارة يسوع لأمريكا الشمالية، بعد قيامته مباشرة لينصح جماعة من الإسرائيليين الذين كاوا قد هربوا إليها للنجاة من البابليين في ٥٨٦ق.م. وفي ١٨٣٠م. نشر سميث النص وما زال كتاب المورمون يستخدم كتاباً مقدساً لكنيسة سميث المسماة كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة (المورمون).

وبينما كان العمل يجري في ترجمات جديدة للكتاب ويعاد ترتيبه وجمعه بطرق عديدة، أصدر الرئيس توماس چيفرسون نسخته من الأناجيل فاقتطع أجزاء تمثل رسالة يسوع الحقيقية ورتبها في أربعة أعمدة، واحد لكل من الإنجليزية واليونانية واللاتينية والفرنسية.



وفي خلال القرن التاسع عشر (وما بعده) كانت للكتب المقدسة العائلية مكانة عظيمة في أمريكا كما في كل مكان آخر. فكانت كل عائلة تحتفظ بكتاب مقدس كبير به صفحات خالية كانوا يسجلون فيها إحصائيات عائلية، مثل المواليد والمعموديات وحالات الزواج وحالات الموت. وأحياناً كانت تسجل فيها أفكار شخصية، بل إن إحدى الشابات خاطت قطعة من فستان زفافها في كتاب العائلة المقدس. وكانت العائلات كثيراً ما تجتمع في الأمسيات للقراءة في الكتاب المقدس.

وفي أثناء الحرب الأهلية، كان الجنود يحملون أجزاء من الكتاب المقدس في جيوبهم فوق صدورهم وبدأت القصص تنتشر عن نجاة حياة الكثيرين لإصطدام الرصاص الموجه للقلب بالكتاب المقدس. وقد انتشرت هذه القصص حتى أن الكاتب الساخر مارك توين كتب ساخراً أن رصاصة قد أنقذته من كتاب مقدس إذ بينما كان يسير في أحد الشوارع سقط عليه من أحد الشبابيك العالي كتاب مقدس ولكن أبعدته عنه إحدى الرصاصات التي كان يحتفظ بها على الدوام في جيبه.

ونحو نهاية القرن درست إليزابث كادي ستانتون، وبعض النساء المهتمات بحقوق المرأة، الكتاب المقدس من وجهة نظر النساء على أمل منع الرجال من استخدام كلمة الله للتمييز ضد النساء وكان كتابهن المقدس يحتوي على مقتطفات من الكتاب المقدس مع تعليقات نسائية. ففي دراسة الروايتين عن الخليقة في سفر التكوين، يقلن إن رواية الخلق في الأصحاح الأول، حيث يذكر أن الرجل والمرأة خُلقا معاً ويبدوان متساويين أجدر بقبول المرأة الذكية من الرواية المذكورة في الأصحاح الثاني التي تذكر أن الرجل خُلق أولاً ثم خُلقت المرأة من أحد أضلاعه.

توماس چيفرسون
(١٧٤٣ - ١٨٢٦م.)
بينما كان يخدم كرئيس للولايات المتحدة، قام بتجميع نسخته الفريدة من الأناجيل.
صورة له بريشة رمبراندت بيل.



چوزيف سميث
يرى الملاك موروني يسلمه كتاباً ظل مفقوداً زمناً طويلاً، وقد أدت به رؤياه لتأسيس طائفة المورمون.

أول كتاب مقدس أمريكي بالعبرية

أول كتاب مقدس بالعبرية يطبع في الولايات المتحدة، ظهر في ١٨١٤م. وفي ١٨٤٥م. نشر الربي (المعلم) إسحق ليسر ترجمته الإنجليزية للأسفار الخمسة من الكتاب المقدس (التوراة).

وفي ١٨٥٣م. نشر ترجمته لكل الكتاب المقدس العبري، فكان أول كتاب من نوعه ينشر في أمريكا.



صورة لإليزابث كادي ستانتون
(١٨١٥ - ١٩٠٢م.)
وهي أمريكية دافعت عن حق المرأة. وساعدت في إصدار كتاب مقدس للنساء.

اَلْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يَتَّجِهُ إِلَى الشَّرْقِ الأَقْصَى

كتب مقدسة لآسيا

في ١٨٠٠م، كانت قد تمت ترجمة جزء أو كل الكتاب المقدس إلى ١٣ لغة أسيوية، وفي خلال ٣٠ عاماً ارتفع العدد إلى ٤٣ في ١٨٣٧م.
وقد ترجم العالم البروسي كارل جوتسلاف إنجيل يوحنا إلى اليابانية وهو أقدم ترجمة يابانية ما زالت موجودة.

صورة للكاهن الأسباني فرنسيس اكساڤيير يأخذ الإنجيل إلى الصيادين في الهند ثم إلى اليابان (منظر من حياة القديس إكساڤيير

لقد وصلت المسيحية إلى الشرق قبل الكتاب المقدس بزمن طويل، إذ تقول أسطورة إن الرسول توما أخذ الأخبار السارة إلى الهند في القرن الأول، فعندما وصل المرسلون الكاثوليك هناك بعد نحو ١٥٠٠ سنة، وجدوا جماعة صغيرة ولكن قوية من المسيحيين الذين رجعوا بتاريخ إيمانهم إلى توما.

وفي القرن الرابع وصل إلى الصين جماعة من المسيحيين الذين حُكِمَ عليهم بالهرطقة، اسمهم النسطوريون، نسبة إلى رئيس الأساقفة نسطور المعزول الذي أدت تعاليمه إلى ظهور هذه إلى الحركة وأولئك المسيحيون هاجموا التعليم التقليدي بأن يسوع كان شخصاً واحداً ذي طبيعتين – إلهية وبشرية – وقالوا إن يسوع كان شخصيتين، سماوي في السماء، وبشري على الأرض، وكان معنى هذا أن مريم لم تكن والدة الإله كما كان يسميها كثيرون من مسيحي تلك الأيام. وهرب النسطوريون المنبوذون إلى الشرق، وبعد ذلك بقرون، قال المستكشف ماركو بولو إن كنائسهم كانت تنتشر من بغداد إلى بكين.



البعثات الإرسالية المبكرة

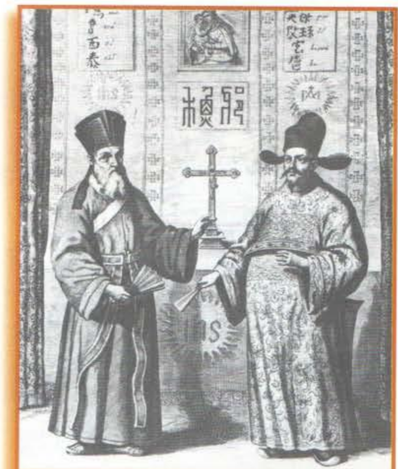
في ١٤٩٣م، رسم البابا ألكسندر السادس خطاً وهمياً على خريطة النسطوريون قسّم، العالم إلى قسمين. وكان الحد الفاصل جزر الأزور، وهي مجموعة من الجزر تبعد نحو ١٣٠٠ كيلو متر (٨٠٠ ميل) عن ساحل البرتغالي في المحيط الأطلنطي، وكان يمكن لأسبانيا أن تدعي ملكيتها للأراضي الواقعة في غربي الخط، والبرتغال للأراضي الواقعة إلى شرقي الخط وعندما شرع المستكشفون في البحث عن التجارة والكنوز، انضم إليهم فيما بعد المرسلون راجين أن يوسعوا دائرة كنوز السماء بتجديد الناس إلى المسيحية.

وفي أبريل ١٥٤١م، صعد فرنسيس إكساڤيير، وهو كاهن أسباني خدم في البرتغال كجزء من الجمعية المؤسسة حديثاً جمعية يسوع (اليسوعيين – الجزويت)، إلى سطح سفينة في العاصمة البرتغالية لشبونة، وقام برحلة طويلة وخطرة حول أفريقيا إلى المستعمرة البرتغالية الجديدة على الساحل الغربي للهند. وعمل بين الطبقات الدنيا، وبخاصة الصيادين، وصيادي اللؤلؤ وتجدد على يديه الآلاف وأصبح يعرف برسول الهنود. وبعد ثلاث سنوات، ارتحل شرقاً حتى وصل اليابان في ١٥٤٩م. وهناك درس اللغة، وترجم كتاب دين على طريقة السؤال والجواب إلى اليابانية وجدد الكثيرين ولكن بدون كتاب مقدس. ولم يفهم شعب الهند واليابان المسيحية فهما كاملاً، وعندما مات إكساڤيير بالمرض في ١٥٥٢م. ضعف إيمانهم. وفي ١٥٩٧م. خشى اليابانيون من أن يكون المرسلون هم الموجة الأولى من الغزاة الأوربيين، فدفعوا السلطات لطرد المرسلين، فما مضت ثلاثون سنة. حتى لم يكن هناك أثر للإيمان.

أراد إكساڤيير الذهاب إلى الصين التي كانت مغلقة أمام الأجانب فحرض السلطات البرتغالية على إرسال سفارة إلى الإمبراطور الصيني ويضموه إلى هذه السفارة، ولكنه مات على جزيرة صغيرة خارج ساحل الصين. دخل شخص جزويتي آخر، وهو إيطالي اسمه ماتيو ريكي إلى الصين بعد ذلك بثلاثين سنة. وفي هذه الأمة التي يغلب على شعبها الريبة الشديدة من الأجانب، اتبع ريكي سياسة تستخدم الآن، فارتدى ثياباً مماثلة للشعب المضيف، وحاول أن يسايرهم في أساليب حياتهم، فلبس ثياب العالم كونفشيوس وخبأ في

بيته الأشياء الأوربية مثل الكتب ذات الغلاف المذهب والرسومات والساعات. وانهمك في الثقافة الصينية ووجد أرضية مشتركة بين المسيحية والعقائد الصينية التي استخدمها لتقديم إيمانه وكل هذا كسب له احترام النخبة الصينية الذين أثروا في الفلاحين وكسبوا آلاف المتجددين.

وتعلم ريكي العديد من اللهجات الصينية وأقام القداس باللغة الصينية وترجم الوصايا العشر وكتاب التعليم الديني على طريقة السؤال والجواب، ولكن النجاح في الضيق كان قصير الأجل. فعندما أمر البابا في ١٧٠٤م. أن يكون القداس باللغة اللاتينية تعثر الإمبراطور الصيني بشدة، فطرد المرسلين واعتبر المسيحية غير شرعية.



الكاهن الإيطالي ماتيوريكي (١٥٥٢- ١٦١٠م.) مؤسس الإرساليات الكاثوليكية إلى الصين. وقد قرر أن يرتدي الثياب الصينية ويقيم القداس باللغة الصيني، لأن الشعب الصيني شديد الارتياب من الأجانب.

البروتستانت يأتون بالكتاب المقدس

في أواخر القرن الثامن عشر كان المستكشفون الأوربيون قد رسموا خرائط لمعظم القارات وبدأوا في تكوين مستعمرات في مواقع نائية في كل العالم ونشروا قصصاً مثيرة عن مخاطراتهم والشعوب التي قابلوها، ورأى البروتستانت فرصة لإتمام إرسالية الرب يسوع لحمل الأخبار الطيبة إلى أطراف الأرض. ولذا قامت عشرات من جميعات المرسلين، وجاء التعضيد قوياً خاصة من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا.

وكان من أشهر المرسلين صانع أحذية إنجليزي فقير اسمه وليم كاري، انجذب للإرساليات بعد قراءته «الرحلة الأخيرة لكابتن كوك» وهي صحيفة للبحارة من البحار الجنوبية. أصبح كاري صبياً لإسكافي، وهو في الرابعة عشرة من عمره، ولكن كانت موهبته هي تعلم اللغات، وسرعان ما رأى صاحب العمل وقال له: لا أريدك أن تتلف أكثر من ذلك من جلودي ولكن يمكنك أن تواصل دراستك بأسرع ما يمكنك للاتينية واليونانية والعبرية، مع استمرار أجرك، فعمل كاري بما سمع وأضاف إلى تلك اللغات الفرنسية والألمانية.

وفي ١٧٩٣م. وافقت الإرسالية المعمدانية التي كانت قد نشأت حديثاً، على إرسال كاري إلى الهند. وفي خلال ثماني سنوات من وصوله، كان كاري قد أكمل أول ترجمة للعهد الجديد إلى لغة هندية هي البنغالية، وفي السنوات التالية ترجم كل الكتاب المقدس إلى ست لهجات هندية هي البنغالية والأورية والماراتية والهندية والأساسية والسنسكريتية، وترجم أجزاء من الكتاب المقدس إلى ٢٩ لغة أخرى.

ويتفق كثيرون من علماء اللغات الهندية على أن ترجمات كاري جافة وأحياناً يصعب فهمها فكان يلزم بسرعة تنقيحها، ولكنها فتحت الباب لإعطاء الهنود الكتاب المقدس في لغتهم.

"توقع أموراً عظيمة
وحاول أموراً عظيمة"
وليم كاري (١٧٦١ - ١٨٣٤م.)
المرسل إلى الهند

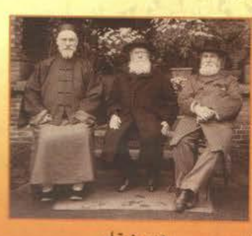
صور لوليم كاري (١٧٦١ - ١٨٣٤م.)
المرسل الإنجليزي إلى الهند مع معلمه اللغة الوطنية. وقد ترجم كاري الكتاب المقدس إلى ست لهجات هندية. والمخطوطة في يده في هذه الصورة هي النسخة السنكسريتية لأعمال ٢: ١١ «نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم»

هدسن تيلور في الصين

ترجم المرسل الأسكتلندي روبرت موريسون الكتاب المقدس إلى اللغة الصينية في ١٨٢٣م. وبعد ذلك بثلاثين سنة زار مرسل إنجليزي اسمه هدسن تيلور، وهو يرتدي ثياباً صينية ويحمل حقيبة على كتفيه مملوءة بالكتب المقدسة والنبذ باللغة الصينية، قرى صغيرة جداً على طول شواطيء نهر هوانجيو الذي يجري من ميناء شنغهاي إلى داخل الصين.

وبعد سبع سنوات من الخدمة، رجع لانجلترا ليتعافى من مرضه، ولكنه مع ذلك ظل يعمل بنشاط في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللهجات الصينية، ويجند مرسلين. كان هناك ٩٠ مرسلاً بروتستانتياً في الصين، وأراد تيلور أن يضيف إليهم ٢٢ مرسلاً جديداً، ليكون هناك مرسلون لكل ولاية من الإحدى عشرة ولاية في داخل الصين. وفي ١٨٦٥م. أنشأ إرسالية الصين الداخلية (وتعرف الآن باسم إرسالية ما وراء البحار الدولية) وقد أضاف ١٦ مرسلاً في خلال سنة، وفي ١٨٨٧م. كان هناك ١٠٢ مرسلاً جديداً.

ونشبت ثورة البوكسير الرهيبة في ١٩٠٠م. التي هاجم فيها الهنود التجارة والمعاهدات الجائرة التي فرضت عليهم من الأمم الأجنبية فقتل الأجانب ٣٠٠٠٠ من المسيحيين الصينيين، وفقدت إرسالية الصين الدخلية ٥٨ مرسلاً، و٢١ من أطفالهم مما أزعج هدسن تيلور الرجل الشيخ. ولكن الثورة أخمدت، وأجبرت الصين على دفع تعويضا، ولكن الغضب الصيني استمر إلى نحو ٥٠ سنة أخرى. إلى أن قام الاشتراكيون بطرد كل «الشياطين الأجانب، وكان رد فعل المسيحيين هو تهريب الكتب المقدسة إلى داخل الصين، والآن أصبح الصينيون أكثر انفتاحاً للمسيحية بل وينشرون الكتاب المقدس باللغة الصينية.



هدسن تيلور
(في الوسط) مع رفقائه (صورة من ١٩٠٥م.)

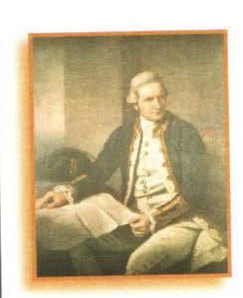
الْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ فِي جَنُوبِ الْمُحِيطِ الْهَادِي



الكابتن جيمس كوك يرسو في نيوزلندا عند خليج الملكة شارلوت في ١٧٧٨- ١٧٧٩م.

كما أذهل الهبوط على القمر لأول مرة خيال العالم في ١٩٦٩م. كذلك أذهلت اكتشافات الكابتن الإنجليزي جيمس كوك خيال شعبه منذ نحو ٢٠٠ سنة سابقة. فالقصص المذهلة عن رحلته في ١٧٦٨م. إلى الجانب الآخر من العالم إلى بلاد بعيدة جداً مثل تاهيتي ونيوزيلاندا وأستراليا أغرت المستكشفين والتجار وكذلك القادة البريطانيين الذين أدركوا قيمة التجارة (ففي وقت ما وصلت الضرائب على الشاي الصيني المستورد إلى ١٠٪ من دخل الحكومة الإنجليزية).

ورأى المسيحيون شيئاً مختلفاً تماماً: رأوا الفرصة لكي يعطوا لا أن يأخذوا، أن يقدموا الأخبار الطيبة عن الرب يسوع لشعب لم يسمع عنه من قبل. ولكن هذا أثار سؤالاً محيراً: أين هم المرسلون لتوصيل الإنجيل؟ لقد قال الرب يسوع لأتباعه أن يكونوا شهوداً له «إلى أقصى الأرض» (أع ١: ٨) وبهذه الطريقة انتشرت المسيحية، ولكن الآن وقد اكتشف الأوربيون هذه الأطراف البعيدة من الأرض، لم يكن هناك مسيحيون على استعداد للذهاب.



الكابتن الإنجليزي جيمس كوك
(١٧٢٨ - ١٧٧٩م.)

الذي جاءت استكشافاته في جنوب المحيط الهادي لتلهم القيادات المسيحية في بريطانيا والولايات المتحدة ليبعثوا بمرسلين إلى هناك. واللوحة بريشة نثانيل دانسي.

الإرسالية تبدأ

وعادت الرحلات التالية بما فيها رحلة الكابتن وليم بلاي سيء السمعة والمتمردين على السفينة بونتي، بقصص عن سكان جزر البحار الجنوبية أكلة لحوم البشر والمتسيبين جنسياً والوثنيين إلى أبعد حد. وكان رد فعل المبشر الإنجليزي توماس هاوس في ١٧٩٥م. تنظيم جمعية لندن الإرسالية، حيث اجتمع نحو ٢٠٠ مسيحي في الاجتماع العام الأول ودفعوا جنيهاً رسوم العضوية وانتخبوا مجلساً من ١٢ عضواً مقره لندن، ليجتمعوا شهرياً. وهدفهم هو نشر الإنجيل في جنوب المحيط الهادي، وكان هدفهم الأول هو تاهيتي. وكان ذلك جزئياً لأن حضارتها كانت بين أفضل ما كاتب عنها كوك وآخرون أيضاً وقد كان البحارة على السفينة بونتي قد جمعوا قاموساً جزئياً من الكلمات التاهيتية.

وقد أسفرت الحماسة الإرسالية في عطاء بلغ ٣٥٠٠ جنيه استرليني في الأسابيع الأربعة الأولى فقط، وفي خلال شهور قليلة اشترت الجمعية المرسلية سفينة «الدف» بأربعة آلاف وثمانمائة جنيه، وأبحر فريق من المرسلين في ١٠ أغسطس ١٧٩٦م. في رحلة تستغرق سبعة أشهر و٢٧٠٠٠ كيلو متر (١٧٠٠٠ ميل) حول

الترحيب بهم في ساموا وهاواي

لقد قوبلت الرسالة المسيحية قبولاً حسناً في كل من ساموا وهاواي وحدث اهتداء لأعداد كبيرة، جزئياً لأن بعض القصص الكتابية الهامة كانت شبيهة بقصص في ديانات ساموا وهاواي.

فقال أهل ساموا أن إلههم نافانوا تنبأ بمجيء ديانة أجد وأفضل وأقوى، وكان واضحاً لهم أن الأوربيين المسيحيين لديهم ثروة أعظم وقوة نيران مما يعني أن لهم إلهاً أعظم. وأصبح چون وليمز وتشارلس بارف أول مرسلين في ساموا وجددوا كثيرين وأصبحت ساموا والجزائر القريبة منها تعرف باسم «حزام الكتاب المقدس في المحيط الهادي».

أرسل مجلس المندوبين الأمريكيين للإرسالية الأجنبية جماعة من المرسلين إلى هاواي في ١٨٢٠م. وقد تجددت الملكة كاهومانو بعد أن مرضت مرضاً خطيراً، وقامت على تمريضها زوجة أحد المرسلين حتى استعادت صحتها، فحذا حذوها رؤساء هاواي ثم تبعهم رعاياهم، وفي خلال نحو عشر سنوات كان أكثر من ٥٠٠٠٠ من أهل هاواي مسجلين في مدارس الإرسالية حيث تعلموا أن يقرأوا الكتاب المقدس ويدرسوه. وكما حدث في جزائر البحر الجنوبي، طور المرسلون لغة مكتوبة ترجموا إليها الكتاب المقدس، وفي خلال عشرين سنة من وصولهم إلى هاواي، كانوا قد أكملوا أول طبعة من الكتاب المقدس بلغة هاواي، وقد بدت قصة الكتاب المقدس عن الخليقة مشابهة جداً لأسطورة هاواي التي تقول: بأن الآلهة «صنعوا إنساناً من الأرض الحمراء ونفخوا في أنفه فصار كائناً حياً».

رأس الرجاء الصالح ثم شرقاً إلى أستراليا، وكان عليها ثلاثون رجلاً مع ست زوجات وثلاثة أطفال. وكان أربعة منهم فقط خداماً معينين، أما الباقون فقد تم اختيارهم لمهاراتهم العملية. وكذلك بسبب قناعاتهم الدينية.. وكان الفريق يضم ستة نجارين، واثنين من البناءين، واثنين من الخياطين، واثنين من الإسكافيين، وزارع حدائق وجراحاً، وصانع سروج وطبَّاعاً.

ودفاعاً عن عدم وجود خدام سبق تعليمهم لهذا الغرض، قال هاوس: «إن شخصاً بسيطاً لديه فهم طبيعي جيد، ويقرأ الكتاب المقدس جيداً مملوءاً بالإيمان ومن الروح القدس، مع أنه قد يأتي من محل حدَّاد أو حانوت، يمكنه في رأيي بالنسبة لمرسل إلى الوثنيين، أن يكون أفضل جداً من كل تعليم المدارس».

وكان قد تعين لتاهيتي ١٧ مرسلاً بما فيهم جميع المتزوجين، أما باقي المرسلين فقد تعينوا للجزر المجاورة من المركيز وتونجا، حيث قتل منهم البعض، وترك الباقون الخدمة في خلال ثلاث سنوات. وكانت تاهيتي هي مركز الإرسالية الوحيد الذي استمر العمل فيه، سوى سبعة مرسلين، أما الباقون فاختفوا أو تركوا العمل.

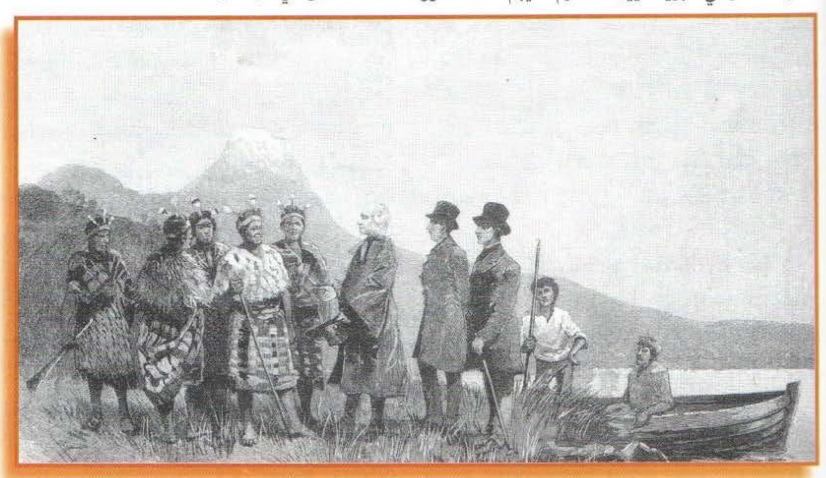
وقد ثبت أن القاموس التاهيتي الذي تم عمله على السفينة بونتي لا نفع فيه، ولذلك بدأ البناء هنري توت في خلق لغة مكتوبة لأهل تاهيتي مبنية على أساس اللغة المنطوقة. وبذلك وبمعونة الملك بومير الثاني الذي قال «أريد أن أتعلم العلامات المنطوقة» بدأ المرسلون في ترجمة الكتاب المقدس. وحيث أن أحد المرسلين كان طبَّاعاً قد أحضر مطبعته معه، طبع الكتاب المقدس على أجزاء حسبما كانت تتم ترجمتها.

المناطق النائية والشرق

كان الخادم الإنجليزي صموئيل مارسون قسيس المقر الأسترالي للبريطانيين المحكوم عليهم. عندما قرر أن يأخذ الإنجيل إلى نيوزيلندا ١٩٣٠ كيلو متراً (١٢٠٠ ميل) إلى الشرق. ولكن كان المعطل أن مارسون لم يستطع أن يجد قبطان يرغب أن يأخذه إلى هناك، فإن الموريين المتوحشين الذين كانوا يعيشون في نيوزيلندا كانت لهم شهرة في قتل وأكل الزائرين، فقبل خمس سنوات فقط في ١٨٠٩ اكتسحوا الجزيرة وقتلوا وأكلوا ٦٧ من البحارة، وهي حادثة من حوادث كثيرة مثلها.

واشترى مارسون بما ادخره من أموال، سفينة، أبحر بها في ١٨١٤ مع بحارة من المسيحيين وسكان البلاد الأصليين وشحنة من الحيوانات وفي ١٩ ديسمبر كان هناك في انتظاره شخص من نيوزيلندا كان قد سبق أن أخذه إلى بيته وقام على تمريضه حتى شفي، ولكن حتى هذا الصديق حذر مارسون ألا يرسو، ولكن مارسون أجابه: «لقد حان الوقت لإعلان الأخبار الطيبة لهذه المناطق من الخطية والعبودية الروحية.. وفي يوم عيد الميلاد كرز ماسون بأول عظة مسيحية في نيوزيلندا مستخدماً صديقه مترجماً له. وقد اتخذ مارسون آية لعظته من رسالة أول عيد الميلاد «لاتخافوا ها أنا أبشركم بفرح عظيم لكم ولجميع الشعب» وبعد أن ترك ثلاثة مرسلين على الجزيرة، عاد مارسون إلى بيته، ولكنه كثيراً ما كان يأخذ سفينته إلى نيوزيلندا ومعه مؤونات ومرسلين آخرين. وقد قام بسبع رحلات إلى هناك. وتمت ترجمة الكتاب المقدس إلى لغة الموريين بعد أن ابتكر المرسلون لغة مكتوبة لما كان ينطق به سكان الجزيرة. ونشر قاموس للغة الموريين في ١٨٢٠م. وبعد سبع سنوات نشرت ترجمة أجزاء من الأناجيل والتكوين والخروج. واستغرق الأمر أربعين سنة أخرى قبل أن تنشر ترجمة كاملة للكتاب المقدس.

وفي ١٩٠٧م. رفع حاكم نيوزيلندا الستار عن صليب تكريماً لمارسون، أقامه في المكان الذي ألقى فيه المرسل عظته الأولى في عيد الميلاد.



وصايا الألوها

الرؤساء القادة في هاواي وضعوا الوصايا العشر كشريعة كان على جميع شعب هاواي أن يطيعوها

الزواج بسرعة

هيرام بنجهام قائد فريق المرسلين إلى هاواي التقى بعروسه قبل رحيله بثلاثة أسابيع وكانت النظم الإرسالية تفضل إرسال المتزوجين، وبخاصة إلى البحار الجنوبية، وهي منطقة سيئة السمعة وسكانها أشبه بعراة ومتسيبون جنسياً.

"استعددنا للنزول إلى الشاطيء لنشر الأخبار الطيبة، من الإنجيل لأول مرة في نيوزيلندا"

صموئيل مارسون

(١٧٦٤ - ١٨٣٨م.)

مرسل إلى استراليا ونيوزيلندا

اَلْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ تَصِلُ إِلَى أَفْرِيقْيَا

كتاب الإسلام المقدس

عندما غزا المسلمون شمال أفريقيا، أحضروا معهم كتابهم المقدس، وهو القرآن والمسلمون يرجع تراثهم إلى إبراهيم ويحترمون الأنبياء ولكنهم لا يرون في يسوع إلا أنه نبي عظيم لا أكثر.

صورة صليب من البرونز والخشب من أفريقيا الوسطى ويرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر وحتى التاسع عشر

لقد لعبت شمالي أفريقيا دوراً حيوياً في تاريخ الكنيسة في عهودها المبكرة، فقد اعتنقت مصر وأثيوبيا الديانة المسيحية في أوائل أيام الكنيسة الجديدة، ثم بعد ذلك انتشرت المسيحية إلى الغرب على امتداد ساحل البحر المتوسط لتغطي كل أجزاء أفريقية التي كانت تحت حكم روما. وخلال القرنين الثاني والثالث، كانت الإسكندرية في مصر، أحد المراكز القيادية الثلاثة في المسيحية مع أنطاكية وروما، وفي القرن الرابع نشأ في شمالي أفريقيا اللاهوتي العظيم أوغسطينوس في هبو.

وقد تعرضت كل منجزات الكنيسة الأفريقية وجهودها للهجمات الشديدة من الوندال البرابرة في ٤٢٩م. ولكن بعد نحو ١٠٠ سنة نجحت مرة أخرى لفترة أخرى. وفي أواخر القرن السابع أدى ظهور ديانة جديدة وهي الإسلام إلى اكتساح العرب للكثير من بلاد شمال أفريقيا، وتحول غالبية الناس إلى الإسلام. والمسيحيين القلاقل الباقون وكانت غالبيتهم في مصر والحبشة استطاعوا بالكاد أن يظلوا كذلك في القرون التالية.

الإرساليات الأوربية إلى أفريقية

وفي القرن الخامس عشر كانت كل أفريقية تقريباً غير مسيحية، مما دفع أعداداً كبيرة من المرسلين إلى السعي إلى توصيل الإنجيل إلى مختلف الشعوب الأفريقية.

وقد تابع أول فريق من المرسلين المستكشفين البرتغاليين. ففي مملكة الكونغو (حالياً أنجولا وزائير) حول المرسلون البرتغاليون الملك إلى المسيحية، وبعد ذلك أصبح ابن الملك أسقفاً. وقام مرسلون آخرون بتبشير شعب دلتا نهر النيجر وأقاموا إرساليات على شواطيء نهر الزمبيزي الذي ينبع مما يعرف الآن بزامبيا ويمتد إلى موزمبيق.

وفي منتصف القرن الثامن عشر كان التجار البريطانيون والدانمركيون والهولنديون قد أقاموا العديد من الحصون على ساحل الذهب وأرسل المرسلون البروتستانت إليه من قبل الجمعية لنشر الإنجيل، وغيرهم من الجماعات لتوصيل كلمة الله للشعب. وزادت الأنشطة المرسلية في نهاية القرن الثامن عشر وجاء المرسلون الإنجيليون إلى أفريقيا تحت إشراف الجمعية المعمدانية البريطانية أشبهها من الجمعيات فتجدد على أيديهم الآلاف من الأفريقيين.

وفي ١٨٦٨م. تأسست جماعة جديدة من الكاثوليك الفرنسيين، جاء منهم فريق إلى أفريقية يعرفون عادة باسم الآباء البيض، ولم يكتفوا بالتبشير بالإنجيل ولكنهم اتبعوا مبادىء الإنجيل في عملهم، فبينما كانوا يعيشون في ظروف بدائية، فقد كرسوا أنفسهم للتعليم ودربوا الأهالي في الحرف والمهارات الزراعية واهتموا بالفقراء، وبدأوا عملهم في الجزائر وتونس، وسرعان ما انتشر الآباء البيض إلى الجنوب وما زالوا يعملون في أفريقية إلى اليوم. وفي أثناء تلك المدة أيضاً ارتحل المرسلون البروتستانت إلى داخل القارة للوصول إلى الناس. وفي تلك المناطق النائية كثيراً ما وجدوا صعوبة في الاتصال بالناس، فاستخدموا من تجددوا من أولئك الناس وعلموهم قراءة اللغات الأوروبية لتوصيل كلمات الكتاب المقدس إلى إخوانهم الأفريقيين ولكن حتى هذا أثبت أنه مشكلة حيث أن الثقافات الأفريقية كانت تختلف اختلافاً شاسعاً عن الثقافة الأوروبية، فمثلاً كانت كلمة «روح» تشير لهؤلاء الأفريقيين إلى أرواح الأموات، فكان من الصعب نقل فكرة الروح القدس إليهم.

الكتب المقدسة في اللغات الأفريقية

لما زاد النشاط المرسلي في أفريقية في أثناء القرن التاسع عشر، أصبحت الحاجة إلى الكتب المقدسة بلغات هذه الشعوب ملحة. واستجابة لذلك بدأ المترجمون العمل في أوائل ذلك القرن وزاد عدد المترجمين باستمرار بمضي السنين. وأول ما ترجم من الكتاب المقدس إلى لغة أفريقية حديثة هو إنجيل متى الذي نشر في اللغة



روبرت موفات
(١٧٩٥- ١٨٨٣م.)
مرسل في أفريقيا ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة التسوانية وهي لغة من لغات أفريقيا الجنوبية

الكتب المقدسة القبطية والحبشة القديمة

وصلت المسيحية إلى شمال أفريقية منذ أيامها الأولى وهذا ينطبق بصورة خاصة على مصر، التي كان بها عدد كبير من اليهود، وإثيوبيا: فيقال إن الخصي الحبشي الذي عمده فيلبس الرسول (أع ٨: ٢٥- ٣٩) هو الذي أسس الكنيسة الحبشية. وفي السنوات الأولى استخدم المسيحيون في أفريقيا الكتب المقدسة اليونانية، ولكن قبل أن يمضي زمن طويل كانت قد تمت ترجمتها إلى لغات مصر والحبشة.

حتى العصور المسيحية المبكرة كان المصريون يستخدمون صورة مبسطة من الهيروغليفية للكتابة، ولكن بعد أن دخل إليها الكثير من الكلمات اليونانية وأصبحت تعرف باللغة القبطية، نشأت أبجدية جديدة مبنية على اليونانية لاستخدامها في اللهجات القبطية الخمس. وقد تمت ترجمة العهد القديم إلى اللهجة الصعيدية في نحو ٢٠٠م. وتمت ترجمته إلى البحيرية، لغة منطقة الدلتا (الوجه البحري) بعد ذلك. ثم أصبحت اللهجة البحيرية هي لغة الكنيسة القبطية.

أما في الحبشة فالأرجح أن العهد القديم قد تُرجم إلى اللغة المحلية (الحبشية القديمة) في القرن الرابع، وربما قام بذلك يهود أفريقيون من نسل اليهود الذين هاجروا إلى الحبشة تقريباً في عهد سليمان. وعدد أسفار العهد القديم في الكنيسة الحبشية هو الأكبر، فعلاوة على الأسفار الأبوكريفا الموجودة في الكتاب المقدس الكاثوليكي، فهو يتضمن أيضاً أسفار أخنوخ واليوبيلات وثلاثة أسفار باروخ، وأقدم عهد جديد في اللغة الحبشية ظهر فيما بين القرنين الرابع والسابع، ثم مع مجيء الإسلام، توقفت ترجمات الكتاب المقدس على مدى عدة قرون.

صفحتان من كتاب مقدس حبشي بالمخطوطة الجيزية.

البلموية وهي لغة سيراليون الجنوبية في ١٨١٦م. كما تُرجم العهد الجديد كله إلى اللغة الأمهرية وهي اللغة الرسمية لأثيوبيا الحديثة في ١٨٢٩م. وظهر أول كتاب مقدس كامل في لغة أفريقية في مدغشقر (في جمهورية مدغشقر) في ١٨٢٥م.

وقد كرست عدة إرساليات جهودها لترجمة الكتاب المقدس إلى لغات أفريقية. ففي ١٨٥٧ ترجم روبرت موفات حما المستكشف الإسكتلندي الشهير والطبيب المرسل داڤيد لفنجستون، الكتاب المقدس إلى اللغة التسوانية، إحدى لغات جنوبي إفريقية. وفي ١٨٧٠م. ترجم چوناثان لورويج المرسل الألماني، الكتاب المقدس إلى الغالة وهي لغة أخرى من لغات الحبشة.

ونشر الأسقف الأنجيليكاني لناتال، چون وليم كولنسو توافق الأناجيل الأربعة في لغة الزولو في القرن التاسع عشر، وفي أواخر ١٨٥٧م. ظهر الكتاب المقدس كله بلغة الزولو.

ولم يكن كل المترجمين من المرسلين، بل كان بعضهم من الأفريقيين، وكان من أشهرهم المسيحي الأفريقي صموئيل كروثر الذي ولد في نيجيريا، وعندما كان في نحو الثالثة عشر، وقع في الأسر ووضع على سطح سفينة ليباع كعبد، ولكن من حسن الحظ أوقف الإنجليز السفينة في سيراليون وأطلق سراح كروثر، ثم تجدد وقامت جمعية المرسلين المسيحيين بتعليمه اللاهوت في لندن ثم تعين ورجع إلى أفريقية حيث عمل باجتهاد كرجل دين، ورسم أسقفاً في ١٨٦٤م. وبذلك أصبح أول أسقف أفريقي في الكنيسة الإنجليكانية. وفي خلال الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر، عمل كروثر باجتهاد في ترجمة الكتاب المقدس. فترجم أغلب العهد الجديد إلى لغته القومية (يوروبا).

وفي نهاية القرن التاسع عشر، كانت هناك كتب مقدسة كاملة في ١٤ لغة أفريقية. وقد تسارعت الترجمات بسرعة أكبر في القرن التالي، فما جاءت نهاية القرن العشرين إلا وكانت هناك كتب مقدسة كاملة في أكثر من مائة لغة أفريقية، وأجزاء صغيرة من الأسفار الإلهية في أكثر من ٢٢٥ لغة.. وفي الجملة في نهاية القرن العشرين كانت على الأقل أجزاء من الكتاب المقدس قد ظهرت في أكثر من ٥٠٠ لغة ولهجة أفريقية.



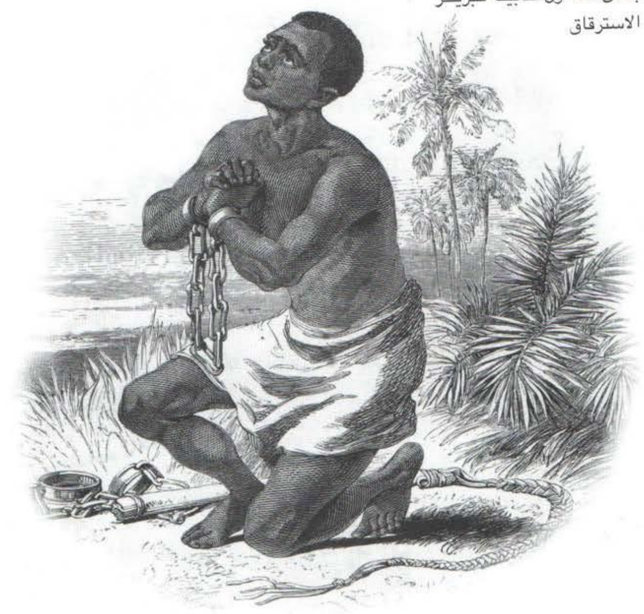
صموئيل كروثر
(١٨٠٩ - ١٨٩٢م.)
العبد السابق الذي أصبح أسقفاً أنجليكانياً ومترجماً للكتاب المقدس

اَلْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ وَالاِسْتِرْقَاقُ

"اجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ."
(تك ٣٧: ٢٨)

"في بعض الأوقات كان يبلغ بنا الفرح أن نرفز ترنيمات ونهتف فرحاً بنغمات الانتصار وكأننا وصلنا إلى أرض الحرية والأمان"
(فردريك دوجلاس الذي نجا من الرق وحاربه)

هذه صورة تمثل عبداً أفريقياً يصلي. وبعض تجار الرقيق الأمريكيين استخدموا بعض فصول كتابية لتبرير الاسترقاق



عندما كتب الرسول بولس لفليمون، ألمح إلى أن فليمون قد يود أن يطلق عبده أنسيمس حراً، ولكنه لم يصر على ذلك، بل في الواقع نصح الرسول بولس في رسالتين أخرتين العبيد أن يطيعوا سادتهم (أف ٦: ٥، كو ٣: ٢٢- ٢٥). وفي القرون التي تلت ذلك، استخدم المسيحيون عدم مطالبة الرسول بولس بإطلاق سراح أنسيمس ونصيحته للعبيد أن يطيعوا سادتهم، مبرراً للاسترقاق، مع أنهم في أحيان كثيرة تجاهلوا أمر الرسول بولس للسادة أن يقدموا للعبيد العدل والمساواة (كو ٤: ١).

وبالرجوع إلى بعض فصول العهد القديم التي تذكر شراء وبيع العبيد من غير بني إسرائيل (لا ٢٥: ٤٤- ٤٦) اعتبر بعض المسيحيين أنه من المسموح به أن يغتني الإنسان من تجارة الرقيق. وقد جعل المستكشفون الأوائل للأمريكتين من الشعوب التي وجدوها هناك عبيداً رغم اعتراضات الكنيسة الكاثوليكية. ثم بعد أن غامر الأوربيون بالذهاب إلى القارة السوداء، أفريقيا، طلباً للكسب والمتاجرة في العبيد الأفريقيين بدأت هذه التجارة في الازدهار وظلت على هذه الحال لمدة قرون.

التجارة في العبيد الأفريقيين

في القرن الثامن عشر قاوم عدد من المبشرين لأفريقيا بشدة تجارة الرقيق، وكرز البعض منهم للعبيد الذين تحرروا وعادوا إلى أوطانهم في أفريقيا، وقد شجع كثيرومن من أولئك المبشرين التجارة الحرة في أفريقيا آملين أن تحل هذه التجارة محل تجارة الرقيق، ولكن مع ذلك استمرت تجارة العبيد.

وعلى مدى القرن التاسع عشر اتسعت تجارة العبيد في أفريقيا، وشحنت الأعداد الكبيرة من الرجال والنساء من أفريقيا، إلى الخارج ليباعوا عبيداً، وجيء بالكثيرين من العبيد إلى الولايات المتحدة وبخاصة إلى الولايات الزراعية في الجنوب حيث كانت الحاجة ماسة إلى رجال يعملون في الحقول وظل المرسلون يشجبون تلك التجارة المربحة كما فعلت أيضاً الكنيسة الكاثوليكية. وفي مؤتمر ڤيينا في ١٨١٥م. طلب البابا بيوس السابع منع تجارة الرقيق، وفي ١٨٣٩م. أدان البابا جريجوري السادس عشر هذه التجارة مرة أخرى، ولكن هذه الاحتجاجات لم تأت بنتيجة وظلت تجارة الرقيق تزدهر.

الاسترقاق في أمريكا

عندما تعرض تجار الرقيق في أمريكا للهجوم عليهم، دافعوا عن أنفسهم بالرجوع إلى الكتاب المقدس، ولم يذكروا فقط كتابات بولس الرسول وشرائع سفر اللاويين، ولكنهم ذكروا أيضاً أن الآباء أنفسهم كان لديهم عبيد، بل إن إبراهيم كان له ابن من جاريته هاجر، والأكثر من ذلك أن أبناء يعقوب غيرة من أخيهم يوسف باعوه عبداً بعشرين من الفضة. وكانت أكبر حجة لتجار الرقيق هي أن الرب يسوع لم يكرز إطلاقاً ضد تجارة الرقيق.

وقد انزعج بشدة المدافعون ضد تجارة الرقيق، من إساءة استخدام تجار الرقيق للكتاب المقدس، إذ وجدوهم يسيئون استخدامه ويتجاهلون رسالة الكتاب المقدس الرئيسية: الأخوة الشاملة ومحبة القريب، وأبرزوا أن العهد الجديد يعلن أننا جميعاً أبناء نفس الآب الواحد

في السماء، وأنه حتى مع أن الرب يسوع لم يقل شيئاً عن الرق، فإنه دافع باستمرار عن الفقير والمظلوم. كما أنهم ادعوا أن الرسول بولس لم يشجب الرق، بل حاول أن يبث في الأسياد والعبيد الروح المسيحية من محبة أحدهم للآخر.

الكتاب المقدس كتاب الأمل للعبيد

وعلى عكس من يمتلكون العبيد، أخذ العبيد أنفسهم شيئاً مختلفاً تماماً من الكتاب المقدس، أخذوا العزاء والرجاء. لم تكن غالبية العبيد مسيحيين عندما وصلوا إلى سواحل أمريكا، ولكن سرعان ما تجدد الكثيرون منهم. ولم يكن من يمتلكون عبيداً راغبين في تعليم المسيحية لعبيدهم لأنهم لم يكونوا يعتبرونهم بشراً، كما كانوا يخشون أن المسيحية ستجعلهم أقل خضوعاً لسادتهم. وآخرون ممن كان لهم عبيد قدموا لهم معلومات محدودة، وكان مطلوباً من العبيد أن يحضروا كنائس سادتهم حيث كانوا يستمعون إلى أجزاء مختارة جداً من الكتاب المقدس ومواعظ لا تؤدي إلى تعكير صفو الجو الموجود.

ولكن كثيرين من العبيد كان لهم جوع شديد لمعرفة الكتاب المقدس، ولأنهم لم يكونوا قد تعلموا القراءة والكتابة، لذلك فقد تناقلوا فيما بينهم قصصاً من الكتاب المقدس شفاها، بل حفظ بعض العبيد فصولاً من الكتاب المقدس عن ظهر قلب. وكثيراً ما كان العبيد يجتمعون في الليل ويعقدون اجتماعاتهم الخاصة للعبادة، ويتبادلون ما يعرفونه عن فصول الكتاب وهم يترنمون ترانيم روحية ويرقصون.

وقد أثارت آلام المسيح مشاعر العبيد الذين رأوا في آلام يسوع انعكاساً لآلامهم، وتعلقوا بقصص الصعاب والعبودية مثل قصة يوسف الذي باعه إخوته عبداً. وكان أكثر أسفار الكتاب المقدس الذي ناقشه العبيد هو سفر الخروج، فالعبيد الأفريقيون في أمريكا شبهوا أنفسهم بالإسرائيليين الذين كان مستعبدين في مصر الذين كانوا يجبرون على العمل فوق طاقتهم. فكانوا يحبون سماع كيف أن موسى واجه فرعون وطلب منه أن يطلق الإسرائيليين للذهاب إلى البرية للعبادة، وكيف قاد موسى بعد ذلك شعبه بطريقة معجزية بانشقاق مياه البحر الأحمر. هذه القصص والطلب المتكرر من الرب من خلال موسى أن يطلق فرعون «شعبي» (خر ٧- ١٢) شددت أرواح العبيد الأمريكين وجعلتهم يتطلعون إلى بطلهم الذي يمكنه مثل موسى أن يحررهم من العبودية.

عند نشوب الحرب الأهلية الأمريكية في ١٨٦١م. كان تعداد العبيد في الولايات المتحدة نحو أربعة ملايين، وفي نهاية الحرب في ١٨٦٥م. تحرر كل العبيد. غير أن العنصرية سادت في القرن العشرين ورجع القادة المطالبون بالحقوق المدنية مثل مارتن لوثر كنج إلى الكتاب المقدس بحثاً عن رسائل لنجدتهم كما فعل العبيد من قبل. وإذ اتخذوا شعاراً لهم عبارة «سنغلب» تمت خطوات هامة للأمام في حربهم لجعل كل الأمريكيين متساويين.

الانطلاق من خلال الموسيقى

كان السود الذين يباعون رقيقاً في أمريكا شعباً محباً للموسيقى، وعندما أصبحوا مسيحيين، كان من الطبيعي جداً أن يعبروا عن مشاعرهم الدينية بالموسيقى. وفي اجتماعات المساء لدراسة الكتاب المقدس كانوا كثيراً ما يرقصون ويغنون ترانيماً روحية.. وكانت كل الجماعة تشترك عادة في ذلك وبخاصة في تكرار القرارات وراء العازف الذي كان يقود الترنيم. وكانت بعض الترانيم حزينة، ولكن كان بعضها الآخر يعبر عن الفرح والرجاء وكثيراً ما كانت هذه الترانيم الروحية تعبير عن قبول حياة الرق بالتأمل في آلام المسيح، كما في:

لقد صلبوا سيدي وهو لم يفتح فاه بكلمة.
لقد صلبوا سيدي ولم يفتح فاه بكلمة.
لم يفتح فاه بكلمة.
لا كلمة، لا كلمة، لا كلمة.

وفي ترانيم أخرى كان يعبرون عن شوقهم إلى الحرية كما «قطار الإنجيل» في تلميح إلى السكك الحديدية تحت الأرض التي ساعدت العبيد على الهرب بالقطار أو العربات. مع إعداد محطات على طول الطريق حيث يمكنهم أن يجدوا طعاماً ومأوى، وبعضها كان يذكر إحدى هذه المحطات بالاسم، وكانت بعض الترانيم الأخرى تعكس أشواق العبيد للحرية سواء من العبودية أو الحياة على الأرض وكان من أشهر هذه الترانيم: «انزل يا موسى» التي كانت تتناول تحرير الإسرائيليين من العبودية في مصر. وكانت أبيات الترنيمة كما يأتي:

انزل يا موسى
انزل إلى أرض مصر
وقل لفرعون
أن يطلق شعبي
عندما كان إسرائيل في مصر
أطلق شعبي
فإنهم مظلومون بقسوة لا يستطيعون احتمالها
فاطلق شعبي
هكذا يقول الرب، قال موسى الشجاع
وإلا، سأضرب ابنك البكر بالموت
أطلق شعبي

"أَيُّهَا السَّادَةُ، قَدِّمُوا لِلْعَبِيدِ الْعَدْلَ وَالْمُسَاوَاةَ، عَالِمِينَ ان لَكُمْ انْتُمْ ايضاً سَيِّداً فِي السَّمَاوَاتِ"
(كو ٤: ١)

"أَيُّهَا الْعَبِيدُ، اطِيعُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ، لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ بِبَسَاطَةِ الْقَلْبِ، خَائِفِينَ الرَّبَّ. ٢٣وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ فَاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ"
(كو ٣: ٢٢، ٢٣)

السكك الحديدية تحت الأرض

في الروح الحقيقية للكتاب المقدس سعت الجماعات المطالبة بإلغاء الرق إلى القضاء عليه في أمريكا، وكثيراً ما كانت تساعد العبيد على الهرب. وقد أعدت جماعة الكويكرز والميونيتيين سكك حديدية تحت الأرض لمساعدة الهاربين من العبيد للانتقال من مكان إلى آخر. وكانت أشهر العاملات في هذه السكك الحديدية تحت الأرض هارنت توبمان والتي كانت هي نفسها أصلاً من العبيد. وبعد أن فازت هي بالحرية عادت إلى مناطق العبيد ١٩ مرة لتقود أكثر من ٣٠٠ شخص إلى الحرية.

اختصاصيو يوم الدينونة

تربية بقرة مقدسة

يعتقد بعض المسيحيين أنه قبل أن يرجع المسيح، يجب أن يكون اليهود قد أعادوا بناء الهيكل وبتشجيع من بعض اليهود الأرثوذكس قام مربي الماشية في حوض الميسيسبي والمبشر الخمسيني «كلايد لوت» بمحاولة تربية بقرة حمراء التي يقول التقليد اليهودي إنها يجب أن تقدم ذبيحة لتطهير أرض الهيكل قبل أن يمكن بناؤه في أورشليم. وعلى جبل الهيكل توجد الآن قبة الصخرة وهي مسجد له الآن نحو ١٣٠٠ سنة ومن أعظم مقدسات المسلمين

الاختطاف المفقود

تنبأ الكاتب والواعظ المتخصص في مسألة نهاية الأيام، هال لندسي بجراءة في سنة ١٩٧٠م. أن اختطاف المسيحيين إلى السماء سوف يحدث سنة ١٩٨٨م.، أي خلال جيل من ٤٠ سنة بعد ظهور دولة إسرائيل الحديثة سنة ١٩٤٨م. وقد اعتمد ليندسي في ذلك على تعليم الرب يسوع بأن «نهاية الأيام» سوف تأتي قبل أن ينتهي هذا الجيل (متى ٢٤: ٣٤). وقال لندسي إن الجيل الذي كان الرب يسوع يقصده هو ذلك الجيل الذي جاء عقب قيام دولة إسرائيل الحديثة. بينما يقول آخرون إن يسوع كان يتكلم عن وقته هو، ربما في إشارة إلى سقوط أورشليم في سنة ٧٠م. أي بعد حوالي ٤٠ سنة من خدمته.

اختصاصيو يوم الدينونة

"أكاد لم آكل شيئاً منذ ظهر الأمس. إنه آخر يوم في سنة ١٨٤٢ التي بناء على ما يتوله مستر ميلر يمكن أن تكون آخر سنة للعالم."

هذا ما جاء في مدخل مذكرة چوليا سميث إحدى الآلاف الذين أسرتهم تعاليم لفلاح الإنجليزي الذي أصبح محاضراً باسم وليم ميلر.

فبالربط بين أعداد رمزية من الأسفار الرؤوية مثل دانيآل والرؤيا استنتج ميلر أن ٢٣٠٠ يوم المذكورة في دانيآل ٨: ١٤ يجب أن تحسب سنين وأنها تحدد عدّاً تنازلياً كونياً بدأ في ٤٥٧ ق.م. التي قال عنها إنها السنة التي أعطى فيها الملك الفارسي الإذن لليهود لإعادة بناء الهيكل في أورشليم. وبطرح ٤٩٧ من ٢٣٠٠ وجد ميلر أن العالم سينتهي في نحو ١٨٤٣م. ولما لم يحدث ذلك، قال إنه لم يحسب السنة الواقعة بين ١ ق.م، بعد الميلاد، فأخر الميعاد إلى ١٨٤٤م. وعندما لم تصدق تنبؤاته، ترك غالبية أتباعه ما أصبح يعرف بالمجيئيين (الأدفنتست)، ومات ميلر بعد ذلك بخمس سنوات. ولكن ظل بعض أتباعه يدَّعون أن نبواته كانت عن حادث حدث في السماء وليس على الأرض وأسسوا كنيسة مجيئي اليوم السابع.

كان ميلر مجرد واحد من أول سلسلة طويلة من مسيحي الحقبة الحديثة الذين تخصصوا في فحص الكتاب المقدس لمعرفة متى سينتهي العالم.

التطلع إلى يوم الدينونة

يذكر الكتاب المقدس مراراً أن التاريخ البشري سينتهي يوماً ما. وقال الرب يسوع أن ذلك اليوم لا يعلمه أحد إلا الآب (مت ٢٤: ٣٦). ولكن كثيرين من المسيحيين لإيمانهم بأن الوقت قصير، يبحثون عن حل لذلك، فيغربلون أساسات الفصول الغامضة في أسفار الرؤيا ودانيآل وحزقيال التي يقول عنها كثيرون من العلماء أنها كانت قصائد شعرية ترمز إلى الحرب الدائرة بين الخير الشر أو أنها رسائل رمزية لتعزية شعب الله في عصور الأزمات قديماً. وكل هذه الأسفار الثلاثة كتبت على الأرجح عندما كانت الأمة الإسرائيلية محتلة وكان من الخطر الكلام ضد الغزاة.

بل إن تلاميذ الرب يسوع أنفسهم أرادوا أن يعرفوا متى ستأتي النهاية. ومع أن الرب يسوع قال إنه لا يعرف

علامات النهاية



في ١٩٤٥م. سقطت القنبلة الذرية على هيروشيما، وفجأة بدا أن احتراق الأرض لم يعد أمراً مستبعداً فيوم الرب يسيأتي كلص. وستنحل العناصر بالنار (٢بط ٣: ١٠).

في ١٩٤٨م. بعد اختفاء إسرائيل نحو ٢٠٠٠ سنة ظهرت إسرائيل مرة أخرى كدولة مستقلة مما بدا أنه إتماماً لنبوة أن أمة إسرائيل ستولد في يوم واحد (إش ٦٦: ٨) وستصبح قوة عالمية.

في ١٩٦٢م. أطلق أول قمر صناعي «تلستار» وأيقن الناس كيف أنه سيمكن لكل إنسان أن يرى المجيء الثاني: «هوذا يأتي مع السحاب ستراه كل عين» (رؤ ١: ٧)

في ١٩٧٠م. ظهر كتاب «الأرض الكوكب العظيم الأخير» تأليف هال لندسي، ومن أكثر الكتب مبيعاً، ويبين كيف أن الأحداث الجارية يبدو أنها تتمم نبوة قديمة.

في ١٩٧٨م. يأمر القس چيم جونز شعبه أن ينتحروا كجماعة في جونستون بجوانا، حيث كان توجد جماعة تعيش هناك هروباً من «عالم فاسد».

في ١٩٩٢م. في واكو بتكساس، قامت جماعة منعزلة من مذهب الداوديين، مذهب آخر الزمان بقيادة داڤيد كورش مما أدى إلى موت نحو ٨٠ عضواً من الجماعة. وقد نادى كورش بأن حكومة الولايات المتحدة هي بابل الشريرة الموصوفة في سفر الرؤيا.

في ١٩٩٧م. انتحر تسعة وثلاثون عضواً من جماعة «باب السماء» في منزل في كاليفورنيا، كانوا يؤمنون بأن سفينة فضاء تسير خلف مذنب هالي وأنهم يمكنهم أن يتركوا أجسادهم الطبيعية ويصعدوا إلى ملكوت السموات.

في ١٩٩٩م. كان العالم ينتظر حدوث كارثة في نهاية الألف سنة، ولكن جاء الوقت ولم يحدث شيء.

فإنه قال إنه ستكون علامات، وإنه سيأتي مسحاء كذبة، وستكون حروب وأخبار حروب مع مجاعات وزلازل وهذه ستكون علامات على ابتداء النهاية.

وقال أحد علماء الكتاب المقدس إن النهاية يمكن أن تأتي في أية لحظة فبعد سنوات قليلة بعد فشل ميلر، ظهر لاهوتي إنجليزي نابه اسمه جون نلسون داربي برسالة جديدة عن نهاية الزمن لم تحدد أي تاريخ بل كان هدفها أن تجعل المسيحيين يقظين دائماً، وكانت تسمى «التدابير»، فقال إن التاريخ البشري يمكن أن يقسم إلى عدة مراحل أو تدابير، مثل حقبة الناموس (من موسى إلى المسيح) وعصر النعمة (من حلول الروح القدس إلى الاختطاف).

وكان مخططه مبنياً على قراءة حرفية لنبوات الكتاب، فكان مخططاً درامياً. فالمشهد الأول هو الاختطاف حين يُخطف المؤمنون فجأة إلى السماء. أما الذين سيتركون على الأرض فستأتي عليهم سبع سنوات من الضيق الرهيب، سيتزعمها في أورشليم ضد المسيح الذي سيلبس أتباعه الرقم ٦٦٦ على جباههم. ثم يغزو جيش عرمرم قادم من الشمال الشرق الأوسط بادئاً معركة هرمجدون. ويعود الرب يسوع في المجيء الثاني فيحطم ضد المسيح وجيوشه ويعيد بناء هيكل أورشليم ويملك لمدة ألف سنة. ثم يأتي يوم الدينونة ثم الأبدية إما في السماء أو في الجحيم.

رؤية النبوة في الأخبار

في ١٩٧٠م. بسَّط مبشر جامعي اسمه هال لندسي تعاليم داربي في كتاب أصبح أكثر الكتب انتشاراً اسمه «الكوكب العظيم الأخير الأرض» وما فعله لندسي مما أسر القراء هو ربط الأحداث الجارية بالنبوة القديمة، إذ اعتبر إن ما قاله كتّاب الكتاب المقدس هو ما يحدث في الأزمنة الحديثة. فالكتاب المقدس تنبأ عن حرارة شديدة ستحرق الجزء الأكبر من الكوكب (٢بط ٣: ١٠) ويمكن للقنابل الذرية أن تعمل هذا الآن. وقال الكتاب المقدس إن العالم كله سيرى جسدي شهيدين في نهاية الزمان (رؤيا ١١: ٧- ٩) ويمكن للأقمار الصناعية الآن أن تذيع هذه الرويا في كل العالم. وقال الكتاب المقدس إن إسرائيل ستعود وذلك بعد اختفائها نحو ألفي سنة، وقد عادت إسرائيل فعلاً في ١٩٤٨م. دولة قوية.

وسرعان ما رأى آخرون مجالاً واسعاً لمواضيع النبوات التي أصبحت شغلاً شاغلاً لكثيرين وأصبحت الشخصيات الرؤوية موضوعاً للمواعظ والكتب والإذاعات والتمثيليات.

انتظار الاختطاف في كوريا الجنوبية

بدأ المؤلف «چانج رم لي» من كوريا الجنوبية والخادم البروتستانتي موجة من هستيريا نهاية الزمان في ١٩٨٧م. عندما نشر كتابه «اقتراب النهاية» ففي هذا الكتاب ذكر «لي» أن ما قاله كان مقابلات مع أطفال من كوريا الجنوبية ومراهقين رأوا رؤى لاختطاف ١٩٩٢م. مع قدوم الرب يسوع إلى الجو ليأخذ الأتقياء، إلى السماء. وحدد لي تاريخ عودة الرب يسوع بأنها ستحدث في ٢٨ أكتوبر.

وقد أثار ذلك حركة عالمية تعرف باسم «هايو چو» (الاختطاف) أو «چون مال رون» (نظرية آخر الزمان). وتراوحت تقديرات هذه الحركات ما بين ٢٠٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠٠، لكن ملايين تابعوا الأحداث في تقارير الأخبار.

ولما اقترب اليوم، ترك بعض المؤمنين أعمالهم، وأحرقوا أثاثاتهم وممتلكات أخرى في حرائق ضخمة وارتدوا ثياباً بيضاء. ففي سيول فقط، أكثر من ٥٠٠٠ تركوا أعمالهم ليجتمعوا في كنائس في انتظار الاختطاف. وأجرت بعض النساء عمليات إجهاض ظناً منهن أنهن سيكن أثقل من أن يخطفن إلى السماء. والطلبة من كوريا الجنوبية وآخرون ممن كانوا ينتشرون في العالم عدن إلى الوطن ليُخطفوا مع العائلة والأصدقاء.

وفي ٢٨ أكتوبر اجتمع الآلاف من المؤمنين في سيول، واحتشد رجال البوليس للتعامل مع أي حركات عنف أو محاولات انتحار بعد أن ثبت خطأ النبوة. عندما مر نصف الليل، بكى المؤمنون وصرفهم الخدام إلى بيوتهم.

وقد حُكِمَ بعد ذلك على بسنتين من السجن لخداعه. وقال بوليس كوريا الجنوبية إنه جمع أكثر من أربعة ملايين دولار من أتباعه، وأنه استثمر بعضها في صكوك تنتهي في مايو ١٩٩٣م.

وترك كثيرون من المؤمنين الحركة، ولكن ما زالت هناك بعض الكنائس المرتبطة بهايو چو بدعوى أن الرب يسوع أجل عودته لامتحان المؤمنين، وحذروا من أن النهاية قريبة.

"لم يحدث شيء للأسف فلنعد إلى بيوتنا"

القس تشانج مان

هو راعي سيول لجماعة من ٢٥٠٠، بعد ربع ساعة من مرور النبوة بأن الاختطاف سيحدث في نصف الليل



العالم اللاهوتي الإنجليزي **جون نلسون داربي** (١٨٠٠- ١٨٨٢م.) الذي علم بأن هذا التدبير أو الحقبة من تاريخ البشرية هي الأخيرة ويمكن أن تأتي النهاية في أية لحظة.

هتلر والرؤيا

بناء على وليم شكسبير، فإن الشيطان نفسه يمكن أن يتلو أقوال الكتاب المقدس لتأييد قصده (تاجر البندقية الفصل الأول والمشهد الثالث) وبالتأكيد قد فعل ذلك أفراد أشرار. ومن أشهر هؤلاء: أدولف هتلر الذي استخدم لغة رؤوية لتغذية دعايته السياسية للشعب الألماني فقد ألح كثيراً إلى الأسفار الرؤوية من الكتاب المقدس.

فالرايخ لمدة ألف سنة عنده تشير إلى الملك الألفي للمسيح، التي فيها بناء على سفر الرؤيا ٢٠ سيكون العالم في سلام.

وظن بعض المسيحيين الأوربيين أن الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عهد شارلمان هي الرايخ الأول (الإمبراطورية) وأن الإمبراطورية الألمانية التي أنشأها القياصرة هي الرايخ الثاني، فاشتاقوا إلى عصر ثالث الذي اعتقدوا أنه سيظهر كحقبة الانسجام التي يصفها الكتاب المقدس بأنها آخر الزمان، حين يخلق الله سماء جديدة وأرضاً جديدة، وقد أطلق هتلر عليه «الرايخ الثالث»

سيلتهم اليهود شعوب الأرض، وبهذه العبارة عبر هتلر بلغته عما جاء في (دا ٧: ٢٣) حيث يقول «إن الوحش (وليس اليهود) سيأكل الأرض كلها» ومما يدعو للسخرية أن كثيرين من الناس ظنوا أن هتلر هو الوحش.



صورة من ثلاثينات القرن الماضي لأدولف هتلر ممسكاً بالصليب المعقوف رمز الحزب النازي الألماني، فقد استخدم هتلر لغة الرؤيا الكتابية لإشعال شعار: تحيا ألمانيا

(بريشة ك. شتوير)

جَمْعِيَاتُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ

تجاوب الكاثوليك

في البداية قاومت الكنيسة الكاثوليكية بشدة عمل جمعيات الكتاب المقدس، فقد كانت السلطات الكنسية تعتقد أنها هي وحدها المفسر الشرعي للكتاب المقدس، وكرهت فكرة قراءة المسيحي العلماني في الكتاب المقدس بنفسه، وبخاصة بدون أي ملاحظات لحفظهم من سوء التفسير بل ومن الهرطقة. ولكن في منتصف القرن العشرين بدأ الكاثوليك يقدرون عمل جمعيات الكتاب المقدس واتحدوا معها في ترجمته وتوزيعه.

في خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لم يكن من غير المألوف أن نرى باعة متجولين ينتقلون من مكان لآخر لبيع كتب مقدسة لعامة الناس بأسعار مخفضة. وفي الأيام الأولى كانوا يتجولون سيراً على الأقدام، وبعد ذلك على عجلات، ثم أخيراً كانوا يتجولون بسيارات شحن خاصة وكان أولئك الباعة المتجولون رجالاً ونساء مكرسين لهذه الخدمة. فلم يكونوا يتجولون سعياً وراء الكسب بل كانوا يريدون أن يقوموا بخدمة توزيع الكتاب المقدس، وتوصيله لكل من يستطيعون الوصول إليه. وكانت جمعيات الكتاب المقدس التي كانوا يعملون لأجلها، هيئات مكرسة لتوزيع الكتب المقدسة للناس في كل مكان حيثما يوجدون في كل العالم.

NIAGARA to NEW YORK WITH THE BIBLE

AMERICAN BIBLE SOCIETY

صورة لصموئيل بسون بائع الكتب المقدسة الذي سار في العشرينات من القرن العشرين، في ولاية نيويورك من شلالات نياجرا في الشمال إلى مدينة نيويورك في الجنوب لبيع الكتب المقدسة.

ظهور جمعيات الكتاب المقدس

ظهرت جمعيات الكتاب المقدس أولاً في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، ولكن قامت هيئات قبل ذلك بتمهيد الطريق لهم. فبدافع من الحركة الإنجيلية التي انتشرت في كل أوربا وأمريكا في القرن الثامن عشر والتي أكدت أهمية الكتاب المقدس في التعليم، تكونت عدد من الهيئات لتوزيع الكتاب المقدس.

تكوّن معهد كانستين للكتاب المقدس في هال في ألمانيا عام ١٧١٠م. وكان أول هيئة تتخصص في إنتاج كتب مقدسة رخيصة، كما تكون عدد من الجمعيات البريطانية بما فيها جمعية الأسطول والجيش التي تأسست في ١٧٨٠م. لتوزيع الكتاب المقدس على البحارة ورجال الجيش. وفي ١٨٠٥م. بدأ الفرنسيون في توزيع الكتاب المقدس في كل بلادهم، رغم أن جمعية الكتاب المقدس الفرنسية لم تؤسَّس إلا في ١٩٤٦م.

وأقوى كل هذه الجمعيات تأثيراً والجمعية التي وضعت نموذجاً للجمعيات في كل العالم، كانت جمعية الكتاب المقدس البريطانية والأجنبية وقد تأسست في ٧ مارس سنة ١٨٠٤، عندما اجتمع نحو ٣٠٠ بريطاني علماني في أحد فنادق لندن لمناقشة مكانة توزيع الكتاب المقدس في عملهم. ورغم الاختلافات التعليمية والتنظيمية، فإن هؤلاء المسيحيين كونوا جمعية كان هدفها الوحيد هو طبع نسخ من الكتاب المقدس بدون ملاحظات أو تعليقات، وتوزيعها بدون أي ربح مالي، في كل العالم.

وفي خلال السنوات العشر التالية تكونت مئات من الجمعيات المساعدة في كل بريطانيا. وفي نفس الوقت تكونت جمعيات للكتاب المقدس في كل نواحي أوربا بما في ذلك ألمانيا وسويسرا واسكندنافيا والأراضي المنخفضة وروسيا وفرنسا. كما ظهرت في كندا وفي مناطق عديدة من الولايات المتحدة. وفي ١٨١٦م. اتحدت معظم جمعيات الكتاب المقدس في الولايات المتحدة لتكون جمعية الكتاب المقدس الأمريكية.

صور لأناس يشترون الكتب المقدس من عربة من عربات جمعية الكتاب المقدس في ساحل العاج بعد خدمة صلاة الظهر.



واستخدمت جمعيات الكتاب المقدس البريطانية والأمريكية باعة متجولين من البداية لتوزيع الكتب المقدس وفي الثمانينات من القرن التاسع عشر كان الباعة الجائلون يغطون كل أمريكا اللاتينية. وفي العقد التالي، بدأت فرنسا في استخدامهم، وسرعان ما غطوا كل أوربا وما وراءها. وفي نحو ١٩٠٠م. كان يقوم بهذا العمل نحو ٢٠٠٠ بائع متجول لمختلف الجمعيات في كل أقطار العالم تقريباً.

الوصول إلى أقصى الأرض

منذ البداية اهتمت جمعية الكتاب المقدس البريطانية والأجنبية بتوزيع الكتاب المقدس إلى الأجزاء النائية من الأرض، وانتجت العديد من الترجمات الجديدة بما في ذلك ترجمة صينية مبكرة. وقد قصرت معظم جمعيات الكتاب المقدس الأخرى عملها على شعوبها وشذ عن ذلك جمعية الأراضي المنخفضة، وجمعية الكتاب المقدس الوطنية في اسكتلندا وجمعية التوراة الأمريكية، فهذه الجمعيات الثلاثة خرجت عن حدودها في ترجمة وتوزيع الكتب المقدسة في الأمم التي قام بالتبشير فيها مرسلون من كنائسها الوطنية.

وقد اكتسبت جمعيات الكتاب المقدس شهرة لعنايتها الدقيقة بإعداد الكتب المقدسة التي تقوم بتوزيعها. وبمضي السنين كانت قد ترجمت الأسفار المقدسة إما كاملة أو أجزاء منها إلى عدد لا يصدق من اللغات وكانت كثيراً ما تستغرق سنوات عديدة لإصدار ترجمة واحدة. كما أنها اتخذت موقفاً منفتحاً بقبول كل المسيحيين دون النظر إلى الطوائف، للعمل معهم واستخدام كتبهم المقدسة. وقامت بذلك بالتمسك بسياستها الأصلية من نشر الكتاب المقدس بدون أية ملحوظات أو تعليقات وهكذا تجنبت الصراعات حول التفسير بين الطوائف المتعددة.

ومثل البريطانية انتشرت الجمعيات الهولندية والأمريكية في كل العالم، وقد حدث تداخل في المناطق التي كانت تخدمها، ونتيجة لذلك بُذلت محاولات خلال القرن العشرين للعمل معاً لزيادة فاعلياتها. في البداية عملت الجمعيات البريطانية والأمريكية والهولندية فقط للتعاون معاً في عملها. ثم في ١٩٣٩م. عُقِدَ مؤتمر في امستردام في الأراضي المنخفضة، وعرض اقتراح لخلق نوع من مجمع عالمي لجمعيات الكتاب المقدس. وللأسف تأخر تنفيذ الفكرة بسبب قيام الحرب العالمية الثانية، ولكن بعد الحرب في ١٩٤٦م. اتحدت ١٤ جمعية بريطانية وأمريكية وكونت «جمعيات الكتاب المقدس المتحدة». وهذا الاتحاد المرن يخدم كمركز كبير القدر في التعاون وتخطيط العمل في ترجمة الكتاب المقدس وتوزيعه في كل نواحي الكرة الأرضية.

وفي بداية ٢٠٠١م. ضمت جمعيات الكتاب المقدس المتحدة ١٣٧ جمعية وطنية واستطاعت هذه الجمعيات التي تعمل في أكثر من ٢٠٠ دولة، أن توزع أكثر من ٥٠٠ مليون كتاب مقدس، أو أجزاء من الكتاب المقدس في كل سنة.



بائع كتب مقدسة متجول يقدم بعض صفحات من الكتاب المقدس لأحد الشباب في الصين في نحو ١٩٠٠م.

"لقد عيَّنَت العناية الإلهية بكل وضوح أن نكون شعباً واحداً له حكومة واحدة، ومدينة واحدة وكتاب مقدس واحد".

تصريح جمعية الكتاب المقدس الأمريكية في نهاية الحرب الأهلية الأمريكية الأهلية.

كتب الجدعونيين المقدسة

أدى العجز في حجرات الفنادق إلى تكوين إحدى أهم المنظمات لتوزيع الكتب المقدسة، وهي «جمعية الجدعونيين الدولية».. ففي إحدى الليالي في ١٨٩٨م. عندما حاول جون هـ. يتكلون، رجل أعمال أن يجد له مكاناً في أحد الفنادق في بوسكوبل في ولاية ويسكنون، قيل له إن عليه أن يشارك الحجرة مع رجل آخر وعندما سأل رفيقه في الحجرة – البائع سام هل – ما إذا كان ممكناً أن يترك المصبح مضيئاً بعض الوقت حتى يستطيع قراءة كتابه المقدس قبل النوم. طلب منه نيكلسون أن يقرأ بصوت مسموع.

وأصبح الرجلان صديقين حميمين، وبعد ذلك بسنة كونا رابطة من رجال الأعمال والمهنيين، وأطلقوا عليها اسم بطل العهد القديم «جدعون». وكان الهدف الوحيد للرابطة هو وضع كلمة الله في أيدي «غير المتجددين».

وفي السنوات التي تلت ذلك، وضع الجدعونيون نسخاً من الكتاب المقدس في حجرات الفنادق والمستشفيات والمدارس والسجون في كل العالم كما أشرفوا على ترجمات جديدة لتقديم الكتاب المقدس في كل اللغات التي احتاجوا إليها.

وفي المائة سنة الأولى لوجودهم، وزع الجدعونيون أكثر من ٧٧٠ مليون نسخة من الكتاب المقدس في ١٧٢ دولة. والآن إذا دخلت حجرة في أحد الفنادق، فبالتأكيد ستجد نسخة من كتاب الجدعونيين المقدس بجانب الفراش على الطاولة، لاستخدامك.

مُتَرْجِمُو وِيكْلِف

"الترجمة ترتبط أساساً بالمفهوم الأصلي للإنجيل: فالله الذي ليس لديه من يؤثرهم لغوياً، قرر أن تكون لنا جميعاً الأخبار الطيبة بلغتنا الوطنية."
لامنسينه المؤرخ الجامبي

يوم ترجمة الكتاب المقدس

في سنة ١٩٦٦م. أصدر مجلس الشيوخ الأمريكي قراراً طالباً من الرئيس لندون ب. جونسون أن يعلن يوم ٣٠ سبتمبر يوماً لترجمة الكتاب المقدس، وقد أعلن ذلك اليوم بقرار واضح في تلك السنة وتكرر في السنة التالية. واستمر مترجمو ويكلف يحفظون تقليد يوم ترجمة الكتاب المقدس منذ ذلك الوقت.

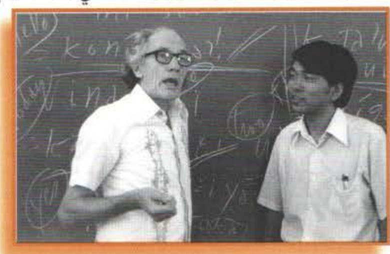
في أحد الأيام في أوائل الثلاثينات من القرن العشرين بينما كان وليم كاميرون تاونسند يعمل باجتهاد في إرسالية في جواتيمالا لتوصيل رسالة المسيح إلى هنود كاكتشيكويل، سأله أحد المواطنين سؤالاً بسيطاً: إذا كان إلهك عظيماً بهذا المقدار، فلماذا لا يتكلم لغتي؟ ولقد أثر هذا السؤال تأثيراً عميقاً في تاونسند.

البداية

بعد تفكير طويل وشاق عن مضامين السؤال الذي سأله الرجل الهندي، أصبح تاونسند مقتنعاً بأن كل رجل وكل طفل يجب أن يكون في استطاعته أن يقرأ كلمة الله في لغته وصمم على عمل شيء لتنفيذ ذلك. فأسس في ١٩٣٤ مدرسة لغات لتدريب مترجمي الكتاب المقدس في المستقبل. وإذ تأثر بعمل بطل الإصلاح جون ويكليف أول من ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية، أطلق تاونسند على المدرسة «معسكر ويكلف».

ومتى أتم الطالب تدريبهم، كان تاونسند يرسلهم إلى الميدان لاتقان أساليب كتابة اللغات التي كانت تنقصهم، وترجمة الأسفار المقدسة إلى تلك اللغات. وكان هدفه الوحيد هو أن يمد الناس الذين ليس لديهم الكتاب المقدس بلغاتهم، به وقد نما معسكر ويكليف بسرعة، وفي ١٩٤٢م. قسمه تاونسند إلى هيئتين متعاونتين هما المعهد الصيفي للغات ومترجمو ويكليف للكتاب المقدس.

وكان أحد أوائل مترجمي ويكليف للخروج للميدان كينيث لي بيك. ففي ١٩٣٥م. ذهب بايك إلى المكسيك، حيث عكف على تعلم اللغة المكسيكية، وهي لهجة هندية، بمساعدة رجل مكسيكي عجوز. وقد فشلت جهود بيك في تعلم المكسيكية منذ البداية تقريباً، فعندما طلب أن يتعلم الأعداد في اللغة المكسيكية، فزع عند اكتشافه أن لفظة «واحد» و «تسعة» متشابهان تماماً في سمعه، ولم



د. كينيث لي بيك
(١٩١٢ - ٢٠٠٠م.)
كان واحداً من أوائل مترجمي ويكلفَ الذين انطلقوا إلى حقل الخدمة. ويظهر بيك (لليسار) في أحد فصوله التي يُعلم فيها لغات جديدة في سنة ١٩٨١م.

المعهد الصيفي للغات

وكان شقيق منظمة «مترجمي ويكلف» مكرساً للعمل مع الناس الذين يتكلمون لغات العالم الأقل انتشاراً. وقد انفصل المعهد الصيفي للغات عن شقيقه في ١٩٤٢م. حتى يستطيع أن يقدم نفسه كمعهد لغات مدني، وبذلك للعاملين به الدخول إلى البلاد التي تمنع النشاط المرسلي.

ولأن المعهد الصيفي للغات كان يركز على المجتمعات الصغيرة التي ليس لها لغة مكتوبة فالناس الذين كان يعمل معهم كانوا بصفة عامة من أفقر الجماعات وأقلها علماً في العالم.

وبالإضافة إلى وضع نظم للكتابة وترجمة الكتاب المقدس، فإن العاملين بالمعهد الصيفي للغات ساعدوا في تدريب الشعب على المهارات التي كانوا في حاجة إليها لحياتهم، مثل الزراعة والعناية بالصحة. وكانوا أحياناً يتعاونون مع الحكومات والوكالات الإقليمية والقومية في تنفيذ برامج تعليمية في لغات الشعب.

وبالإضافة إلى الكتاب المقدس ترجم العاملون في المعهد الصيفي للغات مواداً عن العناية بالصحة والزراعة والنمو الروحي والتغذية والصحة العامة والمواضيع الأخرى التي كانت تطلبها المجتمعات المحلية. كما أنهم أداروا شبكة معلومات كانت تنشر معلومات عن كل اللغات المعروفة في العالم وتساعد العلماء في مجال الانثروبولوجيا والدراسات المتعلقة باللغات.

وقد جاء العاملون في المعهد الصيفي للغات من أكثر من ٤٠ بلداً ومن خلفيات مختلفة ولكنهم كانوا جميعاً يشتركون في الإيمان بأن كل شخص قد خُلق على صورة الله وله قيمة وكرامة. وكانوا متدربين تماماً على الدراسات التي تقدم في الكثير من جهات العالم بما فيها الولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزيلندا وفرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة وكينيا. وفي خلال الستين سنة الأولى من إنشائها، أجرى المعهد الصيفي للغات أبحاثاً لغوية في أكثر من ٥٠ قطراً، وهذه مجرد بداية فقط.

يختلفا إلا في طبقة الصوت ولم يستطع بيك أن يجيد ذلك سواء في اللغة المكسيكية أو في أي لغة أخرى. وأخيراً حصل على معونة أستاذ لغات سابق هو إدوارد سابير الذي شرح أسلوبه في تحليل اللغات. وباستخدام أسلوب سابير عاد بيك إلى تعلم اللغة المكسيكية. وأخيراً بعد نحو عشر سنوات من البداية، استطاع أن ينطق بها نطقاً مكسراً. واستطاع بمعونة دونالد ستارك من جماعة ويكليف، أن يترجم العهد الجديد إلى اللهجة المكسيكية، ونشر في ١٩٥١م. وكانت أول المئات من ترجمات ويكليف. وتقدم بيك حتى أصبح أحد أوائل معلمي جماعة ويكليف وكتّابها، وشارك المئات من مترجمي المستقبل في خبرته ومهاراته.

أساليب العمل الآن

يعمل مترجمو ويكليف بهمة لتحديد الحضارات التي ليس لها لغة مكتوبة، لوضع نظام لكتابتها ولترجمة الكتاب المقدس إلى تلك اللغات. وتأتي أحياناً الطلبات للمعونة مباشرة من الأهالي أنفسهم فمثلاً في نحو ١٩٧٠م. طلبت جماعة من هنود كونا من بنما، المعونة لترجمة الكتاب المقدس، واستجابة لهذه الدعوة، أُرسل كيث وولما فوستر إلى قرية كونا في ١٩٧٢م. حيث وضعا نظاماً لكتابة لهجتين من لهجات كونا. وبمساعدة أحد رعاة كونا لينو سميث، ترجموا العهد الجديد إلى لهجتين، نشروا الأولى في ١٩٩٣م. والثانية في ١٩٩٦م. ويعمل الفريق الآن في ترجمة العهد القديم إلى لغة كونا.

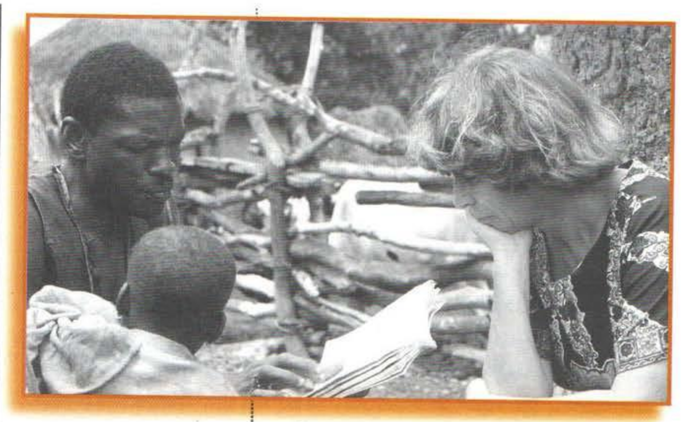
وكثيراً ما يحدث أن يحدد مترجمو ويكليف الناس المحتاجين للكتاب المقدس. وهناك شبان مسيحيون وشابات مسيحيات مدربون بمعرفة مترجمو ويكليف يسافرون إلى مناطق بعيدة من العالم على مدى أيام أو أسابيع يواجهون جوّاً سيئاً وطفيليات وحشرات. ويقابلون في ترحالهم الكثيرين من الناس ليقرروا أي جماعات يحتاجون بحق إلى كتب مقدسة بلغاتهم. وأكثر الناس احتياجاً يزورهم بعد ذلك المترجمون ويخترعوا لهم نظماً للكتابة وينشرون الكتب المقدسة بلغات أولئك الناس.

وترجمة الكتاب المقدس إلى الثقافات غير المعروفة ليس عملاً سهلاً. وللبدء في ذلك على المترجمين أن يرسموا طريقة للتعبير عن الأصوات المعنية في لغة ما. فبالإضافة إلى مشكلات النغمات التي سببت تعباً لبيك في بداية عمله في اللغة المكسيكية، كان يجب إيجاد رموز للأصوات التي لا تستخدم في اللغات الأوروبية. وكانت هذه تشمل نغمة تستخدم في أفريقيا الغربية بثني الشفة وليس طرق اللسان، وأصوات الطرقعة المستخدمة في لغات أفريقية أخرى، والصوت الحادث بتحريك اللسان خارج الفم ونحو الذقن كما يحدث في لهجة البيراها إحدى اللهجات البرازيلية. والآن كثيراً ما يستخدم الكمبيوتر لرسم وتنظيم الأصوات وإيجاد رموز لتمثيلها.

العمل الواقعي في الترجمة به مشكلات أخرى. فكثيراً ما يكون من غير الممكن أن تجد كلمة مناسبة في لهجة غربية لكلمة عبرية أو يونانية، فمثلاً ما قاله أشعياء من أن الخطايا «تبيض كالثلج» تصبح بلا معنى عند الشعوب التي تعيش في الأحراش الذين لم يروا الثلج مطلقاً، حتى ولو كانت لديهم كلمة تدل عليه.. ومن الناحية الأخرى تحتوي بعض اللغات على كلمات كثيرة لها مرامي عديدة ترجمة لكلمة واحدة عبرية أو يونانية فمثاً الإسكيمو لديهم كلمات عديدة مختلفة للثلج وصفات لدرجات الرواسب البيضاء المتجمدة. ويجب التدقيق الشديد في اختيار الكلمة الصحيحة التي تتفق مع المعنى الكتابي. وعلاوة على ذلك فإن بعض اللغات تنقصها كلمات يبدو أنها ضرورية لنا فمثلاً لغات البابوات في غينيا الجديدة ليس بها كلمات للتعبير عن «قبل» أو «بعد» وعلى المترجمين التدقيق الشديد في تركيب جملهم لإعطاء المعنى الصحيح رغم أنهم لا يستطيعون التعبير عنه مباشرة. وبناء عليه فبدلاً من القول: «ذهب بطرس إلى القرية بعد أن تناول عشاءه في البيت» يكون على المتكلم أن يقول: «جاء إلى البيت وتناول عشاءه، ثم ذهب بطرس إلى القرية».

وفي الوقت الحاضر ترجم مترجمو ويكليف للكتاب المقدس مع المعهد الصيفي للغات، أو على الأقل أجزاء من الكتاب المقدس إلى أكثر من ٥٠٠ لغة، ويعملون الآن في ترجمته إلى أكثر من ١٠٠٠ لغة أخرى.

ويقولون إن هناك أكثر من ٣٠٠٠ لغة أخرى تنتظر ترجمة الكتاب المقدس إليها. وعن طريق حملة تسمى «رؤيا ٢٠٢٥»، يرجو مترجمو ويكليف أنه بحلول عام ٢٠٢٥ تكون مشروعات الترجمة قد بدأت وإن لم تكن بالضرورة قد اكتملت في كل لغة تلزمها ذلك.



أحد مترجمي ويكليف للكتاب المقدس، يعمل مع شعب كاراباروا في بوركينا فاسو في أوائل التسعينات من القرن العشرين. وقد وصلهم العهد الجديد كاملاً في ١٩٩٤م.

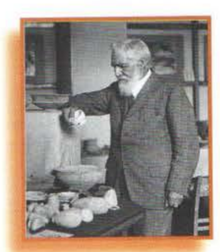
"الآن لديكم كلمة الله بلغتكم، وكلمة الله مثل المطر الذي يأتي بالنمو، فالله يأتي بالحياة الجديدة. فعندما يكون الله أولاً حينها يصبح كل شيء أفضل."

الأسقف سينيمونا من زائير ١٩٩٦م.

اَلنَّبْشُ عَنِ الْمَاضِي

"لعل علينا أن نكف عن النبش في الماضي ونهضم ما لدينا"

فيليب كنج، من كلية بوسطن للآثار



صورة لعالم الآثار

سير فلتروز بيتري

(١٨٥٣ – ١٩٤٢)

يرتب بعض قطع الفخار التي وجدها في جنوبي فلسطين.

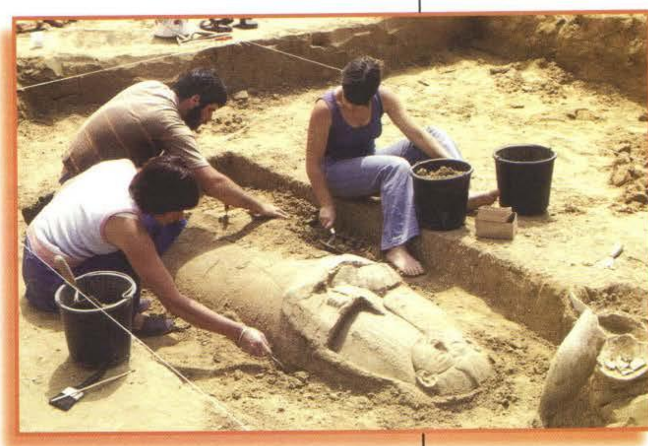
صورة للكشف عن مدفن في جنوب غزة في المنطقة التي عاش فيها الفلسطينيون والنعش يشبه جسم إنسان وكان شائع الاستعمال عند الفلسطينيين ويرجع إلى نحو (١٣٠٠–١٢٠٠ق.م.) في نحو الزمن الذي يظن أن الإسرائيليين والفلسطينيين بدأوا في الاستقرار فيما يسمى الآن إسرائيل وفلسطين.

يبحث المنقبون عن الكنوز عما عثر عليه علماء الآثار منذ ٢٠٠ سنة. وقد نبش هؤلاء المغامرون القبور القديمة وحفروا خرائب المدن وأخذوا ذخائر من الذهب وكل شيء آخر يمكن أن يباع للمتاحف أو جامعي الكنوز، تاركين وراءهم عظاماً وشظايا من الفخار والرموز الغريبة المنقوشة على الحجر ولفائف البردي والتي تعد مفاتيح الماضي ويعتبرها علماء الآثار أثمن من الذهب.

من البحث عن الكنوز إلى العلم

خلال القرنين الماضيين تحول التنقيب عن الآثار إلى علم، وقد أمدنا بثروة من المعلومات عن عصور الكتاب المقدس وملأ فجوات من تاريخ غير مسجل، واستعاد معاني كلمات طال فقدان معانيها في الكتاب المقدس، وأحياناً كان يتعارض مع القصص الكتابية، ويثير أسئلة لم يطرأ على بال أحد أن يسألها.

وعلى خلاف أهرامات مصر وأطلال معبد البارثينون في أثينا فإن غالبية آثار العصور الغابرة في بلاد الكتاب المقدس مدفونة، فقد ذوت المدن والقرى أو هجرت، وقد دفنتها الرياح تحت الأتربة. وفي حالات كثيرة سوَّى جيل جديد هذه البقايا وبنى فوقها. ويمكن أن يكون هذا قد حدث مراراً عديدة مما نتج عنه ما أصبح مظهراً عادياً في بلاد الشرق الأوسط. ركاماً ضخماً تبدو كأنها تلال متحركة وهي في الحقيقة تغطي طبقات فوق طبقات من الحضارات القديمة. ويسمي علماء الآثار هذه الطبقات «تلالاً».



وأول محاولة جادة للذهاب إلى ما هو أبعد من مجرد البحث عن الكنوز، حدثت في ١٨٣٨م. عندما قام عالمان أمريكيان: ادوارد روبنسون وعالي سميث، بالتجول في بلاد الكتاب المقدس، مسجلين أسماء المدن والقرى، وقاما برحلة أخرى في ١٨٥٢م. متسلحين بهذه الأسماء، وافتراض أن الأسماء القديمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأماكن حتى وإن تغيرت الشعوب واللغات. وقد اكتشف العلماء موقع الكثير من المواقع الكتابية، فمثلاً وجدوا في اسم قرية الجيب العربية، اختصاراً لجبعون حيث يذكر الكتاب أن الشمس وقفت ثابتة في أثناء إحدى معارك يشوع.

وأول اكتشاف علمي في الأراضي المقدسة حدث في ١٨٩٠م. حين بدأ العالم البريطاني وليم فلندرز بيتري الحفر في تل يعرف بتل الحيصي على بعد نحو ٤٥ كيلو متر (٣٠ ميلاً) إلى الجنوب الغربي من أورشليم. وهنا كما يعتقد كثيرون من العلماء كانت القرية الكنعانية عجلون التي فتحها يشوع. وقد اقتنع بيتري العالم الأكاديمي بأن هذه التلال ليست تلالاً طبيعية ولكنها طبقات من قرى قديمة بنيت إحداها فوق الأخرى.

كما بدأ بيتري أيضاً في استخدام البقايا الفخارية في تحديد التواريخ. فوضع قائمة بأنواع الفخار المصنوع في عصور مختلفة من التاريخ، فالفخار في الطبقات العليا أحدث عهداً. وأصبح تصنيف الفخار إحدى أدق الطرق أمام علماء الآثار لتحديد تاريخ الموقع. فكما أن السيارات من العقود المختلفة تبدو مختلفة، فإن قطع الفخار من القرون المختلفة تبدو مختلفة، ومن حسن الحظ أن الفخار المحروق يبقى كما هو مثل الصخور، فهو ليس مثل الخشب أو القماش أو الرقوق التي تتلف بمضي الزمن. والفخار يوجد عادة كشظايا، ولكن هذه الشظايا كثيراً ما يمكن جمعها وتحديد الزمن الذي جاءت منه.

وبدأ علماء الكتاب المقدس في قيادة بعثات أثرية إلى بلاد الكتاب المقدس، وكان هدفهم في الغالب تحديد المواقع المذكورة في الكتاب المقدس واستكشاف دلائل تؤيد الكتاب المقدس، وقد تغير هذا في العقود الأخيرة. فاستناداً على ظنون مسبقة، مثل الظن بأن تلاً معيناً كان في وقت من الأوقات أحد الأماكن المذكورة في الكتاب المقدس، مما جعل علماء الآثار يقعون أحياناً في

استنتاجات خاطئة، ولذلك فعلماء الآثار الآن يهدفون إلى الموضوعية. ويحاولون ألا يروا في الموقع ما يريدون، بل بالحري يتركون الموقع ليتحدث عن نفسه.

وللمعاونة على تفسير كل المعلومات، يستند علماء الآثار على الأخصائيين من علماء جيولوجيا وعلماء لغات وعلماء مناخ، وعلماء الأنثروبولوجيا (البحث في الجنس البشري) وعلماء الحيوان والمهندسين ومبرمجي الكومبيوتر وعلماء الإحصاء وعلماء الكتاب المقدس، والقائمة ممتدة، فهناك أخصائيون يكرسون حياتهم لدراسة حضارة معينة، أو حكومة، أو حرب، أو أثاث، أو نسيج معين. فالتكنولوجيا الحديثة تساعد، كما أن الرادار الذي يخترق الأرض، وصور الأقمار الصناعية وتركيب الكومبيوتر لكل شيء من خرائب المدن الكبيرة إلى أصغر الأشكال.

الاكتشافات الرئيسية

في العقود القليلة الأخيرة كشف علماء الآثار عن أسلحة حربية ومعاهدات سلام، ورفعوا التراب عن رسومات تعود إلى أربعة آلاف سنة وتماثيل تكشف لنا حقائق وعوائد الشعوب القديمة من إيران إلى مصر ولم يكتشف علماء الآثار كتباً قديمة، ومكتبات كاملة، ولكن فكوا رموزها، من مصرية وسومرية وأكادية (اللغة التي كان يستخدمها الأشوريون والبابليون) والحثية والفارسية، اكتفاء بذكر القليل.

وقد اكتشف «حجر رشيد» في ١٧٩٨م. وعليه نفس العبارات باليونانية، وبنوعين من اللغات المصرية القديمة بما فيها الهيروغليفية مما سمح للعلماء لحل رموز الهيروغليفية.

كما أن مكتبة نينوى التي كُشِفَت في منتصف القرن التاسع عشر، كانت تحتوي على ٢٥٠٠٠ لوح من الطين من قصر الملك الأشوري أشور بانيبال، مع ألواح من سنحريب، وقد ورد ذكر هذين الملكين في الكتاب المقدس.

وفي أوخر العشرينات من القرن العشرين اكتشف نحو ٢٠٠٠٠ لوح فخاري مكتوبة بالخط المسماري في شمالي العراق، يشار إليها باسم «ألواح نوزي» وتكشف لنا الكثير عن الحياة في بلاد بين النهرين حيث عاش إبراهيم في أثناء حياته وما بعد ذلك.

كما أن مخطوطات البحر الميت التي كانت تكون مكتبة من المخطوطات اليهودية بها نسخ من العهد القديم. ترجع إلى ألف سنة أقدم من التي استخدمت في ترجمة نسخة الملك جيمس، وقد اكتشف لأول مرة في ١٩٤٧م. في عدد من الكهوف تبعد نحو ٢٤ كيلو متراً (١٥ ميل) إلى الشرق من أورشليم، بالقرب من البحر الميت. وهذه المخطوطات تمثل جزءاً من مكتبة طائفة يهودية غزاها الرومان في نحو ٦٨م.

(ولزيادة المعرفة عن هذا الاكتشاف الهام ارجع إلى صفحة ٢١٨)

الآن لا يبحث علماء الآثار وراء اكتشافات مثيرة، بل بالحري يبحثون عن أقل الدلائل على كيف كانت الحياة في عصور الكتاب المقدس، فيفحصون بغاية الدقة العظام والبذور بل وحبوب اللقاح. ويقول جودي ماجنس من جامعة تارفتس إن ما يهمني ليس هو ما يهم الشخص العادي، بل ما يثيرني هو شظايا صغيرة من الفخار البيزنطي متى جاءت من المكان المناسب.

تأكيد الكتاب المقدس

لقد أكد علم الآثار الكتاب المقدس في نقاط عديدة كانت في وقت من الأوقات مثار جدال بين العلماء، فمثلاً يشير الكتاب المقدس إلى شعب كان يسمى الحيثيين. ومع أن الاسم لم يظهر إطلاقاً خارج الكتاب المقدس. كما يذكر الكتاب المقدس أن بلشاصر كان ملك بابل في زمن دانيآل مع أن السجلات التاريخية تقول إن الملك كان أبو بلشاصر، الذي هو نبونيداس. بل إن بعض النقاد يشكون في وجود الملك داود قائلين إنه لم يكن سوى بل أسطوري، مثل الملك آرثر.

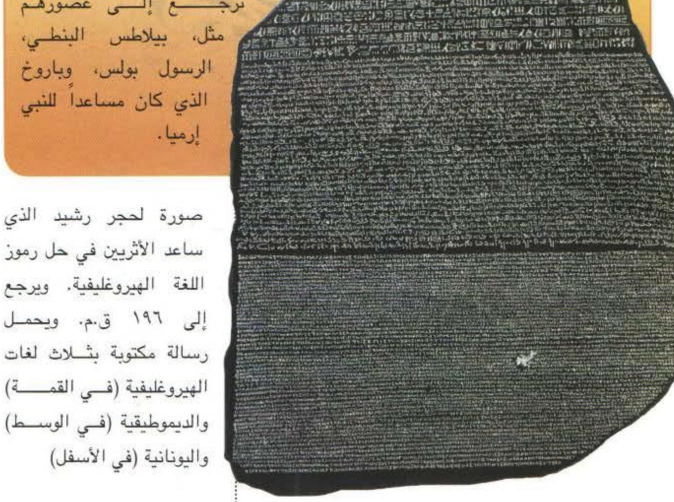
وبدأت تظهر أثار من الحضارة الحثية حوالي سنة ١٩٠٠م. فاكتشفت كتابة دلت على أن بلشاصر ونبونيداس حكما معاً فترة من الزمن وفي ١٩٩٣م. اكتشفت قطعة حجر من عصر الملك داود في إسرائيل، وقد احتوت الكتابة التي عليها العبارتين: «بيت داود»، «ملك إسرائيل»

وإليك بعض الاكتشافات الهامة الأخرى.

- في ١٩٩٠م. اكتشف بعض العمال الإسرائيليين صندوق دفن في كهف في أورشليم لم يكن معروفاً من قبل وكان منقوشاً على الصندوق الحجري اسم قيافا رئيس الكهنة الذي حاكم الرب يسوع. وقد عُثر على هذا الصندوق مع أحد عشر صندوقاً أخرى. كان بأحدها قطعة نقدية ترجع إلى ما بعد الصلب بعشر سنوات، ويقول كثيرون من علماء الآثار إن هذا الكهف كان على الأرجح مدفن عائلة قيافا.

- وجد قارب صيد من أيام الرب يسوع مدفوناً في الطين في قاع بحر الجليل. وكان القارب يتسع لنحو ١٥ شخص، فكان أكثر من كاف لحمل الرب يسوع والاثنى عشر تلميذاً عند عبورهم البحيرة في الليلة العاصفة.

وبعض الشخصيات الأخرى التي وجدت أسماؤهم على أشياء ترجع إلى عصورهم مثل، بيلاطس البنطي، الرسول بولس، وباروخ الذي كان مساعداً للنبي إرميا.



صورة لحجر رشيد الذي ساعد الأثريين في حل رموز اللغة الهيروغليفية. ويرجع إلى ١٩٦ ق.م. ويحمل رسالة مكتوبة بثلاث لغات الهيروغليفية (في القمة) والديموطيقية (في الوسط) واليونانية (في الأسفل)

ظُهورُ النَّقْدِ الكِتابيِّ

النقد الكتابي

عبارة النقد الكتابي لا يُقصد بها معنى سلبي بأي حال، فالهدف من هذه الدراسات ليس هو النقض واكتشاف الأخطاء في الكتاب المقدس، ولكن فحص النصوص للتأكد مما كان يريد الكُتَّاب من البشر أن يعبروا عنه. ومع أن بعض نتائج هذه الدراسات تعارضت أحياناً مع المفاهيم الراسخة عن الكتاب المقدس، فإنها بشكل عام أثبتت صحة التعاليم اللاهوتية الأساسية التي وصل إليها علماء اللاهوت على مدى العصور.

مجال الدراسة المعروف بالنقد الكتابي بدأ مع حركة التنوير وازدهر في القرنين التاسع عشر والعشرين، فالشك الديني الصارم عند مفكري حركة التنوير الذين نزعوا إلى شجب الكتاب المقدس أو أجزاء كبيرة منه، باعتباره مضاداً للعقل، خلق رد فعل قوياً من المسيحيين التقليديين. فقابل كثيرون من المسيحيين هذه الآراء بالرجوع إلى تفسيرات شخصية للكتاب المقدس رافضين أي فكرة لدراسة الكتاب المقدس دراسة نقدية. فبالنسبة لهم كان الكتاب المقدس هو كلمة الله التي تخاطب قلوبهم ويجب أن تُقبل كما هي، ولم يكونوا يقبلون ما هو أقل من ذلك. وفي نفس الوقت اعتنق بعض العلماء رأياً وسطاً راجين أن يفهموا بصورة أفضل ما كان كتاب أسفار الكتاب المقدس يحاولون أن يقولوه.

هدفان للنقد الكتابي

كان للنقد الكتابي هدفان أساسيان: أولهما أنه يعمل على التدقيق في النصوص الكتابية للوصول إلى النصوص الخالية من الخطأ والأقرب إلى النصوص الأصلية بقدر ما يمكن. ولأنه لم يصل إلينا شيء من النصوص الكتابية الأصلية، فأصبح على العلماء أن يعدوا نسخاً جديدة للكتاب المقدس بدراسة مئات النسخ المنسوخة باليد، لاكتشاف أصحها بالفحص الصارم الدقيق. وهذا الأسلوب من الدراسة الكتابية المعروف باسم نقد النصوص يرجع على الأقل إلى القرن الثالث، عندما جمع أوريجانوس «الهكسابلا» وهي النسخة السداسية للعهد القديم الذي سجل فيها العبرية والترجمات اليونانية المختلفة للكتاب المقدس في أعمدة متوازية للوصول إلى أفضل النصوص (إرجع إلى صفحتي ٩٠ – ٩١).

الهدف الرئيسي الآخر للنقد الكتابي هو فحص النصوص التي تم التدقيق فيها، وذلك في أساليبها اللغوية والبلاغية للتأكد من مقاصد الكُتَّاب الأصليين. وغالبية النقاد الكتابيين يؤمنون بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله، ولكنهم يعلمون يقيناً أن كلمة الله معبر عنها بلغة بشرية (أساساً العبرية واليونانية). ومع أنه موحى به بالروح القدس فإن الكتاب من البشر كتبوا النصوص مستخدمين الوسائل التي كانت متاحة لهم في ذلك الوقت. وعليه فقد عبروا باللغة التي كانت مستخدمة في عصرهم. وبدراسة لغات العصور الكتابية ومحاولة تحديد الكتاب من البشر ومصادرهم يمكن للقراء الآن أن يدركوا بصورة أفضل ما كان الكتَّاب يحاولون أن يقولوه للناس في عصرهم.

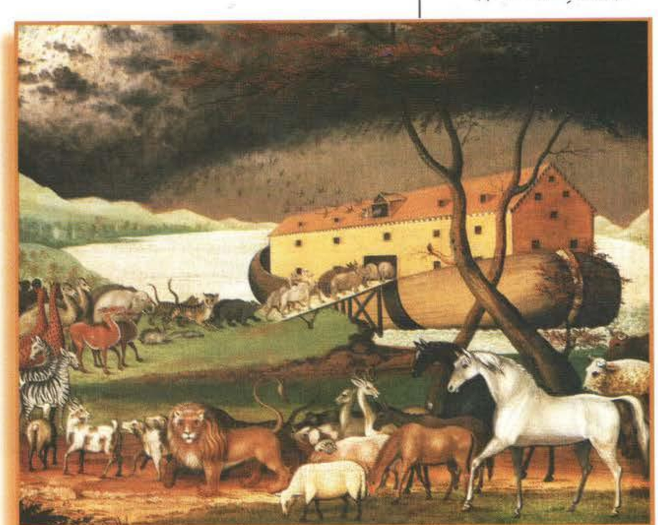
باستخدام هذه الدراسات التفسيرية كأساس لقراءة الكتاب المقدس كما كان القصد منه أصلاً، فإن علماء آخرين ومعلمين ومبشرين يمكنهم أن يجعلوا النصوص مفهومة للمؤمنين الآن. وهذا الفرع من النقد الكتابي هو محاولة لتقديم النصوص القديمة بطريقة أمينة لأوضاعها التاريخية دون أن تحصرنا فيها، وهكذا تسمح للمؤمنين الآن أن يطبقوا رسائل الكتاب المقدس على حياتهم وأن ينشروا الإيمان الذي يشاركون فيه مع الآخرين.

تحديد الكُتَّاب والمصادر

مع أن النقد الكتابي ظهر في حقبة التنوير واستخدام الوسائل الجديدة للفحص التاريخي التي ظهرت في تلك الحقبة، فإنه لم يكن مفهوماً جديداً. فقد ثارت الأسئلة من أقدم العصور عن الاختلافات الظاهرية في الكتاب المقدس. فهل أخذ نوح في فلكه اثنين من كل حيوان طاهر (تك ٧: ٨، ٩) أم سبعة (تك ٧: ٢– ٣). وفي نحو

إن الاختلافات في عدد الحيوانات التي أخذها نوح معه في الفلك جعلت العلماء يتخيلون أن سفر التكوين له أكثر من كاتب واحد (ارجع إلى «فلك نوح»)

(صورة، فلك نوح بريشة الفنان إدوارد هكس ١٨٤٦م.)



مدرسة توبنجن

عكف علماء القرن التاسع عشر في عدد من الجامعات الأوربية على تطبيق أساليب النقد التاريخية على العهد الجديد، ولكن لعل بعض الباحثين من جامعة توبنجن في ألمانيا كانوا على الأرجح أكثرهم تأثيراً، وقد أثر اثنان من علماء توبنجن بشكل خاص في دراسة الكتاب المقدس بعد ذلك. وهما داڤيد فردريك شتراوس وفرديناند كريستيان بايور.

في ١٨٣٥ نشر شتراوس «حياة يسوع» مفسراً قصص الإنجيل تفسيراً راديكالياً مخالفاً للكتابات السابقة عن حياة يسوع التي إما سارت على نهج التقليد في قبول تدخل الله في التاريخ البشري أو استخدمت الأساليب العقلية لتفسير الأحداث الخارقة للطبيعة. وافترض تفسيراً أسطورياً، فاعتقد أن الأناجيل تحتوي على حقائق تاريخية زخرفتها الكنيسة وعدلتها وكتب أنه من المستحيل كتابة حياة يسوع بصورتها الحقيقية لأن الأناجيل تقدم لنا أراء مؤلفة من شظايا غير مترابطة. وتطرف كُتَّاب آخرون فتجاهلوا الأسس التاريخية للأناجيل، وكتبوا قصة خيالية تماماً عن يسوع. أو اعتبروا العناصر الخارقة للطبيعة في الأناجيل غير حقيقية وأن يسوع لم يكن سوى بشر.

وفي ١٨٥٣ قال بايور مؤسس مدرسة توبنجن إن غالبية أسفار العهد الجديد لم تكتب إلا في النصف الأخير من القرن الثاني. كما تبنى فلسفة چورج فلهلم فريدريك هيجل اعتبر أن التاريخ المبكر للكنيسة المسيحية شهد تطوراً حدث فيه شد وجذب ثم توافق. ونشأ الشد من رأي بولس بأن يسوع قد حررنا من الناموس اليهودي ضد ما أكده بطرس وآخرون من التمسك الصارم بالناموس اليهودي، واعتقد بايور أنه نتيجة هذا الشد والجذب نشأت الكنيسة الكاثوليكية وكُتب العهد الجديد مبرراً للاختلافات بوضع بطرس وبولس على مستوى واحد كما يبدو ذلك في سفر أعمال الرسل. وقد ذكر العلماء الذين جاءوا بعد ذلك أن العهد الجديد قد اكتمل في أوائل القرن الثاني مما جعل آراء بايور لا يمكن الدفاع عنها. ولكن مع أن القليل من آرائه مقبولة الآن، فإن الأسئلة التي ذكرها بايور كان لها أهمية دائماً وطرقه العلمية في الدراسة أصبحت مقبولة على نطاق واسع.

عام ٤٠٠ م. عندما كان چيروم يترجم الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية شك في التقليد القائل بأن موسى قد كتب الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس معتقداً أن هذه الأسفار لم تأخذ صورتها النهائية إلا بعد قرون من زمن موسى.

وفي أثناء حركة الإصلاح عندما اعتبر الكتاب المقدس المرجع الوحيد للفكر المسيحي، طبق مارتن لوثر تعليمه عن التبرير بالإيمان وحده، فإنه ألقى الشك على صحة رسائل يعقوب ويهوذا والعبرانيين وسفر الرؤيا، منكراً أنها من أصل رسولي.

ولم يكن چيروم آخر من شك في أن موسى قد كتب أسفار موسى. ففي القرون المتأخرة وجد علماء آخرون الفكرة غير محتملة لأن آخر الأسفار الخمسة يصف موت موسى الكاتب المفترض للسفر، ولأن التوراة تحتوي على صور مختلفة لنفس القصص وإشارات لأحداث حدثت بعد عصر موسى بزمن طويل، فقام العلماء بتحليل نصوص التوراة وبدأوا بالتدريج أن يروا أن التوراة مكونة من أربع روايات متباينة لم تُوحد تماماً إلا على الأقل في زمن السبي البابلي. وفي ١٨٧٨م. جمع اللاهوتي الألماني يوليوس ڤلهاوزن النظريات الخاصة بالتوراة وأضاف إليها نظريته، من أنها مكونة من جملة وثائق والتي ما زالت مقبولة الآن (ولزيادة الإلمام بهذه النظرية وتطورها إرجع إلى مصار التوراة على الصفحات ٢٨، ٢٩، وتكوين التوراة على الصفحات ٣٠، ٣١).

كما تناول الشك مصادر أسفار العهد الجديد ومَن كتبوها في السنوات المبكرة من النقد الكتابي ففي البداية بدأ العلماء يعتقدون أن ليست كل الرسائل المنسوبة لبولس، قد كتبها هو. فلعل البعض منها كتبها تلاميذه الذين استعاروا اسم بولس ليضفوا عليها أهمية أكبر (وكانت هذه عادة شائعة في عصور الكتاب المقدس) وسرعان ما ظهرت آراء كثيرة عن أي الرسائل كتبها بولس حقاً، كما بدأ العلماء يتساءلون عمن كتب الأناجيل ومتى، قائلين إن أسماء البشيرين متى ومرقس ولوقا ويوحنا لم تطبق على الأناجيل إلا في القرن الثاني وقد لا تكون دقيقة وبناء عليه فحصوا الأناجيل بالتدقيق بالوصول إلى دليل داخلي عن المؤلف والمصادر التي بنى عليها المؤلفون كتابتهم. وقد أثمر العمل في هذا المجال ثمراً غزيراً في القرن العشرين عندما اكتشف العلماء الكثير عن كيفية كتابة الأناجيل.

"نظراً لأن في الكتاب المقدس، يتكلم الله من خلال أناس بطريقة بشرية، يتبع ذلك أن المفسر يجب أن يبحث بدقة عن المعنى الذي كان حقاً في فكر الكاتب."

المجمع الفاتيكاني الثاني



ڤلهاوزن

(١٨٤٤ - ١٩١٨م.)

قام بتجميع النظريات المعاصرة له عن كتابة الأسفار الخمسة الأولى. ثم طوَّر فرضيته الوثائقية التي انتشرت وصارت مقبولة على نطاق واسع، وهي التي تقول بأن هذه الأسفار تتشكل من أربع روايات مختلفة ومنفصلة.



يعتقد بعض العلماء أن بولس لم يكتب الرسالتين إلى تيموثاوس الموجودتين في العهد الجديد مع أن تيموثاوس مصور مع كاتب الرسالة، بولس في هذه المخطوطة التي ترجع إلى القرن الرابع عشر من تاريخ الكتاب المقدس الفرنسي بريشة جيورت ديسموليتس.

عَوْدَةُ النُّقَادِ إِلَى الأَسَاسِيَّات



هرمـان جنكل
(١٨٦٢- ١٩٣٧م.)
قاد البحث في مجال استكشاف الظروف التاريخية التي يمكن أن تكون قد كتبت فيها أجزاء صغيرة من النصوص الكتابية.

المراثي

بَيَّن أحد اتباع هرمان جنكل، وهو برنارد أندرسن، التشابه الشديد بين مزامير المراثي وصلاة المرثاة البابلية لعشتار باستبدال كلمة «سيدة» بكلمة «رب». وكان يعتقد أن الصلاة البابلية يمكن بسهولة أن تحل محل أحد المزامير الكتابية.

في نهاية القرن التاسع عشر كان نقاد الكتاب المقدس قد فحصوا وحللوا تماماً مصادر غالبية الأسفار الكتابية، ولكن ظل هناك عمل يجب أن يُعمل. نوع جديد من النقد التاريخي يُعرَف بنقد الشكل (Form Criticism) كان قد ظهر بهدف دراسة الأشكال الأدبية المختلفة الموجودة في الكتاب المقدس. فبالعودة إلى أساسيات الأسلوب الأدبي المستخدم في العصور الكتابية كان أولئك العماء يرجون أن يفهموا بصورة أفضل ما أراد كاتبوا الكتاب المقدس أن ينقلوه.

نقد الشكل والعهد القديم

وافق عالم اللاهوت الألماني هرمان على ما تم عمله في دراسة المصادر الكتابية ولكنه اعتبرها محدودة في دائرتها. فإلى ذلك الوقت، كان العلماء قد تعاملوا مع الكتاب المقدس باعتباره مادة قد تناقلتها الأجيال في شكل مكتوب، ولكن جنكل قال إن الكثير من المادة الكتابية جاء من التقليد الشفهي فقد انتقل بالكلمة من الفم على مدى فترات طويلة من الزمن فهي قرون بالنسبة لأجزاء من العهد القديم وعقود بالنسبة للأناجيل. وفي تعليقه على سفر التكوين الذي نشر في ١٩٠١م. قال جنكل أنه لفهم كتَّاب العهد القديم من الضروري الاستقصاء الكامل عن التاريخ الكامن وراء النصوص الكتابية التي وصلت إلينا. فقد أدرك جنكل أنه من المستحيل معرفة الكتَّاب الفعليين وتوريخ الكتابة لأغلب أسفار العهد القديم، ولكن للتأكد من المعاني الأصلية، رأى أنه من اللازم فص الوحدات التي ترجع إلى تقليد مبكر عن المادة التي أضيفت في تواريخ لاحقة. وللقيام بهذا الفصل، عكف جنكل على تحديد الصيغة الأدبية التي تم التعبير بها عن فكر معين. وبعد الفحص الدقيق لعناصر الأسلوب في الكتابة، قسَّم النص إلى أساليب مختلفة مثل أناشيد، ونبوات، وقصص معجزات وحكايات شعبية.

وفي الأيام التي انتقلت فيها القصص الكتابية بكلمة الفم، تطورت هذه الأساليب لتروي أشكالاً معينة من القصص. فخدمت جزئياً لمساعدة ذاكرة الراوي، وجزئياً لإثارة وعي السامع. لذلك فإن القصص التي تنتمي إلى نوعية معينة كانت دائماً تتبع نموذجاً محدداً، مع بعض التنويعات أحياناً. (انظر المربع المقابل الذي يتناول قصص «الإعلان عن الميلاد»). ولتحديد الشكل الأدبي لجزء كتابي، فمن اللازم التنقيب فيما أطلق عليه جنكل أسلوب الحياة الذي أدى إليه. وكان جنكل يعني بأسلوب الحياة كل الظروف التي كانت تحيط براوي القصة وسامعيه أو الكاتب وقرائه الأوائل في المراحل

الإعلان عن الميلاد

من بين الأشكال الرئيسية المستخدمة في الكتاب المقدس كان ذلك الشكل المخصص للإعلان عن ولادة طفل مميز. فقد اتبعت هذه القصص الخاصة بالإعلان نموذجاً محدداً وبسيطاً، مع وجود بعض التنويعات، وهذا النموذج ساعد رواة القصص والوعاظ على تذكر القصة، كما ساعد الآخرين على إدراك أن ثمة ميلاد وشيك لشخص غير عادي ومميز. توجز قصص إعلان الميلاد في العهد القديم في قصة ميلاد إسماعيل (تك ١٦: ٧- ١٣)، وإسحق (تك ١٧: ١٥- ٢١)، ونسخة أخرى في (تك ١٨: ١- ١٥) وشمشون (قض ١٣: ٢- ٢٣). وفي العهد الجديد يسبق الإعلان عن الميلاد في حادثة يوحنا المعمدان (لو ١: ٥- ٢٠) ويسوع (لو ١: ٢٦- ٣٧ ومت ١: ٢٠- ٢١).

وبشكل عام فإن عناصر قصة الإعلان عن الميلاد هي كالتالي:

- يظهر ملاك الرب (وأحياناً الرب نفسه) للأم أو للأب.
- يصاب الأب أو الأم بخوف أو صدمة.
- ينادي الملاك الأب أو الأم بالاسم ويدعوه ألا يخاف.
- يعلن الملاك عن الميلاد القادم.
- يعطي الملاك اسم الطفل، ويفسر معنى الاسم، ويتنبأ بما سيحققه الطفل فيما بعد.
- يتكلم الأب أو الأم المستقبلي ويعرض أن هذه الولادة مستحيلة، أو يطلب علامة تؤكد أن ما يقوله الملاك صحيحاً.
- يعطي الملاك علامة لجعل الأب أو الأم متأكداً.

المتأخرة لتطور القصة. وأي نوع من الأشخاص تناقلوا القصة بعد ذلك وإلى متى انتقلت، وماذا كان يجري حولهم في ذلك الوقت؟ هل كان زمن حرب أم سلام، جوع أم رخاء، ثوران أم استقرار؟ وأي نوع من الأشكال الأدبية كان سائداً في ذلك الوقت. لقد اعتقد جنكل أن مثل هذه الظروف كان لها تأثير قوي على كيفية صياغة الرواي لمادته وتعطي المفاتيح لأي الأشكال الأدبية كانت تستخدم، هل كتاريخ أو قصة أدبية.

بعد فصل الأشكال ووضعها في إطارها الحياتي، بدأ جنكل في تقصي تطور القصص من أصولها الشفاهية لتطورها إلى دوائر أكبر أو مجموعات من القصص وأخيراً إلى الشكل التي تظهر به الآن في الكتاب المقدس. ولمساعدته على القيام بهذه العملية الطويلة الشاقة، اعتمد جنكل على الاكتشافات الأثرية الحديثة التي تكشف عن الحياة في العصور الكتابية، وعلى الحضارات في البلدان المجاورة، وبشكل خاص فحص آداب البابليين التي كثيراً ما احتوت على أشكال موجودة في الكتاب المقدس. وإن كانت لا تؤكد على «يهوه» (الاسم العبري لله) كالله الواحد والمخلص الوحيد.

وقد قام جنكل في سنواته الأخيرة بدراسات هامة للمزامير، مركزاً على خصائصها الأدبية والتطور التاريخي لأسلوب المزامير، وبدأ تقديره بتقسيم كل مزمور إلى أساليب قياسية، بما فيها مزامير الحمد، والشكر، والرثاء القومي، والرثاء الفردي (وهناك ٤٠ مزموراً من هذا النوع).

وبعد تقسيم كل المزامير، حلل جنكل كل نوع، فقسمها إلى أجزائها، فمثلاً وجد أن الرثاة الفردية احتوت على عدد من العناصر المشتركة، مثل الاستعانة باسم يهوه وطلب المعونة، والشكوى نفسها، والالتماس، والتعبير عن الثقة في الله والوعد بحمد الله. وبمقارنة نماذج المزامير الكتابية بالقصائد لمصرية والبابلية، وجد جنكل وجوه شبه مذهلة وأيقن أن المزامير لم تكن نوعاً متميزاً من الشعر العبري كما كان يعتقد قبلاً، ولكنه كان أسلوباً شائعاً في ذلك العصر. كما رأى أن بعض المزامير كان قديماً جداً يسبق عصر داود وأنها قطعت مراحل مختلفة من التغيير لتناسب حاجات العصر. وأن بعض المزامير كتب بعد ذلك بقرون في عصر السبي البابلي.

نقد الشكل والعهد الجديد

في ١٩١٩م. نشر العالم الألماني مارتن دبليوس كتابه «من التقليد إلى الإنجيل» مطبقاً نقد الشكل على الأناجيل. وبعد ذلك بسنتين نشر رودلف بولتمان كتابه الشهير «تاريخ الأناجيل المتشابهة» وفيه قسم القصص



الخاصة بالرب يسوع في الأناجيل الثلاثة الأولى بحسب موضوعاتها ونماذجها. وكانت أقسامه الكبيرة هي أقوال يسوع وقصص المعجزات، وقصص أخرى عن يسوع تشمل طفولته وآلامه وقيامته. ثم قسَّم بولتمان كل قسم من هذه الأقسام إلى أقسام أصغر وأحياناً قسم هذه الأقسام الصغرى إلى أصغر منها.

واعتقد بولتمان وآخرون أن هذه الأقسام كثيراً ما تأثرت بحاجات الكنيسة الأولى بما في ذلك التعليم والكرازة والعبادة. اعتقدوا أن هذه الوحدات قد تطورت في ثلاث مراحل، تعكس:

* إطار الحياة "*Sitz imleben*" أو الوضع في حياة الرب يسوع (تحت أي ظروف عمل الرب يسوع أو تكلم)

* الوضع في حياة الكنيسة الأولى (كيف شكل الرسل والآخرون الأحداث التي شاهدوها لتتفق مع ما كان يحدث في الكنيسة في ذلك الوقت).

* الوضع في حياة البشير الذي انتخب وشكّل المادة لتناسب قراءة الأوائل.

وعمل الناقد للشكل هو استبعاد تأثير المرحلتين الثانية والثالثة من نقلها لتصل أقرب ما يكون إلى تصوير كلمات وأفعال الرب يسوع. وفي سبيل ذلك فإن ناقد الشكل يمكنه أن يدرس اكتشاف الكنيسة للحاجات والأحداث التي جعلت البشيرين يكتبون الأناجيل بالصورة التي كتبوها بها.

إن دراسة المزامير تبين أنها كتبت خلال زمن طويل، لذلك لا يمكن أن تكون كلها من كتابة الملك الموسيقار داود الذي يُرى في صورة من كتاب للمزامير من القرن الثاني عشر.

إنشاء المزامير:
"افترضت إسرائيل شكلاً دينياً كان معروفاً في العالم القديم، وصبت فيه محتوى إيمانها بيهوه"
برنارد أندرسن
في كتابه من الأعماق
«المزامير تتحدث إلينا الآن»

"المراثي هي تسبيحات في زمن غياب الله أو في وقت كان وجوده مخفياً."
برنارد أندرسن
في كتابه من الأعماق
«المزامير تتحدث إلينا الآن»

اَلْكُتَّابُ وَالْمُنَقِّحُونَ فِي الْعَمَلِ

"إن تاريخ الشكل.. يلزمه أن يلحق به تاريخ الشكل للأناجيل. فإذا كان الأول موجه إلى أجزاء بعينها، فالثاني موجه إلى كل إنجيل ككل."
ولي ماركسن
«في كتاب مرقس البشير»

يسوع البابلي

أحياناً ينحرف العلماء عن طريق الحق، ففي ١٩٠٢م. ادعى فردريك ديلتزش العالم الألماني المتخصص في الحضارة البابلية، أن الديانة البابلية كانت أقدم من الديانة اليهودية وأسمى منها. وبين أشياء أخرى قال إن البابليين هم الذين بدأوا في تقديس يوم السبت، وأنهم أول من استخدم اسم يهوه لله. ثم أخيراً رفض العهد القديم ككتاب مقدس وأعلن أن يسوع لم يكن يهودياً بل بابلياً، وقد فندت نظرياته ولكن بعد أن أشعلت نيران معاداة السامية النازية.

ركز نقد الشكل للكتاب المقدس على أجزاء صغيرة من سفر كتابي وكيف أن هذه الأجزاء تعرضت للتنقيح في أوقات متأخرة. وقد أطلق العلماء اسم المُنَقِّح أو المختصر على الكاتب الذي جمع بين تقليدين أو أكثر معاً وعلى المحررين الذين نقحوا فيما بعد هذه الكتابات. وأخيراً ظهر نوع جديد من الدراسة أصبح يعرف باسم نقد التنقيح أو الاختصارات، وتطورت إلى دراسات كتابية الهدف منها هو اكتشاف مقاصد المنقحين الكتابيين وتحديد التأكيدات اللاهوتية التي يمكن أن يكون أولئك المنقحون قد أدخلوها على الأصول التي استخدموها. وقد زحف نقد التنقيح إلى المقدمة في خمسينات القرن العشرين التاسع عشر عندما استخدمه ثلاثة من العلماء الألمان في دراسة أناجيل متى ومرقس ولوقا.

نقد التنقيح في العهد الجديد

كان جونتير بورنكام أول عالم يفحص عمل مُنَقِّح للإنجيل، فينشر في ١٩٤٨م. مقالة يبين فيها كيف أن كاتب إنجيل متى أخذ قصة تهدئة الرب يسوع للعاصفة من إنجيل مرقس وخلع عليها معنى لاهوتياً جديداً. فيعتقد بورنكام أن تهدئة العاصفة تبين أساساً أن الرب يسوع له قوة فوق الطبيعة، لكن متى يستخدم المعجزة ليبين أن يسوع هو «مسيا الأفعال» بعد أن أثبت أنه مسيا الأقوال في الموعظة على الجبل التي تكاد تسبق قصة العاصفة. علاوة على ذلك حيث أن القصة تأتي بعد حدثين عن التلمذة (مت ٨: ١٩– ٢٢). ويجعل متى توبيخ الرب يسوع للتلاميذ تعليقاً على التلمذة، وهكذا أضاف بُعداً جديداً للحديث.

وواصل بورنكام دراساته، وفي ١٩٥٤م. نشر كتاباً عن كل إنجيل متى مطبقاً نقد التنقيح على أحاديث الرب يسوع، واستخرج أفكار متى عن الكنيسة وعلاقتها بمجيء الرب يسوع الثاني الوشيك.

وفي ١٩٥٣م. نشر هانز كونزلمان «لاهوت القديس لوقا»، وفيه جال في كل إنجيل لوقا محاولاً أن يفصل المادة التي حررها لوقا من تلك التي أخذها عن مصادره. ثم يفحص كونزلمان مادة لوقا لدوافع لاهوتية. فيوضع كل الأجزاء معاً، يصل إلى رأي ثوري عن فكر لوقا اللاهوتي.



صورة للرب يسوع يهدىء العاصفة في بحر الجليل بريشة لودولف باخويسن (١٦٣١– ١٧٠٨م.).
وقد استُخدِم نقد التنقيح أولاً في دراسة قصة تهدئة العاصف التي تظهر في هذه اللوحة.

في الماضي كان يُنظر إلى لوقا بوجه عام كمؤرخ بالمعنى الحديث لمسجل الأحداث. ولكن كينزلمان في درساته التنقيحية، يبين أن لوقا كان لاهوتياً أكثر منه مؤرخاً، فحتى الزمن والجغرافيا لهما أهداف لاهوتية في إنجيل لوقا وقد لا تعكس الأماكن الفعلية أو الأزمنة التي وقعت فيها أحداث خاصة. وفي الواقع يبين كونزلمان أن لوقا يقسم الزمن إلى ثلاث فترات رئيسية: فترة إسرائيل (وتشمل خدمة يوحنا المعمدان) وفترة خدمة الرب يسوع (وتشمل ظهوراته بعد القيامة). وفترة الكنيسة من صعود المسيح إلى مجيئه ثانية. ويذهب كونزلمان إلى أن يبين أن لوقا استخدم هذا الإطار الزمني ووسائل أخرى ليفسر التأخير في المجيء الثاني الذي كان يبدو في زمن لوقا وكأن موعده قد مضى.

وفي كتاب «مرقس الإنجيلي» (١٩٥٦ – ١٩٥٩م.) يستقصي «ولي ماركسن»، أول من استخدم عبارة «نقد التنقيح»، عن إسهامات، مرقس في مادة الإنجيل فيدرس إطار حياة البشير لكي يحقق هدف البشير ووجهة نظره في كتابة إنجيله، ويركز أساساً على ما كتبه مرقس عن يوحنا المعمدان، وإشارات مرقس الجغرافية ومفهوم الإنجيل وما كتبه عن نهاية الأزمنة (الأصحاح ١٣).

نقد التنقيح في العهد القديم

استخدم العلماء أيضاً نقد التنقيح في دراسات للعهد القديم. ففي كتاب «قراءة العهد القديم» الذي نشر في ١٩٨٤م. يعطي جون بارتون المثال لكيف أن المنقح ربط الأصحاحات الأولى من سفر التكوين بقصة إبراهيم. واستخدم المنقح لسلاسل الأنساب التي كانت تظن في وقت من الأوقات أن تكون مجرد محاولة لربط مصادر مختلفة تماماً، تخدم في الواقع هدفاً لاهوتياً هاماً في حالة جدول الأمم في الأصحاح العاشر من سفر التكوين. ففي الشرق الأوسط القديم، كانت الخليقة تعتبر أنها حدثت في زمن سرمدي غير مرتبط بالتاريخ البشري وبناء على هذا الاعتقاد استخدم منقح سفر التكوين سلاسل أنساب بسيطة ليربط قصص الخليقة بتاريخ بني إسرائيل. وبناء على ذلك يجعل النص من الواضح أن الله الواحد نفسه هو المسئول عن خلق العالم وعن توجيه تاريخه اللاحق، وهو ما ليس كذلك في كثير من الديانات. كما يبين أن الله له قصد واضح منذ لحظة خلق العالم، قصد يتم على مدى زمني مديد، ولكنه لا يتوقف أبداً. وهذا القصد هو أن يستقر ذرية إبراهيم في فلسطين.

ودرس علماء آخرون تنقيحات أسفار الأنبياء، واستنتجوا أن أسفار الأنبياء تعرضت لتنقيحات عديدة قبل أن تصل إلى الصورة التي هي عليها الآن. لعل أهمهم مارتن نوت الذي وضع أكثر النظريات قبولاً من أن أسفار يشوع إلى سفر الملوك الثاني تكوِّن عملاً واحداً، وسفر التثنية هو المقدمة له، يعيد سرد تاريخ بني إسرائيل ليبين أنهم فقدوا أرضهم وسُبوا لأنهم لم يكونوا أمناء لعهد الله، وقد بنى العلماء الذين جاءوا بعد ذلك عى هذه النظرية (ولدراسة ما اكتشفوه ارجع إلى تاريخ له وجهة نظر على الصفحات ٣٦، ٣٧) وبالإجمال فإن نقد التنقيح قد ساعدنا على فهم الفكر اللاهوتي لكُتَّاب الكتاب المقدس، وأكمل معرفتنا للتاريخ اللاهوتي لليهودية والمسيحية المبكرة بطريقة كانت سابقاً مستحيلة.

نماذج من النقد الكتابي

لقد استخدمت نماذج كثيرة من النقد الكتابي في الأزمنة الحديثة حتى لتصبح العبارات محيرة ومربكة، وفيما يلي قائمة بالأشكال الرئيسية للتفسير الكتابي المستخدم الآن، مع النقطة المركزية في كل منها:

- **النقد التاريخي**: يرجع إلى أصول النصوص الكتابية في محاولة لفهم كيف تصرف كُتَّابها وما الذي أرادوا أن ينقلوه. وهذه المدرسة تشمل الكثير من النماذج الآتية للدراسات الكتابية.
- **نقد النصوص**: وهو يصنف النسخ القديمة المختلفة من الكتاب المقدس لمعرفة أدق النصوص.
- **نقد المصادر**: يعمل على اكتشاف أي مصادر شفهية أو مكتوبة استخدمها الكتاب للأسفار الإلهية.
- **النقد الأدبي**: يهتم بفحص الكتاب المقدس لمعرفة الجوانب الأدبية في الكتاب المقدس ونماذج الكتابة والأسلوب الأدبي.
- **نقد الشكل**: يفحص الأشكال الأدبية والوحدات الصغيرة التي يتكون منها الكتاب المقدس.
- **نقد التنقيح**: يفحص عمل الكتَّاب الأصليين والمُنقِّحين للكتاب المقدس للفهم الأصح لوجهة نظرهم.
- **نقد قانونية الأسفار**: يدرس الأسفار الكتابية في سياقها كجزء من كلمة الكتاب المقدس.
- **الدراسة التركيبية**: تحاول معرفة المعاني التي تنتج عن العلاقات بين الكلمات والنماذج والأفكار.
- **تاريخ التفسير**: التفسيرات الكتابية على مدى القرون لمساعدتنا على فهم الكتاب المقدس الآن بصورة أفضل.
- **لاهوت التحرير**: يرى الكتاب المقدس كأداة فعالة لمعالجة الصراع لتحرير المظلومين.
- **التفسير النسائي**: يفحص كيفية تصوير النساء أو إساءة تصويرهن في أسفار الكتاب المقدس.
- **التفسير الأصولي**: يركز على العصمة الحرفية للنص المقدس.

دِرَاسَةُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الآنَ

في أوائل القرن العشرين استخدم علماء الكتاب المقدس أساليب النقد التاريخي للتركيز على كيف كتبت الأسفار الكتابية ونقحت إلى أن وصلت إلى الصورة التي هي عليها الآن. وفي النصف الثاني من القرن، ظهر عدد من الأساليب المختلفة من النقد الكتابي من أبسط الأشكال إلى أعقدها.

التركيز على الشكل الأخير للكتاب المقدس

في ١٩٧٠م. عبَّر بريڤارد س. تشايلدز عن عدم رضاه عن نتائج النقد التاريخي في كتابة «اللاهوت الكتابي في أزمة» ولاستكمال النقد التاريخي اقترح لاهوتاً كتابياً يكون مبنياً تماماً على الشكل القانوني أو النهائي للنص المقبول كأساس للإيمان وللحياة في جماعة الإيمان. وفي تعليقه في ١٩٧٤م. على «سفر الخروج» طبق طريقته الجديدة، مبتدئا بدراسة نقدية تاريخية للنص، وواصل دراسة تاريخ التفسير وانتهى بتأمل لاهوتي في الصورة القانونية الرسمية للنص وفي ١٩٨٥م. طبق تشايلدز أساليبه في كتابه «العهد الجديد كقانون».

صورة للأسقف أوسكار روميرو من سان سلڤادور الذي مَارَسَ لاهوت التحرير بتبشيره ضد ظلم شعبه. وقد أغتيل في ١٩٨٠م. وهو يؤدي القداس

وقد تعرض تشايلدز للنقد من البعض لاهتمامه الزائد بعلاقة سفر كتابي بغيره من أسفار الكتاب المقدس الأخرى بينما تجاهل تماماً ماذا كان يعني السفر للكاتب الأصلي، وقرائه الأوائل، قبل أن يعتبر جزءاً من الكتاب المقدس بزمن طويل. وعلى النقيض من ذلك، كتب چيمس أ. ساندرز سلسلة من الكتب كشفت العملية التي أصبحت بها هذه الأسفار قانونية. وكجزء من هذه العملية، يعتقد أن تقاليد معينة وقيماً أصبحت معتمدة وهكذا حافظ عليها مجتمع الإيمان الذي وجد فيها شخصيته وتوجيه أسلوب حياته. وقد سأل نقاد ساندرز ما إذا كان أمراً شرعياً أن نستخدم عملية التفسير التي أدت إلى تكوين القانون كالمبدأ الأساسي لتفسير الأسفار الكتابية الآن.

ويهتم نوع آخر من النقد الكتابي أكثر تعقيداً بتحليل الرموز والذي كان يعرف سابقاً بالتحليل التركيبي، على تحليل النص الكتابي كما يرد أمام القارىء في صورته الأخيرة. وقد بدأ في عمل اللغوي السويسري فرديناند دي شوشور الذي اقترح نظرية بأن كل لغة ما هي نظام من العلاقات تتبع قوانين ثابتة، وتحليل الرموز يحاول اكتشاف المعاني التي تستخرج من العلاقات بين الكلمات والنماذج والأفكار. وقد استخدم بشكل خاص في دراسة قص الآلام – وبخاصة بمعرفة العالم الفرنسي الكندي أُ. چينست في كتابه «مسيح الآلام» (١٩٧٨) والعالم الأمريكي ل. مارن في كتابه تحليل الرموز في قصة الآلام (١٩٨٠).

وقد نظر علماء آخرون في تاريخ كيفية تفسير النصوص القانونية على مدى القرون. ومثل هذه الدراسات تسعى إلى تحديد طور التفسير كما تأثر باهتمامات القراء التي أضفوها على النص على مدى الزمن. فمثلاً تاريخ قراءة سفر نشيد الأنشاد، يبين كيف أن السفر كان يدرسه آباء الكنيسة، ورهبان العصور الوسطى (وبخاصة برنارد دي كليرڤو) والمتصوفون مثل يوحنا الصليبي مما يساعد على اكتشاف كل أبعاد المعنى في النص. كما يمكن أن يكشف أيضاً التفسيرات الباطلة والضارة من الماضي مثل التفسيرات التي ساعدت على معاداة السامية أو الرق. وبناء عليه يجب استخدام الحذر والتمييز في تقييم الاكتشافات.

التفسير الكتابي والاهتمامات الاجتماعية

أحياناً يأتي العلماء باهتماماتهم الاجتماعية إلى المقدمة في تفسيرهم للكتاب المقدس متأثرين بفصول كتابية تبدي اهتماماً عميقاً بالمظلومين. هناك مدرسة فكرية جديدة تعرف بلاهوت التحرير، ظهرت على السطح في ١٩٦٨م. وحازت مكانة رفيعة بنشر كتاب «لاهوت التحرير» في ١٩٧١م. تأليف اللاهوتي البيروڤي چوستاڤو چوتيريز: فبقراءة الكتاب المقدس، استخرج علماء لاهوت

"بكتابتهم لتاريخ حياة الرب يسوع ستعرفهم"

و. مانسون

دراسة يهودية

استفاد عدد من أكثر علماء الكتاب المقدس ذكاء في الماضي من الدراسات الكتابية اليهودية لفهم أفضل للكتب المقدسة. وكان من بين هؤلاء العلماء أوريجانوس في القرن الثالث وچيروم الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية في القرن الرابع. والآن كثيرون من علماء الكتاب المقدس ينهجون على مثالهم وكثيراً ما يعمل علماء يهود ومسيحيون معاً.

سير حياة يسوع:

"كثيراً ما يقول لنا كتبة حياة يسوع عن حياتهم أكثر مما يقولون عن حياة يسوع."

فردريك ڤايڤي بروس

التحرير من وضع الناس حولهم، فآمنوا أن الله موجود في تاريخ شعبه ويأتي لهم بالخلاص، ولأنه إله الفقراء لا يستطيع أن يحتمل الظلم أو الاضطهاد. ونتيجة لذلك لا يمكن أن يكون التفسير الكتابي محايداً، بل يجب أن ينحاز إلى جانب الفقراء، اقتداء بالله، وأن يشارك في الصراع لتحرير المظلومين. وتجاوباً مع لاهوت التحرير اشترك المرسلون ورجال الكهنوت المحليون في أمريكا اللاتينية وغيرها في نشاطات سياسية ضد الحكومات التي كانت تضطهد الفقراء. وتعرض الكثيرون منهم للموت.

وتفرعت عن لاهوت التحرير مدرسة جديدة للمساواة بين الجنسين تسمى اللاهوت الأنثوي واشتدت قوتها في السبعينيات من القرن العشرين. وينتقد التفسير الأنثوي للكتاب المقدس الكُتَّاب لانحيازهم للذكور وحجبهم الوضع الحقيقي للمرأة في العصور الكتابية. واستخدم المدافعون عن النساء وسائل النقد التاريخي في كتاباتهم، ولكنهم يضيفون إليه مبدأ عاماً من الشك، فلأن التاريخ كتبه أساساً المنتصرون، فالمدافعون عن النساء يمكنهم معرفة الحق كله، فقط بعدم الثقة في النصوص كما هي، ويبحثون عن دلائل يمكن أن تكشف شيئاً مختلفاً تماماً عن النساء في الكتاب المقدس.

وقد قامت فيليس تربل في كتابها في ١٩٧٨م. عن «الله والكتابة عن الجنس» بفحص مثل هذه النصوص في سفر راعوث لاكتشاف تعبيرات عن حقوق المرأة وتحريرها، وقالت إن راعوث ونعمي مجرد اثنتين من النساء البطلات في الكتاب المقدس. وتواصل تربل كلامها بأن مثل هذه القصة من الفرح والانتصار يجب موازنتها بالقصص الكئيبة عن النساء المقهورات مثل هاجر (التي أساءت سيدتها سارة معاملتها) وابنة يفتاح (التي ضحى بها أبوها). وبعد ذلك قالت ج. تشرلي إكزم إن في (خر ١: ٨، ٢: ١٠) عملت النساء على نجاة موسى المخلص لشعبه. وحاولت كارول م. مايرز أن تقدم رأياً أكثر توازناً عن مكانة النساء في النصوص الكتابية التي في معظمها أبائية. كما أن دراسات العهد الجديد حاولت أن تعيد اكتشاف مكانة النساء ودورهن في حياة الرب يسوع والكنائس التي أسسها الرسول بولس. ففي تلك الأيام المبكرة يقول المدافعون عن مكانة المرأة إن نوعاً من المساواة كان سائداً ولكنه اختفى بعد ذلك لأن الرجال أكدوا سلطتهم شيئاً فشيئاً.

البحث عن يسوع التاريخي

منذ عصور التنوير في القرن الثامن عشر، بذل العلماء جهداً حثيثاً للكشف عن يسوع التاريخي (أي يسوع كما عاش فعلاً في الواقع) وذلك بالاستناد على قناعة مفادها أن يسوع كما هو موصوف في الأناجيل تم تلوين حياته بواسطة الآراء اللاهوتية للكنيسة المبكرة. وفي سنة ١٨٥٣م.، أكد ديڤيد شتراوس أنه من المستحيل بناء الحياة الحقيقية ليسوع (أي سيرته التاريخية الحقيقية)، غير أن عدداً لا يحصى من اللاهوتيين - ومن بينهم شتراوس نفسه - حاولوا بناء حياة يسوع الحقيقية. وقد سادت سير حياة يسوع في عدة مراحل، وآخرها كان في أواخر القرن العشرين وما زالت تسير بقوة.

فباستخدام تقنيات النقد التاريخي، قدم الكُتَّاب عدد كبير من صور يسوع التاريخي. ومن بينها صورة ليسوع كواعظ متجول يصدم الناس بأفكار جديدة عن أنفسهم، أو معلم كان يحمل رؤيا لإعادة ولادة المجتمع الذي ستُغفر خطاياه تحت عهد جديد، أو مصلح رفض العمل ضمن الفئات العادية وأصر على أن ضرورة التغيير وإلحاحه تستلزم التخلي عن بعض الشرائع اليهودية، أو شخصية غير سياسية؛ أو شخصية سياسية يعارض الاتجاه القومي الإسرائيلي لأنه كان يؤمن أن هذا الاتجاه يقود الشعب نحو كارثة اجتماعية وعسكرية، أو رجل يهودي تغلب على وصمة ميلاده غير الشرعي لكي يصير معلم (ربّي) ومتصوف.

في الوقت نفسه، هناك مجموعة تسمى «سيمنار يسوع» وهي جماعة من الباحث الأمريكيين البارزين يجتمعون لمناقشة مدى تاريخية أقوال يسوع. وتستخدم هذه المجموعة عدة إرشادات لمساعدتهم في المناقشة والجدال والتصويت على أصالة أقوال يسوع بحسب معيار تدريجي لمدى احتمالية الأصالة. وفي النهاية، تتقدم كل الآراء المتنوع بشأن تاريخية يسوع وتستمر في تقديم انعكاس لشخصيات هؤلاء الباحثين أكثر من كشفها لما كان عليه حقيقة شخصية يسوع الذي عاش قديماً فعلاً.

العلوم الإنسانية

في أواخر القرن العشرين، زاد استخدام العلوم الإنسانية في تفسير الكتاب المقدس. فاستخدم علم الاجتماع لاكتشاف الظروف الاجتماعية في العصور الكتابية، مبينة كيف أن ١٢ سبطاً مفككة أمكنها أن تصبح أمة متماسكة، وشعباً واحداً يربطهم دين واحد. كما ألقى علم الأنثروبولوچي الضوء على أفكار القرابة في العهد القديم. كما أن علم النفس والتحليل النفسي كشفا معاني الرموز.



نعمي تتوسل إلى كنتيها للبقاء في موطنهما ولكن راعوث تتبع نعمي إلى إسرائيل، والمدافعون عن المرأة يعتبرون نعمي وراعوث من البطلات.

(صورة بريشة وليم بلاك من ١٧٩٥م.)

اَلْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ كَنَوْعٍ مِنَ الْكِتَابَةِ الأَدَبِيَّةِ

التناظر

يبين روبرت أولتر في كتابه عن الرواية الكتابية، كيف أن الراوي في سفر كتابي كثيراً ما يعلق على موقف معين بإدخال التعليق مناظر في اصحاح لاحق، فمثلاً بعد أن يسرد كيف سرق يعقوب بركة أبيه لأخيه الأكبر عيسو دون عقاب. ولكن في تعليق تهكمي في نهاية القصة، ينال يعقوب جزاء خداعه فقد كان يعتقد أنه قد تزوج محبوبته راحيل، ولكنه يكتشف في الصباح أنه فعلاً قد تزوج أختها ليئة.

"علينا أن نقترب أكثر من المعاني المقصودة، لاهوتياً أو نفسياً أو أخلاقياً أو أياً كان، للسرد الكتابي وذلك بأن نفهم تحديداً كيف تم هذا السرد."

روبرت ألتر

فن الرواية الكتابية

لقد كانت أسفار الكتاب المقدس موضع الإعجاب منذ العصور الباكرة كتحفة أدبية، وقد استخدم شعراء ورواة الروايات الكتابية كنماذج لكتاباتهم وبخاصة منذ عصر النهضة. وفي أثناء القرن العشرين بدأ النقاد في فحص الأسفار الكتابية بدقة لروعتها الأدبية دون التفات إلى أي اعتبارات لاهوتية. وفي الستينات من القرن العشرين بدأت المدارس العليا والجامعات في تدريس مناهج على مدى من الزمن وبناء على ذلك بدأ علماء الكتاب المقدس استخدام وسائل التحليل الأدبي لتفسير الكتاب المقدس.

المبادىء العامة للنقد الأدبي

يرفض العلماء الذين يدرسون الكتاب المقدس كنوع من الكتابة الأدبية أي شكل من أشكال النقد التاريخ، فهم يفحصون النص الكتابي فقط، فمتى كُتب نص، فإنهم يعتقدون أن له حياة في ذاته وقد يأخذ معاني جديدة، لذلك فالرسالة التي قصد الكاتب الأصلي أن ينقلها لا أهمية لها كما يدَّعون. ويجب عدم النظر إلى نص كتابي على أنه نافذة تكشف شيئاً خارجها مثل التاريخ أو التعليم، هكذا يقول نقاد الأدب، بل بالحري يجب النظر إليه كمرآة لها معناها في ذاتها، لأن المعنى الشرعي الوحيد هو المعنى الذي يحتويه النص ذاته.

ففي دراسة نص كتابي، يفحصه نقاد الأدب فحصاً دقيقاً في تركيبه الأدبي، فهم يهتمون بعالم النص ويلاحظون الحقيقة في العبارات التي يحتويها. فمثلاً يقرأ علماء الأدب نشيد الأنشاد على أنه قصيدة حب أو سلسلة من هذه القصائد، حيث أن السفر يشبه كثيراً الكثير من قصائد الحب في الشرق الأوسط القديم.

ففي دراسة نشيد الأنشاد، يرفض علماء الأدب القراءات القديمة التي رأت فيه إشادة بمحبة الله لإسرائيل، أو محبة المسيح لكنيسته بل في الواقع إنهم يميلون إلى استبعاد أي تفسيرات لاهوتية، حيث أن نشيد الأنشاد هو أحد سفرين من أسفار الكتاب المقدس، اللذين لا يذكر فيهما اسم الله (السفر الآخر هو أستير)

كما يرفضون البحث عن أصول دينية، مثل مقارنة النص بطقوس الخصوبة القديمة، أو بالطقوس لدفن الموتى، رغم أن الأمرين قد اقترحهما النقاد من قبل.

وعوضاً عن ذلك يركز نقاد الأدب على الأسلوب الشعري لنشيد الأنشاد ملاحظين أن ثراءه في الخيال



هذا النقش على الخشب يصور (نش٢: ٣- ٦). يهتم النقاد الأدبيون بالصور الأدبية والرمزية للشعر في سفر نشيد الأنشاد. واللوحة لجوهان ڤولفجانج ڤان جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢م.) من كتاب «الكتاب المقدس في صور».

على المستويين الأدبي والرمزي. فمثلاً يرون الجنة كمكان للتغذية، سواء للنباتات أو القدرة الجنسية، والمرعى كمكان لإطعام قطيع الراعي، ولتغذية العلاقة البشرية الحميمة. كما أنهم يدرسون استخدام التكرار والأساليب المختلفة الموجودة في النص.

الأساليب الفنية في النقد الأدبي

عند تحليل سفر كتابي، يستخدم علماء الأدب وسائل النقدالأدبي الدنيوي. أي أنهم يسلطون الأضواء على النوع الأدبي للنص وأسلوبه بما في ذلك استخدام الخيال وتركيب الجملة والمفردات. والأنواع الموجودة في الكتاب المقدس هي القصة والشعر (بما فيها المزامير) والأمثال والكتابات الرؤوية (بما فيها النبوات) والبشارة، والأمثال والهجاء، والرؤى، والرعوية والخطابية والمراثي، والرسائل الكثير غير ذلك.

وفي ١٩٨١م. نشر ألبرت أولتر أستاذ أمريكي للغة العبرية والأدب المقارن، كتاب «فن الرواية الكتابي»، وهو كتاب هام عن قصص العهد القديم. وقد عامل نقاد العهد القديم الأناجيل على أنها قصص مبرزين أنها تحوي قصصاً لها حبكاتها القصصية وشخصياتها ونتائجها ويعتقدون أن الأناجيل ليست سرداً تاريخياً أو سيراً عن الرب يسوع.

ويميل النقاد الأدبيون إلى النظر إلى القصة على أنها جزء أساسي من الخبرة الإنسانية لأن الناس يعيشون في واقع أشبه بقصة. ومثل هذا الرأي يعطي معنى للقصص الصغرى التي نشارك فيها جميعاً، ويمكن رؤية هذه النظرة حتى في رسائل الرسول بولس التي تأخذ شكلاً قصصياً مبنياً على القصة المقدسة عن عمل الله المخلص الذي يتجلى على أكمل وجه في موت الرب يسوع على الصليب ليخلص الخطاة ولا يشير الرسول باستمرار فقط إلى هذه القصة الأساسية للخلاص، كما أبرز ذلك نقاد الأدب، ولكنه أيضاً يذكر قصته هو أيضاً، بالربط بين قصته الشخصية والقصة الأساسية، فيعطي معنى شخصياً لرسائله.

كما أن وحدة السفر الكتابي أو كل الكتاب المقدس تستحق الفحص. فهناك أفكار متعددة تربط النصوص وأهمها هي قصة كيف يتعامل الله البشر ويتمم خلاصهم، وعلى قياس أصغر ولكنه مع ذلك ما يزال كبيراً، كتب لوقا إنجيله بعناية وسفر أعمال الرسل. فيبدأ لوقا إنجيله في أورشليم مركز اليهودية، ويتحرك تدريجياً إلى أراضي الأمم وينتهي بروما مركز القوة الأممية، وفي مساره يعقد لوقا المتوازيات بين الأحداث الموصوفة في السفرين، فمثلاً كثير من الأحداث في محاكمة بولس تعكس أحداث محاكمة الرب يسوع وتراكيب أدبية أصغر توجد في كل الكتاب المقدس.

كما تستخدم اللغة لربط الأسفار معاً. وكثيراً ما تستخدم كلمة معينة أو عبارة معينة كأسلوب متكرر. فعبارة «يد الله القوية وذراعه الممدودة» (أو صيغها المختلفة) كثيراً ما ترد في العهد القديم لوصف كيف خلَّص الله الإسرائيليين من أعدائهم. كما تستخدم كلمة «نور» كثيراً، وكثيراً ما يشير إنجيل يوحنا إلى الرب يسوع «بوصفه الكلمة» كما تذكر أيضاً أحياناً صلات القرابة فيقال عن ميكال إنها ابنة شاول أو زوجة داود حسب موقعها في القصة في ذلك الوقت. ويشار إلى أمنون مراراً بأنه أخو ثامار في القصة التي يغتصب فيها أمنون ثامار (٢صم ١٣: ٧- ١٤).

وكثيراً ما تستخرج الدراسات الأدبية للكتاب المقدس معاني لا تذكرها الدراسات التاريخية أو اللاهوتية. وأي شخص يريد أن يقرأ الكتاب المقدس من وجهة نظر لاهوتية يستطيع أن يتعلم الكثير من الدراسات الأدبية، ولكنه قد يحتاج إلى أن يضم ما يصل إليه إلى ما كشفت عنه أساليب التحليل التقليدية.

"الكتاب المقدس له جذوره على الدوام في الحقائق الراسخة في الحياة البشرية في العالم والدراسة الأدبية حساسة لهذا البعد الاختباري."
ليلاند رايكن
أستاذ الانجليزية
في كلية هويتن إلينويس.

تكرار نقطة

لاحظ نقاد الأدب أن استخدام التكرار في الأناجيل كثيراً ما يوسِّع النقطة التي ذكرها البشير. فمثلاً في تكرار قصة إطعام الرب يسوع الجموع بطريقة معجزية، يضيف مرقس بعداً جديداً للقصة بتغييرات صغيرة عن الصورة الأولى، فقد أطعم الرب يسوع ٥٠٠٠ في منطقة يهودية، ولكنه في المعجزة الثانية يطعم ٤٠٠٠ في منطقة أممية، مبيناً أن الرب يسوع كان مهتماً باليهود والأمم على حد سواء.

خصائص الشعر العبري

ما يقرب من ثلث العهد القديم مكتوب في صورة شعرية بما في ذلك المزامير والأمثال والجامعة والمراثي ونشيد الأنشاد وبالإضافة إلى ذلك قصائد في شكل أناشيد منتشرة في الأسفار التاريخية والكثير منها في أسفار الأنبياء، وكل سفر أيوب ما عدا البداية والنهاية، مكتوب شعراً.

ويختلف الشعر العبري نوعاً ما عن الشعر الحديث. فهو لا يستخدم القوافي، ولكن يبدو أن له صيغة إيقاعية معينة، ومع أن العلماء لا يتفقون على كيفية عمله، فإن السطور في الشعر العبري تتكون من جزءين وأحياناً من ثلاثة أجزاء قصيرة، وكثيراً ما تنقسم هذه الوحدات القصيرة إلى وحدتين بينهما وقفة في الوسط. ووحدتان قصيرتان تكونان سطراً والسطران يكونان بيتاً من الشعر.

والسطران في بيت الشعر العبري متوازياً عادة في المعنى، فقد يكرر السطر الثاني في ما جاء في السطر الأول مع اختلاف صغير واحد أو أكثر، أو قد تكون له وجهة نظر معاكسة. مثل القول إن الناس الطيبين يعملون شيئاً، أما الناس الأردياء فيعملون العكس. وفي بعض الحالات، قد يتوسع السطر الثاني في معنى السطر الأول كما في الأمثال ٢٠: ١

اَلْخَمْرُ مُسْتَهْزِئَةٌ.
اَلْمُسْكِرُ عَجَّاجٌ وَمَنْ يَتَرَنَّحُ بِهِمَا فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ.

وعلاوة على ذلك، فالشعر العبري، مثله مثل الأشعار الأخرى، يتلاعب بالألفاظ ويستخدم صوراً حية لكي يزيد من تأثيره، فأمثال ١٠: ٢٦ يذكر: كَالْخَلِّ لِلأَسْنَانِ وَكَالدُّخَانِ لِلْعَيْنَيْنِ كَذلِكَ الْكَسْلاَنُ لِلَّذِينَ أَرْسَلُوهُ.

لَفَائِفُ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ

إلى اليسار: صورة لداخل الكهف الرابع حيث وجدت ١٥٠٠٠ قطعة من اللفائف.

"هذه اللفائف ليست فقط أقدم نسخة معروفة للعهد القديم، ولكنها تخص الأسينيين، وهم طائفة يهودية متنسكة سرية عاشت منذ نحو ألفي سنة مضت ويُعتقد أنه كان لها أثر عظيم على ال مسيحيين الأوائل."

ماجن بروشي

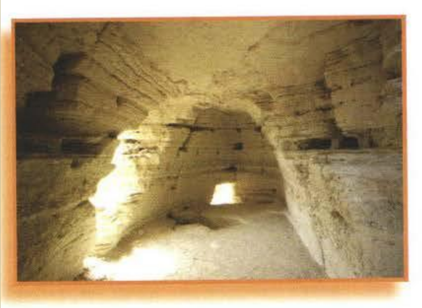
أمين متحف الكتاب في أورشليم

لفيفة المعبد التي تبين التخطيط لمعبد يهودي نموذجي جديد، وهي واحدة فقط من نحو اثنتي عشرة لفيفة من لفائف البحر الميت التي بقيت سليمة تماماً إلى حد ما، بينما غالبية اللفائف أي نحو ٨٠٠ لفيفة تقريباً وصلتنا على شكل قصاصات ما زالت موصولة ببعضها.

منذ أن طوح الشاب داود حجر مقلاعه فقتل جليات، لم يوجد حجر راعٍ آخر، حتى شتاء ١٩٤٦ - ١٩٤٧م. كان راعٍ شاب يرعى قطيعه على شواطيء البحر الميت، على بعد نحو ٢٤ كيلو متر شرق أورشليم، كما تقول القصة، رأى كهفاً في منحدرات الجبل فوقه، فرمى بحجر وسمع تكسر إناء فخاري وعندما استطلع الأمر وجد ثلاث لفائف كانت محفوظة داخل أواني فخارية، كانت إحدى هذه اللفائف نسخة كاملة من سفر إشعياء مكتوبة منذ نحو ١٥٠ سنة قبل عصر الرب يسوع، أي منذ أكثر من ١٠٠٠ سنة أقدم من أي نسخة سبق اكتشافها.

فإلى ذلك اليوم، كانت أقدم نسخة معروفة لسفر إشعياء وسائر أسفار الكتاب المقدس اليهودية ترجع إلى نحو ٩٠٠م. وهي النسخة العبرية الماسورية والتي كانت النص المرجع الذي استخدم في غالبية ترجمات الكتاب المقدس الحديثة بما فيها ترجمة الملك جيمس.

وبدأ علماء الآثار والرعاة المحليون في التنقيب في الكهوف في المنطقة المجاورة للكهف الذي اكتشفه الراعي وما اكتشفوه طوال العقد التالي كان مكتبة مختفية من كتابات يهودية مقدسة تعود إلى ما بين ٢٥٠ ق.م. إلى ٦٨م. عندما اكتسح الجنود الرومان المجتمع الصحراوي الذي كان يمتلك تلك المكتبة. وكان بها كل



أسفار العهد القديم ما عدا سفر أستير وإن كان بعضها في قصاصات صغيرة من اللفائف قد أبلاها الزمن أو الحيوانات أو الناس.

أحجية الصور المتقطعة الرهيبة

كان متناثراً بين ١١ كهفاً في منحدرات ووديان بالقرب من البحر الميت بقايا حوالي ٨٠٠ مخطوطة. نحو ٢٠٠ منها كانت نسخاً من أسفار العهد القديم، كان منها تقريباً ١٢ مخطوطة سليمة، أما الباقي فكانت شظايا مفتتة، ونحو ٢٥٠٠٠ منها قد لا تزيد عن ظفر الإصبع، وما زال العلماء يحاولون جمعها معاً.

وهناك ثلاثة أنواع متميزة من الكتابة في مكتبة البحر الميت: الأسفار الكتابية، وتعليقات على أسفار

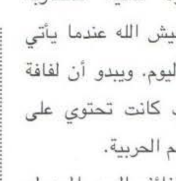
كتابية، وكتابات دينية هامة مثل كتب صلوات، وقواعد للعيشة بمقتضاها، ومجموعات من الرؤى. وإحدى اللفائف تعرف باسم اللفيفة النحاسية لأن النص منقوش على صفائح نحاسية، تحدد ٦٤ موقعاً لكنز مدفون مثل الذهب، والفضة والعطور واللفائف. وأوصاف المواقع تبدو غامضة ومشفرة، ولعل هذا كان القصد منها أن تكون تذكير فقط لقادة الجماعة العارفين بالمواقع.

وبالنسبة لعلماء الكتاب المقدس، مثل هذه الكنوز قليلة الأهمية نسبياً، فهم أكثر اهتماماً بالأسفار الكتابية في هذه المكتبة القديمة، مثل أشهر وثيقة وهي لفيفة سفر إشعياء الكاملة، وما اكتشفه العلماء هو أن الأسفار الكتابية وشظاياها التي وصلت إلينا مماثلة بصورة مذهلة للنص الماسوري التقليدي الذي كتب بعدها بنحو ألف سنة، ويدل هذا على أن الأسفار الإلهية اليهودية كانت أخذت صورة محددة في القرن الأول وأن الكتاب قد حافظوا على الكلمات المقدسة بدقة بالغة.

غير أن هناك بعض الاختلافات وبخاصة في المزامير والذي هو كتاب ترانيم إسرائيل. فإحدى اللفائف التي تحتوي على الثلث الأخير من المزامير تضع المزامير بترتيب غير المعتاد، كما أنها تحتوي على ثلاثة أناشيد لم تكن معروفة من قبل، وكذلك على سبعة أخرى حذفت بعد ذلك من الكتاب المقدس اليهودي ولكنها حفظت في الأبوكريفا، وهي النسخة اليونانية من الأسفار اليهودية المقدس. ويرى بعض العلماء أن هذه اللفيفة كانت مجموعة من مزامير داود، بينما يرى علماء آخرون أنها كانت مجموعة تستخدم في طقوس العبادة.

وهناك تعليقات على الأسفار الكتابية مثل سفر إشعياء وحبقوق وهوشع تبين أن جماعة البحر الميت كانت لها طريقتها الخاصة في تفسير الكتاب المقدس، فكما أن المسيحين ألقواء ضوءاً قوياً على الإشارات إلى الرب يسوع في الكتاب المقدس اليهودي، فإن جماعة البحر الميت وجهوا التفاتاً خاصاً إلى الرسائل والتلميحات إلى نهاية الأزمنة عندما يهزم الله الخطية ويقيم ملكوت البر. فقد كان هؤلاء الناس يؤمنون أن النهاية قريبة وأنهم هم «أبناء النور» الذي سينضمون إلى جيش الله لهزيمة «أبناء الظلمة» وهم الرومان وسائر الناس الخطاة.

وتكشف كتابات أخرى في هذه المكتبة أكثر من ذلك عن الناس الذين خلفوا هذه اللفائف. فالكتابات الخاصة بالقواعد مثل كتاب «قواعد الجماعة تبين أنه كان لديهم مستوى عالٍ من الطهارة الطقسية، فكانوا يغتسلون اغتسالات طقسية يومياً حتى يظلوا طاهرين بصورة كافية للمحاربة في جيش الله عندما يأتي ذلك اليوم. ويبدو أن لفافة الحرب كانت تحتوي على خطتهم الحربية.



ولفائف البحر الميت لم تساعدنا فقط على معرفة الدقة التي راعاها الكتاب اليهود في حفظ كتاباتهم المقدسة. بل إن هذه اللفائف أتاحت لنا نافذة لرؤية حياة وممارسات جماعة من اليهود عاشوا في الزمن وبالقرب من المكان الذي ولدت فيه المسيحية، لقد كانوا ينتظرون الله، ولكنهم لم يعرفوه عندما جاء.

ومنذ ١٩٦٥م. تُعرَض أجزاء من لفائف البحر الميت في أورشليم في المتحف الإسرائيلي في جناح يسمى مزار الكتاب.

مساعدة فضائية للمخطوطات

بعض أحبار لفائف البحر بهتت بدرجة كبيرة حتى أن الحروف صارت لا يمكن قراءتها بالعين المجردة. ولكن الحروف ظهرت بوضوح عندما تم تصويرها بفيلم حساس للأشعة تحت الحمراء. وكان أول من استخدم هذا الفيلم هو برنامج الفضاء كطريقة لتصوير ودراسة الأرض باستخدام أجهزة التصوير في الفضاء.

لمن كانت هذه المكتبة

يقول غالبية الخبراء بالكتاب المقدس إن لفائف البحر الميت قد نُسِخَت وحفظها جماعة من الرهبان شبه اليهود يسمون الأسينيين (الأتقياء) وكانوا من الرجال غالباً عاشوا في مجتمع صحراوي يسمى «قمران». وكان مقر إقامتهم قرية صغيرة مسورة على جرف جبلي منعزل بالقرب من شواطيء البحر الميت، وهو مساحة من الماء شديد الملوحة حتى أن السمك لا يمكنه أن يعيش فيه.

ومن الواضح أن الأسينيين قد قطعوا كل الروابط مع اليهود الآخرين في نحو ١٥٢ ق.م. عندما نجح أحد القادة اليهود في حرب الاستقلال الناجحة عن سوريا، أعلن نفسه رئيس كهنة جديداً. ومثل الفريسيين والصدوقيين، كان الأسينون يمثلون فرعاً متميزاً من الإيمان اليهودي، مثلما يمثل المعمدانيون والانجليكان والكاثوليك طوائف مختلفة من المسيحية.

وعندما انسحبوا من المجتمع اليهودي، أخذ الأسينيون معهم الكتابات اليهودية المقدسة التي حفظوها بنسخ صور منها، وأضاف القادة فيهم كتابات جديدة مثل نبُوات عن أزمنة النهاية القريبة. ومما يدعو للعجب أن ما جاء كانت نهاية مجتمعهم، فبينما كان الجنود الرومان يقضون على تمرد يهودي شامل، دمروا المستعمرة التي كانوا يعيشون فيها في ٦٨م. وكان للأسينيين نقطة امتياز لوجودهم على الحافة العليا والأرجح أنهم استطاعوا أن يروا الجيش وهو يزحف من بعد أميال عديدة. ويبدو أنه في تلك اللحظات الهوجاء أن أمر قادة المكان بتخبئة اللفائف في الكهوف القريبة. وقد خبئت غالبية اللفائف، أكثر من ٥٠٠ في الكهف الرابع عبر واد عميق قرب هذا المكان.

وقد وجد الكثير من الأسوار المحترقة ورؤوس السهام الرومانية في خرائب قمران مما يثبت النهاية العنيفة لمستعمرتهم.

بَحْثاً عَنْ نَصٍّ يُعْتَمَدُ عَلَيْه

"إن مهمة نقد نص من النصوص يستلزم الفحص بدقة بالغة لكل القراءات المتباينة على مدى التاريخ لهذا النص، وفصل الأصيل من الزائف. فالنسخة الأصيلة هي التي تثبت صحتها أمام اختبارات تحليل النصوص، أما الزائفة فهي نتيجة محاولات مبكرة لتجديد النص ليتفق مع العصر وجعله مفهوماً عند مجتمع معين أو تخليصه من أخطاء غير مقصودة في النسخ."

چيمس أ. ساندوز
ناقد للنصوص

اللجوء للتخمين

عندما تفشل مقارنة النصوص القديمة في توضيح معنى آية من الآيات التي تبدو بلا معنى في اللغة الأصلية، يصبح لزاماً على العلماء أن يلجأوا إلى التخمين. فمثلاً النسخة العبرية لعاموس ٦: ١٢ هي: «هل يحرث أحد في الصباح؟» وهو ما لا يؤدي معنى صحيحاً ولكن بتغيير الكلمة العبرية «باكر» إلى «بقر» يمكن ترجمة الآية «هل يحرث أحد البحر بالبقر؟» وهو ما يأخذ به العلماء الآن منذ ١٧٧٢م.

لقد ابتهج علماء الكتاب المقدس بشدة باكتشاف لفائف البحر الميت وبخاصة بتلك التي بها نصوص كتابية. فهذه المخطوطات أقدم جداً من كل نسخ أسفار العهد التي كانت متاحة من قبل، وقد دفعت العلماء إلى دراسة النصوص الكتابية الأساسية بحماسة متجددة وبخاصة لأن هذه النصوص القديمة اتفقت في غالبيتها مع النسخ الموجودة بين أيدينا ولكن البعض منه به اختلافات صغيرة، بينما كان بعضها به اختلافات جذرية. ولذلك ثارت التساؤلات عن أي النسخ هي أكثرها أصالة.

الاختلافات والإضافات في العهد القديم

بعد عام ٧٠ م. عندما غزا الرومان أورشليم ودمروا الهيكل، وضع اليهود القائمة القانونية لأسفارهم المقدسة، وقبلوا النصوص التي كانت لديهم في ذلك العصر واعتبروها هي المعيار ولم يسمحوا بأي تغييرات فيها، وقد تم نسخ هذه النصوص بكل عناية بواسطة من الكتبة اليهود على مر السنين، وهكذا أصبحت تعرف بالنصوص الماسورية على اسم جماعة الكتبة الذين نسخوها.

غير أنه قبل ٧٠م. تعرضت الأسفار اليهودية المقدسة للتغيير والإضافة. فالنسخة السبعينية وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم التي بدأت في القرن الثالث قبل الميلاد، تحتوي على أسفار لا تظهر في القائمة القانونية للأسفار. ونسخ للأسفار القانونية تختلف جذرياً عن النصوص الماسورية ، كما أن لفائف البحر الميت تحتوي على نسخ أقدم للأسفار اليهودية، لعل البعض منها قد استخدمها الذين ترجموا النسخة السبعينية.

بل توجد بعض التغييرات في التوراة، وهي الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس. والتي تعتبر أقدس الأسفار اليهودية لأنها تكوِّن الناموس. فمثلاً في كل الكتب المقدسة توجد الوصايا العشر مرتين، أولاً في سفر الخروج ثم في سفر التثنية. ففي (خر ٢٠: ١١) السبت المذكور لحفظ السبت هو أن الله خلق الكون في ستة أيام واستراح في السابع وبارك ذلك اليوم وقدسه. وفي (تث ٥: ١٥) السبب لحفظ يوم السبت لأن الله أمر به عندما انقذ الله بني إسرائيل من العبودية في مصر. وفي نسخة من سفر التثنية وجدت بين لفائف البحر الميت، يرد السببان لحفظ السبت بإضافة النص من سفر الخروج إلى التثنية.

ويفحص نقاد النصوص مثل هذه الاختلافات لتقرير ما إذا كانت قانونية أو غير قانونية، وعادة يعتبرون مثل هذه التغييرات المذكورة على أنها محاولة من الكاتب للتوفيق بين النصوص بالجمع بين الأمرين الخاصين بالسبت وجعلهما واحداً على صورة وصية طويلة.

النصوص الكتابية المعيارية

قبل الشروع في إنجاز ترجمة جديدة للكتاب المقدس من اللغات الأصلية، يجب على المترجمين أن يقرروا أية نسخة سيستخدمونها. ومع أنهم على الأرجح سوف يستشيرون نسخ أخرى بل حتى ترجمات أخرى، إلا أنه يتوجب عليهم الاستناد إلى نص واحد بعينه. وبالرغم من بعض الآراء المعارضة، إلا أن معظم العلماء يتفقون عموماً على أفضل النسخ للنصوص الكتابية العبرية واليونانية.

النص المعياري للعهد القديم هو The Bible Hebraica Stuttgartensis المنشور في شتوتجارت بألمانيا في ١٩٦٦ - ١٩٧٧م. الطبعة الرابعة من تحرير رودلف كيتل في ١٩٠٢م. والنص الكتابي من مخطوطة The Leningrad Codex. والتي يرجع تاريخها إلى سنة ١٠١٠م، مما يجعلها أقدم نسخة كاملة من العهد القديم، لكنه يتضمن أيضاً ملاحظات بشأن القراءات المختلفة ومن ضمنها البعض من لفائف البحر الميت. وهناك نسخة جديدة نُشِرَت في سنة ٢٠٠٥م.

أما النص المعياري للعهد الجديد فهو الطبعة الرابعة من العهد الجديد اليوناني المنشورة في سنة ١٩٩٣م. هذه النسخة تم إعدادها من قِبَل فريق دولي من العلماء تحت إشراف جمعيات الكتاب المقدس المتحدة. وهو يحتوي على النص الأساسي علاوة على تقيمات للقراءات التي تختلف عن هذا النص في المخطوطات المبكرة، واستشهادات من آباء الكنيسة والترجمات القديمة مثل السريانية والقبطية واللاتينية والأرمينية والجورجانية والسلافية القديمة.

ولكن هذا التغيير يرينا أنه قبل ٧٠م. لابد أن اليهود كانوا يعتبرون الرسالة العامة للأسفار الإلهية أهم من الكلمات بحذافيرها. فالكلمات يمكن استخدامها لتأدية معان مختلفة حسب الأزمنة، بل ويمكن إضافتها بدون الانقاص من قيمة الكتابة.

وفي لفافة أخرى من لفائف البحر الميت، توجد سبعة أسطر مضافة إلى نشيد مريم (خر ٥: ٢١) التي تتغنى بنصرة الله في قيادته للإسرائيليين إلى الحرية بشق مياه البحر الأحمر. وللحكم عى صحة هذه السطور المضافة، لاحظ نقاد النصوص أنه لم يحتفظ بها الكتَّاب المتأخرون ولم تُقتبس أو يشار إليها في أية كتابات يهودية. وبناء على ذلك، رفضها بعض النقاد باعتبارها إضافات من الناسخ، وليست أصيلة، والأرجح أن هذه الأسطر الزائدة كانت طريقة الناسخ للتوضيح والتأكيد للجيل الجديد من قراء الرسالة اللاهوتية بأن الله هو الذي حرر إسرائيل عند البحر الأحمر وليس موسى.

وهناك تغييرات أخرى للمساعدة على توضيح كلمات أو عبارات في النصوص الماسورية التي تبدو في غير محلها أو حتى غير صحيحة. وكثيراً ما تعلق النسخة الماسورية على مثل هذه النصوص في الحواشي، ولكنها تحتفظ بالقراءة التقليدية، لتترك للقارىء الحكم على مدى صحتها. ويحاول العلماء الآن وضع أسس ثابتة لتفسير أو ترجمة الفصول الغامضة بالرجوع إلى نسخ قديمة أخرى مثل لفائف البحر الميت، والنظر في الترجمات الأقدم لهذه الفصول، ثم يختارون ما إذا كانوا يستخدمون النص القانوني المُشكل أو غيره.

التعامل مع الاختلافات

للأسف لا يوجد للعهد الجديد ما يقابل النسخة الماسورية، بل في الواقع هناك أكثر من ٥٣٠٠ مخطوطة للعهد الجديد، وترى بعض التقديرات أن فيها اختلافات أكثر مما في كل العهد الجديد من كلمات. ومع أن البعض يقولون إن ٩٥٪ من هذه الاختلافات لا تغير المعنى الحقيقي للنص، فقد توجب على العلماء أن يغربلوا هذه المخطوطات ليحددوا أكثرها احتمالاً في أن يكون دقيقاً ويقارنون بين هذه النسخ للوصول إلى ما يتوقعون أن يكون القراءة الأصلية.

وعلى توالي السنين، وضع نقاد النصوص قواعد لمساعدتهم على تحديد صحة النصوص في كلا العهدين القديم والجديد رغم أن هذه القواعد لا تؤدي على الدوام إلى أفضل القراءات ويجب الحذر الشديد في تطبيق هذه القواعد. وإحدى هذه القواعد هي أن القراءة الأقصر هي الأكثر احتمالاً أن تكون الأصل. فالكتاب كثيراً ما أضافوا مادة لجعل النص أكثر فهماً عند قرائهم، ولكنهم نادراً ما حذفوا أي شيء لأنهم اعتبروا الأسفار المقدسة هي كلمة الله المقدسة. وقاعدة أخرى هي أنه كلما كانت القراءة عسيرة الفهم، فالمحتمل أن تكون هي الأصلية، حيث أن الكتبة كثيراً ما يُبَسِّطون النصوص ليجعلوها واضحة لقُرَّائهم، ولكن لم يكن من المحتمل أن يشوهوا القراءة.

كما يبحث نقاد النصوص على بدائل للكلمات التي تبدو متشابهة في النطق أو تبدو هكذا لإزالة الأخطاء غير المتعمدة من الكتاب. وبالإضافة إلى ذلك، إنهم يبحثون عن المقاطع التي يمكن أن يكون الكاتب قد سها عنها بأن تخطى سطراً أو انتقل من استخدام معين للكلمة إلى استخدام متأخر لنفس الكلمة، وهكذا عن غير قصد حذف كلمات في الوسط.

ومع أن المشكلات في النصوص في العهد القديم ما زالت في حاجة إلى حلول، فإن الثقة في النصوص الماسورية جعلت عمل العلماء أيسر. والعدد الرهيب من القراءات المختلفة في مخطوطات العهد الجديد ستجعل نقاد العهد الجديد يواجهون عَملاً شاقاً على مدى سنين عديدة آتية.



صورة منحوتة في الخشب لسكونر ڤون كارولسفيلد (١٧٩٤- ١٨٧٤م.) تبين الله مستريحاً في يوم السبت بعد أن خلق الكون في ستة أيام، ويذكر (خر٢٠: ١١) أن هذا هو السبب في حفظ السبت، ولكن في بعض المواضع الأخرى يختلف السبب. ويدرس نقاد النصوص مثل هذه الاختلافات (صورة مأخوذة عن الكتاب المقدس المصور)

اَلتَرْجَمَاتُ الأُورُوبِّيَّةُ الْحَدِيْثَةُ

"الله هو أعظم لغوي، فهو يتكلم لغتك ويتكلم لغتي ولكي يستطيع كل الناس أن يستمعوا إلى الله يتحدث بلغتهم، فإننا نترجم الكتاب المقدس إلى مختلف اللغات"
ميلر ميللوي
من جمعيات الكتاب المقدس المتحدة

النصوص الهولندية في العصور الوسطى

بينما تركزت غالبية الجهود لنشر الكتاب المقدس في اللغات الأوروبية في نصف القرن الأخير على ترجمات جديدة، ففي السبعينات من القرن العشرين قام بروين من هولندا بتحرير نصوص نسخة هولندية من القرن الرابع عشر، وكان هذا جزءاً من مجموعة أكبر من نصوص كتابية هولندية من العصور الوسطى وسلسلة مرافقة من نصوص أقل تشمل التوفيق بين ثلاثة أناجيل (١٩٧٠) وحياة المسيح (١٩٨٠).

"إن الأمة التي تحصل على الكتاب المقدس في لغتها لن تظل كما هي أبداً"
مارتن بوبر

صورة للفيلسوف اليهودي الشهير مارتن بوبر (١٨٧٨ - ١٩٦٥م.) في حديقة بيته في أورشليم. وقد حاول حاول أن يعطي ترجمته الألمانية للكتاب المقدس نفس الإحساس بالنص العبري الأصلي.

مع دخول العالم إلى الألفية الجديدة، فإن ترجمة الكتاب المقدس ظلت طوال الوقت على أشدها، فظهرت ترجمات جديد في كل أوروبا، والكثير الآخر كان في طريقه للظهور، وكثيراً ما كانت تقوم بذلك جمعيات ذات طابع غير طائفي.

الترجمات الفرنسية

كان أهم كتاب مقدس يخرج من فرنسا في القرن العشرين هو كتاب أورشليم المقدس الذي ظهر بعد قليل من نهاية الحرب الثانية. ولا تقتصر شهرة كتاب أورشليم المقدس لبراعة ترجمته، بل لروعة الملاحظات الدقيقة وغيرها من الملامح. فالكتاب يحتوي على مقدمات لكل سفر من أسفار الكتاب المقدس أو لمجموعة من الأسفار (مثل أسفار الحكمة، أو أسفار الأنبياء) وتسترعي الملاحظات في الهوامش النظر إلى فصول كتابية أخرى التي كان يشار إليها في الفصل المعين. كما توجد ملاحظات تفسيرية أو لغوية في أسفل الصفحات، كما كانت به خرائط، وقوائم بأسماء أشخاص في الكتاب المقدس وجداول بها العملات الحديثة التي تعادل العملات المذكورة في الكتاب المقدس، وكذلك القياسات وشهور السنة.

وفي سنة ١٩٥٦م. التي أكمل فيها كتاب أورشليم، نشرت مطبعة جاليمارد في باريس ترجمة للكتاب المقدس أعدتها مجموعة من علماء الكتاب المقدس العظام وبالإضافة إلى ذلك فيما بين ١٩٧٤- ١٩٧٧م. ظهر كتاب مقدس من ٢٦ مجلداً قام بترجمة أندريا ناثان شوراكي إلى الفرنسية ذات الطابع العبري بالفرنسية، وكانت أول كتاب فرنسي يقوم بترجمته عالم يهودي ليشتمل على العهد الجديد. وأخيراً في سنة ٢٠٠٠م. نشرت جمعية التوراة الفرنسية كتاب «وعد الحياة» على نمط قواعد الترجمة الأساسية التي أوصى بها اليونسكو. وهي تستخدم ٣٠٠٠ كلمة فقط.



الترجمات الأسبانية والإيطالية

أول كتاب مقدس ترجم إلى الأسبانية من اللغات الأصلية تم تحت إرشاد جامعة سلامنكا الأسقفية في ١٩٤٤م. وقد تعرض للعديد من التنقيحات. ونشرت في ١٩٦٩م. ترجمة أسبانية مبنية عى أساس الترجمة اللاتينية في ١٩٦١م. وفي ١٩٧١م. ظهر كتاب مقدس في أمريكا اللاتينية بالأسبانية، وفي ١٩٩٢م. ظهرت ترجمة أسبانية مبنية على الترجمة الإنجليزية الدولية الحديثة (NIV).

ونشرت إيطاليا الكتاب المقدس البابوي في ١٩٦٨م. وكانت هذه الترجمة المعترف بها دولياً قد قامت بها لجنة من العلماء الكاثوليك والبروتستانت واليهود وراجعتها مدرسة الدومنيكان الكتابية في أورشليم. وظهرت ترجمة للعهد الجديد حاولت أن تترجم النص اليوناني الأصلي إلى الإيطالية العامية وفي خلال الخمسة والعشرين سنة التالية لنشرها وُزع أكثر من عشرة ملايين نسخة من طبعات مختلفة من هذه الترجمة، لعبت دوراً كبيراً في إثارة الحوار بين مختلف الكنائس في إيطاليا بعد قرون من التوتر والمواجهة.

الترجمات الألمانية

وقد نشرت ترجمة ألمانية تاريخية في برلين فيما بين ١٩٢٥، ١٩٣٧م. وكانت تتكون من ١٥ مجلداً قام بها فلاسفة يهود: مارتن بوبر وجوتهولد سالمون، اللذين حاولا أن يضفيا على الترجمة اللمسة العبرية الأصلية. وترجم العهد الجديد إلى الألمانية العامية في ١٩٦٧م. نُقِّحَ في ١٩٧٧م. وكانت هذه الترجمة مبنية على الكتاب المقدس «الأخبار الطيبة» الإنجليزي الذي نقحته لجنة من العلماء الكاثوليك والبروتستانت. وقد أكمل كل الكتاب المقدس في ١٩٨٠م. ترجمته لجنة مفوضة من أساقفة كاثوليك في ألمانيا والنمسا وسويسرا ولكسمبرج ولوتش، وكان من بينهم علماء من البروتستانت لمراجعة العهد الجديد الذي ظهر في ١٩٨٠م. ونشر عهد جديد بالألمانية في ١٩٩٩م. كان يختلف في أن أسفاره كانت مرتبة تاريخياً.

الترجمات الهولندية

أول كتاب مقدس كاثوليكي تمت ترجمته إلى اللغة الهولندية منذ القرن السادس عشر، نشرته جمعية بطرس كانسيوس فيما بين ١٩٢٩- ١٩٣٩م. ثم أعقب ذلك نشر ترجمة جديدة للعهد الجديد إلى اللغة الهولندية الحديثة في ١٩٦١م. والآن الكتاب المقدس الهولندي هو ترجمة باللغة الشائعة تمت ترجمته في ١٩٨٣م. وتنقيحه في ١٩٩٦م. وقد نشرت ترجمة جديدة في أسفار منفصلة في بداية الألفية.

الترجمات السلافية

في بداية الألفية الجديدة، كانت جمعية التوراة الروسية تعمل في ترجمات الكتاب المقدس إلى اللغة الروسية وست لغات فرعية تستخدم في روسيا، كما نُشرَت ترجمات (بايسطرية) يونانية - روسية، وعبرية - روسية، وكذلك نسخة نقدية من الأناجيل في اللغة السلافية القديمة.

وفي ٢٠٠١م. نشر العهد الجديد باللغة البولندية كجزء من نشر الكتاب المقدس كاملاً. وقد قام بالعمل فريق من ٣٠ عالماً بالتعاون بين الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية مما يعد مرحلة جديدة في الجهود البولندية المسكونية.

الترجمات الاسكندنافية

في ١٩٣١م. أصدرت لجنة ملكية في الدانمرك ترجمة دانمركية للعهد القديم، ثم للعهد الجديد في ١٩٤٨م. والأبوكريفا ١٩٥٧م. وفي ٢٠٠٠م. نشر الدانمركيون كتباً مقدسة باللغة الدانمركية والفارونية والجرينلاندية، مستخدمين شكلاً جديداً وملحقاً وغلافاً مرسوماً بأمر من الملكة مرجريت الثانية فقد شعروا أن الشكل النظامي يثبت أن الدانمرك وجزائر فارو وجرنيلاند يكونون مجتمعاً روحياً.

وفي النرويج تمت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة النرويجية الحديثة في ١٩٧٨م. وتم تنقيحها في ١٩٩٩م.

وفي ١٩٩٩ نشر الكتاب المقدس ٢٠٠٠م. وهي ترجمة السويدية الحديثة، وكان من نجاحها أنه في خلال أسابيع من نشرها، اشترى شخص من كل عشرة أشخاص من شعب السويد نسخة منها، وترجع شهرة الكتاب إلى الدعاية الناجحة والإعلانات المكتوب عليها آيات كتابية للإجابة على الأسئلة الهامة بخصوص مشكلات الحياة الكبرى لتشجيع الناس على التفكير.

الترجمات التركية

أصدرت تركيا أيضاً كتاب مقدس شعبي في ١٩٤١م. عن ترجمة تركية قديمة بالحروف التركية الحديثة التي حلت محل الحروف العربية. وعلى أية حال ما زالت الترجمة تشتمل على كلمات عربية كثيرة، ولذلك في السبعينيات من القرن العشرين كان الشباب من الأتراك يجدون من الصعب عليهم فهمها، ولذلك بدأت ترجمة جديدة في ١٩٧٩م. ونشر منها العهد الجديد في ١٩٨٩، وقيل عنه أنه أشبه بالموسيقى. وفي ٢٠٠١م. ظهر الكتاب المقدس كله، ولقي ترحيباً كبيراً على عكس ما حدث في ١٩٧٤م. وعندما تسبب إعلان عن الكتاب في التهديد بالعنف للصحيفة التي طبعته. وقد نشرت خمس صُحف ومحطتان للتليفزيون ومحطة راديو قصصاً عن الكتاب المقدس الجديد منوهة بأنه الترجمة الجديدة الأولى للكتاب المقدس إلى اللغة التركية منذ أكثر من ٣٠٠ سنة.

وبالإجمالي لقد حدث نشاط كبير حديثاً في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الحديثة في كل أوربا وبناء على جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، ترجم الكتاب المقدس كله إلى ٦٢ لغة أوربية مختلفة، وظهرت في بداية ٢٠٠٢م. ترجمات منفصلة للعهدين الجديد والقديم في ٣١ لغة إضافية، كما ترجمت أجزاء أصغر من الأسفار الإلهية إلى ١١٠ لغات أوربية أخرى.



البابا بيوس الثاني عشر
(١٨٧٦ - ١٩٥٨م.)
وقع في ١٩٤٢م. خطاباً يدعو فيه إلى ترجمات أدق للكتاب المقدس.

كتاب أورشليم المقدس

لم تكن الكنيسة الكاثوليكية ترغب في الموافقة على ترجمة الكتاب المقدس إلى لغات الشعب، ولكن هذا الموقف تغير في ١٩٤٧م. عندما أصدر البابا بيوس الثاني عشر رسالة عامة يدعو فيها إلى دراسات كتابية تاريخية وإلى ترجمات للكتاب المقدس جديدة وأدق.

وكان زمن صدور هذه الرسالة العامة ملائماً للأب توماس جريجوريوس تشيغلوت، وهو كاهن دومينيكاني، وناشر في باريس التي كانت تحتلها ألمانيا النازية. وكان الأب تشيغلوت قد قرر أخيراً أن الوقت قد أزف للقيام بترجمة جديدة للكتاب المقدس، ستكون مصدر تعزية وتشجيع وتعليم للكاثوليك الفرنسيين. وإذ تشجع من رسالة البابا العامة، كتب إلى العلماء في مدرسة الكتاب المقدس، وهو معهد شهير للدراسات الكتابية في أورشليم، طالباً منهم الشروع في ترجمة مبنية على أساس النصوص العبرية واليونانية للكتاب المقدس وليس على أساس الفولجاتا اللاتينية التي استخدمها المترجمون الكاثوليك القدامى. ولأن الحرب العالمية الثانية كانت مازالت مشتعلة، لم يجد استجابة لرسالته حتى ١٩٤٥م. وعندما انتهت الحرب، بدأ العمل في الترجمة وتقدم بسرعة ونشرت ترجمات مبدئية لأجزاء من الكتاب المقدس فيما بين (١٩٤٨- ١٩٥٤م.) ونقحت كل منها تنقيحاً كاملاً (بعضها أكثر من مرة). وأخيراً نشرت الترجمة في مجلد واحد في ١٩٥٦م. تحت اسم «كتاب أورشليم المقدس». وصدرت نسخة منقحة مبنية على آخر اكتشافات العلماء، في ١٩٧٣م.

ولم تكن هذه الترجمة عالية القدر فحسب ولكن التعليقات العلمية والمقدمات والملامح الأخرى جعلت من كتاب أورشليم المقدس أثمن من أن يقدر. فقد أصبح نموذجاً للدراسة الكتابية بعد ذلك. وأصدرت ألمانيا نسخة من كتاب أورشليم المقدس في ١٩٦٦م. ثم تبعتها أسبانيا في ١٩٦٧م. ثم ترجمة بلغة هنود انتاريو في كندا فيما بين (١٩٧٦- ١٩٨٧م.) واصدرت انجلترا كتاب أورشليم المقدس في ١٩٦٦م. ونقحته في ١٩٨٥م. لإدخال التغييرات التي حدثت في النسخة الفرنسية المنقحة.

ومع أن الترجمة الإنجليزية المنقحة، وكتاب أورشليم المقدس الجديد اعتمدا بالأكثر على النصوص العبرية واليونانية الأصلية في ترجمتها أكثر مما على الفرنسية، فإنها استخدمت المقدمات والملحوظات الفرنسية، كما فعلت الترجمات في اللغات الأخرى.

وقد انتشر تأثير كتاب أورشليم المقدس إلى خارج أوربا. وفي أفريقيا بدأت ترجمة للغة السواحلية في ١٩٦٧م. وظهرت ترجمة للعهد الجديد باللغة الفيتنامية في ١٩٨٦م.

اَلْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ اَلإِنْجِلِيزِيَّةُ الشَّهِيرَةُ

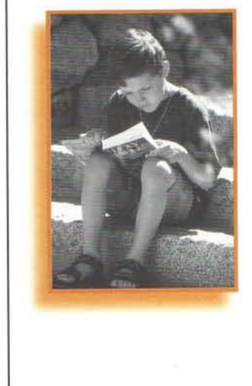
هناك العديد من الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس، فهناك مئات الترجمات والكثير في طريقها إلى الظهور.

وكل ترجمة لها طابعها الخاص أو الغرض منها والكثير منها له مواصفات لاهوتية متميزة، تختص بالبروتستانت الإنجيليين أو الكاثوليك، أو الأرثوذكس الشرقيين أو اليهود. والبعض منها يهدف إلى الناس في مستوى معين للقدرة على القراءة، وللعلماء والقراء العاديين والأطفال أو البالغين الذين يتعلمون الإنجليزية كلغة جديدة. ونسخ أخرى مكتوبة للشعوب في مختلف أقطار العالم التي لا تستخدم في غير هذه المناطق مثل بريطانيا العظمى، الولايات المتحدة الأمريكية أو أستراليا.



ومعظم هذه الترجمات بها على الأقل شيء واحد مشترك، فهي تحاول أن تلاحق اللغة الانجليزية مستمرة التغيير. فالكلمات التي كانت شائعة الاستعمال في الجيل الماضي قد لا تعني شيئاً الآن، أو أصبحت لها معان مختلفة تماماً، كما تظهر كلمات جديدة باستمرار، ولهذا السبب، تنقح الترجمات دورياً لتصبح موافقة للعصر.

فيما يلي أسماء العشر الترجمات الأكثر تأثيراً والأكثر شهرة باللغة الإنجليزية:



عشرة كتب مقدسة انجليزية مشهورة

ترجمة الملك چيمس (KJV)، ١٦١١م.

وهذه أشهر ترجمة ولعلها أفصحها في اللغة الإنجليزية، وأكثر الكتب المقدسة مبيعاً حتى ١٩٨٨م. حين زحزحتها الترجمة الدولية الحديثة إلى المكانة الثانية. وتسمى الترجمة المعتمدة أو المصرح بها في كثير من الأقطار. وهذه الترجمة كان قد أمر بها ملك انجلترا چيمس الأول كتنقيح للترجمات الإنجليزية السابقة التي كان قد أصبح من الصعب فهمها. ورغم أنها محبوبة لنظمها الشعري وأسلوبها الفخم الذي ترك طابعاً دائماً على اللغة من عهد شكسبير، إلا أنها أصبحت صعبة الفهم على الناس في الحالي (ارجع إلى صفحات ١٧٨ - ١٨١)



الترجمة القياسية المنقحة (RSV)، ١٩٥٢م. (نُقِّحَت في ١٩٨٩م. وصدرت باسم الترجمة القياسية المنقحة الجديدة NRSV).

وهي وليدة ترجمة الملك چيمس جاءت محل ترجمتين أولهما ترجمة الملك چيمس المنقحة والترجمة الانجليزية المنقحة في ١٨٨٥ لغتها إنجليزية للغاية يصعب فهمها على كثيرين من الأمريكيين، ولذلك أصدروا في ١٩٠١م. الترجمة الأمريكية القياسية وهي نسخة حديثة، والترجمة القياسية المنقحة هي الترجمة العصرية للترجمة الأمريكية القياسية. ولكن لسوء الحظ يعتبرها كثيرون من المسيحيين أنها متحررة أكثر من اللازم لأمر واحد، أن فريق الترجمة من بروتستانت وكاثوليك يهوه مصلحين، وكان يشرف عليهم مجلس الكنائس القومي الذي اتهمه المسيحيين في أثناء حركة مطاردة الشيوعيين في الخمسينات من القرن العشرين بأن ميوله شيوعية كما أن كثيرين من المسيحيين اعترضوا على ترجمة (إش ٧: ١٤)، وهي عبارات تعتبر بشكل عام نبوة عن ميلاد المسيح. والإشارة إلى أم الطفل تغيرت من «عذراء» إلى «شابة»، ورأى الكثيرون أن هذا هجوم على التعليم بالميلاد العذراوي. ومع ذلك فهذه الترجمة لعلها الأكثر قبولاً واستخداماً عند البروتستانت والكاثوليك والأرثوذكس الشرقيين. وقد استخدم في تنقيحها في ١٩٨٩م. مخطوطات أقدم وموضع ثقة أكبر كما أنها استخدمت كلمات غير محددة الجنس عوضاً عن الكلمات الأصلية التي تشير إلى الجنسين. فمثلاً بدلاً من استخدام كلمة «أبناء» Sons لوصف شعب إسرائيل استخدم التنقيح كلمة «بني» Children دون تحديد للجنس.

الكتاب المقدس الأمريكي الجديد (NAB)، ١٩٧٠م. (نُقِّحَت في ١٩٨٦)

وهو الترجمة الرسمية للكنيسة الروم كاثوليكية وهو أول كتاب مقدس كاثوليكي مترجم عن اللغات الأصلية. وهو أكثر مبيعاً من كتاب مقدس كاثوليكي آخر، وهو كتاب أورشليم الجديد (وهو أصلاً كتاب أورشليم المقدس ١٩٦٦م. ونُقِّح في ١٩٨٥م. وسمي من جديد) وقد ترجم العلماء الفرنسيون الكاثوليك في أورشليم كتاب أورشليم المقدس إلى لغتهم، فكان أول كتاب مقدس كاثوليكي من اللغات الأصلية. وقد تُرجم إلى الإنجليزية والعديد من اللغات الأخرى.

الكتاب المقدس الانجليزي الجديد (NEB)، ١٩٧٠م. (نُقِّحَت في ١٩٨٩م. باسم الكتاب المقدس الانجليزي المنقح).

وكان أول كتاب مقدس إنجليزي يخرج عن تقليد ترجمة الملك جيمس. فقد استخدمت هذه الترجمة الأصل العبري واليوناني. وقام بترجمته فريق من العلماء الإنجليز من كل الطوائف المسيحية الكبرى في المملكة المتحدة.



الكتاب المقدس الأمريكي القياسي الجديد ١٩٧١م. (NASB)(نُقِحَت في ١٩٩٥م.)

لأن عدداً كبيراً من المسيحيين اعتبر الترجمة القياسية المنقحة متحررة أكثر من اللازم، رتبت مؤسسة في كاليفورنيا فريق من ٣٢ عالماً لإصدار ترجمة جديدة لترجمة ١٩٠١م. وقد احتفظت هذه الترجمة هي الترجمة الأمريكية القياسية الجديدة بكلمة «عذراء» في (إش ٧: ١٤). ويشكو كثيرون من القراء المسيحيين من أن هذه الترجمة حرفية أكثر من اللازم ومن الصعب قراءتها. ولكن كثيرين من العلماء يفضلونها لأنها تعكس بدقة تعبيرات اللغات الأصلية.

كتاب الأخبار الطيبة المقدس (الترجمة الإنجليزية العصرية)، ١٩٧٦م.

ترجمة يسهل قراءتها وتعتبر بشكل عام ترجمة دقيقة، فهي تستخدم كلمات يستطيع أن يفهمها حتى الناس الذين لا يألفون الكتاب المقدس، ولهذا السبب، أصبحت مصدراً محبوباً للمترجمين الذين يريدون إصدار كتب مقدسة في اللغات الأخرى. وكثير من القصص الكتابية في هذه الترجمة تشعر وأنت تقرأها أنك تقرأ رواية عادية. وقد قامت بنشرها جمعية الكتاب الأمريكية.

الترجمة الدولية الحديثة (NIV)، ١٩٧٨م. (نُقِّحَت في ١٩٨٤م.)

وهي أكثر الترجمات الانجليزية مبيعاً قام بإعداد هذه الترجمة فريق من ١١٥ عالماً بتوجيه من جمعية الكتاب المقدس بنيويورك (وهي الآن جمعية الكتاب المقدس الدولية) وكلمة دولية في العنوان تدل على أن المترجمين كان قصدهم أن ترجمتهم يمكن استخدامها في أي بلاد تتكلم الانجليزية. وتظهر هذه الترجمة بتهجية الكلمات بصور فريدة لمختلف الأقطار مثل انجلترا والولايات المتحدة. وهذه الترجمة هي المفضلة من الكثير من الكنائس الإنجيلية. ويجري لها تنقيح آخر في طريقه للظهور، وتسمى الترجمة الدولية المعاصرة.. ومن التغييرات استبدال العبارات التي لا تحدد الجنس بما ينقل المعنى الأصلي. وقد صدر العهد الجديد في ٢٠٠٢م. مع الإشارة *إلى أن العهد القديم* سيصدر في ٢٠٠٥م.

ترجمة الملك جيمس الجديدة (NKJV)، ١٩٨٢م.

وهي لا تحل محل ترجمة الملك جيمس التي ما زالت أكثر رواجاً منها.. وقد حاولت هذه الترجمة الجديدة الاحتفاظ بالأسلوب الأدبي الأنيق لترجمة الملك جيمس مع التخلص من الكلمات التي عفا عليها الزمن مثل الضمائر في الإنجليزية القديمة، هي تنقل عن نفس المصادر التي استخدمها مترجمو نسخة الملك جيمس الأصلية عوضاً عن المخطوطات الأقدم.

الرسالة (The Message)، ١٩٩٣م.

وهذه الترجمة باللغة العامية تبدو وكأنها رواية عنها ككتاب مقدس، وهي ليس بها أعداد الآيات. وقد ظهر العهد الجديد منها في ١٩٩٣م. وأعقبه العهد القديم في ٢٠٠٢. وهذه الترجمة من عمل رجل واحد هو إيوجين هـ. بيترسون، أستاذ اللاهوت المتقاعد من كلية ريخت في ڤانكوڤر، في كولومبيا البريطانية، ومع أن الرسالة ليست ترجمة كلمة بكلمة، فهي تريد أن تجعل الكتاب المقدس نغمة وإيقاعاً أحداثاً وأفكاراً في اللغة اليومية الشائعة.

كتاب الحياة الجديد (NLT)، ١٩٩٦م.

من أسهل الترجمات قراءة للبالغين، وتوصف هذه الترجمة بأنها تنقيح شامل لكتاب الحياة ١٩٧١م. على أية حال كانت ترجمة كتاب الحياة ترجمة رجل واحد هو كينيث تيلور الذي لم يكن يفهم لغات الكتاب الأصلية. أما ترجمة «الحياة الجديدة» فهي عمل أكثر من ٩٠ عالماً من مختلف الطوائف الذين قاموا بالترجمة من اللغات الأصلية ومن أقدم المخطوطات التي يعتمد عليها.

"على مدى ٣٥ عاماً كراعٍ، وقفت على الحدود بين لغتين اليونانية الكتابية والإنجليزية العامية... متطلعاً على الدوام لطريقة إنجليزية لجعل النص الكتابي مناسباً لأحوال الشعب!"

إيوجين بيترسون
مترجم الرسالة

تنقيح ترجمة الملك جيمس

لم تظل ترجمة الملك جيمس على ما صدرت عليه في ١٦١١م. بل ظلت تتعرض للتنقيح دورياً لتصويب أخطاء واضحة ولتساير التغيير في هجاء الكلمات إذا لم تكن على الصورة الحديثة.

سلسلة الكتاب المقدس في الإنجليزية

- ١٦١١ ترجمة الملك جيمس
- ١٨٨٥ الترجمة الإنجليزية المنقحة
- ١٩٠١ الترجمة الأمريكية القياسية
- ١٩٥٢ الترجمة القياسية المنقحة
- ١٩٥٨ ج.ب فيلبس: العهد الجديد بالإنجليزية الحديثة
- ١٩٦٥ الكتاب المقدس المكبر
- ١٩٦٦ كتاب أورشليم المقدس
- ١٩٧٠ الكتاب المقدس الإنجليزي الجديد.
- ١٩٧٠ الكتاب المقدس الأمريكي الجديد.
- ١٩٧١ كتاب الحياة
- ١٩٧١ الكتاب المقدس الأمريكي القياسي الجديد
- ١٩٧٦ الترجمة الإنجليزية الجديدة (الأخبار الطيبة)
- ١٩٧٨ الترجمة الدولية الجديدة.
- ١٩٨٢ الترجمة الجديدة لنسخة الملك جيمس
- ١٩٨٩ الكتاب المقدس الإنجليزي المنقح
- ١٩٩٣ الرسالة (العهد الجديد)
- ١٩٩٥ الترجمة الإنجليزية المعاصرة
- ١٩٩٦ الترجمة الجديدة لكتاب الحياة

مُقَارَنَةُ التَّرْجَمَاتِ الْحَدِيْثَة

شعار التسويق

«لا يستطيع الحق أن يحرك إذا لم تستطع أن تفهمه» كان هذا شعار التسويق للترجمة الإنجليزية المعاصرة التي نشرت في ١٩٩٥م. بمعرفة جمعية الكتاب المقدس الأمريكية.

لقد مضى زمن طويل على الأيام التي كنا ندخل فيها إلى أي مكتبة ونطلب كتاباً مقدساً ثم نخرج بنفس الترجمة الموجودة عند كل واحد تقريباً. وكثيرون من المسيحيين يعتبرون هذا خبراً طيباً لأنه يعني أن هناك تنوعاً كبيراً بالنسبة للدارسين في الكتب المقدسة لسد كل الاحتياجات.

بالنسبة للدارسين في الكتب المقدسة الذين يعرفون لغات الكتاب المقدس الأصلية من عبرية ويونانية، باستطاعتهم الاطلاع على كتب مقدسة بهذه اللغات الأصلية أما للدارسين الجادين للكتاب المقدس الذين لا يعرفون اللغات الأصلية، ولكنهم يريدون كتاباً مفهوماً لهم، وكتاباً يطابق اللغات الأصلية بقدر المستطاع وهناك الكثير من هذه الكتب المقدسة بما فيها متعددة اللغات (البيسطرية) والتي تطبع اللغات الأصلية ومعها ترجمتها كلمة بكلمة. أما بالنسبة للناس البسطاء الذين يريدون كتاباً مقدساً تسهل عليهم قراءته، وهناك الكثير من هذا النوع من الكتب التي تجد فيها ما تريده.

كما أن هناك الكثير من الترجمات للكاثوليك والبروتستانت والإنجليكان وشهود يهوه، والبريطانيين والأمريكيين، والمتجددين حديثاً، وللأطفال وللجميع، فمن يبحثون عن كتاب مقدس لهم أو لأصدقائهم عليهم أن يعرفوا مختلف الكتب وبذلك يمكنهم أن يختاروا الكتاب المقدس باللغة والكيفية التي تسد حاجتهم.

مقارنة الترجمات الإنجليزية

إن الاختلاف بين الترجمات قد يكون متقارب أو متباعد للغاية وفيما يلي الصلاة الربانية كما جاءت في (مت ٦: ٩ – ١٣) ، مأخوذة من عدة ترجمات إنجليزية.

Young's Literal Translation, 1898

Our Father who (art) in the heavens! hallowed by Thy name.
Thy reign come: Thy will come to pass, as in heaven also on the earth.
Our appointed bread give us to - day
And forgive us our debts, as also we forgive our debtors.
And mayest Thou not lead us to temptation, but deliver us from the evil, because Thine is the reign, and the power, and the glory- to the ages. Amen.

New Americacn Standard Bible, revised 1995

Our Father who is in heaven, Hallowed by Your name.
Your kingdom come. Your will be done, On earth as it is in heaven.
Give us this day our daily bread.
And gorgive us our debts, as we also have forgiven our debtors.
*And do not lead us into temptation, but deliver us from evil. [For Yours is the kingdom and the power and the glory forever. Amen.]**

* هذا المقطع لم يرد في النسخ الأقدم

King James Version, 1611

Our Father which art in heaven, Hallowed by thy name.
Thy kingdom come. Thy will be done in earth, as it is in heaven.
Give us this day our daily bread.
And forgive us our debts, as we forgive our debtors.
And lead us not into temptation, but deliver us from evil. For thine is the kingdom, and the power, and the glory, for ever. Amen.

New King James Version, 1982

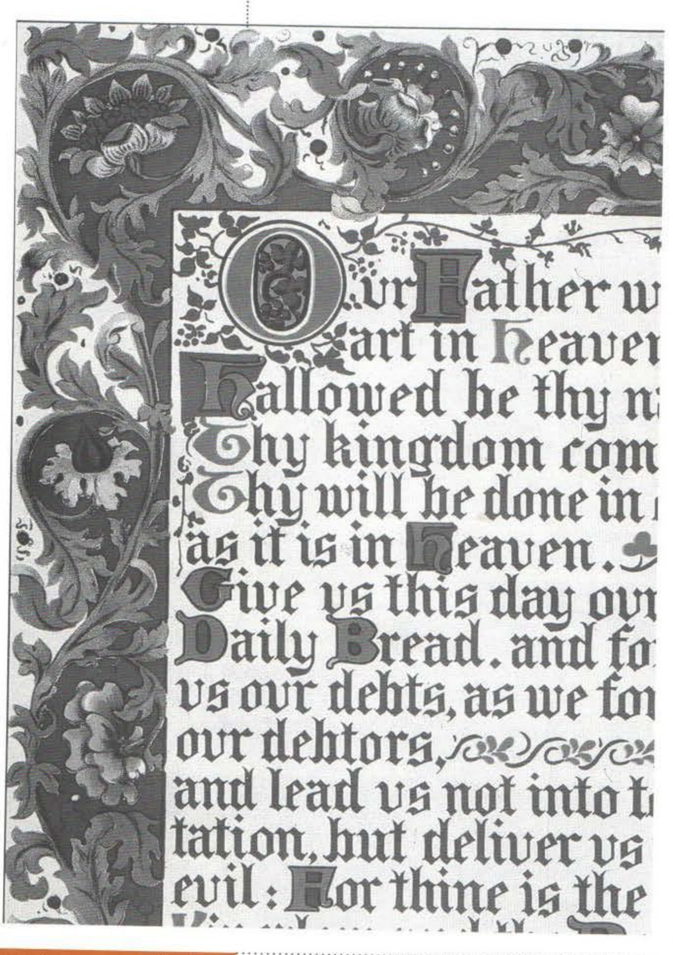
Our Father in heaven,
Hallowed be Your name.
Your kingdom come. Your will be done
On earth as it is in heaven.
Give us this day our daily bread.
And forgive us our debts,
As we forgive our debtors.
And do not lead us into temptation,
But deliver us from the evil one.
For Yours is the kingdom and the power and the glory forever. Amen.

"الترجمة هي التي تفتح النافذة ليدخل النور الذي يكسر الصدفة لنستطيع أن نأكل اللب."
مترجمو نسخة الملك چيمس

sinned against us.
And don't let us yield to temptation,
but deliver us from the evil one.

The Message, 1993

Our Father in heaven,
Reveal who you are
Set the world right;
Do what's best-
as above, so below.
keep us alive with three square meals.
keep us forgiving with you and forgiving others.
keep us safe from ourselves and the Devil.
You're in charge!
You can do anything you want!
You're ablaze in beauty!
Yes. Yes. Yes.



صورة للصلاة الربانية مأخوذة من أفضل ترجمة إنجليزية عرفت، ترجمة الملك جيمس من كتاب «في البيت يوم الأحد»، ج. هـ. هيبسلي

New Revised Standard Version, 1989

Our father in heaven,
hallowed by your name.
Your kingodm come
Your will be done,
on earth as it is in heaven.
Give us this day our daily bread.
And forgive us our debts,
as we also have forgiven our debtors.
And do not bring us to the time of trial,
but rescue us from the evil one.

New International Version, revised 1984

Our Father in heaven,
hallowed by your name,
your kingdom come,
your will be done
on earth as it is in heaven.
Give us today our daily bread.
Forgive us our debts,
as we also have forgiven our debtors.
And Lead us not into temptation,
but deliver us from the evil one.

New American Bible, revised 1986

Our Father in heaven, hallowed by your name,
Your kingdom come, your will be done,
on earth as in heaven.
Give us today our daily bread;
and forgive us our debts, as we forgive our debtors;
and do not subject us to the final test, but deliver us from the evil one.

New Living Translation, 1996

Our Father in heaven, may your name be honoured.
May Your kingdom come soon.
May your will be done here on earth, just as it is in heaven.
Give us our food for today,
and forgive us our sins,
just as we have forgiven those who have

طُرُقٌ لِتَرْجَمَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

رسم بياني لنسخ الكتاب المقدس يظهر (من اليمين إلى اليسار، التطور من الترجمة الحرفية إلى الترجمات القائمة على إعادة الصياغة. كما يعطي الرسم أيضاً مؤشراً لمدى صعوبة قراءة كل منها، فأسهل ترجمة هي (الترجمة الدولية الجديدة للقارىء NIRV) فهي في أعلى القمة. نجدها في القاع بينما الترجمة الأصعب (ترجمة الملك جيمس (KJV) فهي في أعلى القائمة)

من يقوم بترجمة جديدة للكتاب المقدس، يجد أمامه سؤالاً خطيراً عليه الإجابة عليه إلى أي مدى عليه أن يلتزم بالترجمة الحرفية للنص القديم؟

إذ كانت النبوة العبرية تتحدث عن حمل الذبيحة الآتي، فهل هذه هي نفس الكلمة التي يجب أن تستخدمها حتى لو كنت تعرف أن قراءك هم الاسكيمو المنعزلين الذين لم يروا حملاً في حياتهم؟ أم هل يمكنك أن تستبدل كلمة «حمل» بكلمة «فقمه» (عجل البحر) كما فعل مترجمو ويكلف مرة من المرات؟

فالمترجمون منقسمون بشدة بخصوص ما الذي له الأولوية، هل المحافظة على الكلمات الحرفية وتركيب الجمل في اللغات القديمة، أم ترجمة الأفكار بطريقة يستطيع أن يفهمها القارىء الآن؟ فالترجمة الحرفية تسمى «المعادل الرسمي» أو الترجمة كلمَة بكلمة، وأمثال ذلك: ترجمة الملك جيمس، ترجمة الملك جيمس الحديثة، والترجمة الأمريكية القياسية الحديثة. أما الأقل حرفية فتسمى «ترجمة فكرة بفكرة» أو «المعنى المعادل»، أو «المعادل الديناميكي» ومثال هذه تشمل غالبية الكتب المقدسة الأكثر انتشاراً وتشمل: الترجمة الدولية الحديثة (NIV)، والترجمة القياسية المنقحة الجديدة (NRSV)، ترجمة الحياة الجديدة.

إشكالية الترجمة الحرفية

هناك سبب رئيسي واحد يجعل بعض الناس يفضلون ترجمة كلمة بكلمة حتى وإن كانت العبارات الانجليزية كثيراً ما تكون مربكة وفي بعض الأحيان يستحيل فهمها

حرفي (كلمة بكلمة)	المعادل الديناميكي (فكرة مقابل فكرة)	إعادة صياغة

- ترجمة الملك جيمس KJV
- الترجمة الإنجليزية المنقحة (تحديث للكتاب المقدس الإنجليزي الجديد) (REB)
- الكتاب المقدس الأمريكي القياسي الجديد NASB
- الترجمة القياسية المنقحة (RSV)
- الترجمة القياسية المنقحة الجديدة (NRSV)
- ترجمة الملك جيمس الجديدة (NKJV)
- كتاب الحياة (LT)
- الترجمة الدولية الجديدة (NIV)
- ج.ب. فيلبس (العهد الجديد)
- الترجمة الإنجليزية المعاصرة (TEV) (الأخبار الطيبة / الأخبار الطيبة للإنسان الحديث)
- الكتاب المقدس الأمريكي الجديد
- كتاب أورشليم المقدس الجديد
- كتاب الحياة الجديد (NLT)
- الترجمة الإنجليزية المعاصرة (CEV)
- الرسالة
- الترجمة الدولية الجديدة للقارىء (NIRV)

فمثلاً الأقوال العبرية التي كانت شائعة في العصور القديمة ما زالت كما هي رغم أنها عسرة الفهم الآن. مثل «تجمع جمر نار على رأس عدوك» فقارىء اليوم تبدو له هذه العبارة على أنها نوع من التعذيب ولكنها للشخص العبري تعني أن تجعل الأعداء يندمون على ما فعلوه.

قارن بين هاتين الطريقتين في ترجمة (رو ١٢: ٢٠)، فالترجمة الحرفية: «إذا جاع عدوك فاطعمه، لأنك إن فعلت هذا تجمع جمرة نار على رأسه» الأمريكية القياسية الجديدة».

«إذا كان أعداؤك جوعى فأطعمهم، فيخجلوا مما فعلوه معك» (ترجمة الحياة الجديدة).

إن دارسي الكتاب المقدس الذين يفضلون الترجمة الأقرب للحرفية، يعترفون بأنها ترجمة أصعب لغالبية الناس في فهمها. ولكن كيف يمكن توضيح المعنى؟ فهم يصرون على ألاَّ يكون ذلك في النص نفسه، ولكن في ملاحظات في الهوامش أو في كتب التفسير أو المعاجم. ويقولون إن هذا الأسلوب يعمل على حفظ الكتاب المقدس من إدخال المترجمين للمفاهيم التي يفضلونها في نفس النص، فيقول إن نقاد كتاب الحياة، مثلاً، إن كينث بذل غاية الجهد للتأكيد على عقائده المحافظة، إلى درجة إضافة تعليقات تؤيد أفكاره فمثلاً في ترجمة الملك جيمس، يصف المدن الشريرة في سدوم وعمورة، «مكابدة عقاب نار أبدية» (يه ٧) ويضيف كتاب الحياة «هذه المدن قد دمرت بالنيران ولا تزال تحذيراً لنا بأن هناك جحيم سيعاقب فيه الخطاة».

إشكالية الترجمات الأقل حرفية

ثمة مشكلات خطيرة في محاولة ترجمة اللغات القديمة كلمة بكلمة إلى اللغات الحديثة. أولها أنه في أحيان كثيرة لا توجد الكلمات المقابلة، وعلاوة على ذلك، فمن المستحيل عادة أن تجد المقابل للتوريات وغيرها من المحسنات البديعية التي تنقل نفس العبارات في اللغة الأصلية.

وفي منتصف القرن التاسع عشر، ظهر مبدأ جديد في الترجمة. فقد بدأ العلماء يجادلون بأن أهم شيء في عمل مترجمي الكتاب المقدس، ليس الحفاظ على التركيب الحرفي للكتاب، بل أن تنقل بوضوح معناه، فبدلاً من محاولة الترجمة كلمة بكلمة وجملة بجملة، ترجموا الفكرة بالفكرة حرفياً بقدر الإمكان، وبقدر ما يلزم من الحرية. كانت هذه هي الإشارات التي أعطيت للمترجمين للترجمة الجديدة المنقحة القياسية التي نشرت في ١٩٨٩م.

وبعض الترجمات أكثر تحرراً من غيرها. وفي الواقع، إن علماء الكتاب لا يسمون بعضها ترجمات بل يسمونها «إعادة صياغة» فمثلاً في الرسالة وكتاب الحياة، ففي هذه الترجمات، ركز المترجم الذي يعمل بمفرده قليلاً على القواعد اللغوية (إذا كان قد ركز بالمرة) وركز بالأكثر على نقل الفكرة الرئيسية إذ أن هذا هو هدف السامع الذي كان يحدد مدى حرفية أو مدى تحرر الترجمة. فلو أن القراء المقصودين كانوا أطفالاً، أو بالغين، أو قراء جدد للكتاب أو من غير المتعلمين، فتكون النتيجة أن الترجمة لا تشبه إطلاقاً ترجمة الملك جيمس البليغة. والعبارات الكتابية التي أصبحت معتادة مثل البر والتقديس قد تحل محلها كلمات أقرب للقارىء مثل «صلاح» و «تخصيص». ولكن إذا كان الموجه لهم الترجمة علماء أو أناس لهم دراية بالكتاب، فقد يشعر المترجمون بأنهم يستطيعون الحفاظ على الكثير من العبارات التقليدية، وبخاصة في الأجزاء المعروفة جيداً. مثل الصلاة الربانية.

ويتفق غالبية العلماء على أنه لا توجد طريقة واحدة سليمة لترجمة الكتاب المقدس، بل أن غالبية الترجمات المتاحة الآن تكون نافعة لأنواع مختلفة من القراء، والتحدي الموجود أمام المترجم في هذا العصر هو أن يجد التوازن السليم بين الدقة وسهولة القراءة. ولكن مع الاكتشافات المستمرة عن اللغات القديمة مع التغير المستمر للغة الحديثة، فإن الميزان الدقيق يظل هدفاً مراوغاً.

اعترافات مترجم للكتاب المقدس

عندما يعمل علماء الكتاب المقدس والكتَّاب المختصون معاً لعمل ترجمة جديدة للكتاب المقدس، فإن ضعف البشرية يعمل أحياناً عمله في الصفحة المطبوعة، فقد كتب دانيال تيلور، أخصائي الاتصالات المترجمة الجديدة لكتاب الحياة، كتب في «مجلة المسيحية اليوم»:

"إن عبارةً تموت غير مأسوفٍ عليها في التاسعة صباحاً قد تعود إلى الحياة في الرابعة بعد الظهر بعد عمل يوم طويل مضني. وبمشيئة الله تنال جزاءها العادل في المراجعة الثانية، ولكنني قد صرفت وقتاً أكثر من اللازم في ملاحظة عدم التوفيق في العبارات في الترجمات الراهنة حتى أصبحت شديدة الثقة من ذلك."

وقال تيلور إن قيامه بصنع العبارات في الأسلوب المناسب، جاء بعد قيام العلماء بالترجمة الأساسية، وفي محاولة تبسيط العبارات الأكاديمية والدينية الطنانة واستبدالها بعبارات يسهل فهمها، قدم اقتراحات وسأل أسئلة واتخذ قرارات. وقال تيلور مفسراً:

"لقد تأملت في القرون الدقيقة في المعنى. وأضيفت لنغمات الكلمات وصداها، وأحسست بإيقاعها وهي تصارع لتجد لها مكاناً، وبعد عمل كل هذا ثم أجد أنني لم أقم بوضعها في الوضع السليم، أجد نفسي أبحث عن زميل في كل البلاد أحسن حظاً مني."

شكوى من العلماء

يقول النقاد إن بعض الترجمات أصعب في قراءتها عن غيرها من الترجمات لأن العلماء الذين قاموا بالترجمة يكونون معتادين للغاية على التركيبات والمصطلحات القديمة لدرجة أنهم لا يعرفون أن هذه المصطلحات لا يفهما الناس. ولذلك قد يحتفظ العلماء بكلمات كان ينبغي عليهم استبدالها.

ترجمة الكلمات بعدة معاني

يثور دائماً جدل بين المترجمين بشأن كيفية التعامل مع الكلمات ذات عدة معاني. فالكلمة العبرية «حسد» على سبيل المثال يمكن أن تعني محبة، وحنو، وصلاح، ونعمة ورحمة وبر. يقول بعض المترجمين أن الأفضل هو اختيار كلمة واحدة واستخدامها في كل الترجمة. والبعض الآخر يقول إن سياق أو قرينة الفقرة هي التي يجب أن تحدد أي كلمة نستخدمها كمعنى للكلمة الأصلية.

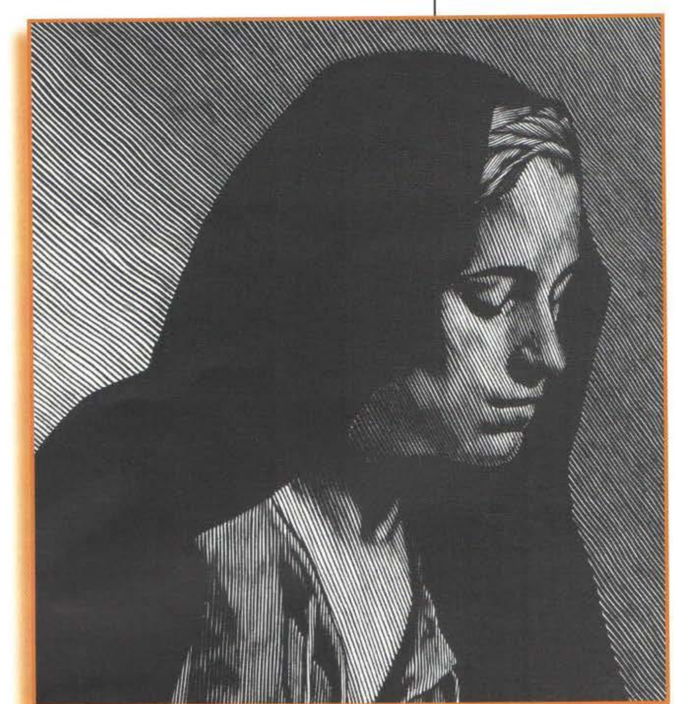
كُتُبٌ مُقَدَّسَةٌ مُتَخَصِّصَةٌ فِي العَصْرِ الحَاضِرِ

المؤمنون الجدد الذين يذهبون لأول مرة إلى مكتبات الكتاب المقدس بحثاً عن كتاب مقدس وربما كتاب آخر يساعدهم على دراسة الكتاب المقدس، قد يندهشون الآن لآلاف العناوين التي يجدونها أمامهم. فهناك العديد من الكتب المرتبطة بالكتاب المقدس للاختيار منها، لدرجة أن الكثيرين من العاملين في هذه المكتبات يرتبكون من كثرة أنوا ع الكتب.

لقد زاد الطلب على الكتب المقدسة بصورة مثيرة في السنوات الحديثة مما خلق تياراً متدفقاً من الكتب المقدسة المتخصصة وما يلازمها من مطبوعات، وأهمها طبعاً الكتب المقدسة للدراسة.

الكتب المقدسة للدراسة

بعض هذه الكتب تقدم معلومات عن العصور القديمة التي تساعدنا بصورة أفضل على فهم ما أراد الكتَّاب



أن يقولوه، مثل كتاب هاربر كولنز للدراسة الذي يحتوي على ٦٠٪ من النص الكتابي، ٤٠٪ ملاحظات تفسيرية في الهوامش، فتقدم الفريسيين في (مت ٣: ٧) على أنها جماعة يهودية كانت تتمسك بشدة بالناموس اليهودي وتطبيقه على الحياة اليومية، وكانوا أقوى المعارضين للرب يسوع في إنجيل متى. والكتاب المقدس على هيئة وجواب، فيضع السؤال والإابة عليه. ففي الهوامش إجابات على أكثر من ٦٠٠٠ سؤال قد يسألها القارىء هو يقرأ الكتاب المقدس.

وهناك التفسير التطبيقي للكتاب المقدس على الحياة اليومية، وهو مبني على ترجمة كتاب الحياة الجديد، وهو يهتم بتطبيق رسالة الكتاب المقدس على حياة القارىء الآن.. والملاحظات التي به أشبه ما تكون بنصائح قوية من را ع عطوف. ففي (مت ٦: ٢٥) يقول الرب يسوع: «لاتهتموا» وفي هامش هذا الكتاب تقول الملحوظة: لماذا؟ لأن الاهتمام يمكن أن يدمر صحتك، ويعطل إنتاجك، ويؤثر سلبياً في معاملتك للآخرين، ويقلل من اتكالك على الله.

الكتب المقدسة التعبدية

تهدف الكتب المقدسة التعبدية إلى مساعدة القراء على أكبر استفادة من وقت تأملهم في الكتاب المقدس. فالكتاب المقدس المُلهم المبني على ترجمة القرن الجديد، يقدم مقالات قصيرة تلخص الإصحاح وتضيف أفكاراً مُلهمة وتطبيقات، فمثلاً في الهامش أمام قصة لعازر، يُذكِّر الكاتب القراء الذين فقدوا أحد الأعزاء أن الرب يسوع وعد بأنه القيامة والحياة، من آمن بي وإن مات فسيحيا. وبعض هذه الكتب المقدسة التعبدية تعيد ترتيب الأسفار الإلهية بحسب خطة معينة للقراءة. مثل «الكتاب المقدس للقراءة على مدى سنة واحدة» فيرتب فصول الكتاب المقدس في فصول تستغرق قراءة كل منها ١٥ دقيقة، وتهدف لمساعدة الناس على على قراءة الكتاب المقدس كله في سنة واحدة. وكل قراءة يومية تشتمل على أجزاء من المزامير والأمثال وغيرهما من أسفار العهد

القديم وكذلك من أحد أسفار العهد الجديد. والكتاب المقدس للقراءة على مدى سنتين يضاعف القراءة.

التفاسير

إن تفاسير الكتاب المقدس خطوة كبيرة من الكتب المقدسة للدراسة وللتعبد، ففيها ملاحظات أكثر توسعاً، فبعض التفاسير تجمع كل الملاحظات في مجلد واحد، وبعض الآخر يقسمها إلى مجلدين أحدهما للعهد القديم والآخر للعهد الجديد. ولدارسي الكتاب المقدس الأكثر جدية توجد تفاسير منفصلة لكل سفر من أسفار الكتاب المقدس والمجموعة الكاملة قد تشغل عدة أرفف في مكتبة منزلية، وكثيراً ما تبيع المكتبات المجموعة الكاملة بخصم وبخاصة الكتب الكلاسيكية مثل كتب جون كالفن (٢٢ جزءاً) وكتب متى هنري (ستة مجلدات).

غالبية دارسي الكتاب المقدس يفضلون التفاسير الحديثة التي تستعين بأحداث الاكتشافات الأثرية واللغات القديمة والدراسات العلمية، وهي بدورها كثيراً ما تباع بخصم عند شراء المجموعة كاملة. وأحد المآخذ هو أن مجموعة الكتب بأقلام كتَّاب عديدين قد تكون متضاربة في دقتها العلمية ما بين كاتب وآخر، ولهذا السبب فإن دارسو الكتاب المقدس الجادين يبحثون عن تفاسير لكتاب معروفين بخبرتهم الواسعة في مجال معين مثل شرح الأناجيل أو الأنبياء.

كتب المراجع

وبالإضافة إلى الكتب المقدسة والتفاسير هناك كتب أخرى كثيرة تدور حول الكتاب المقدس. ومن أشهرها دوائر المعارف، والقواميس والأطالس، والكتب المقدسة الموازية (التي بها ترجمتان مختلفتان أو أكثر جنباً إلى جنب لتسهل المقارنة) علاوة على الكتب المقدسة الموضوعية والقواميس الموضوعية (التي تساعد القراء على دراسة كلمة أو موضوع بتحديد الأماكن المختلفة التي ترد فيها هذه الكلمة أو الموضوع، مثل «رسول»، «خلاص».

كما أن هناك كتباً عن «نباتات الكتاب المقدس»، أو «حيوانات الكتاب المقدس» أو «شعوب الكتاب المقدس». كما أن هناك كتباً تعطيك نظرة عامة عن الكتاب المقدس، مثل كتاب كيف تدرس الكتاب المقدس» بقلم ستيفن م. ميلر، فهو مثلاً يقدم كل سفر من أسفار الكتاب المقدس» مبرزاً المشاهد الكبيرة والشخصيات القيادية والهدف من القصة.

برامج إلكترونية للكومبيوتر

كل ما سبق ذكره من أنواع الكتب يمكن الحصول عليه في شكل برامج في الكمبيوتر كجزء من المكتبة الرقمية المتنامية.

ومن أكثر برامج الكمبيوتر مبيعاً مجموعة Quick Verse وهي نسخة فاخرة على أربعة أقراص مدمجة تحتوي عى ١٨ ترجمة للكتاب المقدس، و١٠٨ مرجع، وكسائر البرامج الإلكترونية يحتوي على كتب حديثة وكتب كلاسيكية وأطالس وقواميس، وقراءات ومعاجم ومجموعة عديدة من التفاسير، وسير حياة من العهد الجديد اليوناني لأشخاص من الكتاب المقدس، ومجموعة أعمال يوسيفوس المؤرخ اليهودي من القرن الأول.

والثمن هو إحدى أكبر الفوائد مثل هذه المكتبة الإلكترونية، ومجموعات عديدة من البرامج الإلكترونية تقدم مجموعة من الكتب المقدسة مقابل جزء من الثمن اللازم لشرائه مطبوعاً. وثمة فائدة أخرى كبيرة هو سهولة استخدامها وسرعتها فبضغطات قليلة على لوحة مفاتيح يمكن لدارس الكتاب المقدس القيام بعمل بحث في أي جزء من المكتبة. كما أن الڤيديو يضيف بُعداً آخر مما يسمح للقراء بزيارة المواقع الكتابية.

والانتاج المتنامي المستمر سواء المطبوعة أو الإلكترونية، يجعله أكثر الكتب مبيعاً في كل الأزمنة والأرجح أنه سيظل أفضلها قراءة وأعمقها دراسة.

الكتاب المقدس على الڤيديو والشرائط والألعاب

أحد الطرق المشهورة لتقديم قصة حياة الرب يسوع للناس وبخاصة في خدمات الإرساليات في كل العالم، هو عرض ڤيديو أو فيلم مبني على ما جاء في إنجيل لوقا. وعندما يتكلم الممثلون بلغة الكتاب الأصلية، تُقرأ القصة من الكتاب المقدس باللغة المحلية للشعب مثل الكثير من الأفلام الأجنبية التي يكون بها ترجمة مكتوبة وهناك أفلام أخرى الآن والتي يقوم بتمثيلها ممثلون مشهورون.. كما أن هناك صوراً بالڤيديو لرحلات في بلاد الكتاب المقدس لمساعدة الجماعات على دراسة الكتاب المقدس.

والناس الذين ليس لديهم الوقت أو القدرة على القراءة، فإن الكتاب المقدس متاح لهم في أشكال متنوعة على شرائط أو أقراص مدمجة (CD).

وللاستعراض الأكثر لتعاليم الكتاب المقدس وحقائقه، هناك ألعاب، منها ألغاز الكلمات المتقاطعة، وألغاز القطع الخشبية، والبطاقات الكتابية وغيرها.

"علينا أن نشكر الله على أتعاب العلماء الذين يمدوننا بهذه المجموعة الكبيرة من الكتب لنختار منها ما يناسبنا في دراسة الكتاب المقدس"

ج. أ. بيكر أستاذ علم اللاهوت في كلية ريخنت في كولومبيا البريطانية.

الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ فِي الأَدَبِ

"العهد القديم والجديد هما أعظم دستور للفن"
وليم بليك
شاعر رومانسي إنجليزي

الأوبرا الكتابية

لقد ألهم الكتاب المقدس مؤلفي الأوبرا وكذلك الملحنين.

ومن أبرز الأعمال الأوبرالية المستمدة من القصص الكتابية أوبرا «نابوكــــو» (١٨٤٢م.) وهو المقابل الإيطالي لنبوخذ نصــر) للعبقري الإيطـــالي جيــوسبي ڤردي، وكذلك «شمشون ودليلــــــة» (١٨٧٧م.) للمؤلف الفرنسي كاميلي سانت سنس، وعملين أوبراليين ألمانيين وهما «ساومـــي» (١٩٠٥م.) لأرنولد شونبرج. وهناك أعمال أوبرالية أخرى مثل «چنوفا» (١٩٠٤م.) للمؤلف التشيكي ليوس جاناكيك لديها شخصية مركزية يشبه المسيح، ولكن المغني الأمريكي چيروم هينس كان قد ألف ولعب دور البطولة في أوبريت «أنا هو الطريق» (١٩٦٨م.) وهي عمل أوبرالي عن يسوع نفسه. وهناك أعمال أوبرالية مثل «البطل يسوع المسيح» (١٩٧٠م.) للمــؤلف البريطـــاني أنـــدرو ليـــويد وبر.

في خلال المائتي سنة الماضية، كما في الماضي البعيد، استخدم الكتّاب الكتاب المقدس مصدراً للإلهام، فالشعراء وكتاب المسرحيات والقصص استخدموا القصص الكتابية سواء مباشرة أو تلميحاً، أو عززوا أسلوبهم باللغة الكتابية أو استندوا إلى مواضيع كتابية.

العصور الرومانتيكية والفكتورية

استخدم الشعراء الرومانتيكيون أحياناً الكتاب المقدس لتدعيم آراءهم الفنية، فمثلاً الشاعر الانجليزي وليم بليك خلط اللغة الأسطورية مع الأشعار الكتابية ليخلق رأيه الشخصي عن كون من النقائض مثل السماء والجحيم، والخير والشر، والطهارة والاختبار. وأشهر أشعاره «تيجير» (Tyger) في أناشيد الخبرة» (١٧٩٤م.) هي تأملات عن الله كالخالق. وفي قصيدته «الإنجيل الأبدي» (١٨١٨م.) يتأمل يوسف الرامي التلميذ الذي دفن الرب يسوع في قبره، في مقاطع شعرية مؤلف كل منها من بيتين، ويختمها بمقارنة رئيس الكهنة قيافا في زمن الرب يسوع، بالأساقفة في عصر بليك: فكلاهما كان يقرأن الكتاب المقدس ليلاً ونهاراً، ولكنك تقرأ «أسود» حيث أقرأ أنا «أبيض».

والروائي والشاعر الأمريكي هرمان ميلڤيل في تركيبه للقصص الكتابية، في أفضل كتاباته «موبي ديك» (١٨٥١م.) قصة كابتن بحري مجنون يريد الانتقام من الحوت الأبيض الذي عض ساقه فقطعها. ويسمى الكابتن أخاب على اسم ملك إسرائيل الذي قاوم النبي إيليا، وراوي القصة كلها الذي يسمى على اسم ابن إبراهيم المنفي، يفتتح الرواية بهذه العبارة: «ادعني باسم اسماعيل» – وبعد سماعه عظة عن قصة يونان (كاملة مع ترنيمة تردد صدى كلمات يونان وهو في بطن الحوت) يأتي التحذير لإسماعيل من رجل مجنون اسمه إيليا ألا يبحر مع الكابتن أخاب. عندما تنتهي الرحلة بكارثة، يكون اسماعيل هو الناجي الوحيد ويروي القصة، وتأتي الخاتمة من سفر أيوب: «ونجوت أنا وحدي لأخبرك».

والروائي الروسي فيدور دوستويوڤسكي: يقدم عدداً من الشخصيات الخيالية كأمثلة للمسيح، منهم الأمير ليو ميشخين في «الأبله» (١٨٦٨– ١٨٦٩م.) و«أليوشا»، في الإخوة كارامازوف (١٨٨٠م.) كما خلق الكاتب الفرنسي ڤكتور هوجو أشكالاً للمسيح في «البؤساء» في أسقف «داين» وفي البطل «چان ڤالچان». ولم يكن الروا[ئي] الفرنسي «چوستاف فلوبرت» واضحاً تماماً ففي رواي[ته] «هيرودوس» إحدى «قصصه الثلاثة» (١٨٧٧م.) يلعن [...] الذين اشتركوا في قطع رقبة يوحنا المعمدان.

وكتابات الشاعرة الأمريكية إميلي ديكنسون (١٨٣٠ – ١٨٦٠م.) تقتبس أو تشير إلى كل سفر من أسف[ار] الكتاب المقدس تقريباً. فخيال ديكنسون الشعري يقتبس كثيراً من الشعر الكتابي، وعدد من قصائدها يد[ور] مباشرة حول قصص كتابية، فمثلاً في القصيدة ٥٤٠ تحوّل ديكنسون قصة داود وجليات إلى انعكاس لضعف[ها] وعجزها هي نفسها: لقد وجهت حصاتي- ولكن لم تك[ن] سوى نفسي هي التي سقطت- هل كان جليات ضخ[ماً] جداً – أم أنني أنا كنت صغيرة جداً».

القرن العشرون

يرجع چيمس چويس الكاتب الأيرلندي المنفي، ومؤلف القصة باللغة الشهرة «أوليس» (١٩٢٢م.) إلى سفر الرؤ[يا] في روايته الأخيرة «يقظة فيندجانز» (١٩٣٩م.). ك[ما] كتب چويس «يسوع الساخر»، وهي قصيدة ساخر[ة] فيها يتكلم الرب يسوع مازحاً عن نفسه في أبيات م[ن] الشعر يتكون كل بيتين من روي واحد، ويحث أتباعه عل[ى] أن يكتبوا كل ما فعله وكل ما قاله، ثم يضيف: «وقولو[ا] لتوما وديك وهاري إنني قمت من بين الأموات».

والشاعر الانجليزي، أمريكي المولد «ف.س إليوت» الحائز على جائزة نوبل، كثيراً ما رجع إلى الكتا[ب] المقدس ليستوحي منه. وتدور قصيدتان من قصائد[ه] حول الأحداث التي أحاطت بمولد الرب يسوع: «رحل[ة] المجوس» (١٩٢٧م.) وتركز على الرحلة الشاقة التي قا[م] بها أولئك الرجال الحكماء لزيارة الطفل يسوع (مت ٢) ويختمها بما عانوه في رحلة العودة حيث أحاط بهم أناس غرباء نهبوا أمتعتهم. وأنشودة سمعان (١٩٢٨م.) وه[ي] تفصيل وتأمل في الأنشودة التي أنشدها النبي القدي[س] سمعان عندما رأى المسيا بعينيه (لو ٢: ٢٢– ٣٢).

ورباعية قصة يوسف وإخوته (١٩٣٣ – ١٩٤٣م.) التي كتبها الكاتب الألماني توماس مان والحائز عل[ى] جائزة نوبل، في إعادة بليغة لما جاء في سفر التكوين ويبدأ مان بالأب يعقوب يقص على ابنه المحبوب يوسف قصصاً عن أسلافه، ثم يعقب ذلك قصة يوسف نفس[ه] الذي باعه إخوته عبداً، وأُخذ إلى مصر ثم خدمته ف[ي]

قصر فرعون، وإنقاذه لإخوته الذين سبق أن آذوه. وفي قصة مان، كان الفرعون الذي خدمه يوسف هو أخناتون الذي تحدى زمانه بعبادة إله واحد وهو قرص الشمس أتون. ويفترض مان وجود علاقة بين ممارسات أخناتون الدينية وديانة التوحيد عند الإسرائيليين. وإضافات «مان» لقصص سفر التكوين تضفي على الشخصيات عمقاً ورمزية. إذ تشير إلى الأساطير الماضية وأحداث العهد الجديد، فمثلاً يربط عودة ظهور يوسف بعد أن ساد الظن زمناً طويلاً بأنه قد مات، بقيامة المسيح وأسطورة الإله المصري أوزوريس الذي قام بعد أن قَتَله أخوه.

كما أن الكاتب النيجيري «وول سيونكا» (١٩٣٤م.) الحائز على جائزة نوبل يستخدم الأساليب الكتابية واللغة الكتابية في روايته «سكان المستنقعات» ويركز على مثل الابن الضال ولكنه يخلطه بالموضوع الكتابي الأوسع عن الصراع بين الإخوة، وفي رواية «صراخ البلد المحبوب» (١٩٤٩م.)، فإن المؤلف الجنوب أفريقي آلان باتون يصهر قصة الابن الضال مع جوانب من قصة داود وأبشالوم في دعوى مسيحية للعطف في بلاده. وشخص آخر من حائزي جائزة نوبل، الكاتب الأسترالي باتريك هوايت كثيراً ما يستخدم الرموز الكتابية في رواياته، والشخصية الرئيسية في «ڤوس» (١٩٥٧) تسفر شيئاً فشيئاً عن شخصية مسيحية في أبعاد مهمة.

والكاتب السويدي بارفابيان لاجر كڤيشت يركز على شخصية كتابية صغرى. فرايته «باراباس» تتخيل أي حياة عاشها المجرم الذي أطلق سراحه عوضاً عن يسوع، وقد نشرت في ١٩٥٠م. وقد حاز لاجركڤيشت على جائزة نوبل للأدب في ١٩٥١م.

«والمأساة اليونانية» (١٩٥١م.) تأليف الشاعر اليوناني والروائي والفيلسوف نيكوس كازانتزاكيس يكتب عن آلام المسيح في القرن العشرين. وتركز الرواية على جماعة من القرويين اليونانيين يعيشون في الأناضول ويتعرضون للاضطهاد من مُلّاك الأراضي الأتراك. ومع أن القرويين اسندت إليهم أدوار في رواية آلام، فإن الرواية ألغيت بعد انفجار سلسلة من الأحداث العنيفة، وعوضاً عن التمثيل، قام المثلون بتنفيذ الأدوار المسندة إليهم في الحياة الواقعية.

وأخيراً قام اثنان من حائزي جائزة نوبل، بكتابة روايات مبنية على الكتاب المقدس: جون ستينبكي: «شرقي عدن» (١٩٥٢م.) وهي إعادة صياغة لقصة قايين وهابيل في القرن العشرين في كاليفورنيا. و«خرافة» لوليم فولكنر (١٩٥٤م.) وهي مثال لآلام المسيح في أثناء الحرب العالمية الأولى.

«لقد كتبت قصائد كتابية كثيرة دون أن يكون بها الكثير من الكتاب المقدس، حتى ليبدو أن ما ليس من الكتاب المقدس ليس حقاً»
صموئيل تيلور كولردج
شاعر إنجليزي رومانسي وناقد

فاوست تترجم الكتاب المقدس

يتحدث الشاعر الألماني جوهان ولفجانج ڤون جوته في كتابه الرائع المكون من جزءين «فاوست»، عن عالم ألماني من العصور الوسطى، الذي يأساً من تقدمه في الأيام، يبيع نفسه للشيطان. ويعتمد جوته بشدة على الكتاب المقدس، في المواضيع والشخصيات، ومقدمة الرواية تبدأ في السماء نقلاً عن سفر أيوب. وفي بعض المواضع تكاد تكون منقولة كلمة بكلمة. «وفي نهاية الجزء الثاني (١٨٣٢م.) خلّص فاوست برغبته في عمل أعمال صالحة، وبالمحبة العملاقة من إمرأة صالحة، جريتشن، التي تجمع بين صفات مريم أم يسوع ومريم المجدلية.

وفي المشهد الثالث من الجزء الأول (١٨٠٨م.) يلتمس فاوست اليائس العزاء في ترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية (كما فعل مارتن لوثر)، وتتوالى أفكاره:

ولكن آه: أشعر لو أنني أقوى، فلم يعد الرضى يفيض من صدري، فلماذا يجف المجرى هكذا سريعاً ويخزينا، ويبدأ الظمأ الحارق يهاجمنا بعنف؟ وهنا قد احتملت امتحاناً عسيراً!

ومع ذلك قد تتحقق هذه الحاجة. وندعو من هو فوق الطبيعة ليرشدنا، ونتوق ونعطش إلى رؤيا...

التي ليس من يستحقها أكثر، وبكل فضل تأتي في العهد الجديد.

وأشعر أنني مجبر لتحديد معناها بهدف أمين، مرة وإلى الأبد.

لأغيِّره لأحبائي الألمان فمكتوب: في البدء كان الكلمة. وهنا أصبت بالإحباط، فمن يقدر أن يعينني الآن؟ الكلمة؟ من المستحيل الآن تقديرها، فهل عليَّ أن أترجمها.

إذا كنت حقاً أتعلم من الروح فإذن في البدء كان الفكر دعني أزن السطر الأول تماماً لئلا ينزلق قلبي غير الصبور بسرعة هل هو الفكر الذي يعمل ويخلق في الحقيقة؟ في البدء كانت القوة، هكذا أقرأ نعم وبينما أنا أكتب، يأتي هذا التحذير.

وهو أنني لم أفهم المعنى تماماً والروح يعينني، والآن أبصر النور!



يستأذن ميفيستوفيليس (الشيطان) الله لامتحان فاوست في مقدمة المسرحية في السماء ويظهر هنا في رسم بقلم وحبر من رسم لجوته (١٧٤٩- ١٨٣٢م.) مؤلف المسرحية.

الكِتَابُ المُقَدَّسُ فِي السِّينِمَا

"الوصايا العشر ليست وصايا لإطاعتها كمعروف شخصي نقدمه لله، بل هي مبادىء أساسية بدونها لا يستطيع الجنس البشري أن يعيش معاً. فهي ليست قوانين بل هي القانون."

سيسيل ب. ديميل.
الوصايا العشر ١٩٢٣م.

«هوليوود» - أم خشبة الصليب المقدسة؟

لقد قيل أن «هوليوود» هي مركز طبيعي لإنتاج صور كتابية متحركة والسبب هو أن الاسم «هوليود» قد يكون كتابياً كما بدا أنه تحريف لعبارة «خشبة مقدسة» أو خشبة صليب المسيح.

من البداية تقريباً تركزت صناعة السينما في الولايات المتحدة في هوليوود واستندت على الكتاب المقدس لعمل أفلام تدر الكثير من الدخل والأرباح. وفي فترة الأفلام الصامتة، تم إنتاج عدد من الأفلام عن مواضيع كتابية، وتبعها عدد كبير من الأفلام على توالي العقود التالية. وأفلام هوليود الكتابية تتراوح ما بين أفلام بسيطة وأفلام مكلفة وهي تختلف في خطورتها من البساطة إلى ما يستدعي التفكير ولكنها في الغالب محبوبة ونافعة، ومع أن هوليود سادت على سوق الأفلام الكتابية، فإن شعوباً أخرى انتجت هذه الأفلام.

قصص كتابية على أفلام

كانت فرنسا أول من انتج فيلماً سينمائياً كتابياً متحركاً في ١٩٠٧م. وهو فيلم «موسى والخروج من مصر» ولم يكن يستغرق أكثر من عشر دقائق صُوِّر بعده عدد من أفلام مشابهة في فرنسا وفي الولايات المتحدة، ولكن كانت هوليوود التي خلقت هذا النوع من الملاحم الكتابية. وكان الشخص المسئول أساساً هو سيسل ب ديميل الذي ظل يعمل في انتاج هذه الأفلام من ١٩١٤م. إلى ١٩٥٦. وفي ١٩٢٣م. كتب ديميل «وانتج الوصايا العشر». والنص الأول من هذا الفيلم الصامت يحكي قصة موسى وينتهي بالأحداث المتصلة باستلام الوصايا العشر. أما باقي الفيلم فهو قصة أدبية عن أخين من القرن العشرين، أحدهما يحترم الوصايا العشر بينما يحاول الآخر كسر كل وصية منها - مع نتائج مأساوية - وكانت مناظر الفيلم مصروفاً عليها بسخاء وكانت المناظر المصرية مأخوذة عن اكتشافات حديثة بما فيها آثار مقبرة توت عنخ آمون كما استخدم دي ميل بمهارة مناظر خاصة زيادة في الإغراء مثل الأجسام شبه العارية وهي أمور كانت مقبولة في وقته. وكل هذه العناصر وضعت النموذج للكثير من الملاحم الكتابية التي جاءت بعد ذلك.

وإذ تشجع بنجاح الوصايا العشر أنتج ديميل في ١٩٢٧م. «ملك الملوك» وهو فيلم عن حياة الرب يسوع. وبعد ذلك بثلاثة عقود، رجع إلى العهد القديم فأنتج قصة «شمشون ودليلة» (١٩٤٩م.) فكانت نجاحاً مالياً ضخماً. وأنهى حياته بإعادة إنتاج الوصايا العشر (١٩٥٦م.) وفي هذه المرة وقف ديميل عند قصة موسى ولكنه صوَّر الإسرائيليين كأسلاف للأمريكيين يأمرهم الله أن ينشروا مفهوم الحرية التي تشبه كثيراً المثاليات الأمريكية السياسية.

وقد اقتفى عدد من المخرجين أثر ديميل في انتاج دور كبير من الأفلام الكتابية. ففي فيلم «داود وبثشبع» (١٩٥١م.) قدم هنري كنج صورة رومانسية لنقطة ضعف في حياة داود الملك العظيم. وأنتج رتشارد ثورب «الابن الضال» (١٩٥٥م.) بالتوسع في مثل المسيح عن الابن الضال فجعل منه ملحمة كبيرة مركزاً على فساد الشخصية الرئيسية. وانتج جورج ستيفنز نسخة طويلة ولكنها حية عن الأناجيل أسماها «أعظم قصة رُويت» (١٩٦٥م.)، وكان بها عدد كبير من النجوم، ولكن بعض الممثلين من أصحاب الأسماء الكبيرة بدوا غير ملائمين لأدوارهم. وفيلم فرانكو زفيريللي «يسوع الناصري» على مدى ست ساعات (١٩٧٧م.) الذي انتجه للتليفزيون، كانت به لقطات سليمة وأقوال مقتبسة من الكتاب المقدس.

وفي ١٩٦٦م. انتج المخرج الأمريكي جون هوستن فيلماً ضخماً سماه بجرأة: «الكتاب المقدس» مع أنه لا

الكتاب المقدس في التليفزيون

بعد عِقد الستينات من القرن الماضي، تم إنتاج الكثير من الأعمال التليفزيونية ذات الصلة بالكتاب المقدس واستمرت في الإنتاج بأعداد كبيرة. فبالإضافة إلى العمل الخالد لزافيدلي «يسوع الناصري» نجد أيضاً «موسى» (١٩٩٦م.)، وهي سلسلة حلقات قصيرة مكونة من جزءين بطولة بين كينجسلي، الذي يظهر في شخصية موسى المُحبَط والإنسان العادي جداً، وهناك أيضاً سلسلة حلقات بعنوان «أعظم أبطال الكتاب المقدس». وأيضاً سلسلة «الكتاب المقدس» ومن بينها «التكوين» (١٩٩٤م.) وفيه رجل بدوي عجوز من الصحراء يحكي قصص من التكوين، بطريقة مشابهة لطريقة سرد القصص قديماً. و «سليمان» و «أستير» و «إرميا». وهناك سلسلة أخرى بعنوان «مختارات كتابية» (١٩٩٠م.)، وهي تبرز بعض أبطال الكتاب المقدس وتوضح مدى اعتمادهم على الله.

«أعظم المغامرات الكتابية» سلسلة رسوم متحركة من قصص الكتاب المقدس، ومن بينها «فلك نوح» و «يونان» و «معجزات يسوع» وهناك أيضاً سلسلة بريطانية - روسية بعنوان: «العهد: الكتاب المقدس في رسوم متحركة».

وهناك أفلام فيديو أخرى تساعد في شرح عالم الكتاب المقدس أو كيف تكون الكتاب المقدس. فنجد «رحلة عبر الزمن في الكتاب المقدس» (١٩٩٠م.) و «من كان موسى؟» (٢٠٠٠م.) يستخدمان الاكتشافات الأثرية والتاريخ لاستشكاف عالم الكتاب المقدس.

يغطي سوى الاثنين والعشرين أصحاحاً الأولى من سفر التكوين ويتجاهل باقي الكتاب المقدس. وأنتج بروس برسفورد «الملك داود» (١٩٨٥م.) وهي رواية عن حياة داود بداية من قتله جليات الجبار الفلسطيني واشترك فيه من الممثلين العظام نجم هوليود رتشارد جير الذي مثّل داود.

وبعد نسختي سيسل ب. ديميل للوصايا العشر، أنتج جيفري كاتزنبرج من ستوديو دريم ووركس، فيلم بعنوان: «أمير مصر» (٢٠٠٠م.) وفيها نشأ موسى وفرعون مصر القادم رمسيس، معاً ولكنهما وجدا نفسيهما في تعارض حول السماح لبني إسرائيل بالخروج من مصر.

وبالتجاوب مع ملاحم هوليوود المثيرة للدهشة عن المواضيع الكتابية، أنتج المخرج الإيطالي باولو باموليني فيلماً أقل تكلفة عن إنجيل متى (١٩٦٤م.) استخدم فيها ممثلين من الهواة بما فيهم أمه في دور العذراء مريم، وهو فيلم جميل محترم وهادىء يستأسر النظر والمشاعر فيما يختص بما كانت تبدو عليه إسرائيل في العهد الجديد.

وهناك صورة ساخرة للكتاب المقدس في فيلم «حياة بريان» (١٩٧٩م.) الذي أخرجه جري جونس ويمثل فرقة من الهزليين البريطانيين، ويروي قصة بريان وهو رجل يحاول أن يحيا حياة شبيهة بحياة يسوع لأنه كان يظن خطأ بأنه المسيا.. وقد مسح بريان واستغل من القوى الدينية والسياسية في عصره، ويظهر يسوع نفسه مرتين فقط في المؤخرة. ولم يكن المقصود بالسخرية يسوع أو المسيحية بل السياسة وتصرفات بعض رجال الدين.

وقد ظهرت معالجة عجيبة للأناجيل في فيلم «الإغواء الأخير للمسيح» للمسيح الذي أخرجه مارتن سكورسيزس (١٩٨٨م.) مبنية على رواية كتبها الكاتب اليوناني نيكوس كازانتزاكيس. وقد خلق هذا الفيلم جدلاً حاداً. ففي محاولته لجعل يسوع بشراً تماماً فإنه يصوره بأنه قد تعرض لتجربة أن يتزوج مريم المجدلية ويتخلى عن مسيانيته.

الأفلام التي لها صلة بالكتاب المقدس

صدر عدد من الأفلام تحاول أن تتخيل ما الذي حدث لشخصيات العهد الجديد كازانتزاكيس.. ففيلم «الرداء» لهنري كوستر (١٩٥٣م.) المبني على رواية مشهورة كتبها لويد س. دوجلاس، تتخيل أن قائد المائة الذي فاز برداء يسوع عند إلقاء القرعة عند الصليب، قد سحره الرداء إلى أن اعتنق المسيحية.. وكان أول فيلم يصور بالسينما سكوب أنتجه مرفن ليرويز وهو فيلم «كوفاريس» (١٩٥١م.) ويبدأ بالرسول بطرس يحاول مغادرة روما إلى أن أوقفه صوت في الله يقول له «كوفاديس»؟ «إلى أين أنت ذاهب؟». غير أن معظم الفيلم يصور اضطهاد نيرون للمسيحيين. وفيلم ڤيكتور سافيل: «الكأس الفضية» (١٩٥٤م.) المبني على رواية كتبها توماس كوستين يروي قصة صائغ فضة (بول نيومان في أول دور له) طلب منه أن يصنع إطاراً فضياً للكأس التي استخدمها الرب يسوع في العشاء الأخير. وإحدى أشهر القصص المقتبسة من حواشي العهد الجديد هي «ابن هور» وهي حكاية عن المسيح كتبها ليو ولاس في ١٨٨٠م. وتروي قصة رجل يهودي ارستقراطي حكم عليه بالعمل في التجديف في إحدى السفن لأنه اتهم زوراً بمحاولة حاكم فلسطين الروماني، ولكن هور يستطيع أخيراً أن يهرب ويتسابق مع الذي اتهمه وكان سابقاً صديقاً له، وفي النهاية يتقابل هور مع الرب يسوع ويتحول إلى المسيحية وكانت القصة قد اشتهرت كتمثيلية مسرحية فخمة قبل ظهور السينما. وقد تحولت إلى فيلم قصير في ١٩٠٧م. وإلى فيلم صامت في ١٩٢٦م. حوَّل وليم مايلر القصة إلى هزلية خارجة عن المألوف.

والتأملات الحديثة في أحداث العهدين القديم والجديد تحولت أيضاً إلى أفلام بروح النصف الثاني من فيلم ديميل الصامت عن الوصايا العشر. فالمخرج البولندي كرينرتوف كيزلوفسكي «أنتج الوصايا العشر» (١٩٨٨م.) وهي سلسلة من عشر حلقات كل منها تستغرق ساعة ظهرت أولاً في التليفزيون البولندي، وكل حلقة تتناول وصية من الوصايا العشر، وتبين رجالاً ونساء عاديين يسايرون المواقف التي ترتبط بالوصايا مع تشخيصها وإن يكن في بعض الأحيان بغير إحكام. وفي فيلم «يسوع المونتريالي» (١٩٨٩م.) يتبع المخرج الفرنسي الكندي دينييس أركاند فريقاً من الممثلين وهم يستعدون لتمثيل رواية الآلام ويصبحون متورطين في مجادلات تعكس مواضيع آلام المسيح.

الكتاب المقدس في الخضروات

«حواديت الخضروات» وهي حلقات من قصص الفيديو للأطفال باستخدام صور خيالية تقوم الخضروات فيها بتمثيل الأشخاص. فمثلاً في قصة داود وجليات الجبار، عندما يُسخر داود الذي يمثله نبات الهليون بصغر حجمه، يقول: الأولاد الصغار يمكنهم أن يعملوا أشياء عظيمة أيضاً ولإثبات ذلك، يحارب داود ويهزم جليات الفلسطيني الذي يمثله نبات هليون فلسطيني ضخم يلبس قفازات الملاكمة.



شارلتون هستون يمثل دور موسى في فيلم «الوصايا العشر» الذي أنتجه سيسيل ديميل في ١٩٥٧م.

حُسْنُ وَسُوءُ اسْتِخْدَامِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ



سيدة تضع زجاجة في المكان المخصص لإعادة تشغيل الزجاج. فقد استخدم انصار حماية البيئة الكتاب المقدس لتأكيد أن الله يحثنا على أن نهتم بالبيئة.

الكتاب المقدس كتاب ذو سلطان وموضع احترام واسع باعتباره كلمة الله للبشرية، ولهذا السبب عندما يريد الناس دليلاً لتأييد رأيهم في موضوع مثير للجدل، كثيراً ما يرجعون إلى الكتاب المقدس، وقد ظلوا يفعلون ذلك على مدى قرون.

وكثيرون قد استخدموا الكتاب المقدس باعتدال مستندين إلى تعاليمه كوسيلة لعلاج الظلم والبغضة ومشكلات أخرى في العالم. وآخرون اساءوا استخدام الكتاب المقدس، فيخرجونه عن سياقه ويستخدمونه لتأييد قضايا لا يتناولها الكتاب المقدس، بل ولتبرير الشر.

للأفضل

كثيراً ما استخدم الناس الكتاب المقدس لحماية الفقراء والبيئة.

مساعدة الفقراء والمظلومين

وكثيراً ما استند المدافعون عن المحتاجين إلى الكتاب المقدس. فزعيم الحقوق المدنية الأمريكي مارتن لوثر كنج في حديثه الشهير استند إلى ما جاء في نبوة عاموس دفاعاً عن المظلومين: إنني أحلم أنه في يوم من الأيام حتى ولاية المسسبي التي تشتد فيها حرارة الظلم، ستتحول إلى واحة من الحرية والعدالة.

وقد أشار الكاهن جوستاڤو جويترز إلى عاموس وغيره من الأنبياء عندما كتب كتابه «لاهوت التحرير» إلى أن الفقر ليس قضاء وقدراً، ولكنه يحدث بفعل أولئك الذين يدينهم النبي. فكما يقول عاموس إن الأغنياء «يدوسون رؤوس الفقراء في تراب الأرض». ففي بعض الأماكن في أمريكا اللاتينية، يمتلك الأغنياء كل الأراضي تقريباً ويجبرون الفقراء على العمل لهم مقابل إعطائهم الحق في العيش في أكواخ صغيرة مزدحمة. وقد تجاوبت بعض الكنائس مع هذه الحالة بشراء بعض الأراضي الصغيرة وبنوا عليها بيوتاً صغيرة وأعطوها للفقراء لمعاونتهم على كسر حلقة الفقر.

العناية بالكوكب

أحد الأسئلة الملحة عند البشر هو: لماذا نحن هنا؟ ويعتقد البعض أن الجواب – جزئياً على الأقل – يوجد في قصة الخليقة. فقد قال الله «نعمل الإنسان على صورتنا

الإجهاض والكتاب المقدس

لا يتكلم الكتاب المقدس بصورة مباشرة عن الإجهاض، وهذا هو السبب الذي يجعل شعب الإيمان منقسمين بقوة بشأن هذا الموضوع. البعض يرى رسالة معادية للإجهاض في (مز١٣٩: ١٣)، «نسجتني في بطن أمي». والبعض الآخر يرى أن هذا المزمور ترنيمة شكر لكونه مشتركاً في كل تفاصيل الحياة ولكنها ليست ترنيمة لرفض الإجهاض أو لتحديد لحظة معينة في الحمل باعتبارها اللحظة التي يضع فيه الله النفس الأبدية في داخلنا.

يسأل بعض المسيحيون. لو أن المزمور يعارض الإجهاض فلماذا في (خر ٢١: ١٢، ٢٢) تكون العقوبة لقتل المرأة هي الموت، بينما عقوبة من يصيب المرأة الحامل إصابة شديدة تجعلها تجهض تكون مجرد غرامة فقط.

يتفق معظم المسيحيين على أن الحياة هبة مقدسة من الله، والكتاب المقدس يدعو لكي نتعاطف مع بعضنا البعض . ولكنهم لا يستطيعون دائماً الاتفاق حول كيفية إظهار العطف والحنو في حالة الحمل غير المرغوب فيه، خاصة في ظل ظروف مثل الاغتصاب وزنا المحارم والأطفال الذين يحملون. تصرح الكنيسة الروم كاثوليكية بوضوح أنها تعارض الإجهاض المتعمد في أي لحظ منذ لحظة الحمل. لكنها تسمح بإجراءات طبية من أجل حماية الأم، حتى لو أن هذه الإجراءات أدت إلى وفاة الجنين. في هذه الحالة، تعتبر الكنيسة هذه الإجراءات جيدة وسيئة في نفس الوقت. جيدة لأنها تنقذ الحياة، وسيئة لأنها تأخذ حياة الجنين.



جنين بشري في الأسبوع السابع إلى الثامن

كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى كل الدبابات التي تدب على الأرض». (تك ١: ٢٦).. فنحن علينا العناية بخليقة الله.

وفي السنين الحديثة بدأت كثير من المنظمات الدينية في القول بأنه يلزمنا القيام بعمل أفضل. «فنحن نسمع دعوة الله لكنائسنا بزيادة العناية بالخليقة كلها».. وكتبت الكنيسة الميثودستية المتحدة قراراً بخصوص «يوم الأرض» ١٩٩٥: «أن نعيش بأسلوب سليم اقتصادياً وبيئياً للحفاظ على مستقبل الحياة على كوكب الأرض».

للأسوأ

وعلى مدى القرون استخدم الكثيرون الكتاب المقدس لتأييد إساءة معاملة اليهود والنساء والعبيد.

اضطهاد اليهود

رجع أناس كثيرون إلى الكتاب المقدس لتبرير اضطهاد اليهود، فقادة الكنيسة من باباوات ورعاة، والصليبيون والسياسيون والنازيون وغيرهم، الجميع يقتبسون من الكتاب المقدس، مثل قول المسيح: «أنتم من أب هو إبليس» (يو ٨: ٤٤)، ويقتبسون قول الرسول بولس في وصفه لليهود بالقول: «الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم» (١تس ٢: ١٥). ولم يكن الرب يسوع والرسول بولس على أية حال ينتقدون الجنس اليهودي، بل بعض القادة اليهود الذين قاوموا الله والناس الذين يعملون عمل الله».

ومارتن لوثر أبو الحركة البروتستانتية أحبط من اليهود لأنهم لم يتحولوا للمسيحية وفي ١٥٤٣ كتب كلمات صعبة استخدمها النازيون فيما بعد دعاية لهم فقد قال عن اليهود إنهم جنس ملعون مرفوض ودعا الحكام إلى حرق المجامع وأخذ كتب الصلاة وحرمان معلميهم من التعليم، وتدمير بيوت اليهود ومصادرة أموالهم وحرمانهم من حقوق الانتقال وإجبارهم على القيام بالأعمال اليومية. ومنذ ذلك الوقت أنكرت بعض الكنائس اللوثرية هذه الكتابات وكرست نفسها لمحاربة معاداة السامية.

ظلم النساء

يذخر الكتاب المقدس بأقوال تبدو أخباراً سيئة للنساء، ففي التكوين يقول الله لحواء لأنها أكلت من الشجرة المنهى عنها، فإن رجلها يسود عليها، كما أن الرسول بولس في كثير من رسائله يأمر النساء بالخضوع لسلطة رجالهن، وأن يصمتن في الكنائس وأن لا يعلمن في الكنيسة.

ويأخذ كثيرون من المسيحيين هذه التوصيات على أنها دائمة، ويأبون أن تأخذ النساء أي دور في الكنيسة، والبعض ينتقدون بشدة حركات حقوق النساء، «فالبرامج النسائية ليست عن المساواة في الحقوق»، «بل هي عن حركة اجتماعية وسياسية عائلية، تشجع النساء على ترك أزواجهن». هكذا قال المذيع التليفزيوني بات روبرتسون في ١٩٩٢.

ويقول مسيحيون آخرون إن هذه التعليمات الكتابية لم يكن القصد منها كل إنسان وإلى مدى الزمان، بل كان القصد منها لحضارة قديمة يسودها الرجل، ولكنائس معينة عندها مشكلات فريدة، كنائس فيها جماعات من النساء يسببن مشكلات فوضع الرسول بولس قواعد لإيقافهن. وفي مواقف أخرى، اعترف الرسول بولس بسلطة النساء القائدات في الكنيسة (رو ١٦: ١ – ٣) وكان البعض منهن نبيَّات (أع ٢: ١٧). ولعل إحداهن قد حملت أعلى لقب لقائد في الكنيسة (رو ١٦: ٩).

تبرير الاستعباد

لتبير استبعاد الشعوب السوداء، لاحظ كثيرون من أصحاب العبيد أن العهد الجديد كثيراً ما يأمر العبيد أن يطيعوا سادتهم، كما أن العهد القديم يلمح إلى أن السود يمكن أن يلعنوا، فقد تكون علامة كنعان هي سواد الجلد، أو أن الأفريقيين يعيشون قدرهم كنسل حام بن نوح الذي لعنه الله.

والمسيحيون الذين يعارضون الاستعباد يقولون إن العهد الجديد لا يسمح بالاستعباد، ويقولون إن قادة الكنيسة مثل الرسول بولس كانوا يضعون الإيمان فوق التغيير الاجتماعي، في محاولة لتوطيد دعائم المسيحية، وإن الرسول بولس في رسالته لفليمون الذي كان يمتلك عبداً ألمح بقوة إلى أن على فليمون أن يحرر العبد أنسيمس الذي حمل رسالة بولس. أما في جهة علامة قايين فإن الكتاب المقدس لا يذكر ماذا كانت هي، سوى أنها كانت علامة للرحمة لمنع الناس من قتل كنعان ولعنة نسل حام كانت موجهة إلى ابنه كنعان، وهي نبوة يقول عنها الكثيرون أنها تمت عندما غزا الشعب اليهودي الكنعانيين.

"لا يوجد سوى إنجيل واحد، وهو الإنجيل الذي يدعو الرجال والنساء للعدل."
(رئيس أساقفة جنوب أفريقيا – ديزموند توتو ١٩٩٤م.)

الساحرات

في ١٤٦٨م. نشر كاهنان دومينيكانيان ما أصبح كتاباً مرشداً للباحثين عن الساحرات وقد فاق كتاب «مطرقة الساحرات» جميع الكتب الأخرى مبيعاً ما عدا الكتاب المقدس. وقد فسر الكتَّاب في هذا الكتاب لماذا كان احتمال أن تصير النساء ساحرات أكثر من الرجال، لأنه إذ صنعت من ضلع الرجل، فهن حيوانات ناقصة.

في أثناء الاحتجاجات العنيفة ضد الظلم العنصري في ١٩٨٦م. أحد قادة دورية بوليسية في جوهانسبرج استخدمت الحكومة البيضاء هذا المجتمع المزدحم مثل علبة الكبريت الذي يضم أكثر من نصف مليون من السود كواحد من المراكز العديدة للفصل بين السود عن الأقلية البيضاء وقد حفظ هذا سياسة البيض في الفصل العنصري بين البيض والسود. ولكن الكتاب المقدس على أية حال، كما يقول رئيس الأساقفة ديزموند توتو، والآخرون من القادة المسيحيين كان يدعى للوحدة وليس لنظام التمييز العنصري.



غَرَائِبُ وَعَجَائِبُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

حقوق النساء في كتاب مقدس ألماني

يبدو أن نسخة ألمانية من الكتاب المقدس تضيف تعليقاً من المحرر عن الرجال، فبعد أن أخطأت حواء، قال لها الله إنها بدلاً من أن تكون حرة تفعل ما تشاء، عليها الآن أن تطيع زوجها. فسيكون «سيدها» ولكن كلمة «سيدها» حلت محلها كلمة «غبيها» فأصبحت العبارة: بدلاً من أن يكون «سيدك» «غبيك» ويشك بعض المؤرخين في أن زوجة الطبَّاع هي التي أحدثت هذا التغيير.

لقد كتبت كتب كاملة عن عجائب وغرائب الكتاب المقدس المذهلة، والأخطاء المطبعية المربكة. وإليك مجموعة صغيرة منتخبة منها.

أي قارىء عادي للكتاب المقدس يستطيع أن يقرأه بصوت مسموع في نحو مائة ساعة أو أقل.

وكلمة ببليوس التي تطلق على الكتاب المقدس في الإنجليزية لا ترد في الكتاب المقدس ولكنها مشتقة من كلمة بيبليوس اليونانية التي جاءت بدورها من اسم مدينة بيبليوس، الفينيقية والتي كانت مصدراً هاماً للفائف البردي (بابيروس) التي كانت تستخدم في صناعة الكتب، وبمرور الزمن أصبحت كلمة «بيبلوس» تعنى «كتاباً»، وهكذا أصبح الكتاب المقدس يعرف باسم «الكتاب»

لعل من أفدح الأخطاء المطبعية التي حدثت في طبع الكتاب المقدس، هي التي ظهرت في نسخة من ترجمة الملك چيمس في ١٦٣١م. أي بعد عشرين سنة فقط من صدور الترجمة، أي في الوقت الذي كان الناس يحاولون فيه التعود على الترجمة الجديدة، وكان الكثيرون يقاومونها مفضلين عليها ترجمة چنيف الأقدم عهداً فقد سقط سهواً من الطبَّاع الانجليزي كلمة النفي «لا» من الوصية السابعة من الوصايا العشر فنتج عن ذلك كأن الله يعلم أن الناس عليهم أن يزنوا (خر ٢٠: ١٤)، فأصبحت هذه النسخة تُعر ف «بالكتاب الشرير» أو «كتاب الزناة» وعندما اكتشفت الخطأ «حكم على الطبَّاع» روبرت باركر بغرامة ضخمة، ٢٠٠ جنيه وهو مبلغ كان يكفي وقتها لشراء مزرعة مساحتها ٣٠٠ فدان.



صورة لآدم وحواء بريشة الرسام لوكاس جراناتش الأكبر.

واستخدام الكتاب المقدس عند القَسَم، كالقسم عند الشهادة أمام المحكمة» أو عند تولي أحد المناصب السياسية، جاء من عادة يهودية قديمة عند إعطاء وعد ويُختم بالقول: «اذكر أن الله شاهد بيني وبينك» (تك ٣١: ٥٠). وفي العصور الوسطى كان المسيحيون يُقسمون بلمس صليب، أو كتاب مقدس، أو أحد المخلفات المقدسة التي كانوا يعتقدون أنها من مخلفات شخص تقي.

أقدم نسخة من الكتاب المقدس هي من بقايا لفائف البحر الميت (في إسرائيل) التي كتبت في نحو ٢٢٥ ق.م. وهو نص من أحد أسفار صموئيل في العهد القديم.

وأقدم نص لدينا من نصوص العهد الجديد هو جزء من إنجيل يوحنا مكتوب في نحو ١٢٥م. أي ربما بعد ثلاثين سنة فقط من كتابة الأصل. وهذا الجزء يشتمل على أجزاء من (يو ١٨: ٣١- ٣٣)، تشتمل على سؤال بيلاطس للرب يسوع: «هل أنت ملك اليهود».

صورة لهذا الجزء من مخطوطة إنجيل يوحنا أقدم النصوص التي وصلت إلينا والتي كتبت باليونانية في نحو سنة ١٢٥م.

وأكثر أسفار الكتاب المقدس طباعة هو إنجيل مرقس، ربما لأنه أقصر

الأناجيل الأربعة عن حياة يسوع وتعاليمه. ويوجد إنجيل مرقس في نحو ٩٠٠ لغة.

وقد تمت ترجمة الكتاب المقدس جزئياً أو كلياً إلى نحو ١٥٠٠ لغة. وما زال يلزم ترجمته إلى نحو ٣٠٠٠ لغة أخرى. بناء على شهادة مترجمي «ويكلف».

إحصائيات كتابية:

مع أن المسيحيين بوجه عام يصرفون وقتاً أطول في قراءة العهد الجديد عن العهد القديم، فإن العهد القديم يشغل أكثر من ثلاثة أرباع الكتاب المقدس والأرقام الآتية مبنية على ترجمة الملك جيمس، وهي أكثر الترجمات استخداماً. وأعداد الكلمات تختلف نوعاً من ترجمة لأخرى:

	العهد القديم	العهد الجديد	المجموع
عدد الأسفار	٣٩	٢٧	٦٦
عدد الإصحاحات	٩٢٩	٢٦٠	١،١٨٩
عدد الايات	٢٣،٢١٤	٧،٩٥٩	٣١،١٧٣
عدد الكلمات	٥٩٢،٤٣٩	١٨١،٢٥٣	٧٧٣،٦٩٢

والإصحاح الأوسط في الكتاب المقدس هو مزمور ١١٧ كما أنه أقصر أصحاح في الكتاب المقدس، فهذا المزمور المكون من آيتين في قلب الكتاب المقدس يلخص رسالة الله للعالم وتجاوب العالم المناسب:

١- سبحوا الرب يا كل الأمم، حمدوه يا كل الشعوب.

٢- لأن رحمته قد قويت علينا، وأمانة الرب إلى الدهر، هللويا.

والآية الوسطى في الكتاب المقدس تبدو مناسبة جداً مع تركيزها على أمانة الرب وجدارته بالثقة، «فالاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان» (مز ١١٨: ٨)

وأكثر البشر ذكراً هو داود إذ يظهر اسمه في الكتاب المقدس ١١١٨ مرة.

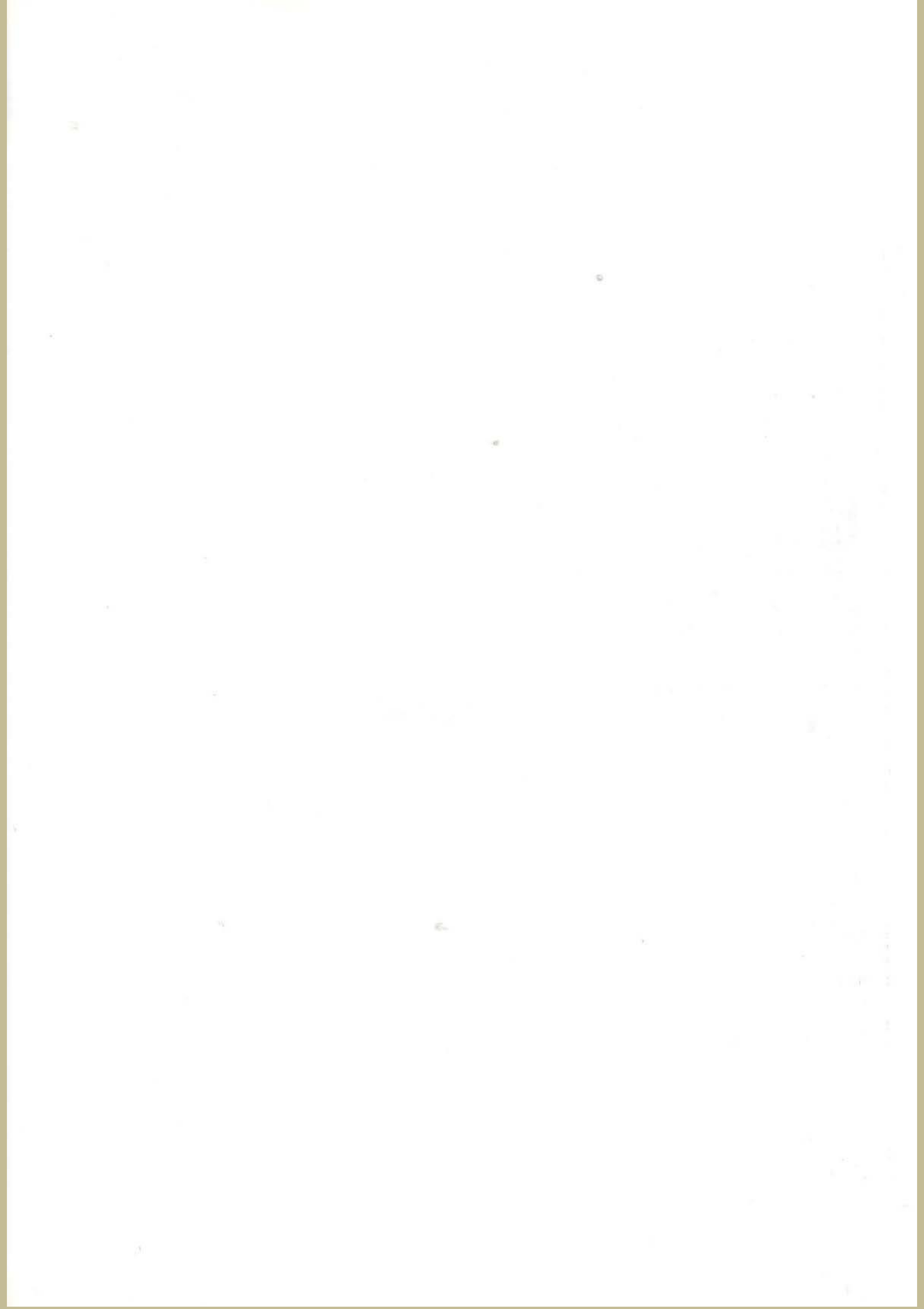
وأطول الناس عمراً هو متوشالح الذي مات عن عمر ٩٦٩ سنة (تك ٥: ٢٧)

وأطول اسم هو «مهير شلال حاش بز» (إش ٨: ١) ومعناه «يعجل الغنيمة، يسرع النهب». وقد أطلق النبي إشعياء هذا الاسم الرمزي على ابنه تحذيراً للملك من أنه لو عقد اليهود معاهدة مع الامبراطورية الأشورية، فسيغزوهم الأشوريون وينهبون ما يريدون.

كلمة «الله» تظهر في كل أسفار الكتاب المقدس فيما عدا سفري أستير ونشيد الأنشاد. وعدم ذكر اسم الله أدى ببعض القادة من اليهود والمسيحيين بأن هذين السفرين ليسا من الأسفار المقدسة، ولكن قادة آخرين رأوا اله في كل سفر فرأوا في نشيد الأنشاد رمزاً شعرياً لمحبة الله لشعبه، وفي أستير رأوا الله يعمل وراء الستار في مسار الأحداث فحمى اليهود من مذبحة شاملة من الفرس.



صورة للملائكة يعلنون للرعاة مولد الرب يسوع المسيح من مخطوطة من القرن الحادي عشر.





الخاتمة



تفسر كلمات الرب يسوع الأخيرة وهو على الأرض لماذا كان الكثيرون من الناس على مر الأجيال على استعداد للموت من أجل الكتاب المقدس من أجل ترجمته وتعليمه وللحياة بمقتضى مبادئه: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر ١٦: ١٥) كما قال لهم من اللحظات الأخيرة قبيل صعوده إلى السماوات: «وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أع ١: ٨).

لقد مضى شهود العيان، لقد ماتوا منذ نحو ٢٠٠٠سنة، ولكن شهاداتهم باقية في الكتاب المقدس، وهو الكتاب الذي يعتبره المسيحيون الشهادة الوحيدة التي يُعتمد عليها من أخبار الله الطيبة عن الخلاص، فمن أول التكوين إلى الرؤيا، من أول أسفار الكتاب المقدس إلى آخر أسفاره يتابع الكتاب المقدس الله وهو يبدأ ويتمم خطتة لمحو الخطية من خليقته التي كانت قبلاً كاملة. ويبدأ الله بدعوة شعب، وهم اليهود إلى طاعته ليحصدوا المكافآت من حمايته وبركته. وكان على هذه الأمة أن تكون مثالاً لتجتذب سائر الأمم إلى الله، كما يجذب النور الناس الضالين في الليل، فقد وعد الله إبراهيم بأنـه «تتبارك فـي نسلك جميع أمم الأرض» (تك ٢٦: ٤). وبعد نحو ألفي سنة بعد ذلك، ولد الرب يسوع في عائلة يهودية وأعلن الملائكة أنه ابن الله، وقد أعلن الرب يسوع أنه الوقت لإذاعة رسالة الله، رسالة الخلاص لكل إنسان.

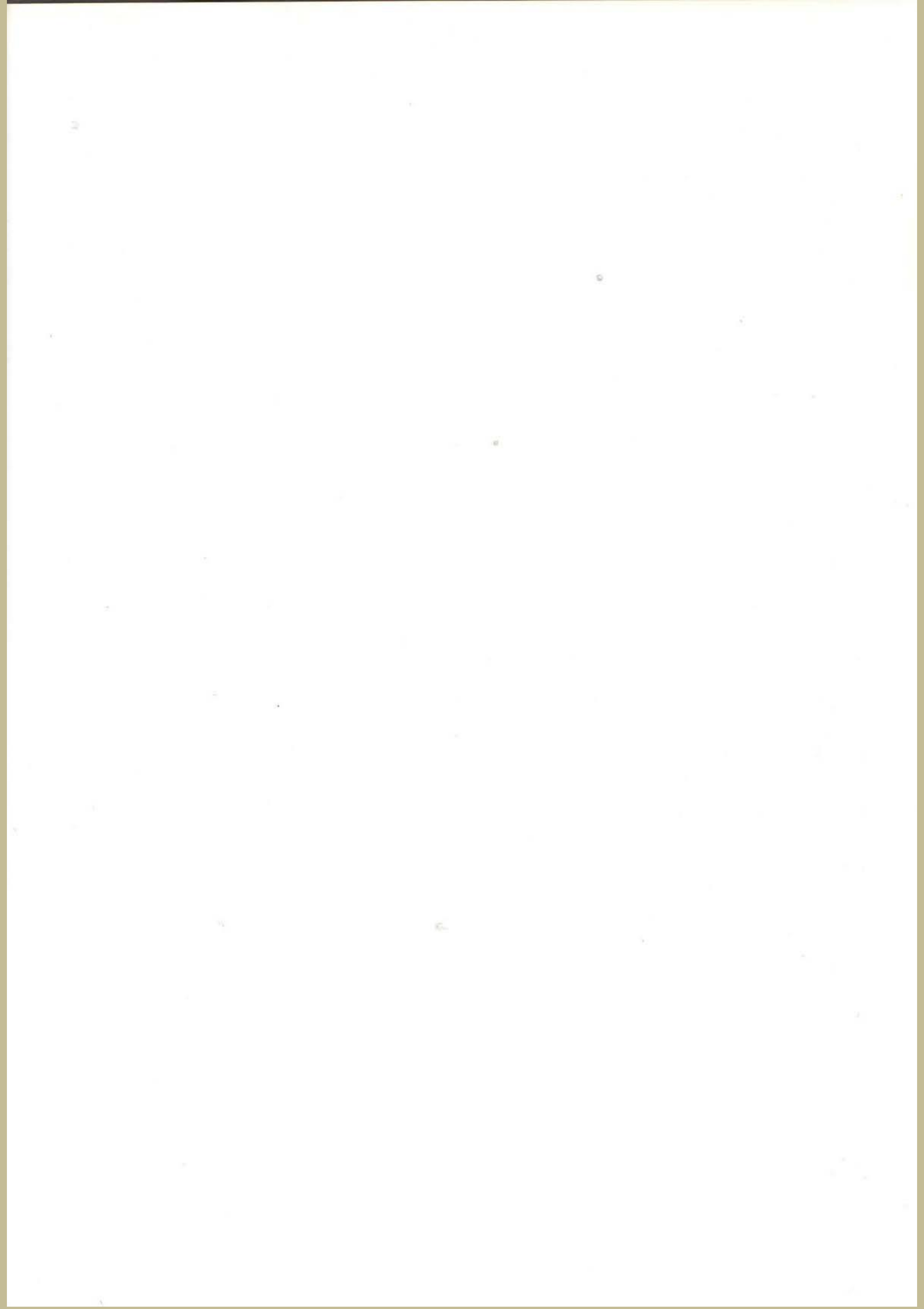
وفي المستقبل القريب، يعد العهد الجديد أن خطة الله ستكمل «قد أكمل» إذ يعلن الله ليوحنا في رؤيا في نهاية الزمن حين تكون الخطية قد انتهت.

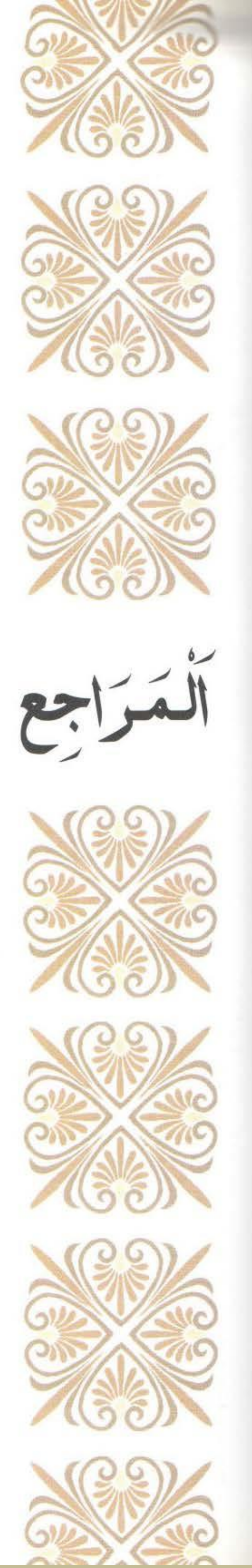
«أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية. أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً. من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً... وهم سيملكون إلى أبد الأبدين» (رؤ ٢١: ٦،٧، ٢٢: ٥)

يقدر عدد اللغات على هذا الكوكب ٦٥٠٠ لغة، ولكن اللغات التي تمت ترجمة الكتاب المقدس إليها كاملاً أو جزئياً تبلغ نحو ٢٣٠٠ لغة، ولكن اللغات التي تمت ترجمته إليها هي اللغات الهامة، أما غالبي اللغات الأخرى فهي لهجات إقليمية يتكلم بها عدد قليل نسبياً. ونحو تسعة أشخاص من كل عشرة أشخاص لديهم على الأقل جزء من الكتاب المقدس في لغتهم الوطنية.. ومع كل هذا فإن كثيرين من المسيحيين غير مكتفين ويقدر عدد مشروعات ترجمة الكتاب المقدس الجاري إتمامها الآن بنحو ٧٠٠ مشروعاً.

لقد قال الرب يسوع: «إلى كل الخليقة»







المراجع

Achtemeier, Paul J., *HarperCollins Bible Dictionary*, San Francisco: HarperCollins, 1996.

Achtemeier, Paul J., Green, Joel B., and Thompson, Marianne Meye, *Introducing the New Testament: Its Literature and Theology*, Grand Rapids, Michigan: Wm B. Eerdmans, 2001.

Adler, Joseph, and Alpher, Joseph (eds), *Encyclopedia of Jewish History*, New York: Checkmark, 1986.

Alexander, David, and Alexander, Pat, *New Lion Handbook to the Bible*, Oxford: Lion, 1999.

Anderson, M.W., *The Battle for the Gospel: The Bible and the Reformation, 1444–1589*, Grand Rapids, Michigan: Baker Book House, 1978.

Ayling, S., *John Wesley*, London: Collins, 1979; Nashville, Tennessee: Abingdon, 1980.

Ball, B.W., *Great Expectation: Eschatological Thought in English Protestantism to 1660*, Leiden: Brill, 1975.

Beardslee, W.A., *Literary Criticism of the New Testament*, Minneapolis: Fortress, 1970.

Blenkinsopp, Joseph, *The Pentateuch: An Introduction to the First Five Books of the Bible*, New York: Doubleday, 1992.

Bray, Gerald, *Biblical Interpretation, Past and Present*, Downers Grove, Illinois: Intervarsity Press, 1996.

Bromiley, Geoffrey, *The International Standard Bible Encyclopedia*, Grand Rapids, Michigan: Wm B. Eerdmans, 1959, 1994.

Brown, Colin, *Christianity and Western Thought: A History of Philosophers, Ideas and Movements*, Downers Grove, Illinois: Intervarsity Press, 1990.

Brown, Peter, *Augustine of Hippo: A Biography*, London: Faber and Faber, 2000; Berkeley, Los Angeles: University of California Press, 2000.

Butterworth, C., *The Literary Lineage of the King James Bible 1340–1611*, New York: Octagon, 1971.

Cahill, Thomas, *How the Irish Saved Civilization*, New York: Doubleday, 1995; London: Sceptre, 1996.

Calvin, J., *Calvin's New Testament Commentaries*, tr. T.H.L. Parker, London: T & T Clark, 1993.

Calvin, J., *Calvin's Old Testament Commentaries*, tr. T.H.L. Parker, ed. David W. Torrance and Thomas F. Torrance, London: T & T Clark, 1986.

Calvin, J., *Institutes of the Christian Religion* (1536), ed. J.T. McNeill, tr. F.L. Battles, London: T & T Clark, 1980.

Campenhausen, H. von, *Formation of the Christian Bible*, tr. Baker, J.A., Minneapolis: Fortress, 1972; Mifflintown, Pennsylvania: Sigler, 1997.

Charlesworth, James H., *The Old Testament Pseudepigrapha: Apocalyptic Literature and Testaments*, New York: Doubleday, 1983.

Childs, B.S., *Introduction to the Old Testament as Scripture*, London: SCM, 1979, 1983.

Childs, B.S., *The New Testament as Canon: An Introduction*, Minneapolis: Fortress, 1985; London: SCM, 1994.

Cohn-Sherbok, Lavinia, *Who's Who in Christianity?* London: Routledge, 1998.

Collins, John Joseph, *The Apocalyptic Imagination: An Introduction to Jewish Apocalyptic Literature* (*The Biblical Resource Series*), Grand Rapids, Michigan: Wm B. Eerdmans, 1998.

Collins, Michael, and Price, Matthew, *Story of Christianity: A Celebration of 2,000 Years of Faith*, New York: Dorling Kindersley, 1999.

Congar, Y.M.J., *Tradition and Traditions: An Historical and a Theological Essay*, London: Burns and Oates, 1966.

Couch, Mal (ed.), *Dictionary of Premillennial Theology*, Grand Rapids, Michigan: Kregel, 1996.

Cross, F.L., and Livingstone, E.A. (eds), *The Oxford Dictionary of the Christian Church*, Oxford: Oxford University Press, 1997.

Douglas, J.D., *Who's Who in Christian History?* Wheaton, Illinois: Tyndale House, 1992.

Drane, John, *Introducing the New Testament*, Oxford: Lion, 1999.

Drane, John, *Introducing the Old Testament*, Oxford: Lion, 2000.

Drane, John, *New Lion Bible Encyclopedia*, Oxford: Lion, 1998.

Evans, Craig, and Porter, Stanley, *Dictionary of New Testament Background*, Downers Grove, Illinois: Intervarsity Press, 2000.

Fishbane, M., *Biblical Interpretation in Ancient Israel*, Oxford: Clarendon, 1985.

Freedman, David, *The Anchor Bible Dictionary*, New York: Doubleday, 1992.

Friedman, Richard Elliott, *Who Wrote the Bible?*

Massachusetts: Hendrickson, 1998.

Pontifical Biblical Commission, *The Interpretation of the Bible in the Church*, Rome: Libreria Editrice Vaticana, 1993; New York: Pauline Books and Media, 1993.

Porter, S.E., and Hess, R.H. (eds), *Translating the Bible: Problems and Prospects*, Sheffield: Sheffield Academic Press, 1999.

Pritchard, James B., *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament with Supplement*, Princeton: Princeton University Press, 1969.

Ramsey, Boniface, *Beginning to Read the Fathers*, New York: Paulist, 1994; London: SCM, 1993.

Rogers, J.B., and McKim, D.K., *The Authority and Interpretation of the Bible*, San Francisco: HarperCollins, 1979.

Rogerson, John (ed.), *The Oxford Illustrated History of the Bible*, Oxford: Oxford University Press, 2001.

Reventlow, H. Graf, *The Authority of the Bible and the Rise of the Modern World*, tr. J. Bowden, London: SCM, 1985; Minneapolis: Fortress, 1985.

Schaeder, H.H., *Esra der Schreiber, Beitrage zur historischen Theologie* 5, Tübingen, 1930.

Sharpe, Eric J. (tr.), *Memory and Manuscript: Oral Tradition and Written Transmission in Rabbinic Judaism and Early Christianity*, Grand Rapids: Wm B. Eerdmans, 1998.

Smalley, B., *The Study of the Bible in the Middle Ages*, Oxford: Blackwell, 1983.

Suelzer, Alexa, and Kselman, John S., 'Modern Old Testament Criticism' in Raymond E. Brown, Joseph A. Fitzmeyer and Roland E. Murphy (eds), *The New Jerome Biblical Commentary*, Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice Hall, 1990.

Later New Testament and its Developments, Downers Grove, Illinois: Intervarsity Press, 1997.

Mason, Steve, *Josephus and the New Testament*, Peabody, Massachusetts: Hendrickson, 1993.

Maynard, Jill (ed.), *Illustrated Dictionary of Bible Life & Times*, New York: Reader's Digest, 1997.

Metzger, Bruce, and Coogan, Michael, *The Oxford Companion to the Bible*, New York: Oxford University Press, 1993.

Metzger, Bruce Manning, *The Canon of the New Testament: Its Origin, Development, and Significance*, Oxford: Clarendon, 1997.

Miller, Stephen M., *How to Get into the Bible*, Nashville, Tennessee: Thomas Nelson, 1998.

Neusner, Jacob, *The Midrash: An Introduction*, Northvale, New Jersey, and London: Jason Aronson, 1994.

Nida, Eugene A., *Toward a Science of Translating with Special Reference to Principles and Procedures Involved in Bible Translating*, Leiden: Adler's Foreign Books, 1964.

Nida, Eugene A., and Taber, C.R., *The Theory and Practice of Translating*, Leiden: Adler's Foreign Books, 1969.

Norton, David, *A History of the English Bible as Literature*, Cambridge: Cambridge University Press, 2000.

Pagels, Elaine, *The Gnostic Gospels*, London: Penguin, 1990.

Pelikan, Jaroslav, *Luther the Expositor: Introduction to His Exegetical Writing*, St Louis: Concordia, 1959.

Perrin, N., *What is Redaction Criticism?* Minneapolis: Fortress, 1969; London: SPCK, 1970.

Philo, *The Works of Philo, Complete and Unabridged*, tr. C.D. Yonge, Peabody,

Leclercq, J., *The Love of Learning and the Desire for God: A Study of Monastic Culture*, London: SPCK, 1978.

LeMaire, A., *Les Écoles et la formation de la Bible dans l'ancien Israel* (*Orbis biblicus et orientalis* 39), Freiburg and Göttingen, 1981.

Light, L., 'Versions et revisions du texte bibliques', in Riche and Lobrichon, 1984, pp. 55–93.

Lightfoot, Neil R., *How We Got Our Bible*, Grand Rapids, Michigan: Baker Book House, 1988.

McBrien, Richard P., *The HarperCollins Encyclopedia of Catholicism*, San Francisco: HarperCollins, 1995.

McGinn, Bernard, *Anti-Christ: Two Thousand Years of the Human Fascination with Evil*, San Francisco: HarperCollins, 1994.

McGrath, Alister E., *In the Beginning: The Story of the King James Bible and How it Changed a Nation, a Language and a Culture*, New York: Anchor/Doubleday, 2001; London: Hodder and Stoughton, 2002.

Mack, Burton L., *Who Wrote the New Testament?* San Francisco: HarperCollins, 1995.

McKim, D.K., 'Scripture in Calvin's Theology', *Readings in Calvin's Theology*, Grand Rapids, Michigan: Baker Book House, 1984.

McKnight, E.V., *What is Form Criticism?* Minneapolis: Fortress, 1969.

McNally, R.E., *The Bible in the Early Middle Ages*, Westminister, Maryland: Scholars, 1959.

Marius, Richard, *Martin Luther: The Christian Between God and Death*, Cambridge, Massachusetts, and London: Harvard University Press, 2000.

Martin, Ralph, and Davids, Peter, *Dictionary of the*

Foreign Bible Society, 1968.

Huber, Robert V. (ed.), *The Bible Through the Ages*, New York: Reader's Digest, 1996.

Hurley, M., '"Sola Scriptura": Wycliff and His Critics', *Traditio* 16:275–352, 1960.

Izbicki, T., 'La Bible et les canonists', in Riche and Lobrichon, 1984, pp. 371–84.

Jedin, H., *A History of the Council of Trent*, tr. E. Graf, Bloomington, Indiana: Indiana University Press, 1997.

Josephus, Flavius, *The Complete Works of Josephus*, tr. William Whiston, Carlisle: STL, 1998; Nashville, Tennessee: Thomas Nelson, 1999.

Keene, Michael, *The Bible* (*Lion Access Guides*), Oxford: Lion, 2002.

Kelber, W.H., *The Oral and the Written Gospel*, Philadelphia: Fortress, 1983.

Kelly, J.N.D., *Jerome, His Life, Writings and Controversies*, London: Duckworth, 1975.

Knowles, Andrew, *The Bible Guide*, Oxford: Lion, 2001.

Kselman, John S., and Whiterup, Ronald D., 'Modern New Testament Criticism' in Raymond E. Brown, Joseph A. Fitzmeyer and Roland E. Murphy (eds), *The New Jerome Biblical Commentary*, Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice Hall, 1990.

Kugel, J.L., and Greer, R.A. (eds), *Early Biblical Interpretation*, (Library of Early Christianity, volume 3), Louisville, Kentucky: Westminster John Knox, 1986.

Latourette, Kenneth Scott, *Christianity Through the Ages*, New York: Harper and Row, 1965; Peter Smith, 1965.

Lauterbach, J.Z., *Rabbinic Essays*, New York: Ktav, 1973.

Harlow: Prentice Hall, 1988; San Francisco: HarperCollins, 1997.

Frye, N., *The Great Code: The Bible in Literature*, New York: Harcourt, 1983.

Galling, K. Bagoas, and Ezra in *Studien zur Geschichte Israels im persischen Zeitalter*, Tübingen, 1964, pp. 149–84.

Gardner, Joseph L. (ed.), *Complete Guide to the Bible*, New York: Reader's Digest, 1998.

Grant, F.C., *Translating the Bible*, Edinburgh, 1961.

Grant, R.M., and Tracy, D., *A Short History of the Interpretation of the Bible* (second edition), London: SCM, 1984.

Green, Julien, *God's Fool: The Life and Times of Francis of Assisi*, tr. Peter Heinegg, San Francisco: HarperCollins, 1987; London: Hodder and Stoughton Religious, 1986.

Greenspahn, F.E. (ed.), *Scripture in the Jewish and Christian Traditions*, Nashville: Abingdon, 1982.

Grun, Bernard, *The Timetables of History*, New York: Simon and Schuster, 1991.

Gutjahr, Paul C., *An American Bible: A History of the Good Book in the United States, 1777–1880*, Stanford, California: Stanford University Press, 1999.

Hall, Christopher, *Reading Scripture with the Church Fathers*, Downers Grove, Illinois: Intervarsity Press, 1998.

Hamel, Christopher de, *The Book: A History of the Bible*, London: Phaidon, 2001.

Harrop, Clayton, *History of the New Testament in Plain Language*, Waco, Texas: Word, 1984.

Herbert, A.S., *Historical Catalogue of Printed Editions of the English Bible 1521–1961*, London and New York: British and

Trigg. J.W., *Biblical Interpretation* (*Message of the Fathers of the Church*, vol. 9), Wilmington, Delaware: Michael Glazier, 1988.

Truesdale, Albert, and Lyons, George, *A Dictionary of the Bible and Christian Doctrine in Everyday English*, Kansas City: Beacon Hill, 1986.

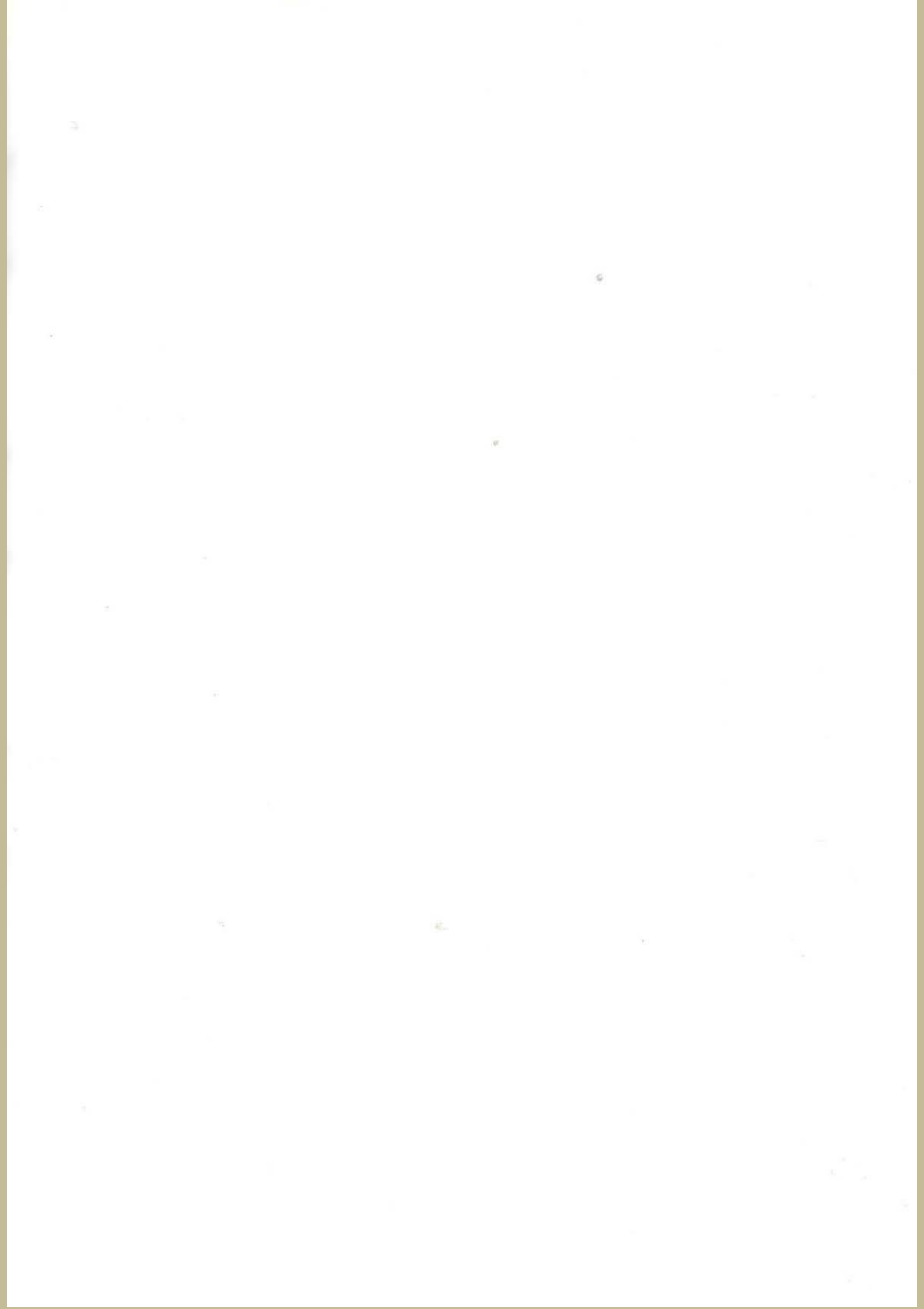
Vermes, Geza, *The Complete Dead Sea Scrolls in English*, New York: Penguin, 1998; London: Allen Lane, 1997.

Walsh, K., and Wood, D. (eds), *The Bible in the Medieval World* (*Studies in Church History* Subsidia 4), Oxford: Blackwell, 1985.

Ward, Kaari (ed.), *ABCs of the Bible*, New York: Reader's Digest, 1991.

Wigoder, Geoffrey, *The Encyclopedia of Judaism*, New York: New York University Press, 2002.

Zeolla, Gary F., *Differences Between Bible Versions*, Bloomington, Indiana: 1stBooks Library, 2001.





فهرس أهم الأعلام والموضوعات

(أ)

(ب)

(ت)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

الكنيسة الكاثوليكية ١٦٤، ١٦٥، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦–١٧٧، ١٩١، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٢٣، ٢٣٦، انظر أيضاً الكنيسة الروم كاثوليكية ١٣٩، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٦، ٢٢٤

دار الثقافة

منذ تاريخ التكوين
الكتاب وحتى المقدس اليوم

- هل الكتاب المقدس مجرد كتاب ديني عادي؟
- كيف تمت كتابة العهدين القديم والجديد وجمعهما معًا؟
- ما هي العلاقة بين نصوص الكتاب المقدس وكتابات الحضارات الأخرى؟
- كيف أثر الكتاب المقدس في العالم وكيف تأثر به؟
- من هم الشخصيات الرئيسية من أول المخطوطات الجلدية وحتى الكتاب المطبوع؟
- كيف انتشر الكتاب المقدس في جميع أنحاء العالم؟
- كيف نفهم أو لا نفهم النصوص المختلفة في الكتاب المقدس؟

ما سبق مجرد حفنة قليلة من فيض هائل من الأسئلة التي يجيب عنها هذا الكتاب الرائع، والذي يتناول كل ما يتعلق بالكتاب المقدس منذ فترة التكوين وحتى وقتنا الحاضر، ويعرضها مصحوبة بصور ورسوم بديعة ملونة، وبأسلوب يجمع بين العمق واليسر، وبين الإمتاع والإقناع.

هذا الكتاب ليس كتابًا عاديًا أو بسيطًا. إنه مرجع هام لكل متخصص ودارس، وكتاب مفيد لكل قارئ راغب في المعرفة والاطلاع، حيث أنه يقدم فكرًا جديدًا، مبنيًا على دراسات وبحوث عشرات العلماء الذين قضوا عقودًا في عمل جاد وبحث مضني.

١٠١٠٠٥٦٧